الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران1 أحمد بن بلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية.

قسم: الحضارة الإسلامية.

أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية

القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري

(15م-18م)

إعداد الطالب: محمد مولاي

إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد الحمدي

أ.د.عبد المجيد بن نعمية	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران 1	رئيسا
أ.د. أحمد الحمدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفا
أ.د. محمد بوشنافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
أ.د.نصر الدين بن داود	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشا
د. بن عمر حمدادو	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران 1	مناقشا
د. محمد لعباسي	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران 1	مناقشا

السنة الجامعية: 2018– 2019

بسم الله الرحمن الرحيم

قبس

"إذا جار الوزير وكاتبه وقاضي الأرض داهن أهل القضاء فويل ثم ويل ثم ويل لقاضي الأرض من قاضي السماء، يا موت زر إن الحياة ذميمة، ويا نفس توبي إن دهرك هازل"

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى جميع أفراد عائلتي صغيرا و كبيرا وأخصّ بالذكر ابن أخي محمد الجواد وبنت أختي آمنة.

إلى أرض الشهامة والبطولة فلسطين الأبية

إلى جميع العلماء العاملين والمشايخ الذاكرين.

إلى جميع الأصدقاء وعلى رأسهم الأستاذ حديدي علي من جامعة باجي مختار بعنابة والصديق شرف الدين ولد نورين الباحث في الدكتوراه من مستغانم، وإلى جميع من يشتغل في حقل العلم والمعرفة.

محمد مولاي

شكر وتقدير

شكر وتقدير.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتستجاب الدعوات وتحقق الرغائب، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقا ت سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليم .

أما بعد أتوجه بالشكر الجزيل للإستاذ المشرف الدكتور أحمد الحمدي الذي كان لي خير معين في إنجاز هذه الأطروحة، منذ أن كانت فكرة إلى أن صارت ثمرة فجزاه الله عني أحسن الجزاء وأوفى العطاء، كما أتوجه بالشكر الى لجنة المناقشة التي تحملت عناء قراءة هذا العمل وتصويب أخطائه وعلى رأسها شيخ الأجيال فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المجيد بن نعمية حفظه الله ورعاه وبارك في أيامه وعطائه، ثم الدكتور محمد لعباسي، والدكتور بن عمر حمدادو من جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، والأستاذ الدكتور نصر الدين بن داوود من جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، والأستاذ الدكتور محمد بوشنافي من جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، كما أتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة قسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران(1) أحمد بن بلة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد بوركبة، والأستاذ الدكتور عبد الغفار بن نعمية، والأستاذ الدكتور محمد بن معمر، والدكتور عبد الحميد مقاديم، وإلى جميع أساتذة وطلبة وعمال كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية بجامعة وهران (1) أحمد بن بلة، كما أتوجه بالشكر إلى جميع من ساعدني من خارج الوطن من دول الأشقاء موريتانيا، والسينغال، والسودان، ومصر، والعراق فلهم مني جزيل الشكر وجميل العرفان.

المقدمة

يعتبر القضاء من الوظائف الحساسة المتعلقة بنظام الملك الذي لا تستقيم أمور الدولة إلا به، لأنه أمر ضروري لأحوال الرعية في شؤونهم الدينية والدنيوية، وقد اهتمت به جميع الشرائع السماوية وغير السماوية، منذ العصور السالفة فوضعت قوانين ومراسم تنظم حياة الأفراد والجماعات، كقوانين حمو رابي في الحضارة البابلية وقوانين المسلات الفرعونية في حضارة مصر القديمة، كما كانت للديانتين اليهودية والنصرانية أحكامهما القضائية وقوانينهما التي نظمتا بهما حياة مجتمعاتهما، لتأتي الشريعة الإسلامية التي أعطت أهمية كبيرة لمنصب القضاء واعتبرت سلطته من أعلى السلطات في هرم الدولة، ولم تخول هذه المهمة إلا لمن توفرت فيه شروط معينة منها الكفاءة والعلم، هذا لمكانة القضاء في الإسلام لأنه عملا بالأحكام الشرعية المأخوذة من الكتاب والسنة وبالتالي فهو حكم الله في أخطاء البشر، ويعتبر هذا النظام من أهم الأنظمة والمؤسسات التي فرضت وجودها في المجتمع الإسلامي.

فكان على مستوى الدولة قاضي عام تسند إليه مهمة الفصل في القضايا والخصومات، ولم يكن لهذا المنصب إي استقلال عن الحكم وربما الحاكم هو القاضي الذي يحكم ويقاضي بين الناس، إلى أن توسعت رقعة الدولة الإسلامية واحدث منصب قاضي القضاة، و أصبح لكل إقليم قاضي تابع لقاضي القضاة بمركزية السلطة، كما اشتمل جهاز القضاء على عدة أنظمة فرعية تباشر المهام القضائية وتساعد القاضي في أعماله بطريقة أو بأخرى، كنظام الحسبة وديوان المظالم والشرطة والعسس والوكلاء، هذا لأهمية هذا النظام في حياة الأفراد والجماعة حفاظا لحقوقهم وبسطا لهيبة الدولة.

وأول من مارس هذه المهنة في الإسلام هو الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك منذ نشأة الدولة الإسلامية وقلة مجتمعها، لكن ما أن أصبحت في التوسع حتى عين وكلاء عنه في الأمصار يقضون في الخصومات بين المتخاصمين، واستمر الوضع عليه في الخلافة الراشدة إلى أن جاء العهد الأموي أين استقل القضاء عن الحكم وأصبح القاضي يعين من طرف الحاكم وأصبحت له صلاحيات واسعة وذلك نظرا لتوسع الدولة الإسلامية ودخول أجناس غير عربية في الإسلام، وبداية ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية التي شهدت تفرقا واحتداما بينها خاصة في العصر العباسي، أين تعددت اختصاصات القضاء أكثر فأكثر فأحدثت له دار خاصة سميت دار القضاء مستقلة عن الحاكم، توكل مهمة القضاء فيها لقضاة وفق كل مذهب إسلامي وهو ما عرفته بقية الأقطار الإسلامية في كلا من مصر وبلا د المغرب والأندلس وبلاد السودان الغربي هذه الأخيرة التي تعتبر رقعة جغرافية مهمة في العالم الإسلامي، بحدودها

الصحراوية وعمقها التاريخي منذ قيام مملكة غاية الوثنية ووصول الإسلام إليها إلى نشوء المماليك الإسلامية، مثل مملكة مالي، وصنغاي إلى عهد الإمارات القبلية كإمارات الهوسا وبلاد شنقيط.

والقضاء من المواضيع التي لاقت اهتمام الكثير من الباحثين في حقل المعرفة التاريخية والحضارية التي اهتمت بميدان النظم الإسلامية، خاصة في بلاد المشرق الإسلامي، وكانت بحوث أكاديمية كثيرة تكلم أصحابها عن خطة القضاء في ظل الدولة الإسلامية منذ عصر النبوة والخلافة الراشدة، والعهدين الأموي والعباسي وصولا للخلافة العثمانية مما شوق الكثير منهم إلى تناول هذه الخطة في كل من مصر والأندلس وبلاد المغرب بصفة اقل والتي لازالت البحوث فيها قليلة ومحصورة وبعضها تناول الموضوع كجزء من مواضيع حضارية وسياسية واجتماعية تخص المجتمعات ولم تكن كمواضيع مستقلة.

أما في بلاد السودان على وجه العموم والغربي على وجه الخصوص فلا نكاد نجد دراسات اهتمت بهذا المجال باستثناء دراسة الباحث الموريتاني محمد المختار ولد السعد تاريخ القضاء في موريتانيا من العهد المرابطي حتى الاستقلال، و دراسة الباحث إيهاب شعبان عبد الشافي من مصر وهي عبارة عن رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية " القضاء في دولتي مالي وصنغاي" وهاتين الدراستين في نظري غير كافيتين بالنسبة لرقعة جغرافية بحجم بلاد السودان الغربي، ثم إن كلاهما تخصص في جهة معينة وفترة زمنية محددة، فالأول اهتم بجزء الشمال الغربي من بلاد السودان الغربي، والثاني اهتم بمملكة مالي وصنغي في فترة من 636هـ/1238م إلى 1000هـ/1591م، وهو ما جعل كثيرا من الجوانب الحضارية لا زال يكتنفها الغموض وبالتالي كان لزاما علينا أن نستشرف الخوض في غمار هذا البحث خاصة في فترات القرون العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر هجري.

وجود دراسات تناولت هذه الرقعة لكن في الجانب السياسي والثقافي والعلمي وأهملت الجانب الحضاري الذي يمثل إشراقة حقيقية لحضارة الإسلام في هذه المناطق.

البحوث التي تناولت الجانب الاجتماعي والعلمي والفقهي أدمجت خطة القضاء في هذه الجوانب .

ما زالت العديد من الجوانب الحضارية في هذه المنطقة يكتنفها الغموض لاسيما جانب النظم ومن بينها نظام القضاء.

رغبتي الشخصية في البحث في تاريخ هذه المنطقة خاصة بعد ما كنت قد تناولت في مذكرة الماجستير موضوع العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الإفريقي، وهذا ما شجعني أكثر على حب الاطلاع والتعرف على خبايا تاريخ هذا المنطقة .

وموضوع القضاء من المواضيع التي تطرح إشكالات كثيرة ومتنوعة كونه من المواضيع الحساسة التي لها تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية وحتى الاقتصادية لأفراد مجتمع بلاد السودان الغربي، خاصة في زمن الانقسامات السياسية والحروب الخارجية وما نتج عنها من أثار كادت تمزق بوحدة هذا المجتمع الإسلامي، وبالتالي ارتأينا أن نعالج هذا الموضوع من **إشكالية محورية** تتفرع عنها عدة تساؤلات .

ما طبيعة النظام القضائي في بلاد السودان الغربي خلال هذه الفترة محل البحث؟.

كيف كان يتم التقاضي بين الناس وهل كان القضاء كهيئة مستقلة عن السلطة الحاكمة أم كان القاضي هو نفسه الحاكم؟

ما هي الشروط الواجب توفرها في احتيار القاضي وطريقة تعيينه ومن يعينه؟

القضاء هل كان في مركزية السلطة أم كان قضاة في جميع نواحي وجهات الدولة وما هي طريقة تعيينهم ؟

- الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للقاضي من حيث المكانة الاجتماعية والراتب؟

- الأدوار العلمية والثقافية التي كان يقوم بها القاضي إلى جانب مهنته؟

- الأدوار السياسية والإدارية للقضاة في بلاد السودان الغربي؟

- هل تول مهنة القضاء عناصر محلية أم من جاليات أخرى سكنت هذه البلاد كالجاليات المغربية والتواتية على وجهة الخصوص ؟

- الوضعية القضائية للأفراد غير المسلمين في بلاد السودان الغربي هل كانت تخضع لقوانين خاصة أم لقوانين الدولة وأحكام الشريعة الإسلامية ؟.

ولتناول هذه الإشكالية وفروعها اعتمدت على خطة مشكلة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

فتناولت في **الفصل الأول**: التعريف ببلاد السودان الغربي والقضاء فقسمته إلى جزئين الأول يخص التعريف ببلاد السودان الغربي من حيث مصطلحها وتحديد مدلولها، وجغرافيتها، إضافة إلى عناصر السكان وتنوعها في هذه البلاد، ثم ذكرت الخلفية التاريخية والحقب التي مرت بها البلاد منذ العهد الوثني إلى دخول الإسلام فعرفت بمملكة غانة كأقدم مملكة وإسلام ملوكها ومن أسهم في إسلامهم، ثم مملكة مالي والأدوار الحضارية التي قام بها ملوكها خدمة للإسلام، ثم مملكة صنغي التي بدأت بسني علي ووضعية المملكة في عهده، ثم ملوك الأسكيا وبداية عهد جديد في هذه المملكة خاصة وبلاد السودان الغربي، ثم الوجود المغربي في بلاد السودان الغربي، من خلال الحملة السعدية، وإسقاط مملكة صنغي، ثم نظام الباشوية في هذه البلاد، ثم عرجت الى الممالك الأخرى في بلاد السودان مثل ممالك الهوسا، وظهور الحركات الإمامية في أجزاء من بلاد السودان الغربي خاصة عند حوض نهر السنغال بضفتيه، مثل حركة الإمام ناصر الدين الشمشوي، وحركة مالك ساي، وسليمان بالي، وعبد القادر كن ، إلى قيام الإمارات الأميرية في بلاد السيبة منها إمارة الترارزة، وإمارة البراكنة، وختمت هذا الجزء بالتعريف بأهم الحواضر التي كان لهادور مؤثر في بلاد السودان الغربي مثل تنبكتو، وجني، وغاو، وكانو، وكاتسينا، وأقدز، وولاته، وشنقيط.

أما الجزء الثاني فخصصته للتعريف بالقضاء من حيث اللغة والاصطلاح، والحكمة منه، وأركانه، والشروط الواجب توافرها في القاضي، وآداب القاضي، ثم تكلمت عن ديوان المظالم، والحسبة باعتبارهما جهازين مساعدين للقضاء، لأختم هذا الفصل بإلقاء نظرة عن القضاء في هذه البلاد قبل الفترة محل الدراسة وأعني في مملكتي غانة ومالي.

أما **الفصل الثاني** فقد خصصته للتنظيم القضائي في بلاد السودان الغربي خلال الفترة محل(898هـ-1100هـ) الدراسة وبدأته بمصادر التشريع القضائي وهي المذهب المالكي والعرف، ثم تعين القضاة وكيفية الاختيار والشروط الواجب توافرها فيهم، بالإضافة إلى صلاحيات القاضي خاصة في عهد دولة صنغي وكيف تقلص هذه الصلاحيات بعد مجئ الباشوات المغاربة، أما فيما يخص الرواتب فتحدثت عن رواتب القضاة في ظل دولة صنغي وما تمتعوا به من عطاءات وافرة واستمر هذا حتى العهد المغربي لكن بصفة أقل، لأوضح التباين في هذا بالنسبة لقضاة البلاد السائبة التي لم يكن لهم بيت مال وانما كانوا يعتمدون على ما يدفعوه المتخاصمون وهو ما طرح إشكال كبير، ثم تكلمت عن

أنواع القضاة وتخصص كل نوع من هاته الأنواع في إطار المحدودية والصلاحيات، ثم مجلس القاضي والاماكن التي كان يقضي فيها واهم مساعديه الذين تعددوا وتنوعت مهامهم، كما ذكرت الأسر التي كان أفرادها يتوارثون مهنة القضاء وركزنا على أربعة أسر كبير وذات شهرة وفضل في المنطقة، لنختم هذا الفصل بأهم القضايا التي شغلت بال القضاء في هذه الفترة وقد كانت متنوعة وكثيرة اقتصرت على المهمة منها، ووضحنا كذلك الحدود والعقوبات وبين منها ما كان من اجتهادات بشرية مثل العقوبة بالمال وبعض العقوبات التي تتعلق بالسرقة.

وخصصت **الفصل الثالث** لتراجم قضاة البلاد خلال هذه الفترة محل البحث، وقد ترجمت لأكثر من مئة وثلاثين قاضي مع التباين في درجاتهم من حيث قضاء الجماعة، والتحكيم.

أما **الفصل الرابع** فكان لدور القضاة في الجانب الثقافي والعلمي، ومساهمتهم في التآليف العلمية في علوم القرآن، والحديث، والفقه، والعقيدة وعلم الكلام، والمنطق، واللغة، والتاريخ والتراجم والسير، إضافة الى مساهمتهم في تأسيس المدارس والمكتبات والإشراف على المساجد، وتعيين المؤذنين والأئمة.

وفي **الفصل الخامس** أفردته لدور القضاة في الجانب الاجتماعي والسياسي، فخصصته لبعض الظواهر الاجتماعية التي شغلت المجتمع السوداني مثل الاختلاط والتبرج، والسحر والشعوذة، وكذا تعاطي التبغ، وبينت موقف القضاة من هذه الظواهر، ثم كللت هذا ببعض الأدوار الأخرى منتهجين في ذلك البسط والإجتزال نظراً لتشعب الموضوع فاقتصرنا على دور القضاة في الاحتفالات الدينية، وكذا وقوف القضاة إلى جانب الفقراء والمساكين والطلبة من خلال حث الأغنياء على الصدقات، والتوسط لهؤلاء الفقراء لدى السلطان.

أما في الجانب السياسي والإداري فتحدثت فيه عن دورهم في إرساء الحكم الراشد في البلاد وحث السلطان على العدل، فكانت رسائل الإمام المغيلي تجسد بحق هذا الدور الذي استمر حتى وقت دخول السعديين للبلاد ورغم سياساتهم إلا أن مكانة القاضي بقية مع تقليص لبعض الصلاحيات، وفي الجانب الإداري تكلمت عن التقسيم الذي أحدثه الأسكيا محمد الكبير والتحول في مملكة صنغي بالرجوع إلى وصايا المغيلي وحث القضاة بعد ذلك على ضرورة إحداث تغيرات إدارية، ليتغير هذا الوضع بعد مجيء السعديين، وقد اتخذت من هذا الجانب الإداري مسحة وصفية

للتراتيب السلطانية. وفي الأخير ختمنا هذه الأطروحة بخاتمة درجنا فيها خلاصة ما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات.

وقد اعتمدت على المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف والنقد والتحليل واستقراء الحوادث التاريخية وتمحيصيها خاصة من كتب النوازل والأحكام التي تفتقد في كثير من المرات إلى السياق التاريخي الذي يحدد فترتها.

المصادر والمراجع والدوريات:

هناك عدة مصادر ومراجع منها ما يلامس الموضوع بصفة أساسية ومنها ما يلامسه بصفة ثانوية، وسأقتصر على ذكر بعضها دون الآخر.

المخطوطات:

-مخطوط العمل المشكور في نوازل التكرور لأبي عبد الله المصطفى بن أحمد بن عثمان بن مولود الغلاوي، وهو مخطوط كبير يشتمل على عدة أجزاء تكلم فيها عن الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية لبلاد السودان الغربي التي رسم من خلالها توصيف لواقع هذه البلاد، خاصة فيما يخص نوازل وفتاوى العلماء ومنهم القضاة، وقد أفادتني كثيرا خاصة في أحكام الزواج والطلاق وبالتالي هو مادة علمية مهمة لتاريخ مجتمع السودان الغربي.

- مخطوط الجوهر الثمين في صحراء الملثمين وما يجاورهم من السوادين وهو للشيخ العتيق بن سعد الدين السوقي أحد أبناء المنطقة اهتم بتاريخها فقد جاءت المادة الخبرية لهذا المخطوط في غاية الأهمية لأنه اهتم بتاريخ صحراء أروان وكل السوق وعلاقتها بحواضر تنبكتو وولاته، إضافة الى دور القضاة في النظام القبلي وأشار إلى القضاة المحكمون وكيف كانت سلطاتهم في هذا النظام القبلي الذي يستند إلى سلطة الحل والعقد.

كتب الجغرافية والرحالة:

كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري الأندلسي ت487هـ/1094م، الذي أورد معلومات عن بلاد السودان الغربي خاصة مملكة غانة فوصفها وصفاً دقيقا فيما يتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية ونظم الإدارة فيها.

كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت799هـ/1377م، وهو من الرحالة الذين عايشوا جزء من تاريخ هذه البلاد التي زارها أيام دولة مالي وقد وصف هذه البلاد وشعبها وعاداتهم وتقاليدهم وذكر مدنها وأقاليمها، والجاليات التي كانت تسكنها خاصة المغربية، وقد أفادني كثيرا فيما يخص هذه الدولة.

وصف إفريقيا، للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي ت960هـ/1552م، يعتبر ثاني مصدر من كتب الرحلات، اعتمدنا عليه نظرا للأهمية التاريخية والجغرافية للمعلومات التي يكتبها، خاصة في تحديد بعض الأماكن من خلال رحلته رفقة عمه التي زار فيها مناطق قريبة من بلاد السودان الغربي، خاصة الواقعة على طرق القوافل التجارية الرابطة بينهما، فذكر تنبكتو التي كانت في وقته في قمة مجدها العلمي والتجاري كما تحدث عن ولاتة وجني ومالي وغوبير وأقدز وكانو وكاتسينا وبورنو التي أشار إليها باستفاضة وذكر بعض الأسماء الواقعة في المنطقة مابين غانا وبورنو والتي لم يذكرها البكري والإدريسي من قبله.

كتب التاريخ العام:

العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهذا الكتاب لعبد الرحمن بن خلدون ت808هـ/1418م يعدّ من أهم مصادر التاريخ العام لما اشتمل عليه من وصف دقيق وتحليل للحوادث التاريخية، جاء في عدة أجزاء يهمني فيها الجزءان السادس والسابع، حيث تكلم فيهما عن بلاد السودان وممالكه ناقلا أخباره عمن سبقوه كالبكري والإدريسي وعلى من التقى بهم من التجار والمسافرين الذين كانوا يترددون على هذه البلاد، كما تكلم عن بعض العلماء المغاربة الذين استوطنوا هذه البلاد وتولوا مهمة القضاء، فهو من أهم المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في جميع فصول المعرفة العلمية، كل من وجهة نظر تخصصه لأن ابن خلدون كان ذا رأي في الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتاريخ والأدب والدين، كما أفرد في مقدمته فصلا عن القضاء وأحكامه وشروطه.

كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد القلقشندي ت 821هـ/1418م، والذي يعد من الموسوعات العربية والإسلامية الكبيرة التي تضمنت معلومات ومعارف شتى في جميع ميادين الحضارة، وقد تحدث عن بلاد السودان الغربي في جزءه الخامس في

مجالات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وقد استمد معلوماته عمن سبقوه مثل ابن فضل الله العمري صاحب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، وكذا ابن خلدون، وقد استفدت من هذا المؤلف فيما يخص الرحلات الحجية التي قام بها السلطان منسا موسى والسلطان الأسكيا محمد الكبير إلى الحج ودخولهما مصر، إضافة الى الحركة العلمية وعلاقة مصر ببلاد السودان الغربي في هذه الحركة من خلال الإجازات والرحلات العلمية لطلبة هذه البلاد لمصر.

- تاريخ الفتاش وهو مصدر مهم في تاريخ المنطقة ألفه القاضي محمود كعت الكرمني ت1002هـ/1593م، الذي توفي وهو يدون أحداث تاريخ هذه المنطقة دون أن يكمله، فأتمه بعده أحفاده و الكتاب ذو أهمية نظرا لمكانة مؤلفه العلمية والمهنية، فقد أورد معلومات عن القضاة في دولة صنغي أوضح من خلالها العلاقة بين القضاة والسلطة الحاكمة وهي تمثل صورة حقيقية لهذا المجتمع.

- تاريخ السودان وهو لعبد الرحمن السعدي ت1067هـ/1657م أحد مؤرخي منطقة بلاد السودان اشتغل بالقضاء في بعض أكوارها خاصة تنبكتو وجني، يعد كتابه من أهم مصادر بلاد السودان الغربي، فهو زاخر بترجمة سير القضاة والعلماء وذكر مشايخهم والكتب التي درسوها وتواريخ وفاتهم وأماكن دفنهم، كما تحدث السعدي عن الحملة المغربية لبلاد السودان الغربي ونظام الباشوات، وترحيل العلماء ومنهم أحمد بابا التنبكتي وعائلتة آل أقيت، وقد اتبع السعدي في كتابه طريقة الحوليات مثل الطبري وغيره فرتب أحداثه ترتيبا زمنيا .

كتب الفتاوى والنوازل:

-كتاب أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ت909هـ/1503م، ويعد هذا الكتاب من المصادر المهمة التي أفادتني فيما يخص الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية لهذه البلاد بصورة دقيقة كونه عبارة عن أسئلة طرحها الأسكيا محمد الكبير على الإمام المغيلي، وأجابه عنها لرسم سياسة الملك وإصلاح الرعية.

-كتاب تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين وهو كذلك للإمام المغيلي، قدمه في شكل نصائح لأمير كانو محمد بن يعقوب رمفا، والكتاب يعد مصدرا مهما لأنه رسم سياسة الحاكم وما يجب أن يعمل به في توخي الظلم وفساد سياسته، ومن أجل تحقيق العدل بين الرعية، و استشارة العلماء ومنهم القضاة في سياسته وتنظيم دولته، وقد أفادني في الجانب السياسي والإداري.

-كتاب الحاوي للفتاوى لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت911هـ/1505م، ويعد هذا الكتاب من المصادر التي رسمت صورة لمجتمع السودان الغربي من خلال تلك الأسئلة التي كانت ترد على السيوطي من هذه البلاد وهي في شكل مسائل فقهية عبرت عن واقع هذه البلاد.

- كتاب فتاوى عبد الله بن الحاج أبراهيم العلوي ت1233هـ/1818م ويعتبر موسوعة فقهية جمع فيها فتاويه وآراء العلماء في مجالات العبادات والمعاملات وبعض الأحكام التي تخص كثير من القضايا التي تهم المنطقة، منها قضايا الزواج والطلاق، والغصب والتعدي، والجنايات، وقد استفدت منها في هذه المجالات كون أن صاحبها عالج كثير منها بصفته قاضي وفقيه، وبالتالي هي صورة حقيقية تعكس من خلالها واقع المجتمع السوداني عامة وبلاد السيبة بصفة خاصة.

- نوازل القصري بن محمد بن المختار الإدليبي النعماوي ت1235هـ/1819م وهي من المصادر المهمة في تاريخ المنطقة كونها تتعلق بمجالات واقعية تعبر عن وضع البيئة المعاش، ويعتبر صاحب النوازل من القضاة الذين أسهموا في حل قضايا هذا المجتمع، وهو ما استفدت منه في مجالات عديدة كأحكام الزواج والطلاق، والغرم ، والعقوبة بالمال وغيرها من النوازل المستحدثة.

كتب التراجم:

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي ت1036هـ/1627م، فهو مصدر مهم في تاريخ بلاد السودان الغربي، ويعد أضخم إسهام لصاحبه، حيث وضعه كاستدراك على ديباج ابن فرحون، فهو قاموس لتراجم العلماء الكبار ومنهم القضاة، ومعظم هؤلاء من المالكية خاصة خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجري السادس عشر و السابع عشر الميلادي .

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، وهو كذلك لأحمد بابا التنبكتي، وقد وضعه كاستدراك على نيل الابتهاج، وقد جاء حافل بتراجم لأعلام مثلوا دور مهم في الحياة الدينية والثقافية في بلاد السودان الغربي ومنهم قضاة محلين وغير محلين.

-تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، والذي ينسبه العديد من المؤرخين والكتاب لمؤلف مجهول، وهو كذلك من المصادر المهمة التي ترجمت لأعلام هذه البلاد، كما جاءت فيه معلومات هامة عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للمناطق القريبة من نهر النيجر، ويعتبر هذا الكتاب مكمل لكتاب السعدي الذي تناول مملكة صنغي وبداية الحكم المغربي في السودان الغربي.

- إنفاق الميسور في أخبار علماء التكرور: وهو لمحمد بللو ابن عثمان فودي، وهذا الكتاب من مصادر التاريخ المحلي لهذه المنطقة ترجم فيه صاحبه لأعلام وقضاة بلاد السودان خاصة قضاة منطقة الهوسا، كما عرف من خلاله بأسماء وأماكن القضاء .

- فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور ، وهو للطالب البرتلي تزاح فيه لهجة من جهات بلاد السودان الغربي وذكر أعيانها وعلماءها ومنهم القضاة خاصة من الجاليات المغربية والتواتية على وجه الخصوص، ويعد هذا المصدر من المصادر المهمة خاصة في فترة القرن 11هـ- 12هـ/17-18م.

- المراجع:

أما المراجع فهي كذلك متنوعة وكثيرة تذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-كتاب القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثره الحضارية لإيهاب شعبان عبد الشافي سالم، وقد استفدنا من هذا الكتاب في تغطية الفترات السابقة مثل مملكة مالي وكيف كان القضاء يتم بها، إضافة إلى أنه سهل علينا كثير من الصعاب وأرشدنا إلى مجموعة من المصادر التي اعتمد عليها، أضف إلى ذلك معلوماته القيمة التي تناولها في الموضوع.

- كتاب حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا قبل الاستعمار وأثارها الحضارية للباحث مهدي رزق أحمد عوض، حيث تطرق في هذا الكتاب الشخصيات القضائية التي كانت لها مساهمة في المجال العلمي، والثقافي.

- كتاب الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ وهو لأبي بكر إسماعيل ميقا وقد تطرق فيه إلى الحياة العلمية للشخصيات القضائية التي كانت تولت مهمة القضاء ببلاد السودان الغربي.

-كتاب الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي لعبد الرحمن محمد ميقا، وقد استفدنا من هذا الكتاب في الجوانب العلمية للقضاة باعتبارهم من فئة الفقهاء.

إلا أن ما يؤخذ على هذا الكتاب أنه دمج النظام القضائي في الجانب العلمي وأدرج القضاة مع العلماء والفقهاء.

كتاب القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال، لمحمد المختار ولد السعد، وهو من المراجع المهمة التي استفدت منها في المعلومات الخاصة ببلاد السيبة في كل مايتعلق بالإمارات القبلية ونظام قضاءها، وكذا في تراجم بعض القضاة من خلال إحالته لكثير من المصادر والمراجع التي أفادتني.

-كتاب الفتاوى والتاريخ لمحمد المختار ولد السعد، ويعتبر هذا الكتاب مهم لرصده لمظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في جزء من بلاد السودان الغربي من خلال فقه النوازل، وقد استطاع الباحث أن يستوفي هذا من خلال نماذج لنوازل علماء المنطقة منهم القاضي حمى الله التيشتي، ونوازل ابن الأعمش، وعبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، ونوازل الكصري، فقد سهل علي الطريق في الولوج إلى هذه المصادر والوقوف على بعض الاستشكالات.

كتاب الإمارات والنظام الأميري الموريتاني وهو كذلك لمحمد المختار ولد السعد، وقد وضح فيه النظام الاميري الذي قام في بلاد السيبة ابتداء من القرن الحادي عشر هجري السابع عشرميلادي في اطار القبلية، وذكر اوضاع هذه المنطقة في ظل هذا النظام معرجاً بذكر هذه القبائل كالترارزة، والبراكنة، إضافة إلى تصنيفات المجتمع إلى قبائل مغفرية (بني حسان)، التي اشتغلت بالحروب كمكسب لقوتها وعيشها، وقبائل الزوايا التي التجأت للعلم والنشاط الرعوي والفلاحي، والقبائل الغارمة التي تدفع الضريبة للقبائل المغفرية وكانوا يسمونهم اللحمة بالحسانية أو آزناكة بالصنهاجية.

كتاب الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، وهولعبد الودود ولد عبد الله، فهو يتعرض لأهم الإشكالات الفكرية التي خاضها علماء بلاد السيبة وما كان بينهم من مناظرات في مجال العلوم وبعض الآفات الاجتماعية، كما ترجم لبعض القضاة تراجم مختصرة ومفيدة.

-كتاب مدن موريتانيا العتيقة لمؤلفه أحمد مولود ولد أيده الهلال، ويعتبر هذا الكتاب مهم في التعريف بمدن بلاد شنقيط، ولاته، ووادان، وشنقيط، وتيشيت، ورغم أن هذا الكتاب هو يدخل في اهتمامات علم الآثار إلا أنه قدم لنا معلومات قيمة عن هذه المدن ونشأتها، ثم تكلم عن الخطط الدينية لهذه المدن ومنها خطة القضاء.

- المراجع الاجنبية:

اعتمد على مجموعة من المراجع الأجنبية منها ماهو معرب وهو كثير، ومنها ما هو غير معرب حاولت أن أستفيد منه بجهد مضاعف.

دراسات جون هانويك (hunwik.john) وهو مستشرق الألماني، اختص بلاد السودان الغربي خاصة في الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية منها، كتاب العلاقات الفكرية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء عبر العصور، وقد سلط الضوء على كثير من هذه الجوانب، فتكلم على المذهب المالكي وأسانيد المالكية في بلاد السودان الغربي التي تتصل بأسانيد مغاربة، إضافة إلى الحركة العلمية والأثر المغربي فيها، ثم تكلم عن دور علماء السودان الغربي في بلاد المغرب خاصة ءال آقيت، ومنهم أحمد بابا التنبكتي باعتباره من الشخصيات العالمة.

كتاب القبائل البيضانية في الحوض والساحل للمستشرق الفرنسي بول مارتي، وقد خصص هذا الكتاب لدراسة القبائل التي انتشرت في بلاد السيبة من السودان الغربي، وقد فصلها وعدد فروعها، خاصة المنتمية لقبائل بني حسان العربية مثل(أولاد الناصر، والبرابيش)، وقبائل كنتة، إضافة إلى القبائل غير عربية مثل مشظوف، وتجكانت، وقد وضح مراكز توزيعها والمدن التي أصبحت مشهورة بهذه القبائل، وبالتالي فهو مادة خبرية للجانب الاجتماعي وما تعيشه هذه القبائل لأنه يعكس صورة الحراك ومناطق النفوذ والقوة لكل قبيلة في مجال معين.

- كتاب تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا لترمنجهام (History of Islam in westAfrica) وهو من الكتب الإستشراقية التي اهتمت ببلاد السودان، وقد أرخ فيه لحركة الإسلام في هذه البلاد وبين وتكلم عن بعض القبائل والممالك السودانية.

الموسوعات والقواميس:

- الموسوعة الإفتائية ليحي ولد البراء (المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوي ونوازل أهل غرب وجنوب غرب الصحراء)، وهي مدونة تضمنت أكثر من 6800 فتوى ونازلة وحكم جمعها وقسمها إلى أبواب وفصول جاءت في 12جزء، وهي حوصلة لاجتهادات علماء هذه المنطقة، عكست من

خلال عدة جوانب اجتماعية واقتصادية وثقافية وحتى سياسية، ناهيك عن الجوانب الدينية، وقد تضمنت في صفحاتها معلومات تخص تتبع حركة أسانيد هاته العلوم وكيف دخلت الى هذه البلاد، كما ترجم لكثير من الشخصيات العلمية، إلا أن ما يؤخذ عليها عدم ترتيبها كرونولوجياً النسبة لتراجم العلماء.

- موسوعتي المختار بن حامد، الأولى تسمى حياة موريتانيا، وهي مقسمة إلى عدة أجزاء، الجزء الجغرافي، والسياسي، والثقافي، وقد جاءت مفصلة لهذه الحياة لمدة أربعة قرون من الزمن والثانية تسمى حوادث السنين، وهي حوصلة للوقائع والأحداث، والتعريف بالعلماء ومنهم القضاة وجاءت مرتبة على حسب السنين ترتيباً كرونولوجياً طيلة أربعة قرون من تاريخ بلاد السيبة، وعلى العموم فإن هاتين الموسوعتين تعتبران مهمتان لتاريخ هذه المنطقة لا غنى لأي باحث عنهما.

الدوريات والملتقيات:

-مقال سوزي إباظة محمد حسن: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي (898هـ-999هـ/1493م-1591م)، مجلة المؤرخ المصري، تصدر عن قسم التاريخ جامعة القاهرة، مصر، العدد 28، يناير 2005، وقد سلطت الضوء على فترة الأساكي وهي الفترة الحساسة لبداية تاريخ الإصلاح السياسي والإداري، بداية بالأسكيا محمد الكبير إلى نهاية دولة صنغاي وإسقاطها على يد السعديين، كما عرجت للجوانب الثقافية والاجتماعية الخاصة بهذه الفترة.

- مقال الباحثة أمل بنت صالح غصاب الشمراني: القضاء في المجتمع التنبكتي خلال القرن 10-11-هـ/16-17م، مجلة عصور، الصادرة عن مخبر مصادر وتراجم، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر، العدد 22-23، يناير 2017، وقد تناولت فيه القضاء في واحدة من أهم مدن بلاد السودان الغربي وهي تنبكتو التي اشتهرت بحركتها العلمية والتجارية وهو ما مكنها من تبوأ الريادة بين مدن بقية السودان، كما ركزت على العلماء والقضاة ومعظمهم كان من أسر علمية مشهورة كآل

آقيت، وآل بغيغ، وآل أندغ محمد، لتعطي الطابع المميز لهذه المدينة من خلال هاته الأسر، وهو ما جعل قاضي تنبكتو بمثابة قاضي القضاة في هذه البلاد.

- مقال لمطير سعد غيث: آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي 10-11هـ/16-17م، مجلة جامعة الزيتونة، ليبيا، العدد 11،سنة 2014،وهذا المقال سلط الضوء على واحدة من الأسر التي كان لها دور علمي وثقافي في كل من مدينة جني، وتنبكتو، فذكر اهم اعلام هذه الأسرة، ومؤلفاتهم، ومكتباتهم، وقضاتها، وبالتالي كانت إضافة إلى دور هذه الأسر.

- مقال الحمدي أحمد: الوظائف الدينية بإيولاتن في عهد الإمارات القبلية، مجلة عصور، الصادرة عن مخبر مصادر وتراجم، جامعة وهران الجزائر، العدد12-13-14-15، 2008-2009، وتعتبر هذه الدراسة إسهاما حضاريا سلط الضوء على واحدة من الحواضر التي لها مكانة في بلاد السيبة، وهي ولاتة، التي تعتمد على النظام القبلي واقتسام الخطط الدينية، القضاء والإمامة، والإفتاء، وقد اشتهرت أسماء لعلماء اشتغلوا بوظيفة القضاء من أسرة المحاجيب، كما مثلت هذه الدراسة الدور الحضاري لولاته وعلاقتها مع بقيت الحواضر.

- مقال محمد المختار ولد السعد: الفقهاء الشناجطة ومسألة العقوبة بالمال من خلال فتاوى محمد يحي الولاتي، وقد قدم هذا المقال كمداخلة في الندوة العلمية التي نظمها مركز البحوث والدراسات الولاتية، انواكشوط، موريتانيا، من 20الى 22 ديسمبر 2012، تحت عنوان : محمد الولاتي عالم التجديد والتواصل، وقد عالج هذا المقال واحدة من القضايا التي شكلت اختلاف بين الفقهاء في البلاد السائبة، وذلك عند تعذر تنفيذ الحدود والعقوبات فبعضهم اجتهد في طرح العقوبة بالمال كبديل لهاذا، وقد استدل بمجموع الفتاوى لعلماء وفقهاء في كل من تونس والمغرب والأندلس سواء بمنع العقوبة بالمال أو بجوازها، وكيف استتند علماء هذه المنطقة لهذه الأدلة كل يحاول أن يرجح رأيه.

الرسائل الجامعية: وقد اعتمدت على مجموعة كبيرة من الرسائل الجامعية سواء أطاريح دكتوراه، أو مذكرات ماجستير كل حسب أهميتها ونظراً لكثرتها سأقتصر على ذكر واحدة فقط هي:

-أطروحة دكتوراه لمحمد السنوسي العمراوي: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي (898هـ-1000هـ/1493م-1591م)، وهي دكتوراه في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر،2009.، وقد سلط الضوء على نظم الحكم والإدارة وما أحدثته نصائح الإمام المغيلي، والإمام السيوطي، وبدأت بالسلطان الأسكيا محمد الكبير الذي حرص على إصلاح مجتمعه من خلال إصلاح السلطان، ومن خلال هذه الأطروحة تعرفت على كثير من المدن والسلم الإداري ابتداء من البلاط السلطاني وترتيباته، إلى تقسيم البلاد إلى مدن وأقاليم والحكام الذين عينوهم الأساكي في هذه المناطق.

وفي الأخير ورغم التعب الذي واجهته في هذه الأطروحة من خلال البحث على المادة الخبرية التي سافرت خارج الوطن من أجلها، لكن تبقى الوثيقة المخطوطة وما هو في خزائن تنبكتو وجني وغاو، وأقدز، وولاتة من مخطوطات أكيد انه سيثري هذا الموضوع أكثر فأكثر، لكن الظروف الأمنية في هذه البلاد في الوقت الراهن حالت دون الوصول إلى ذلك.

ورغم هذا لا يسعني إلا أن أقدم شكري وامتناني للأستاذ المشرف سعادة الدكتور أحمد الحمدي الذي أشرف على هذا العمل منذ أن كان فكرة إلى أن صار ثمرة فله مني خالص التقدير والاحترام، ومن خلاله الشكر موصول لكل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد وأخص بالذكر من جمهورية موريتانيا الشقيقة كل من (الوزير والدبلوماسي السابق محمد محمود ولد ودادي، والدكتور يحي ولد البراء، والدكتور عبد الودود ولد عبد الله، والدكتور محمد الأمين ولد أن، والأستاذ الشيخ بن حمدي، والرقاد)

وفي جمهورية مصر الشقيقة كل من (الأستاذ الدكتور كرم الصاوي باز، والدكتورة سوزي إباظة، والدكتور إيهاب شعبان عبد الشافي، والدكتور فرياني بطل شعبان) دون أن انسى الدكتورة زهراء يوسف إسماعيل من العراق، والدكتور عبد الرحمن باعثمان من الجزائر، فلهم مني أسمى عبارات التقدير والاحترام.

الفصل الأول: التعريف ببلاد السودان الغربي ونظرة عن القضاء

أ- التعريف ببلاد السودان الغربي:

- أصل التسمية والموقع

- السكان

- الخلفية التاريخية

- أهمّ الحواضر

ب- نظرة عن القضاء:

- تعريف القضاء

- أركان القضاء

- آداب القاضي

- قضاء المظالم

- الحسبة

-القضاء في عهد مملكة غانا

-القضاء في عهد مملكة مالي

أصل التسمية والموقع :

يدخل مصطلح بلاد السودان الغربي في من المنطقة التي كان يطلق عليها في العصور الوسطى اسم بلاد السودان، وهي الأقاليم شبه الصحراوية والتي انتشر فيها الإسلام والواقعة جنوب الصحراء الكبرى[1].

وقد أطلق عليها مؤرخو وجغرافيو اليونان والرومان اسم نيجريتا، نسبة إلى نهر النيجر، وكان إطلاقهم على جميع الشعوب التي تسكن قرب هذا النهر، وهو ما أشار إليه المؤرخ الروماني بليني 115 م وسماها بنيل الأجناس السوداء [2]، ثم أطلق العرب في العصور الوسطى اسم السودان على الشعوب هذه المنطقة وكان إطلاقهم أحياناً على كل إفريقيا ، ثم اقتصر هذا المفهوم على منطقة بحيرة تشاد في القرن الثالث الهجري ، أما في القرن الرابع الهجري فقد اتسع مدلول هذا المصطلح حيث يذكر السعدي [3]" أن بلاد السودان هي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي، إلى بحر الظلمات "، أما ابن حوقل[4] فقد أشار إليها وحددها بقوله " وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ... غير أن له حداً ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحد له إلى بريه بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات ... "كما عرفها المقدسي[5] بقوله " وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وهم أجناس كثيرة ".

---

[1]- نبيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر 2008، ص68.

[2]- إبراهيم علي طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة ،1969 ، ص 52 .

[3]- المسعودي علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج 2،تحقيق ،محمد محى الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1988 م، ص240 .

[4]- ابن حوقل النصيبي: صورة الأرض ،دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1979 م ، ص 24 .

[5]-المقديسي محمد بن أبي بثي :أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،طبعة ليدن، 1959 م ، ص 331 .

وفي القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي فقد أطلق البكري[1] كلمة السودان على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف النوبة على النيل شرقاً، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلاً إلى بلاد السودان، كما ذكرها القزويني[2] بقوله " بلاد السودان هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها والحرارة بها شديدة جدا، أهلها منهم مسلمون ومنهم كفار"، ويذكر القلقشندي[3]" أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء ومن الشرق بحر القلزم [4]مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري تمتد لما بين مصر وبرقة وبلاد العرب المغاربة من جنوب المغرب إلى البحر المحيط ".

وعموما أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى، وهي المنطقة الجغرافية الواسعة التي تمتد بين الصحراء الكبرى في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب، وشرقا إلى البحر الأحمر، وغرباً إلى المحيط الأطلسي وأن أصل التسمية مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة [5].

وقد قسمت بلاد السودان إلى ثلاثة مناطق وهي :

– السودان الشرقي [6] يمتد من البحر الأحمر شرقاً حتى إقليم دارفور غرباً أي يتكون من مناطق النيل النيل وروافده جنوب بلاد النوبة.

---

[1]– البكري أبو عبد الله:المسالك والممالك، ج 2، تحقيق، أدريان فان نيؤمن، واندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992 م، ص 837 .

[2]– القزويني زكرياء بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، 1960، ص 29 .

[3]– القلقشندي أبو العباس: صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج 5 ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سوريا، 1983، ص 274 .

[4]– بحر القلزم معناها البحر الأحمر

[5]– بازينة سالم عبد الله: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغاري ،ليبيا ،ط 1، 2010 ،ص39. ،ص39.

[6] التونسي محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة ،1965،ص132.

– السودان الأوسط [1]: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد .

– السودان الغربي [2]: ويشمل حوض السنغال غامبيا وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط .

ودراستنا مختصة بمنطقة السودان الغربي، أي المنطقة الواقعة ما بين بحيرة تشاد شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، ويحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء الكبرى وتقع بين خطي عرض 9 و 17 درجة شمالاً وهي المنطقة المصطلح على تسميتها حالياً إفريقيا جنوب الصحراء، وهم يقصدون به الشريط المصاقب لهذه المنطقة (أي الصحراء الكبرى) والتي تعتبر أوسع صحارى العالم.

أما اختصار اسم السودان وتحديد مدلوله على جمهورية السودان الحالية، إنما ترجع بداياته إلى القرن الثامن عشر على أبعد تقدير، وقبل هذا التاريخ كان لهذا البلد إطلاقات أخرى وذلك بالنظر لنواحيه الواسعة مثل بلاد سنار و بلاد الفونج والنوبة، وفي بداية القرن التاسع عشر اتسع هذا المدلول على كل بلاد السودان الحالية وخاصة، منذ حملة محمد علي على الأقسام الشمالية من البلاد، فكان يطلق في الكتابات المصرية بصورة خاصة اسم السودان ليدل على مناطق أعالي النيل برمتها، ثم اتسع هذا الاسم بعد ذلك ليشمل كل أقاليم،السودان [3] وتثبت عرفياً أثناء العهد الإنجليزي ليأخذ شكله النهائي الثابت على هذا النحو منذ بداية القرن العشرين.

أ– السكان :

تنتشر في بلاد السودان الغربي، عدّة قبائل وشعوب ترجع في أصولها الأولى إلى أصول[4] زنجية أو عربية أو بربرية، وقد وصلت إلى هذه المنطقة عن طريق هجرات متعددة نتيجة للظروف الطبيعية

[1] بوعزير يحيى: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 09 .

[2] نبيلة حسن محمد :إفريقيا الإسلامية ،مرجع سابق ،ص 71.

[3] خير الدين شترة: مرجع سابق، ص 268 .

[4] قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 هـ و 10هـ – 15-16 م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستر تاريخ، قسم التاريخ ،جامعة تلمسان، 2010 – 2011، ص 19 .

والمناخية، فاستقرت بها، واندمجت بعضها البعض بالمصاهرة والحماية القبلية في بعض الأحيان ومن بين هذه القبائل ما يلي:

1- قبائل الماندي (الماندجو): تنتشر هذه القبائل في منطقة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي حتى النيجر خاصة في دولة مالي والسينغال ، وغنيا وغامبيا [1] ، وتتفرع الماندي إلى عدة فروع منها السوننك و البمبارة.

- السوننك وهى كثيرة الانتشار في بلاد السودان الغربي، حيث تتمركز في الأطراف الجنوبية وقد اختلطوا مع قبائل الفلان وهم يتميزون بقوة جسمانية كبيرة، اعتنقوا الإسلام وأصبحوا من الدعاة حيث أحدثت، العقيدة الإسلامية اثر عميق في حياتهم وتنظيماتهم الاجتماعية. [2]

البمبارة: هي من قبائل الماندي التي اختلطت بقبائل الفلان حيث تغيرت ملامحهم الجسمانية [3] وتعيش هذه القبائل بدولة مالي بصفة أكثر وهي تشتغل على الرعي والزراعة. تعتبر قبائل الماندي مؤسسو دولتي غانة ومالي [4]

2- فبائل السنغاي: تسكن قرب حدود الغابات الاستوائية وقد امتدت مساكنهم على طول نهر النيجر، حيث امتهنت الزراعة وصيد الأسماك [5]، تأسست أول دولة لهم في القرن الأول الهجري السابع الميلادي وكانت عاصمتها مدينة كوكيا، قرب نهر النيجر الأدنى، وهي لا تبعد عن مدينة جاو الحالية سوى مائة وخمسين كلم. [6] وقد انتشر الإسلام في بلاد السنغاي نتيجة لامتزاجها مع

[1]- أحمد نجم الدين فليجة: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، د.ت .ط، ص 199 .

2- إبراهيم علي طرخان: مرجع سابق، ص ص 18 48.

[3]- قدوري عبد الرحمن: المرجع السابق، ص23.

[4] -أحمد نجم الدين فليجة:مرجع سابق، ص 199 .

[5]- عبد القادر زبادية:مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 – 1592، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د. ت . ن، ص 25.

-[6] المرجع نفسه: ص 251 .

القبائل المهاجرة من الشمال الإفريقي وتعيش قبائل السنغاي في جمهوريات مالي، النيجر، نيجيريا، وهي تتحدث لغة السنغاي التي كانت تكتب بالحرف العربي[1] .

3- **قبائل التكرور والسرير**: وهم ينتشرون بالمنطقة الساحلية في دولة السنغال الحالية مع قبائل الولوف الذين يشبهونهم في الصفات والحرف [2] وهم خليط بين قبائل الماندي والفلان وهم من السكان الأصلين لمنطقة فوتا السنغالية [3]، اعتنقوا الإسلام في عهد المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ويعتبر شعب التكرور أول من اعتنق الإسلام في منطقة الساحل الإفريقي [4] يعتمد نشاطهم على النشاط الفلاحي والحرف اليدوية.

4- قبائل الولوف: وهم يتواجدون في السنغال إلى جانب التكرور، ويتخذون من النشاط الزراعي حرفة رئيسية لهم حيث يزرعون القطن، والذرة، والفول السوداني كما يمتهنون الحرف الأخرى كصناعة المنسوجات القطنية، والصناعات اليدوية البسيطة القائمة على المعادن [5]، دخلت قبائل الولوف الإسلام مبكرا على يد القبائل العربية والفلان والتكرور، وكان لهم دور بارز في نشر الإسلام ضمن أراضيهم، ويتكلمون لغة الولوف التي تكتب بالحرف العربي [6].

5- قبائل الموشي: وهم يشكلون شعب فولتا العليا المحاذية لنهر النيجر من جهة الغرب، ويتكلمون لغة الجور، ولا يزال معظمهم وثني يمجدون الشمس والأرض والأجداد، ويمارسون الزراعة[7] ، أقامت هذه القبائل مملكة وثنية قوية في منحى نهر النيجر جاورت الممالك الإسلامية في كل من دولة مالي والسنغاي، واستمرت في وثنيتها حتى جاهدها سلطان صنغاي الأسكيا محمد في

---

[1]-قدوري عبد الرحمن :مرجع سابق، ص 24 .

[2] - عبد القادر محمد سيلا : المسلمون في السنغال، كتاب الأمة، قطر ، ط 1 ، 1995 – ص 28 .

[3]- دائرة المعارف الإسلامية: الجزء الخامس، مادة تكرور، ص 428 .

4- البكري أبو عبد الله : المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامية ،القاهرة ، د.ت.ن. ص172 .

[5]- عبد القادر مصطفى المحبشي، عبد العباس فضيح الغريري: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا ، ط1 ،2000، ص194.

[6] - قدوري عبد الرحمن: مرجع سابق، ص23.

[7]- نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2 ، 1975، ص17.

بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي [1] تشكل قبائل الموشى الغالبية العظمى لسكان جمهورية بوركينا فاسو اليوم[2].

6- قبائل الفولان: من أكبر الشعوب في بلاد السودان الغربي، تنتشر بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة تشاد حتى الكامرون وقد اختلف المؤرخون في أصل الفلانين فمنهم من يرجعه إلى الأصل العربي، ومنهم من يرجعه إلى الفرس الذين نزحوا من آسيا وهناك من يرجعه إلى أصول أثيوبية[3] وهناك من يقول أنهم نتيجة اختلاط الزنوج بالعرب والبربر [4]، اعتنق هذا الشعب الإسلام في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي ولغتهم تدعى الفولا وكانت تكتب بالحرف العربي، وهم يحترفون تربية البقر والرعي والزراعة.

7- قبائل الطوارق: اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم فمنهم من يقول أنهم سموا بالطوارق نسبة إلى طارق بن زياد، ومنهم من يرى أن التسمية، جاءت نسبة لطرقهم الصحراء وتوغلهم فيها، وهناك من يرى أن التسمية أطلقتها عليهم الشعوب المجاورة لهم نظرا لكثرة ارتيادهم الصحراء[5] أمّا أصولهم فقد اختلف فيها فمن المؤرخين، من يرجعها إلى صنهاجة التي ترجع نسبها إلى حمير من اليمن[6] وصنهاجة قبائل كثيرة منها لمتونة وجدالة ومسوفة، ويعتبر الطوارق من أكثر القبائل التي انتشرت في الصحراء حيث لا يستقر لهم مقام في مكان، محدد، ويعتمدون على الترحال لذلك يعيشون في عدّة أماكن تتقاسمها عدة وحدات سياسية مستقلة اليوم مثل شمال مالي ، وموريتانيا ، شمال النيجر وبوركينا فاسو، وتشاد ، وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر [7] .

---

[1]- السعدي:صدر سابق، ص 74 .

[2] - قدوري عبد الرحمن: مرجع سابق، ص24.

[3]- محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريرية : المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان ط 1 2007، ص 25.

[4]- نبيلة حسن محمد:في تاريخ إفريقيا الإسلامية، مرجع سابق، ص ص 104 – 105.

[5]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، مرجع سابق ، ص 216.

[6]- سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا،1989، ص 20 .

[7]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ليبيا، ط،1 ، 2002،ص ص 219 – 223 .

أدّى الطوارق دورا مهما في نشر الإسلام في الصحراء وبلاد الساحل الإفريقي حيث عرفوا عند ممالك

وقبائل السودان بالقوة والشجاعة [1]، كما أدوا دورا مهما في التجارة الصحراوية التي كانت بين بلاد المغرب وبلاد الساحل الإفريقي .

8- قبائل العرب: ينتشر العرب في كل من شمال مالي والنيجر وتشاد ويمثلون النفوذ الأكثر في شنقيط بموريتانيا [2]، وقد جاءوا إلى بلاد السودان الغربي، عن طريق الهجرات والتجارة، وحيث دخلوا منطقة النيجر دخولا كبيرا في القرن الثامن الهجري ،الرابع عشر ميلادي [3] ، وقد أدت هذه القبائل العربية دورا مهما في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي، وانصهرت في بقية المجتمع السوداني، ومن أهم هذه القبائل هي عرب المعقل من القبائل الحسانية مثل الرقيبات أولاد دليم، الجكاكنة، البرايشن، مشظوف، أهل أروان، أولاد غلان، أولاد يعقوب بالإضافة إلى قبائل كنتة.

د – الخلفية التاريخية : قامت في بلاد السودان الغربي عدة ممالك إسلامية كانت لها مساهمة فعالة في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في هذه المنطقة كما قامت بدور في ربط العلاقات بين دول الشمال الإفريقي ومصر وبلاد السودان ومن بين هذه الممالك ما يلي:

1. _مملكة غانا:_ [4] تعتبر أقدم الممالك في بلاد السودان الغربي، حيث تأسّست حوالي 300م واستمدت اسمها من عاصمتها القديمة إقليم كوار الرملي جنوب موريطانيا الحالية واسمها كومبي صالح

---

[1]- الهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850 – 1914، دار المريخ للنشر، الرياض ،السعودية، ط 1 ، 1988، ص 26.

2- نعيم قداح :مرجع سابق، ص 20

3- إبراهيم طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973، ص 19 .

4- غانة: بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مضمومة وهاء في الأخير وهي كلمة أعجمية لا يعرف لها معنى في العربية، وهي بلد بلد مملكة السودان، وليست هي غانة الحديثة التي تحمل هذا الاسم ، إذًا هذه الحديثة كانت تسمى ساحل الذهب، تم تسمت باسم غانة، تيمناً إذ هي تقع على بعد نحو ألف ميل جنوب غانة القديمة، أما موقع غانة القديمة فهو محل اختلاف وقد ذكر في تقويم البلدان أنها مدينتان على ضفتي نيلها إحداها يسكنها المسلمون والثانية يسكنها الكفار، ويذكر الدكتور طرخان أطلالها تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا وتقع ضمن أرض جمهورية مالي الحديثة وهي على الطريق الغربي للقوافل

وقد أسست هذه المملكة مجموعة من القبائل البربرية المغاربية وشعوب السوننك الزنجية، خلال القرن الثاني الميلادي لتؤسس لنفسها بعد قرن من الزمن أسرة حاكمة وسعت نفوذها من نهر النيجر شرقا إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، إلى حدود الصحراء الكبرى شمالا [1]، بلغت هذه المملكة أوج قوتها وعظمتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين، كما كانت لها صلات تجارية مع بلدان المغرب، وذلك يرجع إلى توسط موقعها الجغرافي فقد كانت تشغل رقعة جغرافية تقع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى والتي امتدت بين سجلماسة في بلاد المغرب مارة بتغازة التي اشتهرت بمناجم الملح وكانت غانة تستورد القماش والمنتوجات الحريرية والنحاس والملح وتصدر الذهب والجلود[2].

أما دخول الإسلام إلى غانة فقد كان منذ زمن مبكر يدل عليه وجود طائفة إسلامية ذكرها البكري عند وصفه لمدينة كومبي صالح، بان بها اثنا عشرة مسجدا[3] وقد عاش فيها كثيرا من علماء الدين والطلاب وكانت اللغة العربية هي لغة التدريس ليس عند المسلمين فحسب بل في أنحاء الدولة [4] كما كان للمرابطين دور في ازدياد المد الإسلامي في هذه المملكة بعد أن أخضعوها لحكم الإسلام وأقاموا عليها حاكما مسلما.

ومنذ ذلك الوقت أصبح ملوك غانة مسلمين [5]، إلى أن سقطت هذه المملكة على يد قبائل الصوصو في القرن السابع الهجري الثالث عشرة الميلادي وفر مسلموا غانة إلى ولاتة حيت أقاموا بها مركزا تجاريا لهم سرعان ما ازدهر حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي [6] .

التجارية القادمة من مراكش، والمكان الصحيح يبعد عن تنبكتو بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي منها وعلى بعد نحو 200 ميل شمالاً باماكو عاصمة مالي الحالية، حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981، ص 90 .

[1]- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص21.

[2]- زكي عبد الرحمن: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، ص2.

[3]- البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص175.

[4]- مهدي رزق الله أحمد: التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، ط 1، 1998، ص 169.

5إبراهيم طرخان :مرجع سابق، ص 53 .

[6]- مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص178.

2- مملكة مالي: هي من أعظم الممالك التي قامت في بلاد السودان الغربي على يد شعب الماندي الذين كانوا من أوائل الشعوب في المنطقة التي اعتنقت الإسلام، وكان يدين في البداية بالولاء لمملكة غانة التي انهارت أمام ضربات قبائل الصوصو الوثنية، والتي تصدى لها الماندي بقيادة زعمائه خاصة الزعيم سوندياتاكيتا[1] ، ممّا أهلهم للاستقلال عن غانة وتكوين مملكة عرفت بمملكة مالي، والتي استمرت في التوسيع حتى شملت حدود بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى شمالا وفوتا جالون جنوبا. [2] وعرفت دولة مالي بأسماء عديدة عند المؤرخين العرب مثل ملي، ملل[3] .

ومالي[4] التي اشتهرت بها وهي تطلق على عدة أقاليم كانت مستقلة ثم اجتمعت تحت ملك صاحب صاحب مالي وهذه الأقاليم هي كالآتي:

ــ مالي وسميت الإمبراطورية باسمه وهو جزء منها وقاعدته مدينة (بنبي).

ــ صوصو هو إقليم يقع في الغرب من إقليم مالي.

ــ بلاد غانة : وتقع غربي إقليم صوصو وهي تجاور المحيط الأطلسي.

ــ بلاد كوكو: تقع شرقي إقليم مالي.

ــ بلاد التكرور: وتقع على المحيط الأطلسي، في دولة السنغال الحالية، وقاعدتها مدينة تكرور[5]

---

[1]- نبيلة حسن محمد: مرجع سابق، ص 203.

[2]-زبادية عبد القادر: مرجع سابق، ص 16 .

[3]- من الذين عرفوها اليعقوبي وقد ورد ذكرها في كتابة تاريخ اليعقوبي، عند حديثه عن السودان " السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب، ثم قال مملكة أخرى يقال لها ملل "كما ذكرها البكري في كتابه السالك والممالك لقوله " أن بلد ملل تقع وراء مملكة دو" وتقع هذه الأخيرة على ضفة النيل والمقصود بالنيل نهر النيجر، انظر :تاريخ اليعقوبي ج 1 ، ص 193 والبكري السالك والممالك ص 209 .

[4]- أما من الذين ذكروها بلفظ مالي ابن بطوطة الذي زار المنطقة في رحلة المشهورة، انظر ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت التراث، ب.ت.ن، ص 682، والحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2 ، ص 164.

[5]- حسن عبد الظاهر: مرجع سابق، ص 97 .

شهدت مملكة مالي تنظيم خاص خاصة في عهد الملك سوندياتاكنيا 653هـ/1255م، الذي ورث عرشه سبعة ملوك من بعده أشهرهم منسا موسى[1] 1304م . 1332م الذي ازدهرت المملكة في عهده وكونت علاقات مع عدّة جهات أشهرها بلاد توات ومصر خاصة بعد رحلته الحجية المشهورة سنت 724هـ 1324 والتي أخذ فيها الطريق المار بتوات، كما انتشر الإسلام في عهده خاصة في بلاد نيجيريا التي أصبحت تدعوا للإسلام بدين مالي، كما أن منسا موسى قد صبغ على مملكة مالي الصبغة الإسلامية ويتضح هذا بما شيده من مساجد ورعايته للعلماء واحترامهم وتقديرهم [2].

استمرت هذه المملكة في الازدهار والقوة طيلة القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، حيث ازدادت في التوسع حتى وصلت مناجم ملح تغازة وامتدت جنوبا حتى أطراف السفانا وشرقا حتى مناجم النحاس عند تكدا[3].

وابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي دخلت مملكة مالي في اضطرابات نتيجة لتنافس أفراد الأسرة الحاكمة على العرش، ومع بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر ميلادي اقتطعت منها مناطق شاسعة في الشرق، والجنوب مثل تنبكتو وجاو حيث أصبحت عبارة عن مملكة صغيرة من ممالك جديدة ناشئة في المنطقة مثل مملكة السنغاي التي قضت على مملكة مالي وخلفتها في بسط نفوذها على المنطقة.

***3* –مملكة سنغاي:** تأسست هذه المملكة في القرن السابع الميلادي على يد قبائل السنغاي المقيمة على وادي النيجر عند مدينة (دندى) ثم انتشر على طول مجرى نهر النيجر إلى تنبكتو والبحيرات الكبيرة وراءها[4] استطاعت هذه القبائل أن تؤسس أسرة حاكمة لها تسمى أسرة (ديا) التي ظلت تحكم البلاد حتى سنة 726 هـ 1325 م وقد اتخذوا من مدينة كوكيا عاصمة لهم، ثم مدينة جاو فيما بعد، اعتنق شعب السنغاي الإسلام منذ القرن الخامس هجري الحادي عشر

[1]– منسا: معناها السلطان بلغة الماندينج.

[2]– محمد فاضل علي باري: المسلمون في افريقيا ، مرجع سابق، ص 83.

[3] – مهدي رزق الله أحمد : مرجع سابق ، ص 207 .

[4]– إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 317.

ميلادي وكان حينذاك في ظل إمبراطورية مالي التي ضعفت واستقلت سنغاي عنها في القرن التاسع الهجري للخامس عشر ميلادي، واتخذ ملوكها لقب (سني) [1]والذي اشتهر منهم سني على الكبير سنة869 هـ /1464م والذي وسع المملكة وأصبح يتطلع إلى الاستيلاء على المدن التجارية الكبرى كمدينة تنيكتو وجني اللذان لهما علاقات تجارية مع تجارة الصحراء وبلاد المغرب، حيث كون جيشاً وسار إلى تينبكتو التي استولى عليها في 873 هـ/ 1468 م، ثم مدينة جني 878هـ/ 1473 م ثم اتجه إلى مملكة الموسى وضمّها إلى ملكه [2] ثم تقدم ناحية الشرق وهاجم بعض إمارات الهوسا فخضعت له كاتسينا، وجوبر وكانو وزنفره،كما اتسع غرباً حيث اخضع كل بلاد الماندنجو والفولاني وشمالاً حتى موطن التوارق وبهذا أصبحت مملكة السنغاي إمبراطورية، عظمى بدء بهذا الملك [3]، ثم شهدت هذه المملكة توسعات أكثر عندما حكمتها أسرة الأساكي[4]، التي خلفت أسرة سني خاصة في عهد أسكيا محمد (898 هـ - 1493م) الذي كانت له علاقات مع الدول المغاربية واشتهر بحبه الإسلام [5]، وتقديره للعلماء ومنهم الشيخ المغيلي التلمساني، كما له دور في دعوة الماندنجو والفلانين في الغرب للإسلام والهوسا في الشرق والموسى في الجنوب والطوارق في الشمال [6]وبهذا بلغت مملكة سنغاي على عهد الأسكيا أعلى مراتب مجدها وفرضت سيطرتها على الأراضي والأقاليم التابعة لها، بفضل الترتيبات التي أسّسها والإصلاحات التي باشرها وبواسطة حكومة مركزية على درجة عالية من التنظيم والقدرة على الإدارة[7]، وبعد أسكيا محمد جاء ملوك تنافسوا على حكم الدولة وكان همهم الكرسي مما أدى إلى ضعف الدولة وسادت الفوضى في

[1]- تدعى هذه العائلة بلسان سنغاي (أيون) أما لفظة سني فقد أطلعها عدد من المؤرخين الذين كانوا قد كتبوا بالعربية تاريخ البلاد تم شاع استعمالها لدى غيرهم ولا ندري كيف شاعت هذه التسمية إذ أن هناك فرقا بين لفظة أيون وسني، انظر زيادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 21.

[2]- السعدي: مصدر سابق، ص 11، 12 .

[3]- مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ص ص 228، 229.

[4]- أصل الأساكي: من السراكولين الذين كانوا قد هربوا أمام الغزو المرابطي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي من جنوب موريتانيا الحالية (منطقة الحوض) ثم تفرقوا في جهات عديدة من بلاد الساحل الأفريقي على أن جلهم تركز حول نهر النيجر واختلط بقبائله، انظر: زبادية عبد القادر، المرجع السابق، ص 21 .

[5] - إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 323 .

[6]- السعدي: مصدر سابق، ص ص 64 -65. وانظر: إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 324 .

[7] - خير الدين شترة: ج 1، مرجع سابق، ص 312 .

أرجاءها [1] مما عرضها للإطماع الخارجية منها حملة سلطان المغرب المنصور السعدي للاستيلاء على مناجم الذهب الواقعة في أرجاءها ومناجم الملح في منطقة تغازة، حيث أرسل هدا السلطان حملة بقيادة ضابطه جودر التي تميزت بوجود الأسلحة النارية وعدة الجيوش الكثيرة التي دخلت مدينة تينبكتو واستولت عليها. وكانت نتيجة هذا الغزو أن اقتيد بعض العلماء إلى مراكش خاصة المؤرخ السوداني أحمد بابا التنيكتي، مما أعطى الفرصة للحكم المغربي من بسط سيطرته وتنصيب حكم الباشوات على مملكة السنغاي من تنيكتو وبالتالي إنهاء حكم مملكة سنغاي[2].

الوجود المغربي في السودان الغربي:

بعد نهاية حكم أسكيا محمد الكبير في صنغاي خلفه على العرش تسعة من الملوك [3] تميزت فتراتهم بتقلب في الحياة السياسية، وأزمات وصراعات على الحكم، هدأت نسبياً بوصول الأسكيا داوود الذي طالت مدته أربعة وثلاثون سنة، ثم تولى الحكم بعده ابنه الأسكيا محمد الثالث لتتجدد الصراعات من جديد بينه وبين إخوته حول صراع العرش [4]، في هذه الأثناء ومع استمرار هذه الصراعات تعرضت المملكة لأطماع خارجية تحاول الاستيلاء على بلاد السودان الغربي وهي الحكم السعدي في مراكش الذي كان يتطلع لكسب السيطرة الاقتصادية من خلال مناجم الملح بتغازا [5]

---

[1]- زيادية عبد القادر: مملكة السنغاي، مرجع سابق، ص 41.

[2]- محمد فاضل على باري: المسلمون في إفريقيا، مرجع سابق، ص 122.

[3]- وهم الأسكيا موسى بن محمد (934-937هـ/ 1528- 1531م)، الأسكيا محمد الثاني (937- 943هـ /1531-1537م)، الأسكيا اسماعيل (943- 946هـ/1537-1539م)، الأسكيا اسحاق الاول (946- 956هـ/1539-1549م)، الأسكيا داوود(956- 991هـ/ 1549-1583م)، ثم انتقل الحكم إلى أبناء داوود وهم الأسكيا محمد الثالث (991-995هـ /1583- 1586م)، ثم الأسكيا محمد الرابع (995-996هـ/ 1586- 1588م)، ثم الأسكيا اسحاق الثاني (996- 999هـ/ 1588- 1591م). ينظر: غربي الحواس: السيادة المغربية في البلاد السودانية 1591- 1660م دراسة سياسية وعسكرية، مذكرة ماجستير في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008-2009، ص21.

[4]- كعت محمود: المصدر السابق، ص 94، 104، 107.

[5]- تقع جنوب المغرب الأقصى بالغرب من البحر المحيط شرق الأقاليم الصحراوية الصنهاجية تتوسط الطريق الرئيس بين تنبكتو ودرعة بالمغرب، وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح، وأغلب سكانها من مسوفة وليسوا من سكان البلدة، ليس بها عمران وكل ما تحتويه هو الملح الذي يباع ويشترى بالذهب حيث كان التعامل فيها بكميات ضخمة من الذهب.ينظر: ابن بطوطة: تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (الرحلة) مصدر سابق، ص257.

والذهب، والاستيلاء على تجارة الصحراء الرابطة بين الشمال والجنوب، إضافة إلى أطماعه في كسب الولاء لمشروع الخلافة الشرعية[1]، فوجد المنصور من هذه الأوضاع فرصة ثمينة لتحقيق مشروعه بغزو بلاد السودان الغربي، فبدأ بالتحضير للحملة بعدما بعث برسائل إلى القاضي والعلماء[2] يستجلب رأيهم ويمنح الشرعية لما سيقدم عليه، فجهز جيشاً قوامه اثنان وعشرون ألف جندي بقيادة الباشا جوذر[3]، اتجهت الحملة إلى صنغاي في المحرم عام 999هـ/ 1591م، أما الأسكيا إسحاق فقد أدرك بنوايا المنصور العدائية لكن ثقتهم بمناعة الصحراء حملتهم على الاعتقاد بأنها ستحميهم، لكنهم أصبحوا أمام أمر مفاجئ وغير متوقع، في هذه الأثناء عقد الأسكيا إسحاق مجلس شوري لرد الخطر عن بلاده، ويبدو من كلام السعدي[4] إن آراء المجلس لم تكن مستقرة على رأي واحد عندها تم إصدار الأسكيا إسحاق أمرا إلى زعماء القبائل بالصحراء من أجل ردم الآبار لكن هذا الأمر كان متأخراً لأن الرسل الذين حملوا الخبر أسروهم بعض قطاع الطرق، فضلاً عن عدم استجابة جميع السكان لحمل السلاح ضد الأعداء[5].

1- منذ بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، وقعت أحداث بين السعديين وسلاطين أسكيا جعلتهم ينظرون إلى حكام صنغاي بعين الريبة مخافة القضاء على سلطان السعديين، وعلى وجه التحديد منذ عام 902هـ/1496م، حيث اعتبر أسكيا محمد خليفة ببلاد التكرور، ومن يخالفه فقد خالف الله ورسوله، ويعتبر خارج عن ملة الإسلام، وتأكد ذلك بشهادة عالم من أعلام مصر المشهورين في تلك الفترة ألا وهو جلال الدين السيوطي، فأصبح آل أسكيا يلقبون بأمراء المؤمنين وخلفاء المسلمين، فكانت هاته الصفة مصدر إزعاج للسعديين الذين كانوا يعتبرونها حقاً لهم دون غيرهم في هذه المنطقة مستندين إلى نسبهم الشريف، وبالتالي اعتبروا أن آل أسكيا منافسين لهم في الزعامة الروحية وبالتالي فهو تحدي لمركزهم الروحي والسياسي، ينظر: أبو علم محمد أنور توفيق: دولة صنغي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري 1493- 1591م، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر، 1977، ص 63.

2- الغربي محمد: بداية الحكم المغربي مرجع سابق، ص 188- 189.

3- هو شاب قيل أنه من أصول إسبانية أو برتغالية، نشأ في لاس سويفاس من أعمال غرناطة وقع في أسر المغاربة وهو صغير فكبر في القصر السلطاني في مراكش (قصر المنصور) كان قصير القامة ازرق العنين، عرف عنه الحزم والعزم والقوة، امتاز بجباية الخراج وحسن الإدارة والتظيم . ينظر: السعدي: ص 137، ابن القاضي المكناسي: جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ص235.

4- السعدي : مصدر سابق، ص 140.

5- زكي عبد الرحمن : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقية الغربية مرجع سابق، ص153.

كانت الحملة مجهزة بأسلحة نارية وعتاد حربي متطور، وصلت إلى مشارف تنبكتو وبقيت معسكرة لمدة في انتظار الأمر ثم ساروا إلى العاصمة جاو[1] أين اصطدموا مع مجموعة من الجيش الصنغي، وبعدها التقى الطرفان في معركة فاصلة قرب قرية تندبي[2]، والتي استسلم فيها الصنغي وألحقت به الهزيمة، في هذا الوقت سمحت الفرصة للمغاربة بتجريد القتلى من الحلي الذهبية، ومن شدة الهول هرب كثير من السكان محاولين الفرار نحو النهر والذي غرق فيه خلق كثير[3].

ولما خسر الأسكيا إسحاق أرسل إلى الباشا جوذر يريد منه الصلح على مئة ألف ذهباً وألف خديم يعطيها للمنصور، وأن يرجع الجيش إلى مراكش[4]، فرد عليه الباشا جوذر بأنه عبد مأمور لا تصرف له إلا بأمر السلطان المنصور الذهبي، ولما كتب جوذر إلى المنصور يخبره بعرض الأسكيا إسحاق وميله إليه، رفض وثار حينما بلغه بتعاسة البلاد وفقرها[5]، وقد سأل المنصور رسول جوذر اذن من اين يتدفق ذهب السودان للمغرب طوال الاعوام؟ فلم يجد جواباً عن سؤاله، فقرر عزل جوذر واستبداله بالباشا محمود بن زرقون[6] الذي امده بجيش جديد وولاه القيادة العامة، وأمره أن ينهي حكم الأساكي في الصنغاي فتم ذلك بهزيمة الجيش وطرد الأسكيا إسحاق بن داوود.

وبعد النجاح العسكري فشل المغاربة في حكم بلاد السودان الغربي وفي السيطرة السياسية، وبمجرد تمزق الجيش الصنغي تقطعت أوصال المملكة وقامت الثورات في البلاد من قبل الفلاني، والبمبارا

---

[1]– غربي الحواس: مرجع سابق، ص 43.

[2]– وهي قرية صغيرة تقع على بعد35 ميل من شمال جاو.ينظر : الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء مرجع سابق، ص174.

[3]–أبو علم محمد أنور توفيق: مرجع سابق، ص68.

[4]– السعدي: مصدر سابق، ص 141.

[5]– المصدر السابق: ص 145، أبو علم محمد أنور توفيق: مرجع سابق، ص69.

[6]– هو محمود بن زرقون، من أصل اسباني، وقيل برتغالي، نشأ قي البلاط السعدي بمراكش، وقد أسند اليه المنصور قيادة الجيش المراكشي المشتبك في السودان الغربي، وذلك بعد عزل الباشا جوذر، وقد تمكن محمود بن زرقون من هزيمة آخر حكام صنغيالأسكيا إسحاق الثاني، لكنه تعرض لمقاومة شديدة من زعماء صنغي، ولم يستطيع التغلب عليهم وساء أدائه عامة، فضلاً عن قلة ما أرسله من ذهب إلى المنصور، ولذلك تم عزله فيما بعد توفي سنة 1003هـ/1593م. ينظر: مجهول :تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966، ص8، و جاد الله فاضل شريف: أحمد بابا التنبكتي 936هـ- 1036هـ/ 1556م- 1667م ومنهجه في كتابه التراجم، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر، 2014، ص30.

والطوارق، ينهبون ويسلبون ويخربون، ولم يستطيع المراكشيون أن يمدوا نفوذهم إلى ما وراء المدن الثلاثة تنبكتو، جني، غاو[1]، وكفوا بعد حين عن إرسال الجند أو المؤنة، تركوا قواتهم هناك تقرر مصيرها بنفسها، فنشأت أسر محلية من باشوات تنبكت تدين بالتبعية الاسمية لسلطان مراكش، وتعتمد على عنصر خليط من البربر وأهل البلاد[2]، وقد تغلب منهم على حكم تنبكت في المدة من سنة1071هـ-1146هـ/1660م-1750م مائة وثمانية وعشرون باشا، ثم أخذ هؤلاء الباشوات ينحدرون من ضعف الضعف حتى أصبح الباشوات في تنبكتو يدفعون الجزية لبعض الحكام الوثنين، نتيجة لذلك استقلت عن تنبكتو المدن التي كانت تابعة لها من قبل، وقطعت عنها الجزية، وعاشت هذه المناطق في ضعف وتمزق استغله الاستعمار الأوروبي ليمد نفوذه إلى هذه البلاد[3].

4- مملكة برنو: نشأت هذه السلطنة في إقليم شرق بلاد السودان الغربي وهذا الإقليم، يمتد من بحيرة تشاد شرقا إلى النيجر غربا ونيجيريا من الجنوب وشمالا الصحراء الكبرى[4]، وقد تألفت هذه السلطنة من عدة أجناس أهمها الكنوري ، وبعض القبائل المتميزة عنه في العادات والتقاليد، أهمها الكري، والكرنبة، والمنكة، والمندرة أو الوندلة، والبولالا، والعرب الذين استقروا في هذا الإقليم ويطلق عليهم اسم الشوا، تميزاً لهم عن التجار العرب الذين كانوا يمكثون فترات قصيرة ، ثم القبائل المختلفة من الطوارق، والفلان والهوسا الذين اختلطوا بالكنوري، وأصبحوا يتكلمون بلغتهم أي لغة الكنوري التي تعتبر أوسع اللغات انتشارًا في هذا الإقليم [5] وقد وصل الإسلام إلى هذه المنطقة في وقت مبكر مبكر ابتداء من القرن الأول الهجري، السابع الميلادي وذلك من جهة طرابلس الغرب حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن ملك كانيمي (برنو) الذي يدعى (ميي) جيلمي أول ملك اعتنق الإسلام ومعه أفرد أسرته وحاشيته على يد فقيه يدعى حامد محمد ماني مجلول [6]، وفي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي كان الإسلام قد انتشر في جميع سلطنة برنو وانتشرت معه اللغة العربية والتي

---

[1]- مهدي رزق الله أحمد : حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقية مرجع سابق، ص236.

2- أبوعلم محمد أنور توفيق: مرجع سابق، ص 70.

[3]- مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص237.

[4]- جلال يحى: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ، مصر، 1999، ص 40.

[5] - عبد الرحمن زكي: مرجع سابق، ص 76 .

[6] - عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر، ط 1 ،2000 ، ص 80.

أصبحت اللغة الرسمية لحكومة برنو[1]، وقد حكمت دولة برنو أسرة تسمى الأسرة السيفية، نسبة إلى سيف بن ذي يزن اليمني الذي نقلت مقر الحكم إلى الضفاف الغربية لبحيرة تشاد بعد أن كان في كانم[2]، ويعتبر القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي أزهى فترات الحكم في هذه السلطنة خاصة في عهد السلطان إدريس علومة الذي عمل على نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية وربط العلاقات مع الدول المجاورة خاصة الدولة العثمانية والدولة السعدية في المغرب[3]، وازدهرت الحركة التجارية الواردة والصادرة من وإلى سلطنة برنو كما قام بتنظيم السلطات في الدول والفصل بينها كما أعطى للفقهاء مكانة هامه في الدولة ، وذلك باستشارتهم والرجوع إليهم في الشؤون السياسية والقضايا الدينية وبالتالي اصطبغت هذه السلطنة بالصبغة الدينية بالإضافة إلى هذا بناء مساجد ضخمة في ربوع السلطنة، بل حتى في البقاع المقدسة بنى مقراً لحجاج برنو[4]، على أن أهم عمل قام قام به أنه استطاع أن يوحد بين القبائل المختلفة التي تسكن السلطنة [5]، وبعد وفاة إدريس علومه خلفه سلاطين أقل أهمية منه لم يستطيعوا الحفاظ على قوة السلطنة واحترام هيبتها.

5 – مملكة الهوسا: تشمل بلاد الهوسا حالياً شمال نيجيريا وجزء من جمهورية النيجر حيث كانت تقع في القرون الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي وسنغاى غرباً وسلطنة برنو شرقاً، بينما يحدها من الشمال إقليم آهير[6] والصحراء الكبرى ومن الجنوب ما يعرف حاليا بجنوب نيجيريا، وقد تواجدت في هذه الفترة ببلاد الهوسا عدة إمارات عرفت تاريخياً بإمارات الهوسا [7].

---

[1] – زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأروبي، مرجع سابق، ص 24.

[2]– فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف مصر ، ط1 ،1982، ص 74 .

[3]– محمد فاضل علي باري: المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 138 .

[4] – أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية ،ج 6 ، ص ص 293 – 294 .

[5]– فيج جي دي : المرجع السابق ، ص 74 .

[6]– إقليم آهير: يعد من أهم موقع استراتيجي في الصحراء الكبرى لكونه ملتقى شبكة من طرق القوافل التجارية يمتد بين سكونو وإقليم النيجر جنوباً وتوات وغداس وغات من الشمال والشرق سكان هذا الإقليم من الطوارق والأفارقة السود، انظر محمد بللو، اتفاق الميسور في أخيار بلاد التكرور، تحقيق: بهجية الشاذلي، الرياض، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1 1996، ص 63، وانظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص 192 .

[7] – تشمل إمارات الهوسا: كل من كانو، دورة، رانو، زكزك ،كاتسينا، زنفرة ، غوبر، انظر آدم عبد الله الآلوري: موجز تاريخ نيجيريا، بيروت، لبنان ، دار مكتبة، 1965 م، ص 126.

ويطلق اسم أو مصطلح الهوسا على الذين يتكلمون بلغة الهوسا، فليس هناك جنس يسمى بهذا الاسم إذ لا ينحدر الهوسين من أصل واحد بل جاء أغلبهم نتيجة امتزاج بين جماعات عرقية كثيرة أهمها السودانيون أهل البلاد الأصلين وبعد قبائل البربر من الطوارق [1]وكانت هذه الإمارات حديثة عهد بالإسلام حيث كانت شعوبها وثنية وترجع بداية الإسلام في المنطقة إلى النصف الثاني من القرن الثامن للهجري الرابع عشر ميلادي وذلك في عهد الحاكم ماجي [2](787م -791 هـ) عن طريق زيارة بعض الدعاة والتجار المسلمين للمنطقة، ولكون أهلها حديثي العهد بالإسلام ربما كان الدافع الرئيسي لوصول الإمام المغيلي إليها الذي دخلها وكان أغلب سكانها لازالوا على الشرك ولم تتح لهم الفرصة لتعرف على الدين الجديد بل حتى أوليك الذين اعتنقوا الإسلام لا يزالون على جهل كبير لكثير من الإحكام التي يلزمهم معرفتهم للالتزام بها، وبذالك وجد المغيلي المجال ملائماً لتجسيد أفكاره الإصلاحية والدعوة إليها.

فالفطرة لدى أهل هذه المنطقة لا تزالوا سليمة لم يعكر صفوها بعد، على عكس ما كان سائداً عند أهل المغرب[3]، وساعده في ذلك تقبل الأمراء لدعوته والمساهمة في نجاحها، وقد عرف شعب الهوسا بممارسة التجارة والزارعة بالإضافة إلى مهارتهم في صناعة النسيج والصباغة ودبغ الجلود. وكانت معظم معاملاتهم التجارية تتم مع تجار بلاد المغرب الإسلامي من العرب والبربر بالشمال، الذين كانوا يفدون إلى كبريات مدنهم كما عرفوا بمسالمتهم وانشغالهم فقط بالنشاط الاقتصادي الشيء الذي جعل بلادهم تقع تحت أطماع الممالك والسلطات المجاورة [4]، ولعل ما سهل ذلك أيضاً هو تشتت إمارات بلاد الهوسا دون توحدها تحت حكم واحد .

استفادت إمارات الهوسا كثيراً من مملكة مالي التي كانت تسعى إلى إرسال العلماء والفقهاء إليها من أجل خلق تقارب روحي وديني بينهما، وفي نفس الوقت فإن بلاد الهوسا عانت من الظروف

---

[1]- إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 174.

[2]- زاهر رياض: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، القاهرة، المكتبة الانجلو مصرية، 1968، ص287 .

[3]- بوغرارة منيرة: محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، مذكرة ماجستير، في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص 100.

[4]- إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص 324.

السياسية العصيبة التي كانت سائدة في بلاد الساحل الإفريقي حيث كانت أرضاً ومسرحاً للصراع الدائر في تلك الإنحاء بين القوى العظمى كالسنغاي وبرنو من أجل إخضاعها[1] وذلك في إطار توسيع النطاق الجغرافي بضم أقاليم أخرى تحت نفوذ الدولة، ولقد عرف القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي حركة إصلاحية كبيرة قام بها أحد أمراء بلاد الهوسا وهو أمير كانو، الذي يدعى عبد الله محمد بن يعقوب الشهير بمحمد رنفا [2]، فقد باشر القيام بعدة أعمال كبناء القصور والحصون والأسوار، وبناء المساجد وصيانتها وغيرها من الإنجازات التي حققها، كما كان رجلاً متديناً ملتزماً بأحكام الشريعة الإسلامية، حاول إقامة إمارة على أسس الدين الإسلامي في بلاد الهوسا، حيث كان على اتصال كبير ودائم بالعلماء[3] من أبرزهم الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي بذل ما في وسعه من أجل بعث حركة علمية وإصلاحية في المنطقة.

الإمارات القبلية :

مع التحولات التي طرأت في بلاد المغرب منذ مطلع القرن الهجري الأول (الفتوحات الإسلامية) إلى غاية القرن الخامس الهجري وما صاحبه من تغيرات على المستوى السياسي والاقتصادي وحراك على المستوى الاجتماعي، أدى هذا إلى تغير خريطة بلاد المغرب في هذه المجالات.

---

[1] – آدم عبد الله الآلوري: مرجع سابق، ص 79.

[2] – أنظر الفصل الرابع من الأطروحة.

[3] – آدم عبد الله الآلوري: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، دار الحلبي، القاهرة، مصر،1974، ص 82 .

وقد أثر هذا على منطقة الصحراء التي كانت مجالاً بربرياً خالصاً تحول إلى خليط بين عرب وبربر، فاستقرت قبائل بني حسان[1] وامتزجت في البيئة الجديدة التي كانت تحت إمارة أبدوكل اللمتونية[2] التي ورثت الدولة المرابطية وسيطرت على تجارة الصحراء من خلال فرضها المكوس والضرائب على القوافل التجارية القادمة من وادي درعة وبلاد السوس[3] وحمايتها خلال ذهابها وإيابها إلى بلاد السودان، ومن فرضها الضرائب على السكان، وقد انهار هذا الاقتصاد نتيجة لعدة عوامل منها أن القوافل حولت طريقها شرقاً إلى طريق توات تنبكتو تجنباً للطرق المارة بالقبائل الحسانية خوفاً من فرض ضرائب جديدة عليها[4]، وقد أدت هذه الوضعية إلى فرض حالات فوضى كثرت من خلالها حالات السلب والنهب و اللامن، إضافة إلى تعدد الانقسامات والتمرد وهو ما جعل القبائل الحسانية من الاستيلاء على المنطقة وإسقاط إمارة إبدوكل اللمتونية.

وفي ظل هذه الوضعية تغلغلت القبائل الحسانية في هذا المجال وعملت على نشر اللغة العربية إلى جانب امتهانها للحرب وحياة الغنم، وبفعل الزمن اندمجت قبائل صنهاجة مع بني حسان مشكلين للثقافة الحسانية (ذات الأصول العربية والصنهاجية) وأنقسم المجتمع إلى ثلاثة فئات وهي القبائل المغفرية من بني حسان التي اشتغلت بالحرب وفرض الضرائب، وقبائل الزوايا وهي التي امتهنت العلم

[1]- بنو حسان: هم ثلاثة أبناء دليم، ودي، حم، انتشر دليم و أبناؤه في منطقة وادي الذهب على ساحل الأطلسي و انتشر ودي و أبناؤه في بلاد شنقيط إلى أطراف السودان، وكان حم وأبناؤه في قلب الصحراء من أكيدى إلى نهر النيجر، وكان لحم ولد اسمه شبل في بلاد شنقيط فصار خلاف مع أبناء عمومتهم أولاد رزق بنو ودي، الذين أقاموا إمارة في بلاد شنقيط فاضطر أولاد شبل للنزوح بعيدا، فانتشروا في المنطقة بين النيجر وتوات، وهناك فرع من أولاد شبل بنو حم بن حسان في منطقة توات يسمون البرابيش، انظر: بول ماريتي: البرابيش بنو حسان، تعريب وتعليق: محمد بن ودادي، مطبعة زيد، دمشق، د.ت، ص16.

[2]- وهي من الإمارات الصنهاجية التي بقيت بعد الدولة المرابطية، وقد قامت في حدود 630هـ-700هـ، على أيدي أسرة لمتونية لايعرف عنها الكثير إلا أن هناك قبيلة تسمى إيدكوجي يوصفون أنهم منهم، مما يسمح بالقول أن أبدوكل هي وريثة مرابطي الصحراء رغم وجود رئاسات لمتونية متفرقة في الأنباط وإيدو عيش وإدي شلي، ومعنى كلمة أبدوكل بالصنهاجية التجمع، والتحالف، التداخل.للمزيد ينظر: ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا فبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017، ص 168.

[3]- السوس: هي منطقة واقعة وراء الأطلس إلى جهة الجنوب، تبدأ غرباً من المحيط الأطلسي وتنتهي جنوباً في رمال الصحراء وشمالاً عند جبال الأطلسي وشرقاً عند نهر السوس، انظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2 ،1983، ص 113.

[4]- ولد بيه محمد المحجوب: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 15و21، انواكشوط موريتانيا، 2016، ص139.

والخطط الدينية كالإمامة والقضاء والإفتاء [1]، والقبائل الغارمة وهي التي تدفع الضريبة أو الغرم مقابل حمايتها، وكان كل من يتجه إلى الزوايا من القبائل التي اشتهرت بالغزو والحرب يسمى تائباً أو مهاجراً، ويصبح زاوياً ولو كان من حساني الأصل، كما أن من يتجه إلى السلاح ويحارب يسمى مغفرياً (عربي) ولو كان صنهاجي الأصل، أما المغارم فكل من انهزم وخضع لها حتى فقد عصبيته الأولى فهو أزناكي أو لحمي سواء أكان من أصل حساني أو صنهاجي، والأصل في كلمة اللحمي يعني لحمة الثوب وذلك أن جباة المغارم من الحسانين وغيرهم كانوا يسمون من يحالفهم ويدفع إليهم المغرم مقابل حمايته لهم بالصاحب أحيانا وباللحمي أحيانا أخرى معبرين عن كونه انه أصبح لحمة لهم بما يجعل التعدي عليه تعدي عليهم[2].

وفي ظل هذا الوضع المتأزم الذي يستند إلى سلطة القوة بدرجة أولى والعلم بدرجة ثانية، صاحبته تطورات وتفاعلات بين هذه القبائل أدت إلى حروب تبلورت من خلالها الوضع إلى بروز حركات وإمارات قبلية رافعة لراية الجهاد ومؤسسة لبدايات جديدة في وضع سياسي جديد.

حركة الإمام ناصر الدين الشمشوي[3]:

كان ناصر الدين شغوفاً بالعلم يحث على إتباع السنة وترك الهوى، منتهجاً كل الطرق لتحصيل العلم وبلوغ غايته، بدأت حركته[4] بعد أن ظهرت عليه أمارات التقوى والصلاح، فأقبل الناس عليه من كل حدب يلتمسون بركاته، فكان يدعو من يفدون عليه إلى التوبة فاستجاب أغلبهم، ويقيمون معه

---

[1]– الكنتي محمد الخليفة : الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، موريتانيا، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007، ص 151.

[2]– بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، نواكشوط موريتانيا، ط1، 2010، ص 10.

[3]– هو أوبك (أبوبكر) بن أبهم بن يعقوب بن أكدهم بن يعقوب بن أبهنض يحي بن مهنض أمغر من قبائل الزوايا في منطقة القبلة لم يعرف تاريخ ولادته بالتحديد، إلا أنه توفي سنة 1084هـ/1673م، ينظر: بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سابق، ص15.

[4]–يتفق كثير من المؤرخين أن حركة الإمام ناصر الدين بدأت حوالي 1055هـ/1645م وانتهت سنة 1088هـ/1677م، ينظر: بن باباه محمذن: نصوص من التاريخ الموريتاني، بيت الحكمة، تونس، 1990، ص90، وكذا بن محضن الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث مرجع سابق، ص15، ولد السالم حماه : تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي مرجع سابق، ص 310، ولد السعد محمد المختار: الإمارات والنظام الأميري الموريتاني مرجع سابق، ص20.

لذلك سميت دعوته في هذه المرحلة بالتوبة وسماها سودان النهر توبنان[1].كما يدعو إلى العلم وتحصيله مهما كانت الظروف، فبعد أن كثر أتباعه دعاهم إلى مبايعته إماماً لهم فبايعوه، فأخذ في تنظيم دولته وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية مع السهر على إحياء السنة النبوية[2]، فأسس مجلس استشاري، وأخر قضائي[3]، وكلف الأعوان بجباية الأموال والزكاة، ثم جاءت مرحلة أخرى وهي الجهاد، حيث بعث إلى ملوك الجهات السودانية المحاذية لنهر السنغال[4] كملك فوته (شماشة)، وملك جولف، وكانت هذه المماليك قد تجددت بعد سقوط مملكة صنغاي وضعف وتشتت قوة الباشوات في تنبكتو، وبعد نجاح دعوة ناصر الدين وكثرة أتباعه أستطاع كثير من الوثنين في نهر السنغال من الدخول في الإسلام واتباع دعوته[5] وهو ما غاظ القبائل الحسانية ذات الشوكة بعدما شعرت بهذا واعتبرته يهدد مركزها ولم تشأ هذه القبائل أن تنتمي إلى دولة منظمة تحكم بمبادئ الدين الإسلامي، لذلك أقبلت على تحدي سلطة الإمام ناصر الدين فارتكبت أخطاء كانت سبباً في حروب دامت ثلاثين عاماً وهي حروب شرببه[6].

---

[1]- لد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18م)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2015، ص 176.

[2]-تعتبر أهداف دعوة الإمام ناصر الدين بمثابة إحياء لدولة المرابطين التي أسّسها عبد الله بن ياسين وقد قامت على الكتاب والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورفع الظلم عن المستضعفين.ينظر: الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: السلفية وأعلامها في موريتانيا "شنقيط" عرض لتاريخ السلفية والأشعرية وماله علاقة بذلك من الحركة العلمية والجهادية من دخول الإسلام إلى القطر سنة63هـ إلى سنة 1413هـ، دار ابن حزم للطباعة، بيروت لبنان، 1995، ص247.

[3]- اختار ناصر الدين ابن خالته أبيهم بن يعقوب بن أحمد من بني أشفغ أوبك بن مهنض أمغر لوزارته، وسماه القاضي عثمان، كما عين محمد بن حبيب الله الألفعي قاضياً لمجلسه الذي يقضي فيه الأمير على غرار قاضي المجلس المرابطي الإمام الحضرمي، كما اتخذ قضاة آخرين منهم الفالي بن الكوري بن سيدي الفالي الديماني، والحبيب بن الحسين اليدن اليعقوبي، واتخذ للعلماء مجلساً وعين عمالاً لجباية الزكاة. ينظر: ولد باباه محمذن: نصوص من التاريخ الموريتاني مصدر سابق، ص 129.، وكذا ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1997، ص65.

[4]- الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: مرجع سابق، ص 248.

[5]- مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام مرجع سابق، ص546- 547.

[6]- حرب مشهورة وقعت بين زوايا منطقة القبلة وبين المغافرة وخاصة الترارزة والبراكنة وبعض أولاد امبارك والشائع عند الناس أن كلمة شرببه لفظ مركب من كلمة (شر) بمعنى حرب و (ببه) وهو اسم رجل من قبيلة الصعيكات وهم من عداد قبيلة تاشدبيت وتقول الراوية أن ببه المذكور منع زكاته من جباة الزكاة الذين أرسلهم إمام الزوايا ناصر الدين، والتجأ بعد ذلك إلى أمير الترارزة

كما كانت له علاقات مع الفرنسين المتمركزين في مركز سان لوي (اندر) قرب نهر السنغال منذ 1048هـ/ 1638م[1]، فدعاهم إلى عدم التدخل في شؤونه مع القبائل الأخرى، بل ذهب أكثر من ذلك أن حرض عليهم ملوك جولف، وفوته، وكايو، لمنعهم من ممارسة تجارة العبيد وطردهم من المنطقة، لكن لم يستجيبوا وهو ما يفسر ربما دعوته لمحاربتهم[2]، وبالتالي فتح عدة جبهات في القتال في ظل هذا الجو المحتقن، فالقبائل الحسانية في الشمال، والمماليك السودانية في الجنوب، إضافة إلى الفرنسيين الذين يبحثون عن بقاء مصالحهم وبالتالي استمرار النزاع، فنشبت حرب أخرى بين القبائل الحسانية والزوايا المؤيدين لناصر الدين سنة 1084هـ/1673م[3] قتل فيها ناصر الدين ومعه خلق كثير من أتباعه، وسببها أن كثير من أتباع بني حسان انضموا إلى الزوايا وساندوا ناصر الدين، وهذا لم يعجب القبائل الحسانية فاغتنموا فرصة تفقد ناصر الدين لهؤلاء المنضمين إلى الزوايا في مكان يقال له ترتلاس، ولما شاع خبر مقتل الإمام ناصر الدين اضطرب شأن الناس في الحرب، وعاد العلماء الذين كانوا يرون في عدم دعم ناصر الدين إلى دعوة الزوايا لوقف الحرب محتجين بصواب رأيهم، وممن كان يرى خلاف ناصر الدين نجد الطالب المختار بن الأعمش (ت1107هـ/ 1695م) وتلميذه محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي (ت 1098هـ/1687م)[4].

هدي بن أحمد بن دمان فحماه، فنشبت الحرب بين الزوايا والمغافرة وسمية بإسمه، وهناك رأي ثاني يقول أن كلمة (شربه) اسم صوت بمعنى الانفعال الحماسي يقال له باللهجة الحسانية (التبربير) وهو أن يحرك الشخص رأسه ماداً شفتيه مقارباً لهم ومطلقاً صوتاً من حنجرته فيعطي ارتخاء الشفتين للصوت تقطيعاً خاصاً ويكون (التبربير) تعبيراً عن استحسان الشيء والاندفاع فيه، لكن هذا الرأي يبقى غير مرجوح بالنسبة للرأي الأول، ينظر: ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة مصدر سابق، ص46، ابن حامد المختار: حوادث السنين، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص48، حياة موريتانيا، الجزء السياسي، مرجع سابق، ص208.

[1]- بن محنض الحسين: مرجع سابق، ص18-21.

[2]- النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص253.

[3]- الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: مرجع سابق، ص 253.

[4]- عارض بعض العلماء حركة الإمام ناصر الدين لإدعائه أمور غيبية، كالتقائه بالخضر عليه السلام، وإخبارهم بأعمارهم ، وموت فلان بمحل كذا وكذا، ويخبر عن سبب شقاوة الإنسان وسعادته، وأنه سليم في الآخرة من هول الصراط، أو يقع في هول الميزان، وأنه يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله، كما ادعى أنه سيملك الأرض، ويقال بمسع منه أنه المهدي المنتظر، ويفرق بين الأزواج ويقول كشفت أنكما غير متزوجين، إلى غير ذلك من الأمور الغيبية، فلم يزل أمره كذلك إلى أن بويع له كثير من الناس، إضافة إلى ما سببه من حروب بين الناس هلكت البلاد وضيعت العباد، لذا عارضه كثير من العلماء وعلى رأسهم الطالب المختار بن

وبعدها بايعت الزوايا كل من أشفغ الأمين وبعده القاضي عثمان الذي توفي سنة1085هـ/1674م ليتفرق أمر الزوايا بعد ذلك وتزول حركة الإمام ناصر الدين نهائياً سنة 1088هـ/ 1677م[1]

الحركات الإمامية في فوتاطور[2]:

حركة مالك ساي: وقد امتدت هذه الحركة على ضفتي نهر السنغال من الجهتين الشمالية والجنوبية، وقد نشأت هذه الحركة على يد الشيخ مالك ساي[3] الذي ولد في حوالي الخمسينيات من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، كان والده من العلماء المسلمين فنشأ تنشئة دينية سليمة من البداية، وعندما شب على المبادئ الإسلامية كان مهياً لتحمل المسؤولية، فتركزت دعوته في بداية الأمر في بلدة سويوما (في دولة السنغال حالياً قرب العاصمة دكار)، بعدها اتجه إلى مملكة غادياغا[4]السنونيكية في أعالي نهر فوتا، حيث حصل على سلطة محلية وسرعان ما أضحت هذه

الأعمش وتلميذه محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي. ينظر بن بابه محمذن: مصدر سابق، ص135.، ومحنض ين الحسين: مرجع سابق، ص23.

[1]– المرجع السابق:

ص 24- 25- 26- 27.

[2]– يطلق الفلان على كل منطقة سكنوها اسم فوتا التي تعني أرض الفلان، فمنها فوتاطورو في حوض نهر السينغال، وفوتاجالون في غنيا.، ولد بيه المحجوب: موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 15و21، أنواكشوط موريتانيا، 2016، 133.

[3] – هو مالك ساي بن داوود ساي مؤسس دولة بوندو الإسلامية من أسرة تنتمي إلى شمس الدين الكلكمي أحد أحفاد محمد بن إبراهيم بن شمس الدين بن يحي الكلكمي المعروف في بلاد فوتا " بجم سي" كانت قد نزحت من الضفة اليمنى إلى الضفة اليسرى لنهر السنغال وأقامت بقرية (سيوما)، حيث ولد مالك ساي حوالي 1050هـ/ 1640م، وتعلم وحفظ القرآن على يد القاضي عمر فال الذي تلقى العلم بمحاضر أولاد ديمان قبل قيام حركة الإمام ناصر الدين، ينظر: الفلاني عمر با: الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، د.د.ط، 2007، ص 135.، بن محنض الحسين: مرجع سابق، ص34.

[4]– هي مملكة سنونيكية صغيرة كانت موجودة في منطقة باكل (السنغال) فحل بها الشيخ مالك ساي ضيفاً على ملكها الملقب كونكا ونشأت بينهما علاقات طيبة ومنها رحل مملكة كارتة البمبارية فاستقبله ملكها في كانكي (مدينة قرب السنغال) ثم واصل رحلته من كانكي إلى الحج، وفي مكة عقد الحاج مالك ساي العزم بعد عودته على نشر الإسلام في جيوب الكفر والوثنين في بلاده، وفي طريق عودته التقى قبيل وصوله برجل يدعى سونديابا أعجب به وأرسل معه ثلاثة رجال أقاموا معه وكانوا عوناً له، وكانت عودة الحاج مالك ساي من رحلته سنة 1107هـ/1696م، ينظر: بن محنض الحسين: مرجع سابق، ص35.

السلطة نواة لدولة جديدة لاقت دعماً كبير من طرف قبائل الفلان، استمرت حتى بعد وفاته سنة 1114هـ/ 1702م[1] .

حركة سليمان بال[2]: وقد قامت هذه الحركة في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، على يد سليمان بال من منطقة فوتا جالون السنغالية، وقد تمكن من الدراسة في بلاد القبلة في منطقة الترارزة والبراكنة، وكان متأثر بحركة ناصر الدين حيث تغذى بالفكر الجهادي، وعند عودته من بلاده أصبح يراسل من يثق بهم من أهل العلم ويخطط معهم[3]، ويستغل الغضب الشعبي والحروب الداخلية التي أضعفت سلطان الفلانيين الذين يحكمون المنطقة واسمه" صمبقلاديو" وابن عمه "صلي كنكو"، كما كان من إنجازاته أن وضع على الناس في منطقة فوتا جالون الضريبة التي تسمى ضريبة الحرمة[4]، كانت تفرضها عليهم الإمارات المجاورة لهم كالترارزة والبراكنة، ومملكة جولف، وقد أثار هذا الإجراء حفيظة تلك الإمارات فدخلت معه في عدة معارك حتى استشهد سنة 1190هـ/ 1776م[5].

حركة عبدالقادر كن[6]: بعد وفاة سليمان بال، اختار الفوتيون عبد القادر كن من بين أربعة وهم "تفسيروبوكل" من قرية جابا، "وتشيرنو عبد الكريم" من قرية سينوبال، و"تفسيرو أحمد حماتالبومبي" من كانل، وكان هؤلاء الأربعة مشهورون بالعلم والفضل وكثرة الأتباع[7]، وعند اختيار عبد القادر كن

---

[1] مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص 549.

[2]– هو ابن راسبين بن صامب بن بوبكر بن ابراهيم بن بوبكر وهم من قبيلة (وطابي) إحدى القبائل الفلانية الرئيسية التي كانت لها هيمنة في بلاد فوتا، وكان لأحد أجداده وهو بوبكر بن ابراهيم أخ شقيق يدعى عثمان إراهيم هاجر إلى ماسينا (قرب تنبكتو) وسكن في قرية اسمها (فيتوبي) وكان رجلا واسع المعرفة أنجب ولداً سماه أحمد بوبو الذي تشكلت منه فيما بعد أسرة الأمراء في ماسينة، ينظر: الفلاني عمر با: مرجع سابق، ص 147– 148.

[3]– ولد بيه محمد المحجوب: مرجع سابق، ص133.

[4]– جوان جوزيف كي زيربو: الإسلام في ممالك و أمبرطورية إفريقيا السوداء مرجع سابق، ص361.

[5]– بن محنض الحسين: مرجع سابق، ص 39.

4– مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص 549.

[7]– هو أحد أحفاد (آيل كن) العالم المشهور في منطقة فوتاطور وهو من أصل عربي قدم أبوه أوجده من دمشق ثم استقر مع الفلان في هذه المنطقة، وقد درس عبد القادر في محضرة أهل (همري فال) بأبيري، كما درس في قبيلة أولاد ديمان، مع العالم المختار بن بونة الجكني، وأخيه أحمد بن العاقل، ينظر: الفلاني عمر با: مرجع سابق، ص 153.، بن محنض الحسين: مرجع سابق، 40.

للحكم اضطلع بمهمة اخضاع فوتاطور للحكم الإسلامي ونشاطه الدائم في محاربة قبائل الكايور الوثنين التي قتل في إحدى حروبه عليهم وذلك سنة 1209هـ/1785[1].

إمارة الترارزة:

ظهرت في بداية القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي وسيطرت على المنطقة الممتدة من أركين في الشمال وحتى نهر السنغال جنوبا [2] أي منطقة القبلة (في الجنوب الغربي الموريتاني حاليا) وقد أسسها تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن هدي بن حسان [3] وفيها كانت المحطات التجارية التي أسّسها على التوالي البرتغال وإسبانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا ابتداء من النصف الأول من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي [4] وتضم هذه الإمارة كغيرها من الإمارت الأخرى مجموعات قبلية متفاوتة جدا من حيث مكانتها الاجتماعية (حربيون، زوايا، تابعون) ومن حيث وزنها الديمغرافي والاقتصادي والسياسي فهناك في قمة الهرم الاجتماعية المجموعة المجموعة الحربية التروزية التي تحتكر العنف والسلطة السياسية منذ نهاية حرب شربة [5] ولا تضطلع بدور إنتاجي في المجال الاقتصادي مما جعل اعتمادا في توفير وسائل عيشها على المغارم وغنائم الغزو والضرائب العرفية على التجارة الأطلسية واستخراج ملح أوليل [6] من انترزت وغيرها من السباخ الموجودة هناك وتلي المجموعة التروزية قبائل الزوايا ذات الأصول الاجتماعية المختلفة التي تخصصت في الشؤون الثقافية والدينية، وممارسة النشاطات الاقتصادية المختلفة من تربية للمواشي وتجارة وزراعة.

---

[1]- مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص 550.

[2]- ولد بيه محمد محجوب: موريتانيا جذور وجسور، مرجع سابق، ص 142.

[3]- ولد حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 173.

[4]- ولد بيه محمد محجوب: المرجع نفسه، ص 142.

[5]- ابن حامد المختار: المرجع نفسه، ص 48.

[6]- هي سبخة أوليل هي من أهم سباخ جنوب غرب الصحراء وتقع في منطقة الترارزة بالقرب من نهاية الساحل الجنوبي لموريتانيا غير بعيدة عن مصب نهر السنغال لذا اكتفى بعض الباحثين بالإشارة إلى أن موقعها يقع داخل المنطقة الممتدة بين نواكشوط وسان لوي (جزيرة في السنغال كانت مركز فرنسي) الحاليتيين في حين اعتقد البعض الآخر أنها بدون شك إحدى السباخ المعروفة في منطقة الترارزة مع ترجيحه أنها هي التي تحمل في وقتنا الحاضر اسم انترزت، ينظر ولد الحسم الثاني، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى نهاية القرن 5هـ/ 11م.

أما الفئة الثالثة فهم الأتباع المؤلفون [1] من أزناكة [2] المختصين في تربية المواشي والحرف واشتهر من أمراء الترارزة أحمد بن دمان الذي كان له الفضل الذي كان له الفضل الأول في توطيد الحكم الترورزي، حيث قض على منافسيه في المنطقة من خلال نجاحه على قبائل أولاد رزك [3] وابنه هدي بن أحمد بن دمان الذي حقق الانتصار السياسي والعسكري للترارزة [4] بانتصاره على حركة ناصر الدين الاصلاحية في حرب شرببة 1050هـ/ 1640م والتي كرست لسيطرة المغافرة على منطقة القبلة نهائيا وعقد الترارزة في عهدهم أول اتصال مع الشركات الأوروبية على السواحل الأطلسية ثم جاء الأمير أعلي شنظورة 1139هـ/1727م الذي يعتبر المؤسس الفعلي لهذه الإمارة [5] بحكم استطاعته أن يكسب ودّ الزوايا وإشراكهم في السلطة كنوع من التشريع العملي لسلطته باعتبارها أنها الناطقة باسم الدين، فعين ابن رازكة قاضيا ومستشارا له وعين المحتار بن أ تفغ موسى اليعقوبي قاضيا لمجلسه [6] .

أما على المستوى الخارجي فقد ربط علاقات مع المغرب [7] وذهب رفقة بن رازكة إلى السلطان المغربي مولاي اسماعيل العلوي لطلب الدعم العسكري من أجل الانتصار على المناهضين له في الحكم البراكنة فكان له ذلك، وقد انتصر عليهم سنة 1133هـ/ 1721م.

[1]- ولد السعد محمد المختار: الإمارات والنظام الأميري الموريتاني، النشأة والأطوار السياسية الكبرى، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2007، ص 43.

[2]- وهي اللحمة بالتسمية الحسانية وآزنكة بالصنهاجية وهي القبائل التي تخضع لبني حسان وتفرض عليها المغارم وتتصرف في أموالها، أنظر محمد الخليفة الكنتي: الرسالة الغلاوية، مصدر سابق ص 250.

[3]- أولاد رزك: أصلهم رزق ثم قلبت القاف كافاً معقودة ورئاسة أولاد رزك حكمت إقليمي الترارزة والبراكنة من القرن(09هـ-الى 11هـ)، اشتهر من أمرائهم كدول بن موسى المشهور بالعنف والعظمة، وأمهنين بن عيسى الذي قتله المغافرة سنة(1039هـ).ينظر: ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا، مرجع سابق، ص 304.، ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء السياسي، ص ص 103-104.

[4]- اليدالي: شيم الزوايا، ص82.

[5]- ولد السعد محمد المختار: مرجع سابق، ص 54، 55.

[6]- المرجع نفسه.

[7]- ولد بيه محد المجوب: مرجع السابق، ص 142.

وقد أدّت هذه الانتصارات إلى جعل إمارة الترارزة [1] سلطة معتبرة اعترفت بها القوى الأوروبية ووقعت معها اتفاقيات ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، خاصة في عهد أعمر بن أعلى شنظورة ت (1277هـ/ 1860م) الذي وقف في وجه الفرنسيين ثم جاء بعده أمراء تدخل الفرنسيون في شؤونهم فتعرضت للضعف والهوان.

إمارة البراكنة:

يطلق اسم البراكنة على المجال جغرافي وبشري مثل الترارزة في منطقة القبلة (جنوب الغربي الموريتاني المتاخم لنهر السنغال والبحر المحيط، وينتسب البراكنة في أصلهم إلى بركني بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان [2]، وقد أسّس الإمارة أحد فروع بركني [3] في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، وتضم عدّة مجموعات مثل الترارزة وهي المجموعة الحربية البراكنية والزوايا والتابعون حيث سطع نجم هذه الإمارة مع بكار بن علي الملقب بالغول ت 1092هـ/ 1728م [4] الذي شارك في حرب شرببة الشهيرة، وقد كان له دور في تأسيس دعائم هذه هذه الإمارة، حيث أسس مجلس استشاري للإمارة وأشرك فيه العلماء إضافة إلى خبرته العسكرية، وعلاقاته الخارجية حيث زوج ابنته خناثة [5] إلى ملك المغرب مولاي اسماعيل العلوي والتي أنجبت له السلطان محمد بن إسماعيل العلوي، ثم ظهر ابن عمه نغماش ابن أمحمد البركني الذي شارك هو الآخر في حروب إينتيام [6] التي خاضها معظم القبائل المغفرية، لتستمر السيادة البركنية في عقبه فظهر

---

[1]- ولد السعد محمد المختار :مرجع السابق، ص 59.

[2]- ولد السعد محمد المختار: الإمارات والنظام الأميري، مرجع سابق، ص 87.

[3]- ينقسم البراكنة إلى ثلاثة فروع وهي أولاد عبد الله واليتامى وأولاد أحمد، وقد تفرعت أولاد نغماش أولاد السيد، أولاد أعلى بن عبد الله وأولاد منصور بن عبد الله، أما أولاد أحمد فمنهم أولاد إيبيري والذين نزحوا إلى الحوض (ولاتة وتيشيت) وفيهم إجمان الطلبة وإجمان العرب فالأولون ساروا سيرة الزوايا، والأخيرون ساروا سيرة العرب، ينظر ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 122.

[4]- بكار بن علي كان يضرب به المثل في الشجاعة والقوة وجهارة الصوت حتى صار يقال له بكار الغول، إضافة إلى حبه للعلم وأهله والتفقه في الدين، أنظر: ابن حامد المختار: حياة موريتانيا التاريخ السياسي، ص 110.

[5]- بن بنانة العلوي محمد فال: كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة، تحقيق أحمد ولد الحسن، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، بيت الحكمة، تونس، 1986، ص 127، ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 59.

[6]- ابن حامد:مرجع سابق، ص 44

منهم امحمد بن هيبة بن نغماش البركني (ت 1140هـ/ 1728م) [1]، وأخيه أحمد بن هيبة بن نغماش (ت 1175هـ/ 1728م) الذي أعطى بعدا معرفيا للإمارة إلى جانب البعد الحربي، فقرب العلماء وأجزل عليهم العطاء وهو ما جعل الشيخ اليدالي يمدحه بقصيدتين سنورد واحد منها وقد وصفه بالعلم والشجاعة والكرم، يقول في مطلعها: [2]

قضت حكمة الجبار بالفتح والنصر لأولاد أم العز بالعز والطغرِ

من اختصهم رب الورى بين مغفر ببذل الندى والعدل والحلم والصبرِ

وراعوا حقوق الله في كل مسلم ضعيف ومسكين فقير ومضطرِ

ثم جاء من بعده ابنيه أعلى بن أحمد بن هيبة وابنه أحماد بن أعلى بن هيبة (ت 1194هـ/ 1780م) والذي امتاز عهده بكثرة الصراع مع الترارزة [3] وقبائل إد وعيش، [4] وهو ما أدى إلى ظهور تحالفات في المنطقة، فقد تحالف البراكنة مع مملكة فوته "كابور" لا بالسنغال وتحالف الترارزة مع مملكة والو " شمامة" بالسنغال، في معركة شهيرة سميت بمعركة الكوري، [5]إضافة إلى صداعهم مع مع أبناء عمومتهم أولاد أحمد، والتدخل الأجنبي في المنطقة خاصة الفرنسي الذي كان يغذي الصراع بين القبائل من أجل مصالحه. [6]

---

[1]- ابن حامد: حياة موريتانيا الجزء السياسي ص 12، بن بنانة العلوي :كتاب التكملة مرجع سابق ص 28.

[2]- بن بنانة العلوي: مصدر سابق، ص 30، ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 172.

[3]-ولد السعد محمد المختار: مرجع سابق، ص 90.

[4]- إد وعيش: هو النطق الحساني للاسم الصنهاجي إدو- بدر أولاد يعيش ومعناه الأبعد أبناء نمط العيش أو الحياة الواحدة لأنهم قبائل عديدة منها الصميم والحليف وينتسب إدو عيش إلى أوديك بن أكر بن بيك بن أنمر بن عثمان بن (أو حفيد فيه اختلاف) يحيى بن عمر اللمتوني ت 460هـ وأمهات قبائلهم أهل امحمد بن خونة بيت الرئاسة والأنباط وأولاد أعلى أنتونفة وتغدة (تكدة) صارة وغيرهم وقد اندمج تغدة وصارة في أهل سيدي محمود بن إدولحاج حيث أصبح يطلق عليهم أهل سيدي محمود. ينظر :الكنتي محمد الخليفة : الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 109، 110.

[5]- ابن حامد: ص 78.

[6]- ولد بيه محمد محجوب: مرجع سابق، ص 141.

ثانيا: الحواضر الكبرى في بلاد السودان الغربي :

1 – حاضرة تنبكتو:

تعتبر هذه المدينة من أهم مدن بلاد السودان الغربي على الإطلاق، تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى عند منحى نهر النيجر الذي يبعد عنها باثني عشرة ميلا[1]، وهي همزة وصل بين بلاد السودان الغربي والصحراء الكبرى، كان تأسيسها على يد جماعة من الطوارق تدعى مغشرن[2] عام 490هـ1096 م وذلك بعد اضمحلال مملكة غانة حيث كانوا من البدو الرحل ينزلون بها في شهور الصيف ويرتحلون في الخريف بعد أن يستأمنوا متاعهم ومؤنهم عند امرأة عجوز تدعى "بكتو "فأصبح الرجل الطارقي يسال أين خبأ أمتعته فيقول وضعتها عند "تين" ومعناها المكان في لغة مغشرن وبكتو اسم العجوز أي في مكان العجوز" بكتو [3]" و مع مرور الزمن اندمجت الكلمتان معا فأصبحت" تينبكتو"، ثم خفف فأصبح تنبكتوا وتمبكتو و هو الاسم الشائع الذي صار يطلق على هذه البلدة فيما بعد، ثم أخذ الناس يسكنون هذا المكان ويزداد عددهم وعمائرهم حتى صار المكان سوقا للتجارة يلتقي فيه البائع والمشتري من أهل المناطق المجاورة[4] خاصة بعد ضعف مدينة ولاتة" بير " "بير "كما يسميها السعدي وذلك بسبب غزو ملوك مالي عليها، حيث كان بها سوقا كبير يقصده التجار من جميع الأقطار يقول السعدي [5]" كان التسوق من قبل في بلد بير واليها يرد الرحالة من الأفاق ....ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلا قليلا.....فكانت عمارة تنبكت خراب بير ...... "، وهكذا قامت مدينة تنبكتو كمدينة إسلامية تعاظمت تجارتها وازدهر عمرانها قبل أن تصبح في

---

[1] حسن الوزان: وصف افريقيا ،مصدر سابق، ج1،ص165.

[2] السعدي :تاريخ السودان ،مصدر سابق،ص ص20-21.

[3] علي محمد عبد اللطيف : تمبكتو أسطورة التاريخ ،مرجع سابق ،ص ص85-86.وأنظر عبد القادر زبادية :مملكة سنغاي في عهد الأسقيين،مرجع سابق ،ص100.

[4] مهدي رزق الله أحمد :حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق،ص302.

[5] السعدي : مصدر سابق،ص21.

وقت لاحق منارة علمية ودينية يقول السعدي[1]" ....ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، كانت مأوى العلماء والعابدين و مألف الزاهدين و الأولياء، وملتقى الفلك و السيار فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم إلى أن صارت مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم ويأتيها الناس من كل جهة ومكان وقد صار سوقا للتجارة ..... "، وما إن جاء القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي حتى تحولت تجارة المنطقة كلها إليها وقصدها العلماء والتجار ، لتشهد ازدهارا كبير في ظل مملكة مالي خاصة في عهد سلطانها منسي موسى[2] وحجته المشهورة التي اصطحب فيها معه العديد من رجال الثقافة والعلم من الحجاز ومصر وبلاد المغرب ، وآلاف المخطوطات والكتب الإسلامية التي قدمها كهدايا للعلماء ، كما اصطحب معه المهندس الغرناطي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الذي قام ببناء جامع جنغري بير ومعناه الجامع الكبير، كما بنى القصر الضخم الذي سمي بالمادوغو" القصر الكبير[3] "بالإضافة إلى جامع سنكري الذي بنته سيدة فاضلة من قبيلة الأغلال[4]، هذا وقد شهدت تنبكتو في هذه الفترة حركة علمية نشطة ضاهت بها كبرى الحواضر العلمية آنذاك كمصر والقيروان وفاس والأندلس، وما أدل على ذلك ما ذكره السعدي[5] بأن بأن رجل من الحجاز يسمى عبد الرحمان الشيمي، جاء بصحبة السلطان موسى فأقام بتنبكتو زمنا طويلا، ولما رأى رجالها يتفوقون عليه غادرها إلى فاس، ليستمر هذا الازدهار إلى القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، في عهد مملكة سنغاي وملكها محمد أسكيا وابنه داوود أين بلغت تنبكتو ذروة مجدها وعطائها العلمي نظرا لما اشتهر به السلطان محمد أسكيا وابنه داوود من حبهما للعلماء وتقريبهم، وتوسعتهم للمساجد وبناء مساجد أخرى كمسجد يحي التادلسي[6] الذي بني

---

[1]- المصدر نفسه: ص21.

[2]- أبوبكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي، مرجع سابق، ص54.

[3] - علي محمد عبد اللطيف: تمبكتو أسطورة التاريخ ،مرجع سابق، ص88.

[4] - السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق، ص ص61-62.

[5]- المصدر نفسه :ص46.

[6]- للمزيد انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

تخليدا لاسم هذا العالم الذي كان احد رموز العلم بها، وجامع سنكري[1] الذي تطورت طبيعة التعليم فيه ووسع إلى جامعة أدخلت فيها مناهج جديدة وعلوم أخرى إلى جانب علوم القران والحديث أصبح يدرس فيها السير والتاريخ والمنطق والفلسفة بالإضافة إلى ظهور نظام الكتاتيب بعد ما كان التعليم محصور في المساجد ولجميع الفئات صغارا وكبارا، أصبحت هذه الكتاتيب لتعليم الصغار فقط وقد ارتفع عددها إلى مئة وخمسون كتاب لتعليم الصبيان[2] وبالتالي ظهر ما يعرف بنظام التخصص في التعليم والفصل في مراحله.

وقد تنامت غزارة علوم ومعارف علماء تنبكتو الذين نشطوا في تدريس المخطوطات المتضمنة شتى العلوم خاصة العلوم الإسلامية والتاريخية التي دونت لتاريخ المنطقة وما مر عليها من حقب ودول[3].

كما اتخذت خزائن لهذه الكتب رفت في مكتبات انتشرت في تنبكتو بكثرة، سواء تلك المكتبات الخاصة التي تملكها اسر مثل أسرة آل أقيت أو مكتبات عامة كتلك التي انشاها السلطان أسكيا داوود بعد ما أمر نساخ بنسخ كتب ومخطوطات[4].

ونتيجة لهذه الحركة العلمية فقد اصبحت الكتب والمخطوطات من السلع التي تباع في أسواق تنبكتو وبأثمان باهضة وهذا دليل على عظم الإقبال والتلهف لاقتناء الكتب ودليل على المكانة العلمية التي بلغتها هذه المدينة[5] لتشتهر بعلماء منها كان لهم الاثر في تنشيط هذه الحركة العلمية مثل أحمد بابا التنبكتي، وعبد الرحمان السعدي، ومحمود كعت.

---

[1]- للمزيد انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

[2]- علي محمد عبد اللطيف: مرجع سابق، ص114.

[3]- مهدي رزق الله أحمد : حركة التجارة، مرجع سابق، ص307.

[4]- أبوبكر اسماعيل ميقا: الحركة العلمية، مرجع سابق، ص ص57-58.

[5] مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة، مرجع سابق، ص309.

2- حاضرة جني :[1]

هي من المراكز العلمية والتجارية في بلاد السودان الغربي إلى جانب غاو و تنبكتو التي تبعد عنه بستمائة كيلومتر إلى الجنوب الغربي عند أحد روافد نهر النيجر [2]، ويوجد اختلاف في تاريخ تأسيسها، إلا أن السعدي يورد أنها أسست في القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي [3] ،حيث تعتبر ثالث مدينة من حيث الأهمية التجارية بعد كل من تنبكتو وغاو، دخلها الإسلام في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي زمن دولة المرابطين، لينتشر فيها في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي بعد إسلام ملكها كنبر الذي جمع العلماء واسلم على يديهم، وطلب من رعيته الذين لم يسلموا بعد أن يدخلوا في الإسلام، وهدم قصره وبنى عليه مسجدا جامع [4] .

ويذكر السعدي[5] إن هذا الملك عندما أسلم طلب من العلماء إن يدعو الله لجني بثلاث دعوات وهي "كل من هرب إليها وطنه ضيقا عسرا ، إن يبدلها الله سعة ويسرا حتى ينسى وطنه، وان يعمرها الله بغير أهلها، وأن يسلب الصبر من واردها حتى يملوا فيبيعون ما معهم بناقص الثمن فيربحون فيها، فقرؤوا الفاتحة على هذه الدعوات" كما يصف ابن بطوطة [6] الذي زار المنطقة حماسة أهل جني في أداء العبادات ودراسة القران، ووصفه ليوم الجمعة ومكانته عند أهلها بأنه يوم عظيم في العبادة، إذ لم يسرع الإنسان إلى المسجد فإنه لن يجد مكان يصلي فيه من كثرة الزحام، وهذا إن دل على شيء إنما

---

[1]- جيني: يذكر المؤرخون آراء مختلفة حول الكلمة وأصلها، فهوجين يرى ثلاثة آراء للكلمة، فالأول يقول أن جين هو أصل الكلمة غينيا (GUINEA) والثاني يقول أن غينيا مشتقة من غانا (GANA) وهو ميناء قديم على ضفاف نهر النيجر شمال مدينة فاوكادوس، والرأي الثالث يقول بأن غينيا هي غانا، ويرجح هوجين الرأي الأول بينما يرى المؤرخ الفرنسي موني ريمون، (R.MANUY) يقول أن الأصح أن تقول ديني ويلاحظ أنه يستعملها بهذه الصيغة اللفظية ولا نعلم مصدره في ذكر اللفظ بهذه الصورة لأن أه لمصادر تاريخ هذه المدينة مثل السعدي والفتاش وأحمد بابا في نيل الابتهاج تذكر الاسم بجيني : أنظر مهدي رزق الله أحمد حركة التجارة والإسلام في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 361.

[2]الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي، مرجع سابق، ص 306.

[3]- السعدي :تاريخ السودان ،مصدر سابق، ص 12.

[4]-أحمد شلبي: المرجع السابق، ج 6، ص102، وأنظر عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 403- 515 هـ-1038-1121م دار الغرب، ط1، 1988، ص200.

[5]- السعدي: مصدر سابق، ص 13.

[6]- ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ص 421 - 422 .

على روح الدين الإسلامي عند أهل جني التي تكاثرت وعظم عمرانها وأصبحت من المدن المكتظة بالسكان نظرا لمكانتها التجارية والصبغة الإسلامية التي اصطبغت بها.

كما عرفت جني حكم دولة مالي أيام ملكهم ماري جاطا ت 653هـ 1255م، الذي سيطر على المدينة وأصبحت تحت حكمه رغم مقاومة أهلها له، فحولها إلى سوق كبير لقبائل الولوف والفلان تباع فيه القماش [1]، وانتدب حكمها لحكام محليين تابعين لإدارته ، إلى أن سيطر عليها سني علي[2] 885هـ 1480م أحد ملوك دولة سنغاي بعدما حاصرها وأجبر أهلها على الدخول في طاعته ومن ثم الولاء لمملكة سنغاي إلى أن أسقطها الغزو المغربي سنة 1005هـ 1596م وأصبحت تابعة لحكمه شانها شان بقية أجزاء مملكة سنغاي.

ازدهرت الحياة العلمية والثقافية في مدينة جني في عهد مملكة سنغاي خاصة في أيام حكم الاساكي محمد وبنيه من بعده حيث أصبحت مركزا إسلاميا وثقافيا مباركا [3] ، أقبل عليها العلماء من قبائل وبلاد شتى ذكر السعدي [4] عدد كبير منهم العالم" مورمغ كنكن" الذي جاءها من بلاد كابر، الذي اشتهر بعلمه وغزارته توافد عليه عدد كبير من طلبة العلم للإفادة منه، كان نشيطا في أداء رسالته يخرج من داره في منتصف الليل إلى مقر إلقاء دروسه في المسجد الجامع بجني ويجلس الطلبة حوله يتلقون الدروس حتى إقامة الفجر ثم يعودون إليه بعد الصلاة ليستمر معهم إلى الزوال ثم يعود إلى داره لأخذ قسطا من الراحة ليعود إلى حلقة الدرس بعد صلاة الظهر ويجلس إلى العصر. كما جاء إلى جني العالم محمد سانو الونكري[5] في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي ميلادي كان فقيها عابدا صالحا قدمه الاسكيا محمد في منصب قاضي جني الذي يعتبر أول من اشتغل هذا المنصب بها إذ كان يقضى من قبل بين المتخاصمين إلاّ بالصلح عند الخطيب.كما اشتغل عدد من العلماء هذا المنصب منهم الفقيه العباس بن كب الو نكري [6] 959هـ 1551م

[1]–عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص154

[2]– عبد الرحمن زكي: المرجع نفسه،ص155.

[3]– أبو بكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، مرجع سابق، ص 223.

[4]– السعدي: مرجع سابق، ص 16.

[5]– الونكري نسبة إلى ونكر: أنظر المصدر السابق، ص 16

[6]– تولى القضاء بعد محمد سانو والسالف الذكر، أنظر مهدي رزق الله أحمد: مرجع ص 375.

بالإضافة إلى القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ والد العالمين محمد بغيغ وأحمد بغيغ وأصله ونكري كان له وأولاده دورا كبيرا في تاريخ القضاء والعلم في مدينة جني [1]. ويلاحظ إن الوجود الونكري كان كبير في جني إذ ساهم مساهمة فعالة في الحياة العلمية والثقافية كما كان لهم دور بارز في نشر الإسلام في بلاد الهوسا .

أما من ناحية المدارس التعليمية فقد عرفت جني مثلها مثل تنبكتو وجود مدارس ومعاهد لتدريس القرآن ومبادئ الدين منفصلة عن المساجد وصل عددها إلى خمسة عشر مدرسة، إلى جانب المسجد الذي بناه الملك كنبر .[2]

3– حاضرة غاو:

تقع غاو إلى الشمال الشرقي من باماكو عاصمة مالي الحالية، عند منحى نهر النيجر [3]، تبعد عن مدينة تنبكتو بحوالي أربعة مئة ميل إلى الجهة الجنوبية الشرقية [4]، عرفت في المصادر العربية بأسماء عديدة منها كوكو[5]، كاغ[6]، كاغو[7]، تأسست المدينة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الثامن الميلادي على يد جماعة من بربر شمال إفريقيا استوطنتها [8].

دخل الإسلام المدينة مبكرا عن طريق القوافل التجارية الرابطة بينها وبين شمال إفريقيا، ومصر[9]، لتعرف تطورا وازدهارا مع مرور الوقت خاصة في عهد سلطان مالي منسي موسى الذي بنى فيها مسجدا جامعا سنة 725هـ 1325م، بعد عودته من رحلته الحجية المشهورة ليستمر هذا المسجد

---

[1]– السعدي :مصدر سابق، ص 35، وانظر عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، مرجع سابق، ص 102

[2]– أبو بكر إسماعيل ميقا : مرجع سابق ، ص 223، وانظر عبد الله سالم يازينة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق،ص 146.

[3]– الهادي الدالي : مرجع سابق ، ص 309.

[4]– الحسن الوازن: مصدر سابق، ج2، ص 169.

[5]– ذكرها كل من ابن بطوطة و الإدارسي ، والمقريزي.

[6]– ذكرها كل من السعدي، وكعت صاحب الفتاش.

[7]– الحسن الوازن :وصف إفريقيا مصدر سابق، ص 169.

[8]– يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا، مرجع سابق، ص 109.

[9]– أبوبكر إسماعيل ميقا: مرجع سابق، ص 48.

في العطاء والازدهار إلى أن صار جامعة إسلامية يؤمّها العلماء والطلاب من كل مكان، مما أدى إلى اتساع عمرانها، حيث وصفها ابن بطوطة [1] الذي زارها سنة 754هـ 1353م بأنها من المدن الكبرى الكبرى في بلاد السودان الغربي وإنها ذات مكانة علمية وثقافية كبيرة .

كما بلغت أوج مجدها وعطائها العلمي على عهد حكم دولة سنغاي التي اتخذتها مقرا لحكمها وسلطانها خاصة في أيام حكم أسرة الاساكي[2]، التي عملت على ازدهارها واستقطاب العلماء مثل الشيخ بن عبد الكريم المغيلي الذي جاءها من توات سنة 903هـ 1498م، وبقي بها لمدة سنة عمل على نشر الفكر والتربية الإسلامية بين شعبها [3]، كما أفاد سلطانها محمد أسكيا بإجابة كان قد قد وجهها له على شكل أسئلة في جوانب عدّة في السياسة والمجالات الاجتماعية والدينية عرفت بأسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي [4].

كما زار غاو علماء من تنبكتو أمثال أبو المحاسن محمود بن عمر وكان عالما متفننا في علوم شتى بالإضافة إلى علماء من مصر،وفاس، وتلمسان، لتستمر غاو كإحدى كبريات المراكز العلمية في بلاد السودان الغربي إلى جانب تنبكتو وجني طيلة القرنين التاسع والعاشر الهجري الخامس عشر والسادس عشر ميلادي [5]إلى أن سقطت دولة سنغاي على أثر الغزو المغربي واستبدالها بحكم الباشوات المغاربة في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي.

[1]– ابن بطوطة: مصدر سابق، ص ص 404، 405.

[2]– يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص190.

[3]–أبو بكر إسماعيل ميقا: مرجع سابق، ص50.

[4]– للإطلاع على محتوى هذه الأسئلة وأجوبتها أنظر، زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء دراسات ونصوص، مرجع سابق، ص ص 160إلى191.

[5]– نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربي، مرجع سابق، ص 157.

4- حاضرة كانو[1]:

تعتبر من أهم مدن الهوسا تقع على بعد خمسمائة ميل شرق النيجر [2] يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عرفت الإسلام ابتداء من القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي عندما هاجر إليها وفد من قبائل الونغاراة[3] القادمة منه دولة مالي بزعامة فقيه يدعى عبد الرحمان زيتى زمن ملكهم الحادي عشر ياحي 750هـ 787هـ 1349م 1385م [4]، حيث تشير المصادر أن الوفد الونغاري كان يضم حوالي ثلاثة الآلاف وستمائة وستة وثلاثين شخصا مابين عام وقارئ، ومن هنا يمكننا تقدير مدى الأثر الذي تركه هذا الوفد من إنشاء للخلاوي القرآنية والحوزات العلمية التي كانت اللبنات الأساسية للتبادل العلمي بين بلاد الهوسة وتنبكتو وجني وحتى بعض المراكز الأخرى [5].

وفي عهد السلطان يعقوب بن عبد الله يورجا 856هـ 867هـ 1452م 1463م، شهدت هجرات الجماعات من قبائل الفلان، التي دخلت المدينة وباقي مدن الهوسا ومعها كتب التوحيد واللغة العربية، بعدما كان في السابق الاقتصار على كتب الفقه والحديث، كما ظهرت كتب في باقي فروع الدراسات الإسلامية الأخرى خاصة بعدما مكث بعض علماء الفلاني في البلاد كمرشدين ومعلمين[6]، وبعد وفاة السلطان يعقوب ومجيء ابنه محمد رامفا[7] 867هـ 904هـ/ 1463م 1499م، الذي اعتبر الإسلام دينا رسميا للدولة خاصة بعد زيارة الشيخ المغيلي للمنطقة، وقيامه

---

[1]- أشار إليها محمد بللو باسم كنو عندما تكلم على بلاد الهوسا وبعض أجزاءها، أنظر إنفاق الميسور: ص ص، 47،67،87،169.

[2]-حسن الوزان: مصدر سابق ج2، ص،173.

[3]- نسبة إلى ونغارة: وهو المكان الذي أشتهر بكثرة الذهب وجودته منذ الأزمان القديمة ،وهو مكان قرب نهر السينغال كان تحت مملكة مالي الإسلامية عندما حل الوفد الونغاري إلى كانو، أنظر أ.ي.بوفيل: المملكة الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب ترجمة زاهر رياض، القاهرة 1968،ص67، أنظر مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق، ص391.

[4]-عثمان بر ايما باري : جذور الحضارة الإسلامية ،مرجع سابق ص90.

[5]-أحمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق ص33.

[6]- مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة و الاسلام مرجع سابق ،ص395.

[5]- التنبكتي احمد بابا: نيل الابتهاج ج2، مصدر سابق ص265.

بعدّة نشاطات في الوعظ ونشر المعرفة والمشاركة فقي الشؤون الإدارية للدولة، ممّا أدّى بالملك محمد رمفا بتعينه مستشارا سياسيا له [1]، كما كان للشيخ عبد الرحمان السيوطي 849هـ 911هـ/ 1445م 1505م زيارة إلى هذه المنطقة قام بمعية الشيخ المغيلي ببناء مسجد جامع لأداء صلاة الجماعة ويكون مركزا ومعهدا للدراسات الإسلامية درس فيه علماء أمثال مخلوف بن علي بن صالح البلبالي[2] الذي عرف بحفظه لصحيح البخاري على ظهر قلب وبغزارة علمه .

وفي عهد السلطان محمد كسيوكي 914هـ972هـ/ 1509م 1565م جاء إلى كانو وفد من العلماء منهم شيخ تونس عبد السلام الذي جاء بكتاب الشفاء للقاضي عياض ومدونة سحنون، كما جاء من برنو بعض المعلمين أمثال الشيخ كرسكي والشيخ مغموي والشيخ كابي وهم إخوة اشتغلوا في التدريس والقضاء في مدينة "كانو" التي أصبحت مركزا من مراكز التعليم[3]، يقصدها الطلاب والعلماء للاستزادة فقد جاء من العلماء الوافدين إليها عالم من برنو يدعى توبي جاء لتلقي العلم على يد الشيخ تونس عبد السلام وأصبح من تلامذته الكبار في كانوا وقد أدت هذه الحركة العلمية إلى ازدياد المساجد والمراكز التعليمية في البلاد خاصة بعدما طلب الشيخ عبد السلام من السلطان كيسوكي أن يبني مسجدا جامعا فوافق على ذالك وهذا دليل على احترام السلاطين للعلماء الذين كان لهم أثر في نفوس هؤلاء السلاطين كما كان هناك من الأمراء من أثر حياة العلم والدراسة على تولي السلطة وهذا ما حصل مع السلطان ياكوفو بن كيسوكي 972هـ 973هـ 1565م الذي تخلى عن السلطة وعاش بين العلماء [4] الذين ازداد عددهم، خاصة من مناطق أخرى كبلاد المغرب، التي جاء منها الشيخ أبو بكر المغربي ،كان صاحب قدم راسخ في العلم قربه السلطان أبو بكر كادي ابن رمفا 973هـ 980هـ 1565م 1573م حيث كان يقرأ عليه الشفاء للقاضي عياض وجعل أبناؤه يتعلمون عليه القرآن ويحرص على مداومتهم على القراءة والصلوات الخمس كما بنى

---

[1]- خالدي مسعود: الجاليات العربية و البربرية في إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي)بين القرنين الخامس والعاشر الهجري الحادي عشر والسادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008-2009ص 368.

[2]- السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق، ص 39.

[3]- مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق، ص 397 .

[4]- المرجع نفسه: ص398.

مدرسة شهيرة لتعليم القرآن تسمى غورون بوغاشي[1]، والتي استمرت في العطاء والتحصيل العلمي حتى بعد وفاة السلطان أبو بكر ليأتي السلطان باو بن محمد كوكونا 1070هـ 1081هـ/ 1660م 1670م، بنى مدرسة أخرى عرفت بمدرسة بوغاشي كسكي [2] وعُرف كذلك بحبه للعلم وتكريمه للعلماء، حيث كرَّم أحد العلماء الوافدين إلى كانو مثل الشيخ عبد الله الذي بنى له دارا بالقرب منه، استمر هذا العطاء ورعاية العلماء إلى عهد السلطان باجي بن دادي 1166هـ 1182هـ/ 1752م 1768م الذي اهتم هو كذالك بالعلم والعلماء، وكان يحضر حلقات العلم بنفسه حتى صار فقيها عالما [3] محبا للعلماء، لقبته زوجته بالمعلم لافيا [4] ممّا رأته من حبه للعلم واحترامه للعلماء، لتستمر هذه النهضة العلمية في "كانو" إلى أن دخلت في صراع مع جارتها مملكة كاتسينا.

5- حاضرة كاتسينا : [5]

وتعد المدينة الثانية بعد كانو في بلاد الهوسا، و تقع إلى الجهة الشرقية منها [6]، يرجع تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، دخلها الإسلام ابتداء من القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، عندما أسلم سلطانها محمد كوارو[7] 720هـ 753هـ/ 1320م 1352م على يد قبائل الونغارة المهاجرة من دولة مالي، شأنها في ذالك شأن جارتها إمارة كانو، لتنطلق بها الدعوة الإسلامية وتأخذ مكانتها بين المراكز الإسلامية الهامة في بلاد السودان الغربي، على العموم وبلاد الهوسا خصوصا، وذلك ابتداء من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي[8] ، أين قدم إليها عدد عدد من العلماء هاجرو من تنبكتو وبلاد المغرب وتوات ومصر منهم الشيخ المغيلي الذي ظل بها مدرسا وموجها الى طريق الحق، وعبد الرحمان السيوطي الذي أقام بها زمنا يعلم الناس العلوم

---

[1]- المرجع نفسه: ص 399.

[2]- المرجع نفسه، ص 400.

[3]- أحمد كاني : الجهاد الإسلامي، مرجع سابق ص24، وانظر يحي بوعزيز تاريخ إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 137

[4]- مهدي رزق الله أحمد : المرجع السابق ، ص401.

[5]- جاءت بعدة ألفاظ منها كاتسينا عند الحسن الوزان وصف إفريقيا ج2 ص 173، وكاشنة عند محمد بللو، إنفاق الميسور، ص ص67-73، وكشن، عند السعدي في تاريخ السودان، ص 39، وكشنة عند الآلوري صاحب موجز تاريخ نيجيريا، ص79.

[6]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، مرجع سابق ص 121 .

[7] - عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية ، مرجع سابق ص 91

[8]- عبد الرحمان زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق ،ص ص 155 156.

الإسلامية وجه خلالها رسالة إلى السلطان إبراهيم ياجي ينصحه فيها ليحذو حذو الشيخ المغيلي الذي كان له دور في توجيه السياسة العامة لهذه الإمارة وباقي إمارات الهوسا وذالك من خلال كتابه نصيحة الملوك، كما زار كاتسينا العالم عمر بن محمد بن عتيق جد احمد بابا تنبكتي[1] الذي سكنها مدة قصيرة بعد عودته من الحج ظل يعلم الناس ويرشدهم، بالإضافة إلى الشيخ أحمد التاذختي 936هـ 1529م[2] الذي درس بها على يد الشيخ المغيلي وأصبح متضلع في العلوم الدينية ليتولى فيما فيما بعد منصب القضاء للمدينة، كما كانت له مؤلفات في تفسير نصوص بعض المختصرات الفقهية مثل مختصر خليل ومدونة سحنون في الفقه المالكي[3].

هذا وشهدت المدينة خلال القرنين العاشر والحادي عشر هجري والسادس عشر والسابع عشر ميلادي بروز علماء، كان لهم الأثر الكبير في الحياة العلمية والاجتماعية وحتى السياسية في بلاد الهوسا، حيث تخرجوا من مدارس وخلاوي قرآنية ذات مستوى رفيع أمثال محمد الصباغ الذي وصفه صاحب إنفاق الميسور بدهليز العلم[4]، نظرا لتضلعه في فنون شتى كانت له مؤلفات في السياسة والتربية والتاريخ منها كتابه مزجرة الفتيان الذي ألفه في التربية بالإضافة إلى قصيدة سياسية يمدح فيها سلطان بورنو إثر انتصاره على قبائل الجكن[5] الوثنية .

وكذلك من العلماء الذين كان لهم الفضل في نشر العلوم في بلاد كاتسينا والهوسا محمد الكشناوي الفلاني [6]صاحب الرحلات العلمية إلى بلدان شتى للاستزادة من العلوم ليرجع إلى بلاده كاتسينا ويتبوأ مكانته العلمية كأحد العلماء المشهورين.

---

[1]- أحمد كاني: الجهادي الإسلامي في غرب إفريقيا ، مرجع سابق ،ص 41

[2] - محمد بللو: إنفاق الميسور مصدر سابق ص57.

[3]- أحمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق ص 42.

[4] - محمد بللو: إنفاق الميسور ، مصدر سابق ، ص 75.

[5]- أحمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا مرجع سابق ص 42

[6]- نفسه، ص 43.

أما المعاهد والمدارس التعليمية التي اشتهرت بها هذه المدينة كثيرة نذكر منها مسجد هيب[1] الذي بناه السلطان محمد كوارو وهو على الطراز الغاوي نسبة إلى مدينة غاو .

معهد الحنبليين[2] الذي أنشأه شيخ يسمى محمد غيغما، وأصله من مالي كان هذا المعهد عبارة عن مدرسة لتخريج القضاة والعلوم الشرعية .

معهد "درما "[3] وقد أنشأ هذا المعهد شيخ من كاتسينا يسمى أبو بكر كان متخصص في نشر اللغة العربية وعلوم الدين، كما ظهرت عدة معاهد أخرى أواخر القرن الثاني عشر هجري الثامن عشر ميلادي، لتستمر في العطاء إلى القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، منها معهد السوق القديم الذي درس فيه الشيخ بلادن محمد بن عثمان بن محمد البكري حوالي 1243هـ 1827م.

6- حاضرة أقدز[4]:

تقع في الشمال الشرقي من النيجر، التي تبعد عنه حوالي ألف كيلومتر [5] ، في موقع استراتيجي استراتيجي هام بين الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي حيث أسست في البداية كمركز تجاري، من طرف محمد بن أحمد بن عمر من الطوارق سنة 564هـ 1168م [6] باعتبارها ملتقى للقوافل التجارية من الشمال والجنوب، جعل أغلب سكانها من العرب والمغاربة الذين يشتغلون بالتجارة، كما كانت معبر لقوافل الحج المتوجهة من بلاد مالي وسنغاي وبلاد الهوسا، ممّا يدل على أن الإسلام استقر بها مبكرا [7]، إذ هاجر إليها الكثير من العلماء منهم العالمان الشهيران محمد بن عبد الكريم

---

[1] - مهدي رزق الله أحمد : حركة التجارة والإسلام ، مرجع سابق ، ص 410

[2] - المرجع نفسه ،ص 412 .

[3] - المرجع نفسه ، ص 413 .

[4] - وردت بعدة ألفاظ منها أغدس، عند الحسن الوزان،: في وصف إفريقيا، ج2،ص171، وجاءت بلفظ أقدز عند محمد بللو: بللو: إنفاق الميسور، مصدر سابق، ص73.

[5] - الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، مرجع سابق، ص311.

[6]- بازينة عبد الله سالم: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص148.

[7]-أحمد كاني :الجهاد الإسلامي، مرجع سابق، ص27.

المغيلي ومحمد الفزاني اللذان بنى بها مسجدين أصبحا فيما بعد من منارتها العلمية التي أكسبتها شهرة علمية [1] جعلت الكثير من العلماء يرحلون إليها للاستزادة في طلب العلم، منهم العاقب بن عبد الله الانصمني المسوفي الذي درس بها على يد الشيخ المغيلي [2]، وكذلك النجيب بن محمد شمس الدين التكداوي الانصمني الذي درس بها وأصبح أحد علمائها المتضلعين كانت له مؤلفات منها شرح مختصر خليل في الفقه المالكي، والإمام محمود البغدادي [3] الذي كان عالما متبحرا في شتى أصناف المعرفة العلمية وصفه صاحب إنفاق الميسور بأنه صاحب المناقب الكثيرة والكرامات العديدة كان داعي إلى الحق لا يتكلم إلا به مما شكل له صراعات مع العديد من العلماء قتل بسببها، بالإضافة إلى الشيخ عبد الله سك [4] الذي درس على يد الشيخ البكري في برنو واستقر في أقذر متفرغا للتدريس و الإفتاء.

كما عرفت أقذر في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي بروز أحد العلماء الذين كان لهم الفضل في إعطاء حركة قوية للنهضة العلمية بهذه الحاضرة استمرت إلى ما بعدهم منهم الشيخ جبريل بن عمر الاغدامسي[5] الذي أخذ عنه الشيخ عثمان دان فودي وأخوه الشيخ عبد الله العلم، قام هذا الشيخ بإسهام كبير في الأدب والدعوة الجهادية التي تأثر بها الشيخ عثمان وكان كثير الاستشهاد بمقولاته ومؤلفاته خاصة في كتابيه المتن والقصائد ونصائح الأمة المحمدية. [6]

---

[1] – الهادي مبروك الدالي: مرجع سابق، ص119.

[2] – عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص95.

[3] – محمدبللو: إنفاق الميسور، مصدر سابق، ص65.

[4] – جاءت في حقه أبيات تشيد بمكانته العلمية منها قول الشاعر :

مدينة العلم عبد الله ذاك سك   في ذي التعدد خذ من بعده عمر.، أنظر :محمد بللو: مصدر سابق، ص74.

[5]– أحمد كاني : الجهاد الإسلامي، مرجع سابق، ص28.

[6] – عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص93.

7-حاضرة ولاتة [1]:

تقع إلى الشمال الغربي من تنبكتو ومعناها الأرض المرتفعة، تعتبر آخر مدن شنقيط من جهة الجنوب[2] ، كان أهل سنغاي يسمونها بيرو ، تأسست في القرن الأول الهجري السابع الميلادي[3]، واحتلت مكانتها كبوابة غربية لعبور التجار من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي، حيث ذكرها ابن بطوطة[4] بأنها أول" عمالة السودان "تحولت إلى سوق كبير في القرن السابع الهجري الثالث عشر عشر الميلادي عندما هاجرت إليها العناصر المغربية من غانا هربا من بطش قبائل الصوصو التي أسقطت عاصمة غانة كومبي صالح وكان معظم هؤلاء المهاجرين من التجار والفقهاء، عملوا على ازدهار الحياة الاقتصادية والعلمية بها لتتحول إلى مركز تجاري وعلمي في نفس الوقت[5]، خاصة في عهد دولة مالي في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلاد، أما في القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي ونتيجة للسيطرة السنغائية في زمن سلطانها سني علي فقد تغيرت أحوالها وهاجرها السكان من العلماء والتجار إلى مدينة تنبكتو لذلك يقول السعدي " فكانت عمارة تنبكتو من خراب بير[6]" بير[6]" لتشهد نهضة علمية وفكرية ابتداءامن النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، حيث أصبحت مركز إشعاع علمي وثقافي في قلب الصحراء[7]، هجر إليها كثير من العلماء العلماء من فاس ومراكش وتلمسان و تنبكتو وتوات هذه الأخيرة نسجت لها علاقة علمية وتجارية

1- جاءت بألفاظ مختلفة فقد كتبت بإيوالاتن عند ابن بطوطة :مصدر سابق ص 247، و جاءت والاتا عند السعدي: مصدر سابق ص 7، و جاءت بولاته عند الحسن الوزان : مصدر سابق، ص 161.

2- الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2 1958، ص 459.

3- السعدي: مصدر سابق، ص 21.

4- ابن بطوطة: مصدر سابق، ص 392.

5- قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان، مرجع سابق، ص 120.

6- السعدي: مصدر سابق، ص ص 65-66.

7- الحمدي أحمد: الوظائف الدينية بإيولاتن في عهد الإمارات القيسية، مجلة عصور تصدر عن مخبر البحث التاريخي جامعة وهران العدد 12-13.-14-15، سنة 2008-2009، ص 11.

بفضل قبيلة كنتة وشيخها أحمد البكاي[1] توفي909 هـ1504 م الذي أعطى بعدا آخر لهذه العلاقة حيث رحبت به قبيلة المحاجيب[2] التي كانت تسكن بها ليبقى عندهم معلما ومرشدا إلى أن توفي بها، لتستمر هذه العلاقة في الازدياد بعدما هاجر إليها الكثير من علماء توات ذكر منهم صاحب كتاب فتح الشكور الشيخ زيدان[3] بن الشيخ محمد بن احمد ت1202 هـ 1788 م وقد قدم إليها أربعة مرات حاملا ورد الشيخ عبد الملك الرقاني وكان رسوله إليها.

أما أشهر العلماء[4] التي أنجبتهم ولاتة وكان لهم الفضل في تنشيط الحركة العلمية بها، نجد الشيخ أحمد الوالي توفي1014 هـ1605 م الذي كان يلقب بأسد دليل كنية بالمكان الذي كان يلقي فيه دروسه، ثم خلفه من بعده ابنه عبد الرحمان ت1130 هـ1717 م، الذي كان قاضيا موصوفا بالعلم والفضائل والنزاهة، بالإضافة إلى الشيخ[5] أند عبد الله بن أحمد بن أند ت1172هـ1759 م وكان بدوره قاضيا لولاته ومفتيا.

وكان من قبيلة المحاجيب، العالم عمر ماما ت1201 هـ 1786 م الذي حبس أكثر من أربعين سنه في مهنة الإمامة والتدريس، خلفه من بعده ابنه محمد عبد الله ت1214 هـ1799 م والذي1219هـ1805 م مكث بدوره مدة اثنا عشرة سنة إماما ومدرسا[6] كما اشتهر من علماء

1- جعفري مبارك: مرجع سابق، ص 253.

2- يطلق هذا الاسم على ثلاث قبائل تظاهروا و تعاقدوا في ولاتة و هم أولاد الفقيه عثمان بن يحي بن نيومن ثانياً آل آندا عليه ونسبهم إلى محمد بن الحنيفة، الإمامات و نسبهم إلى الصحابي سعيد بن العاص، وذكرت بعض المصادر أن المحاجيب خاصة بأولاد الفقيه عثمان لأن نسائهم لا يتزوجن بالأجانب و لا يخرجن من البيوت، و حسب الراوية الكنتيه فإن الشيخ أحمد البكاي عندما قدم ولاته في القرن التاسع الهجري، هو الذي فرض الحجاب على نساء ولاته، و هناك رواية تقول أن المحاجيب من أصل المحتد الفهري الذي ينتسب إلى عقبة بن نافع الفهري جد الكنتيين، لكن الواضح أن المحاجيب من أصول مختلفة بعضها سوقي و البعض الأخر عربي، انظر: الكنتي محمد الخليفة : الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص ص 235-236.

3- البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 100.

4- أحمد الحمدي، الوظائف الدينية بإيولاتن، مرجع سابق ص 17.

5- البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 27 و ما بعدها.

6- الحمدي أحمد: مرجع سابق، ص 17.

المنطقة الشيخ أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي ت1219هـ 1805 و هو صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور والذي صنفه لتراجم علماء المنطقة والذين جاءو من خارجها كاهل توات وبلاد المغرب .

أما أماكن الدراسة وحلقات التعليم فكان في ولاته المسجد شأنها شأن المدن الأخرى ،حيث كان المسجد أهم مؤسسة تعليمية مفتوحة لكل المتعلمين، يتولى الإمام مهمة التدريس بها حسب جدول زمني محدد يبتدئ بقراءة الحزب الراتب وكتاب صحيحي البخاري والشفا، ثم يتولى الإمام شرحه أو أحد كبار العلماء، لينتقل التعليم في هذه المدينة إلى أكثر تخصص، و أفردت له منازل خاصة مثل منازل العلماء التي اعتبرت بمثابة معاهد ومدارس عليا، للطلبة الملازمين للشيوخ لاسيما من أكملواْ تعليمهم و أصبحواْ مكلفين بإلقاء الدروس نيابة عن الشيخ[1] .

8-حاضرة شنقيط:[2]

وهي حاضرة من حواضر موريتانيا الحالية تقع في منطقة أدرار" أفوغاسن" إلى الشمال من غرب موريتانيا، تأسست سنة 660 هـ1261 م[3] على يد قبيلتي إيدوعلي[4] و الأغلال[5] وذلك على

1- المرجع السابق: ص 18.

2- تكتب بالقاف والجيم ومعناها عيون الخيل، أنظر الشنقيطي أحمد بن الأمين ، المرجع السابق،ص422.

3- الكنتي محمد الخليفة : الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص276.

4- قبيلة عريقة في العلم والمكانة ينتهي نسبهم إلى يحي بن علي الذي تفرع من ولديه، إبيجه بن يحي وأحمد بن يحي،كانت لهم محاضر علمية تعدت شهرتها حدود موريتانيا، أنظر أحمد الطالب إبن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة، مصدر سابق، ص44، وانظر الرسالة الغلاوية، ص188.

5- الأغلال أو الاقلال من قبائل الزوايا المشهورة بموريتانيا يجتمع أغلب بطونها عند محمد قلي وهو رجل عاش في القرن السابع الهجري وينسب إلى أبي بكر الصديق (ض)، تعتبر شنقيط موطنهم الأصلي منذ بداية تشكلهم القبلي،و كانوا أهل محاضر ومكتبات عامرة، وأئمة وقضاة، أنظر، ابن طوير الجنة: مصدر سابق، ص73.

أنقاض مدينة اندثرت كانت تعرف بأبير ، كما عرفت المدينة وفود قبائل عربية مثل قبيلة المغافرة[1] ابتداء من سنة 1040 هـ 1630م.

برزت شنقيط كمركز علمي في الصحراء الكبرى ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، حيث اشتهرت بمحاضرها التي بوأتها مكانة علمية[2]، تخرج منها علماء كان لهم باع علمي كبير، أمثال أحمد أكد الحاج ت 1086هـ 1675م والقاضي أبو عبد الله ت1103هـ 1691م والشيخ محمد بن المختار بن الأعمش ت1107هـ1695 م[3] .

أما في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي فقد برز من العلماء الخليفة بن أحمد أكد الحاج 1188هـ1775م، و أحمد بن الحاج حمى الله[4] ت1193هـ1779 م وابنه عبد الله ت1209هـ1794 م كما عرفت شنقيط بمدينة الشعراء، نظراً لكثرتهم فيها، فقلما تجد بيت من بيوت شنقيط إلا ونجد فيه شاعراً ، ومن أبرز هؤلاء الشعراء الشيخ محمد بن أحمد الإداوعلي

[1]– المغافرة هي مجموعة هامة من بني حسان تتفرع عنها عدة قبائل، وتنسب إلى مغفر بن أحمد بن حسان ولمغفر أربعة أولاد هم عثمان ومنه أولاد مبارك بن أحمد بن عثمان وأولاد داوود بن أمحمد وأولاد يحي بن عثمان، ومن عمران بن عثمان تفرعت داودات والبراكنة والترارزة، وثاني أولاد مغفر ناصر جد أولاد الناصر، وثالثهم أرميث جد الرميثات والرحاحلة والبيدات، والرابع هو خليفة ليس له عقب، والمغافرة هي إحدى القبائل العربية انطلقت من صعيد مصر و طوقت بلاد المغرب حيث خرجت قبائل بني حسان من المغرب الأقصى في عهد دولة بني مرين ووقعت بينها وبين سكان البلاد صراعات ألت إلى تغلب بني حسان وتقسيمهم البلاد إلى إمارات ورئاسات منها إمارة أولاد أمبارك في الحوض، إمارة أحياء بني عثمان في أدرار، إمارة البراكنة في وسط البلاد، إمارة الترارزة في القبلة (الجنوب الغربي)، إمارة أولاد الناصر في الحوض ووسط البلاد، أنظر ابن طوير الجنة، مصدر سابق، ص49، وأنظر النحوي خليل: شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص22.

[2]– الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مصدر سابق، ص ص 517–520، وأنظر النحوي خليل: شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص ص48–60.

[3]– ينظر الفصل الثالث قضاة شنقيط.

[4]– أحمد بن حمى الله بن بوز بن بوا طبول الحاجي، من إداولحاج أولاد أمحمد بن الحاج، وجده بوز بوا طبول التيشتي وطنا كان عالما جليلا له مؤلفات منها تلخيص التفتيش في أنساب قريش، والعريش في كلام ابن مشيش، والمشاع في كلام ابن رفاع، انظر ابن طوير الجنة: مصدر سابق، ص75.

الشنقيطي[1] ت قيل 1198 هـ1784 م الذي ولد بشنقيط وتعلم بها ثم رحل إلى توات واستقر بها،كانت له رحالات منها رحلته إلى تنبكتو التي توفي بها .

أما الخزائن والمكتبات فقد كانت بكثرة أشهرها[2] مكتبة أهل حبت، ومكتبة أهل أحمد الشريف، و أهل السبتي، و أهل الخرشي

. 2- نظرة عن القضاء قبل الفترة محل الدراسة:

تعريف القضاء:

لفظ القضاء مصدر جمعها أقضية، وقضايا، وقضى يقضي قضاء، أي حكم[3]، والقضاء ممدود ومقصور، وقضى عليه قضاء وقضيا، ورجل قضى سريع القضاء واستقضى، صار قضيا[4].

ولفظ القضاء لفظ مشترك لعدة معان تستعمل بدلالات مختلفة، فقد يكون دالا على انقطاع الشيء وتمامه يقال قضى الحاكم، إذا فصل في الحكم مثل قوله تعالى:" قضي الأمر الذي فيه تستفتيان"[5]وقضى دينه، أي قطع لغريمه قبله بالأداء، وقضيت الشيء أي أحكمت عمله منها قوله تعالى :" إذا

---

[1] الشيخ محمد الاداوعلي: هو محمد بك العلوي بن محمد بن كل بن نال بن يحي ويصل نسبه إلى الحسن المثنى بن علي (ض) بن أبي طالب، ولد بشنقيط ثم انتقل منها إلى توات وكان أول العلويين الشناقطة دخولا لأرض توات على ما يروى كان شاعرا فحلا له ديوان شعري ضخم ضمنه قصائد مختلفة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف بشاعر المديح النبوي، عاش متنقلا بين أرض شنقيط وتوات وعاصر في منطقة توات الشيخ أبونعامة بتدكلت كانت له قصة مشهورة معه أثناء صفره إلى الحج أرخ لها في قصيدة شعرية، استقر في توات واتصل بعالمها آنذاك الشيخ البكري ثم رحل إلى تافيلالت بالمغرب واتصل بعالمها الشيخ الغازي، وبعد عودته من تافيلالت استقر بتمنطيط ثم انتقل بعدها إلى قصر أعبابي وهناك أسس مسجده ومدرسته القرآنية وأنجب ابنه إبراهيم المدفون في قصر أعبابي المدفون بقصر أعبابي حاليا. وفي نهاة حياته إلى تنبكتو وبها توفي وصلى عليه جمع غفير وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن المبروك البوداوي، أنظر جعفري أحمد أبا الصافي: الحركة الأدبية في منطقة توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب، قسم الأدب، جامعة تلمسان، 2006-2007، ص321.

[2]- جعفري مبارك: العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص258.

[3]- ابن منظور: لسان العرب ج2، ص ص48،41.

[4]- الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج4، ص 371.

[5]- سورة يوسف، الاية 41.

قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون" [1] أي أحكمه وأنفذه، وقد يأتي بمعنى الأمر والحكم[2] مثل قوله تعالى" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما"[3]، وقد يأتي بمعنى الوعد والأجل مثل قوله تعالى"وهو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا "[4]، وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء مثل قوله تعالى " وقضينا إليه ذلك الأمر"[5] أي انتهيت إليه وأبلغناه ذلك، وقد يكون بالمعنى الصنعي والتقدير [6] يقول قضاه أي صنعه وقدره ومنه ومنه قوله تعالى:" فقضاهن سبع سموات"[7]، ومنه القضاء والقدر.

ومن خلال هذه التعريفات يتبين أن القضاء معنى واسع يؤول إلى إمضاء الشيء وإحكامه أو اتمامه والفراغ منه قولا أو فعلا وهو ما ذهب بعض العلماء "قد أكثر أئمة اللغة في معناه، وآلت أقوالهم إلى أنه إتمام الشيء قولا وفعلا" والمراد هنا أن القضاء هو الحكم لغة[8].

اصطلاحا: لم يتفق العلماء على معنى معين للقضاء من الناحية الاصطلاحية بل تعددت آراءهم في هذا الصدد.

- "القضاء هو الفصل في الخصومات وقطع المنازعات على وجه مخصوص"[9].
- وقد عرفه ابن رشد المالكي بأنه "الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام"[10].

---

[1] -سورة البقرة، الاية 117.

[2] - مليحي أحمد محمد: النظام القضائي في الإسلام، الدار التوفيقية النموذجية، القاهرة، مصر، ط1، 1984، ص19.

[3] - سورة الإسراء، الاية 23.

[4] - سورة الأنعام، اللآية 2.

[5] -سورة الحجر ،الاية 66.

[6] -ولد النين مصطفى: القضاء حكمه وضوابطه: مذكرة المتريز في العلوم الإسلامية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، الإسلامية، أنواكشوط، موريتانيا، 2003-2004،ص07.

[7] - سورة فصلت، الاية 11.

[8] - الزحيلي محمد : تاريخ القضاء في الاسلام ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر،دمشق سوريا، 1995، ص10.

[9] - القرطبي ابن فرج : أقضية الرسول (ص)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة مصر، ط 2، 1982،ص09.

[10] -ابن فرحون: تبصرة الحكام ج1، مصدر سابق ، ص12.

- "صفة حكمية توجب لموصوفها نفود حكمه الشرعي ولو بتعديل أو تجريح لا في عموم مصالح المسلمين"[1].
- عرفه التهانوي:" قول ملزم يصدر عن ولاية عامة"[2].
- الإلزام مما له ولاية الإلزام بحكم الشرع في الوقائع الخاصة فخرجت الشهادة والفتوى"[3].
- "القضاء هو فصل الخصومة بين خصمين فأكثر، بحكم الله تعالى"
- "هو إمضاء الشيء وأحكامه"[4].

ويستفاد من هذه التعريفات أنها تتفق على إلزامية القضاء وهي متقاربة جدا فيما بينها على عكس الفتوى التي لا إلزام فيها، وإن هذا الإلزام هو موجب حكم الشرع، فليس بقضاء فصل الخصومات بغير أحكام الله المستقاة من مصادرها المعروفة.

وهي كتاب الله وسنة رسوله، كما أن بعض التعريفات أرجعته إلى ما يوفد إليه كفض النزاعات، وبعضها إلى جهة صدوره وكلاهما يتفق والمقصد العام القضاء.

مشروعيته والحكمة منه:

ولاية القضاء في الإسلام من أقوى الفرائض بعد الإيمان بالله تعالى، وهي من أكثر العبادات، وأفضل القربات فالقضاء من عمل الرسل عليهم السلام لذا كان الأصل في مشروعيته هو كتاب الله وسنة رسوله وإجماع علماء الأمة، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى" يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"[5]، وقوله تعالى " إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات إلى أهلها وإذا وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا"[6]، وكذلك

[1] - الزحيلي محمد : مرجع سابق، ص11.
[2] - القرطبي ابن فرج: مصدر سابق، ص09.
[3] - ولد النين مصطفى: مرجع سابق، ص08.
[4] -الزحيلي محمد : المرجع السابق، ص 13.
[5] - سورة ص، الاية 26.
[6] - سورة النساء، الاية 58.

وكذلك قوله تعالى:" وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين"[1] وقوله تعالى: " فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"[2] أما من السنة ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم الإمام العادل" أي الذي يحكم ويعدل بين الناس[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله لا يقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيهم حقه" [4]وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء بالعدل من النعم التي يباح الحسد عليها فقال عليه الصلاة والسلام "لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله مالا فسلطه على ملكته في الحق وآخر أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعمل بها"[5] وقوله صل الله الله عليه وسلم "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[6].

وما رواه الإمام علي [7]رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن لا علم لي بالقضاء، فقال إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، وإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضي حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبن لك القضاء، قال فمازلت قاضيا، أو ما شككت في قضاء بعد، وما رواه معاذ [8]بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال "كيف تصنع إن عرض لك القضاء، قال أقضي بكتاب الله، قال فإن لم يكن في كتاب الله قال فبسنة رسول الله، فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال اجتهد رأي ولا آلو (أي لأقصر) فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدر معاذ وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله".

---

[1]- سورة المائدة، الاية 42.

[2]- سورة النساء، الاية 65.

[3]-أخرجه البخاري، في كتاب الأذان باب من جلس ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ص 42.

[4]- أخرجه البخاري، في التمني والأخلاق، ص 17.

[5]- أخرجه البخاري بحاشيته السندي ،ج4،ص184.

[6]- رواه ابوداوود،السنن ،ج2،ص272،الزحيلي محمد ،مرجع سابق ،ص27.

[7] - أبو داوود، السنن،ج2،ص ص 270-273، القرطبي ابن فرج، مصدر سابق، ص82.

[8]- ابن فرحون: تبصرة الحكام، مصدر سابق، ص12، ولد النين مصطفى، مرجع سابق، ص08.

الحكمة منه:

أما الحكمة من القضاء تشتمل في المقصد الرباني الذي وضعه للبشرية كنظام شامل لسعادتهم في الدنيا والآخرة، وهي تتجلى في درى المفاسد وجلب المصالح، ومن حكمه رفع الظلم الذي يقع بين الناس، وقمع الظالم أي كان موقعه وظلمه.

قطع الخصومات، والعدل والتوازن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تحقيق العدل وإقامة القسط، وحفظ الحقوق والأمن والمحافظة على الأنفس والأموال وإقامة الحدود والأحكام.[1]

والقضاء من الوظائف الهامة في حياة الأفراد والدول وقد أشار إلى أهميتها البناهي[2] بقوله " وخطة القضاء بنفسها عند الكافة من أسنى الخطط، فإن الله تعالى قد رفع درجة الحكام وجعل إليهم تصريف أمور الأنام يحكمون في الدماء والأبضاع والأموال والحلال والحرام وتلك خطة ومن بعدهم من الخلفاء فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء، وقد اعتبرها ابن خلدون [3]من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأن منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه بالإحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان ذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها.

أركان القضاء: للقضاء ستة أركان نجملها فيما يلي[4]:

القاضي وسمي الحاكم وهو من له سلطة الحكم بين الناس في منازعهم وخصوماتهم فيعتبر الإمام قاضيا، بل هو رئيس القضاة لأن سلطة القضاء بيده ويعد القاضي ركنا ركينا في القضاء ولا يتم القضاء إلا بوجوده.

---

[1]- المصدر نفسه.

-[2]البناهي أبو الحسن بن علي المالقي: تاريخ قضاة الاندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا،تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت،ب.ت.ط، ص02.

-[3]-ابن خلدون عبد الرحمن :المقدمة ،مصدر سابق ،ص220.

[4]-بعثمان عبد الرحمن: نظام القضاء في توات خلال القرنين 11-12هـ-17-18م،اطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية ،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية ،جامعة وهران 1احمد بن بلة ،2015-2016،ص ص 24-25.

المقضي به: ويسمى المحكوم به، وهي الأحكام الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع أو ما جرى به العمل.

المقضي له: وسمي بالمحكوم له وهو صاحب الحق.

المقضي عليه: وهو المحكوم عليه، أو المدعي عليه وهو كل من توجه عليه حق وذلك إما بإقرار أو بشهادة اليمين.

المقضي فيه: وهو القضاء أو القضية التي هي مدار الحكم[1].

الشروط الواجب توافرها في منصب القاضي:

يعتبر القضاء من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقط عن الآخرين، وإن تركت أثم الجميع على تركها، وقد يصبح واجبا عينيا على من انفرد في زمان ومكان ما بالصلاحية له، ونظرا لعظم هذه المسؤولية وأهميتها في حياة المجتمع الإسلامي فقد وضعت شروط لابد من توافرها في متولي هذه المرتبة[2]وهي:

- أن يكون بالغا عاقلا، فالصبي قبل البلوغ لا يجوز توليته القضاء ولا يصح قضاءه أن ولي، وكذا المعتوه والمختل عقليا، مهما كان سبب اختلاله ونوعه لا تجوز توليتهما ولا تتنفذ لهما أحكام بل يجب أن يكون القاضي راجع العقل فطنا بعيد من البله والتغفل، قادر بذكائه على تبيين سبل الحق وكشف حيل أهل الباطل.
- أن يكون فقيها عالما بالأحكام الشرعية فإن وجد مجتهد مبرز في معرفة الأحكام مؤهل لاستنباط الأحكام من مصادر التشريع فهو الأجدر باتفاق العلماء مع أنهم اتفقوا على أن الفقيه الغير المجتهد يتولى القضاء لصورة شرعية إذا لم يوجد مجتهد، واختلفوا في جواز تولية المقلد في حال وجود المجتهد، كما اختلفوا في جواز تولية في حال وجود مقلد آخر أمثل منه.

-[1]-ابن فرحون : مصدر سابق ،ص93.

[2]- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حسين: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ،ط1 ،1989،ص88 ومابعدها، ولد السعد محمد المختار، تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال ،المدرسة الوطنية للادارة ،انواكشوط موريتانيا ،دت،ص17.

- أن يكون مسلما حرا[1]، فلا تجوز تولية غير المسلم للقضاء بين المسلمين، ولا تصح إلا إذا ولي خطأ ولا تنفذ أحكامه، كما أن غير الحر ليس أهلا لولاية القضاء ولا هو كامل الشهادة، وبما أنه ليس كامل الشهادة فمن أولى ألا يحكم إما إذا فيجوز ولايته.
- أن يكون عدلا لم يرتكب كبيرة؛ لأن الفاسق متهم في دينه ووظيفته، ولا تصح أحكامه ولو جاءت سليمة على المشهور، كذلك أن يكون صادقا اللهجة ظاهر الإمامة متعففا عن الحرام متوقيا للشبهات يتجنب ما يخل بمروءته، مؤمنا في الرضا والغضب.
- أن يكون ذكرا لا أنثى، فأغلب الفقهاء يمنعون تولية المرأة للقضاء ويبطلون قضاءها وخاصة في الحدود والقصاص، ولأن المرأة تنقص عن كمال الولايات وقبول الشهادات، وقال الماوردي وشذ ابن جرير الطبري فيجوز قضاءها في جميع الأحكام، وأجاز بعض الفقهاء ولايتها في بعض المسائل المالية بينما ذهب الأحناف غلى جواز توليتها فيما تصح فيه شهادتها وهي فيما سوى الحدود والقصاص.
- أن يكون معفى الحواس، أي سليم السمع والبصر، والكلام، فلا تجوز تولية الأعمى والأصم والأبكم للقضاء، لأن ذلك مانع من معرفة المقضي عليه أولا، لأن هذه الحواس هي التي تمكنه من معرفة ما يقضي فيه أو له أو عليه، وهي آلة العلم قال تعالى:" وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون"[2].

<u>**آداب القاضي**</u>: ينبغي للقاضي أن يتوفر على مجموعة من الآداب تؤهله لهذا المنصب إلى جانب الشروط الواجب توافرها، السالفة الذكر وهي[3]:

- أن يكون أعدل أحواله في المجلس الشرعي وغير غضبان ولا جائع ولا شبعان ولا حاقن ولا مهموم بما يشغله عن فهم الدعوى من المدعين، كما يجب عليه عدم الضجر وقت القضاء، لقوله صلى الله عليه وسلم:" لا يقضي الحكم بين اثنين وهو غضبان"[4].

-[1]-القرطبي ابن فرج : اقضية الرسول (ص)،مصدر سابق ،ص ص 36-37.

-[2]سورة النحل ،الاية 78.

-[3]-البناهي : تاريخ قضاة الاندلس ،مصدر سابق ،ص ص 4-7.

-[4] -اخرجه ابوداوود في السنن ،في كتاب الاقضية ،باب كيف يجلس الخصمان بين يدي القاضي ج3،ص302.

- ألا يرفع صوته على أحد الخصمين دون الآخر لقوله صلى الله عليه وسلم:" من ابتلى بين المسلمين فلا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لم يرفع على الآخر"[1].
- أن يسوي بين الخصمين، أي بين الرفيع والوضيع بل يجب أن يكون متساويين، فلا يرفع أحدهما عن الآخر، ولا يجلس أحدهما بجواره ولا عن شماله، أو يمينه، بل يجلسهما في مكان واحد وعلى مستوى واحد.
- أن يكون مجلسه غير بعيد وفي مكان معلوم ومشهور حتى يصل إليه القوي والضعيف.
- أن يشاور أهل العلم في مسائل الخلاف.
-
- ألا يقضي حتى يسمع للخصمين فلا يسمع لأحدهما حتى يحضر الآخر ولا يقضي للأول حتى يسمع للثاني لقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه" إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقضي للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف تدري كيف تقضي"[2].
- أن يختار الكتيبة والموثقون والمستشارين من أهل الفضل الأمناء.ألا يقضي لأحد أقاربه سواء كانوا من الأصول أو الفروع بل يعين قاض آخر لذلك.
- ألا يقضي لعدوه ويجوز له أن يقضي له.
- أن يزجر من تعدى من المتخاصمين على الآخر في مجلس الحكم.
- ألا يبيع ويشتري في عروض التجارة، وقد اختلف في هذه المسألة بين العلماء إلى منع بيع وشراء القاضي مطلقا مستندين إلى قول عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري حين ولاه القضاء " ولا تبعن ولا تبتاعن ولا تشتري" لأن القاضي هيبته يجب أن تحترم ويعطى له من المال ما يكفيه عن هذا بل ذهب إلى أن هذا مكروه في حق القاضي، ويجب عليه أن يولى رجلا مأمونا غير معروف بأنه يبيع ويشتري له، فيما اشترى منه.
- أن يتجنب مجالس الناس والتجمعات؛ لأن ذلك ينقص من مروءته ومكانته.
- أن يتجنب الولائم إذا كثرت وازدحمت؛ لأن ذلك يشغله عن مهنته.

---

[1] -اخرجه مسلم ،في صحيحه ،كتاب الاقضية باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان ،ج2،ص122.

[2] -أخرجه أبوداود، في كتاب الأقضية باب كيفية القضاء ،والترميذي في كتاب الاحكام ،وابن ماجة في كتاب الاحكام ،باب ذكر القضاء .

- ألا يقبل الهدية وألا يطلب من الناس حوائج؛ لأن ذلك مدعاة للمحاباة والشك، إلى آخرها من الآداب التي تشترط فيمن تولى مهمة التقاضي بين الناس.
- **أنواع القضاء:** بتشعب قضايا المجتمع الإسلامي اختص القضاء بعدة اختصاصات وأنواع يمثل كل نوع منها مرتبة من مراتبه وهي ثلاثة أنواع.

أ-**القضاء العام:** (قضاء الخصومات)، وهو الذي يتمثل في الفصل بين الخصومات والنزاعات المتعلقة بحقوق الأفراد بعضهم مع بعض في عقودهم ومعاملاتهم مع الالتزام بالأحكام الشرعية[1]، ويشترط فيه تقديم دعوى كما يحتاج إلى مجلس قضائي: وقد لخص الدكتور وهبة الزحيلي[2]مهام هذا النوع في النقاط التالية:

- الفصل في الخصومات وحسم النزاعات ورد الحقوق إلى أهلها.
- الحكم في جميع الجنايات وإقامة الحدود على مرتكبيها.
- اثبات الولاية على عديم الأهلية كالمجنون والصغير والحجر على ناقص الأهلية.
- النظر في الأنكحة والطلاق والنفقات والميراث.
- الإشراف على الأوقاف والعناية بها وصرف مواردها إلى أصحابها[3].
- تنفيذ الوصايا عن شروط الموصى فيما لم يخالف الشرع.
- تزويج الآيامي بالأكفاء إذا عد من الأولياء وأردن التزويج.
- النظر في المصالح العامة والاهتمام بها ومنع كل من يؤدي إلى الإخلال بها.

ب-**قضاء المظالم:**[4]ويقصد بها ولاية المظالم التي انشئت في الدولة الإسلامية وهي قضاء استثنائي ذا أهمية ينحصر اختصاصها في النظر في دعاوى الناس المرفوعة إلى الخليفة أو الوالي أو من ينوب عنهما لترفيع عنهما الظلم الذي حل بهما من موظفي الدولة وأجهزتها، ويعرفها

---

[1]- القضاء في مكة قديما وحديثا ،ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ،جامعة أم القرى ،مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية، 17-19- سبتمبر 2005،ص ص 46-47-48.

[2]-بوغدادة الأمير: المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني القضاء أنموذجا، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة،2008،ص66.

[3]- وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته ج6، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1985، ص750.

[4]- الماوردي: الاحكام السلطانية، مصدر سابق، ص ص 94-95.

ابن خلدون [1] بأنها "وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة و..... القضاء وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز القضاة " وتنقسم المظالم إلى قسمين:، ظلم الولاة، وال.... والموظفين، وظلم الأفراد .... للرعية[2]، وقد أنشئ ديوان للمظالم اسند إلى رجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم قاضي المظالم وكان الإمام علي رضي الله عنه أول من نظر في المظالم وأرسى العدل خصص لها يوم للنظر في أحوال المتظلمين، أما في العصر الأموي فقد عرف قضاء المظالم في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وكان بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز وفي العهد العباسي كان المنصور أول من نظر في المظالم ومن بعده المهدي والهادي، والرشيد والمأمون، وآخر من جلس إليها الخليفة المهتدي الذي بنى قبة المظالم ليجلس فيها للنظر في التظلمات وإعادة الحقوق إلى أصحابها.

اختصاصات قاضي المظالم[3]: انفراد قاضي المظالم بجملة من الاختصاصات تميزه عن القاضي العادي أهمها:

- النظر في القضايا التي يقيمها الأفراد والجماعات على الولاة إذا انحرفوا عن طريق العدل والإنصاف .
- تنفيذ ما يعجز القاضي والمحتسب عن تنفيذه من الأحكام.
- مراعاة إقامة العبادات كالحج والأعياد والجمع والجهاد.

أ-**الحسبة**[4]:

تعريفها في اللغة: هي من الاحتساب بمعنى إدخال الأجر ويكون بمعنى حسن التدبير والنظر، فيقال فلان حسن الحسبة في الأمر، أي حسن التدبير والنظر فيه، واحتسب عليه ومنه المحتسب.

[1]-كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي شنقارو: الحضارة العربية والنظم، الدار المصرية اللبنانية، مصر، لبنان، المكتبة الجامعية، غريان، ليبيا، دت ، ص64.

[2]- ابن خلدون :مصدر سابق، ص392.

[3]-كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي شنقارو: مرجع سابق، ص 65.

[4]-حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن: النظم الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، دت ، ص 296، الماوردي: الاحكام السلطانية، مصدر سابق، ص ص 102-103.

أما في اصطلاح الشرع: فهي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله، قال تعالى: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"، وقد عرفها ابن خلدون بأنها وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهي تشترك مع القضاء حيث كانا يستندان إلى رجل واحد مع ما بينهما من التباين والفروقات، حيث أن عمل القاضي مبني على الأناة والتحقيق في الحكم، بينما عمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل.

شروط المحتسب: وهي نفس الشروط الواجب توافرها في القاضي مع توافر القدرة على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف واستطاعة الإلزام.

عمل المحتسب: وهي المهام الموكلة إليه:

- مراقبة الأسواق والإشراف عليها خاصة في تنظيمها ومراقبة الموازين، والأسعار.
- الإشراف على الآداب العامة، كالسكر، والكلام البذيء، والتبرج وكل ما يخدش الحياء العام. ويسيء بأخلاق المجتمع وآدابه.
- مراقبة أصحاب المهن والحرف والصنائع، كالنجارين والحدادين، والصفارين الأطباء، والصيادلة.
- مراقبة الطرق وحمايتها من الاعتداء عليها أو اقتطاع بعض منها.
- الإشراف على شؤون أهل الذمة الموجودين في البلاد الإسلامية من اليهود والنصارى ومراعاة حقوقهم.
- الإشراف على النظافة والصحة العامة للمدينة، من رمي الأوساخ في الساحات العمومية.
- الإشراف على الحيوانات من تعذيبها، أو تجويعها.
- الإشراف على الجنائز وشؤون المقابر.
- مراقبة الجدار الآيل للسقوط، وإسقاطها لكي لا تحدث ضرر للأفراد.
- مراقبة أداء العبادات مثل الجمعة والجماعات وحرمة شهر رمضان.

هذا وقد ظهرت هذه الوظيفة في الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي يعتبر أول من وضع نظام الحسبة وقد قام بدور المحتسب، عندما رؤى يضرب حمالا ويقول له

حملت جملك مالا يطيق، كما عرفت هذه الوظيفة في العهد الأموي في تنظيم الأسواق فأطلق على الشرق الخاص بها باسم العامل على السوق، وانحصرت وظيفة في مراقبة الموازين والمكاييل والأسعار، لتعرف تنظيما أكثر في العهد العباسي وبحيث أطلق على صاحب هذا العمل اسم المحتسب وذلك في عهد الخليفة المهدي 158هـ / 169م) أما في بلاد المغرب والأندلس فأطلق عليه اسم صاحب السوق مع تعدد اختصاصاته.

1-القضاء في عهد مملكة غانة :

لم يكن لدى أهل السودان قانون مدون يحكمون به، ويحدد نظامهم ،ويضع قواعد قضائية للقضاة ،وإنما كانوا يحفظون في صدورهم ما توارثونه عن أسلافهم من أساطير وأعراف متواترة بينهم وهي التي كانت تعد بمثابة أنظمة وقوانين ثابتة لا يجوز مخالفتها، لأنها مبنى القضاء عندهم [1].

وقد ارتبط القضاء في هذه المجتمعات بشخص الملك لا لكونه يجسد العدالة في بعدها الاجتماعي فحسب بل وإنما لكونه يمثل رمز القوى الحيوية التي تتحكم في العلاقات بين الأفراد، لذا كانت القوانين القائمة على العرف هي قوانين إلزامية لا يصح الإخلال بها مهما كانت الدوافع والأسباب، كما أن احترام الناس للأعراف كان مصدره الشدة والمحن التي يمر بها المدعى عليه لإجباره على الاعتراف بجرمه، ثم قسوة العقوبات التي تنزل بالمذنب [2].

أما نظام القضاء عندهم وطريقة فصل الخصومات فالملك هو قاضي القضاة أو القاضي الأكبر الذي يرجع إليه أمر الفصل في القضايا خاصة الكبرى، إضافة إلى وجود زعماء القبائل وأكابر العشائر الذين كانوا يتولون بدورهم حل القضايا الخاصة بقبائلهم والتي لا يجوز لكل فرد مخالفتها [3].

[1] - ميقا أبوبكر اسماعيل: نظام القضاء في دولة سنغاي في عهد ملوك آل اسكيا ، مجلة الدارة السعودية، عدد2،مج 21، 1995،ص 238.

[2] - بن رمضان زوليخة: المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين القرنين 05و10هـ-11و16م، ج1، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب 2015، ص253.

[3] - ميقا أبو بكر إسماعيل: مرجع سابق، ص238.

وقد صور لنا البكري [1]نماذج من للقضاء الغاني في العهد الوثني ،حيث كانت العقوبات المسلطة على الجاني تختلف حسب الجرم المرتكب فالمدعي عليه بجرم في السرقات أو الدماء يخضع لعقوبة الماء التي يعرف من خلالها إذا كان بريئ أم جاني "وببلاد غانة حكم الماء وذلك من ادعى عليه بمال أو دم أو غير ذلك عمد أمينهم إلى عود فيه حراقة ومرارة ودقة وصب عليه من الماء قد، وساق المدعى عليه فان رماه من جوفه علم أنه بريئ وهنئ وإن لم يرمه وبقي في جوفه صحت الدعوة عليه "، كما كانت العقوبات في السرقات أن يخير صاحب السرقة أن يبيع السارق أو يقتله، أما في جنايات القتل فكان يتعرض صاحبها للصلب حتى الموت، إضافة إلى وجود النفي من البلاد لمرتكب جريمة تستحق القتل وخيف أن يقتل وتقوم فتنة أو حروب بين القبائل[2]، أما في الزنا فكان يعاقب الزاني بصور متعددة من العقوبات تختلف حسب درجة الواقعة وحكمها ،وقد يتعرض الزاني للقتل على يد الزوج أو أحد أقاربه ومثل هذا الجزاء لا يتبع عنه ثأرا ولا يقتضي دية في العادات والتقاليد السودانية ،وقد ينجو الزاني من القتل لكن يتعرض لجزاء من نوع آخر وهو تفقأ عيناه أو تصلم أذناه، أو تقطع شفتاه، أو تهشم ساقاه، ومن الشائع عندهم خصاء الزاني أو قطع أحد أعضائه التناسلية، أما الجزاء الأكثر شيوعا هو التعويض على الزنا وتختلف طبيعة الأموال حسب المجتمعات والقبائل[3]، فالتي تمارس الزراعة والرعي تدفع رؤوس الإبل والبقر والماعز، أما المجتمعات التي تعيش على الصيد فالتعويض يكون بدفع فؤوس، ويؤول هذا التعويض إلى الزوج المتضرر.

أما في الدين (المداينة) فكان الرهن وهو ما يدفعه المدين للدائن لحبسه عنده ويستغله حتى يدفع ما عليه من الدين عاجلا أو آجلا، وغالبا ما كان الرهن بدفع أحد الأولاد للدائن حتى يضمن الوفاء بالدين .

---

[1] – البكري: مصدر سابق ج2، ص877.

[2]– المصدر السابق ،ص869،الفانوس عمار صليح سليم: دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، كلية الفنون، جامعة بغداد، العراق 2002، ص134.

[3]– ميقا أبو بكر إسماعيل: نظام القضاء، مرجع سابق، ص ص 238-239.

ومن أقضيتهم أن المزارع يقدم لمالك الأرض ما يزرع فيها [1]، إما في المواريث فكان قضاؤهم فيها أن ابن الأخت يورث خاله ،وهذا يبين الأهمية التي كانت تعطى للام على حساب الأب، وان هذه المجتمعات كانت تهتم بقرابة الأم أكثر من جهة الأب، وهو ما عبر عنه ابن بطوطة كصورة مشابهة عن قبائل مسوفة الساكنين بإيولاتن (ولاته) فيقول[2] "وشان هؤلاء عجيب وأمرهم غريب ،فأما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينسب أحدهم إلى أبيه بل ينسب إلى خاله، ولا يرث الرجل الأبناء أخته دون بنيه، وذلك شيء م ارأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد المليبار من الهنود".

كما أن" تنكامين " وهو أعظم ملوك غانة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي قد تولى الحكم بعد وفاة خاله "بسي " وفي ذلك يورد البكري "وبسي هذا خال تنكامنين وتلك سيرتهم ومذهبهم أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك فيه انه ابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به[3] "وان دل هذا على مكانة الأم في هذه المجتمعات والتي أثرت في نظامهم الاجتماعي التقليدي وتحكمت في أعرافهم القضائية، فانه يثبت لنا مدى الحرية التي تمتعت بها المرأة في ظل هذه الأعراف مما أعطى نتائج سلبية تمثلت في اختلاطها بالرجال وبالتالي الانحلال الأخلاقي الذي جعل الأب يشك في ابنه اهو منه أم لا؟

وباتساع مملكة غانة واحتكاكها بالتجار المسلمين، عرفت الدولة تطورا في نظام القضاء حتى قبيل إسلام ملوكها الذين حرصوا على توطيد العلاقات مع تجار الشمال نظرا للأهمية الاقتصادية والتجارية التي كانت تجنيها من مداخيل تجارة الذهب ،حيث اشتهر عنهم العدل والنظر في المظالم ،واستتباب الامن في ربوع المملكة ،كان من مظاهرها تشكيل فرق تجوب الصحراء لتأديب المجرمين وقطاع الطرق، وهذا ما أكده الإدريسي عند حديثه عن ملك غانة الذي اشتهر بالعد ل بين رعيته "وهو اعدل الناس فيما يحكى عنه وعن سيرته في قربه من الناس وعدله فيهم، أن له جملة قواد يركبون إلى

[1] -الشيخي حسن علي ابراهيم: تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان، السودان، 2008-2009،ص167.

[2] - ميقا أبو بكر إسماعيل: نظام القضاء، مرجع سابق، ص239.

[3] - ابن بطوطة: تحفة النظار (الرحلة)ج2، مصدر سابق، ص677.

قصره في صباح كل يوم ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه، فإذا وصل إلى باب القصر سكت، فإذا اجتمع إليه جمع قواده ركب وصار يقدمهم ويمشي في أزقة المدينة وسائر البلد فمن كانت له مظلمة أو نابه أمر تصدى له فلا يزال حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ،ثم يرجع إلى قصره ويتفرق قواده وهو يفعل ذلك مرتين في اليوم ."[1]

وعرف عن عدل ملوك غانة الوثنين أنهم قربوا المسلمين وأولوهم مناصب عليا في الدولة، فقد اختار منهم تراجمته ومعظم وزرائه وكتابه وصاحب بيت ماله، إضافة إلى إعفائهم من طقوس التحية التي كانت تؤدى إليه وهو ما أكده البكري عن الملك تنكامنين الذي ولى عرش غانة سنة 455هـ بعد وفاة خاله الملك "، فكان محمود السيرة بين رعيته مُرَثَداً للمسلمين محبا للعدل، حيث يحكى في هيئة جلوسه للنظر للمظالم، إن الملك يجلس في قبة ويسبق جلوسه عادة عندهم ،ومن طقوس القصر ضرب طبل كبير يطلقون عليه (ديا) وإذا ما انتهى صوت الطبل إلى أسماع الناس هرعوا إلى قبة الملك وعندما يقترب منه أهل مملكته من السودان فإنهم يجلسون على ركبهم ويضعون التراب على وهي تحيتهم ، أما المسلمون فتحيتهم عليه التصفيق ، وأما الوزراء فيجلسون على الأرض تواضعا له ."[2]

وإن دلّ هذا على شيء وإنما يدل على العدل الذي أولاه في مملكته للجاليات الإسلامية، كما كان من عدلهم أنهم احترموا شعائر المسلمين وعاداتهم بأن بني لهم مدينة في عاصمة غانة (كومبي صالح) تسمى الغابة خصيصا للمسلمين فيها المساجد والدور، بل أكثر من ذلك بنى مسجدا في قصره احتراما لشعائر المسلمين الذين يفيدون عليه[3] .

أما بعد إسلام ملوك غانة حرصوا على تنظيم القضاء فعين قضاة من المسلمين للفصل بين الناس في الأمور المتعلقة بالمجتمع وحل القضايا التي تطرح خلال التبادل التجاري بين التجار الوافدين وبين

---

[1] – الإدريسي: وصف افريقية الشمالية والجنوبية من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مصدر سابق ،ص ص 23-24.

[2] –البكري: مصدر سايق، ص175، الشيخي حسن علي إبراهيم، تأثير الإسلام ، مرجع سابق، ص130.

[3] –البكري : مصدر سابق ،ص176.

الرعايا المسلمين في مملكة غانة، بل أن مدينة أودغشت[1] التابعة لمملكة غانة أصبحت مدينة عامرة بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن. وقد كان بها قضاء إسلامي، وكذلك الحال بالنسبة للمملكة التكرور[2] (تقع ضمن ارض مملكة غانة) أسلم ملكها وارجابي بن رابيس (432هـ-1040م) حيث طبق أحكام الشرع وأقام في بلاده شرائع الإسلام وحمل الناس عليها وحقق بصائرهم فيها [3].

القضاء في عهد مملكة مالي :

اتسم القضاء في عهد مملكة مالي، بأنه قضاء شرعي مبني على الأحكام الشرعية، المستمدة من الدين الإسلامي، حيث كان القضاة يعينون من طبقة الفقهاء والعلماء ، وأصبح منصب القاضي منفصلا بذاته في ظل سلطة الملك ،ويرجع هذا إلى اهتمام ملوك دولة مالي بنشر العدل وتطبيق أحكام الدين الإسلامي بين الرعية ،فعينوا القاضي في العاصمة والقضاة في المدن الأخرى، كما وجدت في الدولة محكمتان ،محكمة عليا برئاسة الملك ، وأخرى برئاسة القاضي[4] الذي يعينه الملك وهي تختص بالنظر في الجرائم العامة والجنح بين المواطنين، أما الجرائم السياسية وجرائم الجنايات العظمى فهي من اختصاص المحكمة الملكية التي تنعقد برئاسة الملك ،فقد حاكم السلطان منسا سليمان بنفسه الذين اشتركوا في مؤامرة خلعه وبينهم زوجته (قاسا) وكان الحكم متناسب لكل حسب جريمته ومشاركته [5].

[1]-أودغشت: وهي احدى المدن التي قامت فيها مملكة قديمة لقبائل صنهاجة، وحكمت هذه المملكة قبيلة الأنباط الذي كان يقدمه الجغرافيون المسلمون باسم "أنبيه" حيث نسبت الصحراء كلها اليهم فأضحت صحراء "أنبيتا" وهي تقع حاليا في جنوب شرق موريتانيا وتسمى "تغداوسن" ينظر : ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا قبل الإحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2017، ص66.

[2]- ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا، مرجع سابق، ص41.

[3] - البكري: مصدر سابق، ص 172.

[4]- الشيخي حسن إبراهيم علي: تأثير الإسلام وثقافته، مرجع سابق، ص396.

[5]-ابن بطوطة: الرحلة، مصدر سابق، ص450، شبو جعفر خلف الله محمد : الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولتي مالي الإسلامية في العصور الوسطى بين 5-8هـ-12-15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي،كلية الآداب، جامعة أم درمان، السودان، 2008-2009،ص132.

ويلاحظ أن نظام القضاء في مملكة مالي تأثر تأثرا كبير في تنظيماته بمصر وبلاد المغرب [1]ولعل ذلك راجع إلى رحلة السلطان منسا موسى (724هـ-1324م) إلى الحج وزار خلالها القاهرة، إذ اصطحب معه عدد من الفقهاء ممن كانوا تتلمذوا على يد علماء مالكيين من فئة القضاة ، إضافة إلى تلك الرحلات التي كان يرسلها إلى بلاد المغرب من أجل التفقه والزيادة في العلم، وما قام به من علاقات سياسية مع بلاد المغرب الإسلامي وصلت إلى حد تبادل الزيارات والوفود الرسمية ،نقلت من خلالها مؤثرات تنظيمية شملت خطة القضاء وهو ما أكده مارمولكاربخال[2] عند حديثه عن بلاط ملك مالي " أن بلاط ملك مالي كان يمتاز بتنظيم جيد سواء من الجانب الديني أو الدنيوي وانه لا يقل في ذلك في شيء عن نظام بلاط ملوك المغرب "،وقد اتخذ سلاطين مالي القضاة مستشارين لهم نظرا للأهمية والمكانة التي يحتلونها في مركز الدولة ،فالقاضي هو الذي يتمتع بحق مصافحة الملك باليد دون سائر موظفي البلاط ،وكان دائما يصحب الملك أينما ذهب، إضافة إلى حضوره الدائم في مجلس السلطان وفي مقدمة الحاضرين [3]. ومن الشواهد على مكانة القاضي لدى سلاطين مالي أنهم كانوا لا يمانعون من ربطهم بهم اسريا فقد تزوج ابن عم الفقيه القاضي عبد الرحمن التميمي بنت عم السلطان منسا سليمان [4]، وهو ما أعطى للقضاة مكانة اجتماعية مرموقة ميزتهم عن باقي أفراد المجتمع إضافة إلى ما أورده ابن بطوطة من خلال اللباس والزيّ الذي كان يميزهم عن الرعية "والسودان لايلبسون الطيلسان إلا في العيد ماعدا القاضي والخطيب والفقهاء فإنهم يلبسون في سائر الأيام ..."[5].

---

[1]- طرحان إبراهيم: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973، ص131، الشيخي حسن علي إبراهيم، مرجع سابق، ص396.

[2]- مارمول كربخال: تاريخ إفريقيا الشماليةج2، ثرجمة محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط، 1989ص202.

[3]- ابن بطوطة: مصدر سابق، ص686، الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م صفحات من تاريخ العلاقات العربية الإفريقية، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2001،ص65.

[4]-ابن بطوطة: مصدر سابق، ص681.

[5]- المصدر السابق، ص686، الشيخي حسن علي ابراهيم: تأثير الإسلام، مرجع سابق، ص395.

وباهتمام ملوك مالي بالعدل وعدم التسامح مع الظلمة والعناية التي أولوها للقضاء والقضاة ،انتشر العدل في ربوع مملكة مالي وأصبحت مثالا لذلك، فقد أورد ابن بطوطة ذلك عند حديثه عن مجتمع مالي وسلطانهم "فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم ابعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح احد في شيء منه ،ومنها شمول إلا من في بلادهم [1]"، ومن مظاهر هذا العدل ما ذكره ابن بطوطة عند وصوله إلى تكدا إحدى المدن التابعة لمملكة مالي في عهد السلطان منسا سليمان قائلا "وفي أيام إقامتي بها توجه القاضي أبو إبراهيم والخطيب محمد والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد بن على إلى سلطان تكدا وهو بربري يسمى (زار) وكان على مسيرة يوم منها ،وقعت بينه وبين التكركيري وهو من سلاطين البربر أيضا، منازعة فذهبوا إليه للإصلاح بينهما "[2]، ويتضح من كلام ابن بطوطة أن ملك مالي كان يوفد القاضي والخطيب والمدرس للمتخاصمين إذا كانت الخصومة بين حاكم وحاكم مثله، إذ يعتبر الصلح من أوجه التسامح الذي كان يتجلى في هذه الدولة ، إضافة إلى المكانة التي يتميز بها الخطيب والمدرس كوجهاء إلى جانب القاضي .

أما المظهر الثاني فيتجلى في عدم التسامح مع ولاة الأقاليم خصوصا إذا تعلق الأمر بقضية ظلم من حاكم على رعية وهو ما أورده ابن بطوطة كذلك من ظلم احد الولاة لرعية ،وهي شكوى رجل يسمى أبا حفص من مسوفة يشتكي من ظلم مشرف (حاكم) إيولاتن (ولاته)الذي لحق به أي أخذ منه ما قيمته ستمائة مثقال وارد أن يرد له مئة مثقال فقط ،فما كان من السلطان إلا أن أرسل قاضيا إلى هذا المشرف واخذ منه حق التاجر المسوفي وعزله بعد ذلك [3].

أما في القضايا الإجرامية فكان القضاء يتم فيها عن طريق التحري واثبات القرائن والأدلة عن الجريمة وثبوتها في حق المجرم ،وكان المجرم يوضع على ذمة التحقيق الذي يوكل إلى جهاز تابع للسلطان يعتمد على المساءلة التي كانت تتم عادة بطابع العنف والتعذيب، لكن مساوئها ربما يكون المتهم بريء غير انه يذهب ضحية التعذيب [4]،وكانت العقوبات المسلطة على هذه الجرائم عادة تتراوح بين السجن

[1]-ابن بطوطة : مصدر سابق ،ص450.

[2]- المصدر السابق، ص698، الهادي مبروك الدالي : مملكة مالي، مرجع سابق، ص63.

[3]- ابن بطوطة : مصدر سابق، ص688، الشيخي حسن علي إبراهيم: تأثير الإسلام، مرجع سابق، ص396.

[4]- الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي، مرجع سابق، ص64.

والجلد والموت آو مصادرة الأملاك [1]، أما في قضايا الإرث والزواج والطلاق فقد كان يفصل فيها وفق أحكام الشريعة الإسلامية المعروفة في هذا الباب ،وكان يتم إعلان نتائج المحاكمة على الملا [2]بعد أن يفصل القاضي في ذلك إذا كان الحكم متصل بأحد أفراد الشعب، أما إذا كان متعلق بالجوانب السياسية التي تمس الملك فيرجع الحكم للملك،كما فعل منسا سليمان مع من شاركوا في مؤامرة الخيانة للإطاحة به.

أشهر قضاة مملكة مالي:

-القاضي عبد الرحمن التميمي [3]:وهو الذي جاء مع السلطان منسا موسى من الحجاز أثناء رحلته الحجية، ثم ذهب إلى فاس من أجل التعلم والتفقه، فعاد إلى تنبكتو، حيث جلس للتدريس والإفتاء والقضاء، وقد أثنى عليه كثير من علماء السودان منهم القاضي يحي التادلي، إذ يقول جاء طلابه للأخذ عليه "يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي"

-القاضي محمد الكابري [4]: (توفي خلال القرن العاشر الهجري)، كان عالما فقيها وليا صالحا، برع في الفقه والعلوم الإسلامية، سكن تنبكتو في عهد مملكة مالي، حيث عاصر ثلة من العلماء منهم عبد الرحمن التميمي، والفقيه أندغ محمد، ويحي التادلسي، وعبد الرحمن بن عمر بن محمد آقيت، والمختار النحوي، وكل هؤلاء أخذوا عنه العلم لما تميز به من فيوض حيث انتهت إليه رئاسة العلم والقضاء في تنبكتو إلى حين وفاته.

---

[1] - المرجع نفسه.

[2] - شبو جعفر خلف الله محمد : الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في مالي، مرجع سابق، ص ص132-133.

[3] -السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق، ص51، عبد الرحمن محمد ميقا: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 08 إلى القرن 13الهجري، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية،2011،ص325، الدالي الهادي مبروك : التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص207

[4] -السعدي: مصدر سابق، ص ص 43-47، إيهاب شعبان عبد الشافي : القضاء في دولتي مالي وصنغاي وأثره الحضاري في المجتمع 636-1000هـ-1238-1591م،الإفريقية الدولية للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ط1 ،2014، ص 47، عبد الرحمن محمد ميقا، مرجع سابق، ص286.

-القاضي كاتب موسى [1](توفي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي) كان كاتبا للسلطان منسا موسى الذي أرسله إلى مدينة فاس للأخذ عن فقهائها وعلمائها، فعاد فقيها متضلعا في العلم والفقه المالكي، اشتغل بالقضاء إلى جانب الكتابة في بلاط السلطان ،اشتهر عنه أنه كان يقضي بين الناس في رحبة (فناء) وراء داره من جهة الشرق،حيث تنصب له منصة تحت شجرة كبيرة هناك، كما اشتغل بالإمامة [2]في الجامع الكبير في تنبكتو وهو آخر العلماء المحلين (من أهل السودان) ممن تولوها، حيث مكث فيها أربعين سنة، ولم يتخلف ولو صلاة واحدة لما حباه الله من صحة وعافية سببها عندما سئل عن ذلك على حد رواية السعدي [3].

-القاضي عبد الرحمن (كان حيا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي):كان قاضيا في عاصمة مالي نياني، أيام السلطان منسا سليمان، وقد وصفه ابن بطوطة بالفضل ومكارم الأخلاق وأنه استضافه في بيته أثناء زيارته لمالي "ولقيت القاضي بمالي عبد الرحمن وجاءني وهو من السودان حاج فاضل له مكارم الأخلاق وبعث إلي بقرة في ضيافته"[4].

-القاضي أبو العباس: وكان مشهور بين الناس باسم الدكالي، وهو من المغاربة الذين سكنوا مالي لمدة خمسة وثلاثون سنة حيث أسند إليه قضاءها،كان فقيها عالما جليلا،ذكره ابن بطوطة[5] بأنه أحد البيضان الذين تقابل معهم في مالي، وقد رحل من نياني إلى بلدة ميمة التي تولى بها القضاء كذلك.

---

[1] - المصدر السابق، ص57، إيهاب شعبان عبد الشافي : مرجع سابق، ص ص45-46.

[2] -السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق، ص57، ميقا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997،ص ص 290-293.

1-المصدر نفسه.

[4]-ابن بطوطة : الرحلة ،مصدر سابق ،ص781،إيهاب شعبان عبد الشافي : مرجع سابق ،ص45.

[5]-يورد ابن بطوطة في حق هذا القاضي أن ملك مالي منسا موسى وهو في طريق عودته إلى ميمية (مدينة من مدن بلاد السودان الغربي كانت تحت حكم مملكة مالي)، أكرم أحد القضاة البيض المرافقين له، وهو أبا العباس الدكالي، حيث أحسن إليه بأربعة آلاف مثقال ذهبي ،وعند وصولهما إلى ميمية ابلغ القاضي المذكور السلطان بأن الأربعة آلاف مثقال سرقت من داره ، فأمر السلطان بإحضار أمير ميمة وتوعده بالقتل أن لم يحضر السارق، وطلب الأمير السارق فلم يجد أحدا، ولا سارق يكون في تلك البلاد، فدخل دار القاضي واشتد على خدامه وهددهم فقالت له إحدى جواري القاضي، ما ضاع له شيء وإنما دفنها بيده في

-القاضي محمد بن عبد الله ينومر[1] :وهو من قبيلة مسوفة التي تسكن ولاته،كان فقيها عالما تولى القضاء في تنبكتو.

-القاضي أبو إسحاق الجاناتي[2]: وهو من المغاربة الذين سكنوا في بلاد السودان أيام دولة مالي،كان فقيها عالما جليلا، تولى قضاء بردامة التي تسكنها قبائل بربرية وذلك سنة 754هـ-1353م، ثم رحل عنها إلى تكدا وتولى بها القضاء وهو الذي عقد الصلح بين ملك تكدا والتكركري احد ملوك البربر.

-القاضي عبد بن وانسول[3] : وهو من أهل سلجماسة انتقل للعيش في بلاد السودان الغربي سنة 776هـ-1374م،حيث سكن مدينة كوكو وكان من الفقهاء المتضلعين حيث استعمله ملك مالي على خطة قضاءها.

-القاضي الفقيه الشيخ عثمان[4](كان من أهل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي): وهو من أهل غانة وكبيرهم علما ودينا كانت له رحلة حجية سنة 799هـ-1394م، زار خلالها القاهرة والتقى بعبد الرحمن بن خلدون وهو أحد مصادر أخباره عن ملوك مالي ،اشتغل بالقضاء في غانة في عهد مملكة مالي .

ذلك وأشارت له إلى الموضع فأخرجها الأمير وأتى بها السلطان وعرفه الخبر، فغضب على القاضي، ونفاه إلى بلاد الكفار ..."ابن بطوطة، مصدر سابق، ص792-793، بن رمضان زوليخة: المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص255.

[1]- ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص776 ،

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص798، عبلة سلطان محمد، العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي، أطروحة دكتوراه في التاريخ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، مصر1999، ص 71،بن رمضان زوليخة: مرجع سابق،ص ص255-256.

2- ابن خلدون : العبر ج6،مصدر سابق ،ص413.،ايهاب شعبان عبد الشافي : مرجع سابق ،ص45.

[4]- عبلة محمد سلطان : مرجع سابق ،ص70.

[5]- ابن خلدون : لعبر ج6، مصدر سابق ، ص413، إيهاب شعبان عبد الشافي : مرجع سابق ،ص45.

-القاضي الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج [1](كان حيا في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي) تولى قضاء مدينة تنبكتو في أواسط القرن التاسع هجري، وكان أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعليم في جامع سنكري بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء، قدم من ولاته إلى تنبكتو مع أخيه إبراهيم الذي آثر البقاء في بلدة بنك القريبة من تنبكتو، ومن نسل هذا الفقيه خرج علماء تولوا مناصب القضاء في أماكن أخرى غير مدينة تنبكتو وذلك في عهد دولة صنغاي.

-القاضي الفقيه الشيخ عبد العزيز التكروري [2](من أهل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي)، أحد قضاة تنبكتو، رحل إلى المشرق فنزل مصر فالتقى بالعالم أبي القاسم النويري وذلك في منتصف القرن التاسع الهجري، كان عالما صالحا، ويقال أنه عزى لأهل مصر جميع مسائل مختصر خليل، وقد نقل عنه العالم الحطاب في شرح مختصر خليل، كما اثني عليه الشيخ جلال الدين في معجمه.

-القاضي مورمغ كنكن [3](توفي خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي)،كان عالما فقيها صالحا زاهدا رحل إلى جني لأخذ العلم في أواسط القرن التاسع الهجري، كما أسرع إليه الطلبة للاقتباس من علمه، فكانت له حلقات دروس في الجامع يخرج إليها في نصف الليل فيجلس الطلبة حوله للأخذ العلم إلى أن يجئ وقت الصبح، ثم ارتحل إلى مدينة جني يدرس ويفتي ويقضي بها إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع الهجري.

[6]- السعدي : تاريخ السودان، مصدر سابق، ص ص 27-28، المرجع السابق، ص46، ميقا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية، مرجع سابق، ص292.

[2]-إيهاب شعبان عبد الشافي: مرجع سابق، ص47.

[3]-السعدي: مصدر سابق، ص16، المرجع السابق،ص46.

الفصل الثاني: التنظيم القضائي في بلاد السودان الغربي

(898هـ – 1493م/ 1100هـ – 1688م)

– مصادر التشريع القضائي

– تعيين القضاة والشروط الواجب توافرها فيهم

– صلاحيات القاضي وحقوقه الشرعية

–مجلس القاضي ومساعدوه

–توارث مهنة عن القضاء (الأسر التي توارثت ذلك)

– أهمّ القضايا

– الحدود والعقوبات

أ/مصادر التشريع القضائي:

1- الفقه المالكي:

يرجع الفقه المالكي إلى مؤسسه الإمام مالك بن أنس الأصبحي[1] (ت179هـ/795م) عالم المدينة وفقيهها،حيث انتشر مذهبه في بلاد الحجاز ومنها إلى مصر وإفريقية على يد من تتلمذوا عليه منهم: عبد الرحمن بن القاسم المصري[2]، وعلي بن زياد التونسي[3]،والبهلول بن راشد[4]، وعبد الله بن فروخ[5]وابن غانم[6].

---

[1]- للمزيد حول سيرة الإمام مالك يراجع، أحمد تيمور باشا ،نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ،دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ،ط1990،1،ص 61ومابعدها .

[2]-أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة الشهير بابن القاسم المصري عالم الديار المصرية ومفتيها، لم يرو أحد عن مالك " الموطأ " أثبت منه، قال فيه الإمام مالك "كمثل جراب مملوء مسكا "،توفي سنة (191هـ-806م)انظر: القاضي عياض ،ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،ضبط وتصحيح محمد سالم هاشم ،تحقيق محمد على بيضون ج1،دار الكتب العلمية لبنان ،1 ط ،1998،ص252ومابعدها .

[3]- أبو الحسن على بن زياد التونسي نفقه بمالك جمع بين الفقه والورع، وهو أول من أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب ومنه سمع البهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، وسحنون بن سعيد وغيرهم،توفي سنة (183هـ-799م):انظر محمد بن مخلوف ،شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ج1،المطبعة السلفية القاهرة ،1349،ص60.

[4]-البهلول بن راشد الحجري ،من علماء إفريقية سمع الليث بن سعيد ومالك والحارث بن النبهان ،ولد سنة 128هـ، كان ورعا متجنبا للأمراء، وامتحن على عهد الوالي العكي (181هـ-184هـ)فزاده الامتحان رفعة ومكانة، من أهم تلامذته سحنون بن سعيد ،وعون بن يوسف الخزاعي ،ويحي بن سلام ،توفي سنة 183هـ-799م:انظر رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،ط1972،2،ص 67.

[5]-أبو عبد الله بن فروخ الفارسي أصلا ،فقيه القيروان، تفقه في المشرق على مالك وأبي حنيفة، وكان اعتماده على مالك ،رجع إلى القيروان وكان يكاتب مالك في المسائل العويصة فيجيبه عنها ،عرض عليه القضاء في عهد الوالي روح بن حاتم (172هـ-174هـ-) فأبى ،توفي 176هـ-792م:انظربيب سحر عنتر محمد أحمد مرجان ،فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي 668هـ-1000هـ-1230م-1591م،مكتبة الثقافة الدنية ،القاهرة ،ط2011،1،ص 24،رابح بونار ،مرجع سابق ص66،بن مخلوف ،شجرة النور الزكية ج1،مصدر سابق ،ص 60.

[6]-عبد الله بن عمر بن غانم من بلاد إفريقية ، تتلمذ على يد الإمام مالك ،ثم عاد إلى إفريقية وولي بها القضاء وهو ابن 42سنة على عهد الوالي روح بن حاتم 172هـ-174هـ،حيث أقام العدل ،كما عاصر ابن غانم نشأة الدولة الأغلبية 184هـ،حيث عين لأحد أمرائها (إبراهيم بن الأغلب)الذي كان كثير التعظيم والاحترام لابن غانم ،اخذ عنه الكثير من الطلبة بالقيروان منهم سحنون وغيره ،توفي 190هـ-805م:انظر رابح بونار، مرجع سابق ،ص68.

وأسد بن الفرات[1]،ومنها إلى بلاد المغرب والأندلس،وبعد مجيءالإمام سحنون بن سعيدالتنوخي[2]الذي يرجع إليه الفضل في تكوين النواة الأولى للمدرسة المالكية بالقيروان ومن تتلمذفيها من فقهاء المغرب والأندلس مثل ابن أبي زيد القيرواني[3]، والقابسي[4]، وأبو عمران الفاسي[5]، ووجاج بن زلوناللمطي[6]،حيث صاحب هذا الانتشار للمذهب المالكي[7] في بلاد المغرب

---

[1]أسد بن الفرات بن سنان الحراني ،أصله من حران ،حيث هاجرت أسرته إلى افريقية ،تتلمذ على الإمام مالك في آخر حياته، وسمع من ابن القاسم المصري ،تولى قضاء إفريقية عام 203هـ-،من مؤلفاته الأسدية في الفقه المالكي ،توفي في حملة بحرية أثناء قيادته للجيش في غزوة صقلية وذلك سنة 213هـ-828م:انظر:المالكي ،رياض النفوس ،تحقيق حسين مؤنس ،دار النهضة المصرية ،القاهرة ،1951،ص ص 172-173.وانظر القاضي عياض ،مصدر سابق ،ص27.

[2]أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني، أصله من حمص في بلاد الشام، ولد بالقيروان سنة 160هـ-766م،أخذ عن البهلول بن راشد ،وأسد بن الفرات ،وعلي بن زياد ،ثم رحل إلى المشرق سنة 188هـ- فزار الشام ومصر واخذ عن علماء منهم ابن القاسم، وأشهب، وابن عبد الحكم، من أهم تلامذته ابن عبدوس، وابن الصواف ،وابن الحداد. توفي سنة 240هـ-884م.انظر :بن مخلوف ،شجرة النور الزكية ،مرجع سابق ،ج1،ص69،وانظر :عصمت عبد اللطيف دندش ،دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط1988،1،ص148.

[3] أبو عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني نسبة إلى مدينة القيروان من كبار فقهاء المالكية فيها وعموم بلاد المغرب في القرن الرابع الهجري ،تعلم على يد مجموعة من علماء القيروان ،من أهم مؤلفاته الرسالة في الفقه المالكي ،وكتاب الذب عن مذهب الإمام مالك ،من أهم تلامذته الإمام القابسي توفي سنة 386هـ-انظر :القاضي عياض ،ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،مصدر سابق، ص ص 11،12.

[4] أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسي ،الفقيه المتبحر،كان من كبار فقهاء القيروان ،من أهم أهم شيوخه ابن أبي زيد القيرواني ،له عدة مؤلفات في الفقه والحديث توفي سنة 403هـ-1021م.انظر :بن مخلوف ،شجرة النور الزكية ج1،ص 97،وكذا سحر عنتر محمد :فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص40.

[5] أبو عمران الفاسي، أصله من فاس من بيت مشهور، استوطن القيروان، وجعلت له رئاسة العلم بها ،أخذ عن كثير من العلماء من المشرق والمغرب منهم أبو الحسن القابسي ،والقاضي أبي بكر الباقلاني، توفي سنة 430هـ.انظر :ابن فرحون المالكي :الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ،تحقيق مامون محي الدين الجنان ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،ط1996،1،ص

[6]وجاج بن زلول اللمطي:من قبيلة لمطة الساكنة في منطقة نول لمطة من بلاد المغرب الأقصى ،قيل إنها تنتسب إلى الأدارسة، وكلمة وكلمة وجاج أو وكاك كما تسميه بعض المصادر معناها: الفقيه العالم بالقران ،اختلف في تاريخ ولادته مابين 350هـ-360هـ- ،كان والده عالما فقيها، درس في حواضر المغرب الأقصى ومنها فاس التي تعرف فيها على الفقيه أبي عمران الفاسي ،ثم رحل إلى القيروان وتتلمذ على يد ابن أبي زيد القيرواني ولازم تلميذه أبا عمران الفاسي ،ثم رجع إلى المغرب وتوفي بها .انظر : السوسي محمد المختار: المعسول ج11، مطبعة النجاح، الدار البيضاء المغرب،1963، ص33.

[7] حيث يعلل ابن خلدون هذا الانتشار ولماذا اختص أهل المغرب بالمذهب المالكي دون غيره بقوله "وأما مالك فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم ،إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لأن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو

المغرب انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي،خاصة إذا علمنا ماللتجارة[1]من دور في دعم الروابط الدينية والعلمية على طول الخطوط الرابطة بين بلاد المغرب ومصر وبلاد السودان الغربي، إلا أن الحدث الأكبر الذي كان له دور في ترسيخ هذا المذهب هو حركة المرابطين[2] ابتداء من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي وجهودها في توحيد بلاد الغرب الاسلامي وبلاد السودان الغربي من الناحية المذهبية الفقهية ومن الناحية السياسية،وقد حرصت على نشر المعارف الشرعية بين قبائل صنهاجة ومجاوريهم والسعي لإخضاع الناس لسلطان الإسلام وهذا ماتزامن مع انتصار المذهب المالكي في إفريقية على يد المعز بن باديس الزيري الصنهاجي[3]بعد أنتحلل من المذهب الشيعي

منهى سفرهم، والمدينة يومئذ وإمامهم مالك ،وشيوخه من قبله وتلاميذهم من بعده ،فرجع إليه أهل المغرب وقلدوه دون غيرهم ممن لم تصل إليهم طريقته "لكن ربما يبقى سببا آخر غفل عنه ابن خلدون وهو كثرة ثوارات الخوارج في بلاد المغرب مما أدى إلى نفور الناس ومللهم من تلك الأفكار الخارجية ،انظر :ابن خلدون ،المقدمة ،مصدر سابق ،ص336.

[1]- لقد تزامن انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي مع حركة التجارة؛ ولذا ذهب أغلب الدارسين إلى أن الإسلام الأول كان حكرا على جماعات الخوارج (الإباضية والصفرية)انطلاقا من دويلاتهم بني رستم في تيهرت 160هـ-296م وبني مدرار بسجلماسة 144ه296م،نظرا لأنها كانت تحتكر تجارة الصحراء وتتحكم في مداخلها ،ثم جاء من بعدهم الفاطميون 296هـ-361هـ، وحاولوا أن يتحكموا في تجارة الصحراء ونشر مذهبهم ،وهو ما جعل بعض فقهاء المالكية في القيروان في القرنين الثالث الهجري والرابع الهجري ،التاسع والعاشر الميلادي ،إلى إصدار فتوى بان التجارة مع بلاد السودان كسب غير طيب ويتحرز منه،وهو ما ذهب إليه ابن أبي زيد القيرواني في رسالته إلى مساواة التجارة مع بلاد السودان بالتجارة مع أرض العدو .ويستفاد من هذه الفتاوى أنها ضرب للمصالح الإباضية والصفرية والفاطمية المحاربة لأهل السنة آنذاك ولذا سرعان ما تختفي هذه الفتاوى وذلك بقيام الدولة المرابطية السنية ابتداء من القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ،التي سيطرت على تجارة الصحراء .انظر يحي ولد البراء :مجموعة الفتاوى الكبرى ،ج1،مرجع سابق ،ص72،وانظر عز الدين عمر موسى :انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي ،ضمن ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ،بغداد ،1985،ص50.

[2]- تعود الحركة المرابطية إلى يحي بن إبراهيم الجدالي الذي مرَّ على القيروان والتقى بأبي عمران الفاسي وطلب منه أن يبعث معه فقيها يعلم أبناء قبائل صنهاجة ،فأشار عليه أبا عمران الفاسي للفقيه وجاج بن زلوناللمطي الذي أشار عليه بدوره على أحد تلاميذه عبد الله بن ياسين ،وعندما وصل يحي إلى الصحراء اتصل بابن ياسين الذي رحل معه إلى قبائل صنهاجة ،وقد عمل على تعليمها وتوحيدها.انظرة البكري:المسالك والممالك ،مصدر سابق ،ص859، ابن خلدون،العبر مصدر سابق ،ج3،ص183،وانظر أحمد الشكري :مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية ،منشورات معهد الدراسات الإفريقية ،الرباط ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،1997،ص ص 32-33.

[3]- المعز بن باديس الزيري (ت454هـ-1063م) هو أحد أمراء الدولة الزيرية في إفريقية ،وقد خلف أبوه باديس في الحكم وعمره ثمانية سنوات تحت كفالة عمته أم ملال ،وقد كان لبني زير ولاء للدولة الفاطمية ومذهبها الشيعي ،وقد رحلت إلى مصر سنة

الفاطمي وإعلانه المذهب المالكي مذهبا رسميا للدولة الزيرية مما أسهم في إكمال نشوء مدرسة فقهية مالكية لها خصوصيتها المعروفة.

ويعتبر عبد الله بن ياسين الجدالي (ت451هـ/10م) أحد رموز هذه المدرسة الفقهية[1] الذي أخذ يدعو الناس إلى التمسك بأسباب الدين تمهيدا للوحدة المذهبية ومن ثم السياسية،حيث كان من ثمار دعوته إسلام مملكة غانة التي تعتبر إحدى الممالك الهامة في بلاد السودان الغربي، مما فتح المجال واسعا لانتشار الإسلام في هذه البلاد ومن ثم الفقه المالكي،وقد كانت شعوب هذه البلاد قد استجابت لهذه الدعوة ومنها شعب التكرور الذي عمل على متابعتها ونشرها،فكونوا دعاة لنشر الإسلام بين القبائل المجاورة من الولوف والفولبيوالمانديجو بفروعها الأربعة، ونشروا المدارس الإسلامية في السودان الغربي،كمااستعانوا بالفقهاء والدعاة الذين اصطحبهم معه أبو بكر بن عمر اللمتوني (ت480هـ/1087م)[2]الذي خلَف عبد الله بن ياسين لتعليمهم الشريعة والفقه والكتابة حتى إنهم قلدوهم في ملابسهم.

وبإسلام شعب التكرور وانتشار الإسلام في السودان الغربي[3] عملت الدولة المرابطية على ربط علاقات بين شمال الصحراء وجنوبها وذالك بإحكامها السيطرة على المنافذ التجاريةخاصةأودغشتوسجلماسة وبالتالي التحكم في تجارة الصحراء، ممافتح المجال واسعا أمام حركة

360هـ وأعلنت قيام خلافتهم لتضاهي الخلافة العباسية في المشرق ،مما اضطرهم للمحافظة على بلاد المغرب وإبقاءها ضمن دائرة ولائهم ،وتأمين جهة الأندلس التي كان فيها أعداءهم بني أمية ،لكن بمجيء المعز بن باديس أعلن القطيعة معهم والولاء لبني العباس السنة، وذلك لعدة أسباب منها: ما رآه من اضطهاد لفقهاء السنة خاصة المالكيين ،وسبهم للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ،إضافة إلى أسباب أخرى .وبالتالي يعتبر حكم المعز بن باديس بمثابة القطيعة النهائية مع الفاطميين والمذهب الشيعي. ينظر: خضيري أحمد حسن: علاقة الفاطميين في مصر بدول المغرب 362هـ-567هـ/973م-1171م، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر،د.ت.ط، ص55.

[1] – ولد الحسن النابي: صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا، مرجع سابق، ص231.

[2]– الشكري أحمد : مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، منشورات معهد الدراسات الافريقية الرباط، مطبعة النجاح، الدار البضاء المغرب، 1997، ص60.

[3]– البكري، مصدر سابق، ص177.

الهجرات والدعاة والفقهاء المالكيين لهذه البلاد والتي ستعرف مرحلة ذيوع الفقه المالكي بظهور مملكة مالي[1]التي تمذهب به ملوكها ورعيتهم، حيث توافد عليهم جما غفيرا من علماء المذهب أمثال الفقيه الجزولي، والشيخ أبو حفصالمسوفي، والشيخ المزوري المراكشي،كما اشتهرملوكها بإقامة الدين على هذا الفقه منهم الملك منسا موسى (712هـ-738هـ) الذي عرف بالصلاح والعدلحيث كان متمسكا بالمذهب المالكي فخورا بالانتساب إليه، ويظهر هذا جليا عندما مرَّ على مصر أثناء رحلته الحجية الشهيرة (724ه/1324م) ودخل على سلطان مصر محمد بن قلاوون (ت741ه/1341م)وطلب منه أن يقبل الأرض في حضرة السلطان المملوكي فرفض وأبى وقال: " أنا مالكي المذهب لا أسجد لغير الله فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إليهوأكرمه وتحدث معه.."[2]، وقد عني السلطان منسا موسبتشجيع الحركية العلمية بصفة عامة، والفقهية بصفة خاصة،إذ أرسل بعثات تعليمية إلى بلاد المغرب للتزود من علمائها؛ فبعث الفقيه عبد الرحمن التميمي (ت866 ه/1461م)[3]الذي قدم معه أثناء رحلته الحجية، فعندما قدم إلى مالي وجدها مملوءة بالعلماء المتفقهين فشد الرحال إلى فاس طلبا للعلم ثم رجع الى تنبكتو وتولى بها التدريس،ومنهم[4] الفقيه كاتب موسى الذي رحل بدوره إلى المغرب وتفقه هناك؛ وهذا لماشهدته مملكة مالي من علاقات بينها وبين دولة بني مرين في المغرب الأقصى،مما أعطى روحا جديدة لهذه العلاقات تمثلت في هجرات لعلماء وفقهاء مالكيين من بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي منهم الفقيه أبو العباس الدكالي الذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة وشغل خطة القضاء في مدينة جاو، كما أسهم الفقيه المفتي الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج في ذيوع هذا المذهب بعد أن تولى القضاء في تنبكتو زمن دولة مالي، كماتعتبر فترة منسا موسى (738هـ-762هـ) من أزهى فترات انتشار المذهب

---

[1]- أحمد مرجان سحر عنتر: فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي 628هـ-1000ه/1230م- 1591م، مكتبة الثقافة الدينية، مصر 2010، ص 61.

[2]- القلقشندي :صبح الأعشى ج5 مصدر سابق، 295.، السعدي :تاريخ السودان مصدر سابق، ص07.

[3]- السعدي : مصدر سابق، ص51.، البرتلي : فتح الشكور مصدر سابق، ص176.

[4]- السعدي : مصدر سابق، ص27-28، احمد مرجان سحر عنتر:مرجع سابق، ص74.

المالكي في هذه البلاد، حيث عرف بنشاطه وحرصه على الإسلام ومؤسساته إذقال عنه القلقشندي: "وبنى المساجد والمنارات،وأقام الجمع والجماعات والآذان، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك "[1]، و هو ماشاهده الرحالة ابن بطوطة حينما زارها أثناء رحلته الشهيرة[2]،وقد انتشر هؤلاء الفقهاء في كامل أرجاء مملكة مالي ومساهمتهم في الحركة العلمية خاصة في الحواضر الكبرى كتنبكتو، وجني، وغاو، وولاته، والتي أصبحت بدورها حواضر علمية فقهية مالكية تواصلت فيها هذه الحركية بعد مجيء دولة صنغاي التيأعقبت مملكة مالي الإسلامية خاصة في عهد حكم الأساكي التي اتخذت من الفقه المالكي المرجع الأساسي في حكم الدولة،ولا أدل على ذلك من زيارة عالميين مالكيين شهيرين لبلاد السودان الغربي، ويتعلق الأمربالإمام المغيلي والإمام جلال الدين السيوطي (ت911هـ-1505م) اللذان أحدثا تغييرا بفضل توجيههما للأساكي خاصة في أمور الحكم ومايتعلق بشؤون الإمارة.

كما أن دولة الأساكي شجعت بدورها رحلات العلماء والطلبة إلى المشرق والمغرب؛ من أجل التفقه وأخذ الإجازة على يد علماء اشتهروا بالحظوة والكعب العالي في الفقه المالكي،وقد رحل كل من محمد بن محمد التازحتى (ت936هـ/1529م)[3]ومحمد بن عمر بن محمد آقيت (ت955هـ/1548م) وأحمد بن عمر بن آقيت (ت991هـ/1583م)، رحلوا إلى المشرق ومصر فالتقوا بعلمائها منهم: الشيخ اللقاني[4]، والشيخ عبد الرحمن الأجهوري[1]، والشيخ أحمد بن محمد

[1]- المصدر السابق، ص57.

[2]- القلقشندي: صبح الأعشى ج5مصدر سابق، ص297.

[3]- التنبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج مصدر سابق، ص587، السعدي : مصدر سابق، ص39- 40.، بللو محمد: إنفاق الميسور مصدر سابق، ص51.

[4]- اللقاني :محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن شمس الدين اللقاني ،ولد بلقانة ،احدى قرى مصر،سنة 857هـ-1457م،تفقه بالقاهرة حيث درس على برهان الدين اللقاني والشيخ السنهوري ،ثم تصدر للتدريس في الازهرالى ان توفى سنة 935هـ-1528م.انظر التنبكتي احمدبابا :نيل الابتهاج ،ص335،وانظر زمان عبيد وناس :مدينة غاو ،مرجع سابق ،ص199.

الفيشي[2]، والشيخ عبد العزيز اللمطي[3]، ورحل مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (ت940ه/1533م) إلى المغرب وأخذعن ابن غازي المكناسي[4] وغيرهم، ثم رجع إلى السودان الغربي وبقي في تنبكتو للتدريس إلى أن رجع إلى المغرب ودرس في مراكش ثم رجع من جديد إلى تنبكتو وبقي يدرس إلى أن وافاه الأجل بها.

كما أن كتب الدراسة أصبحت بدورها تدور حول الفقه المالكي والعلوم المساعدة على فهمه، وأمس الفقهاء مالكيين في حياتهم وتقاليدهم وإنتاجهم وتفكيرهم،وأضحى المذهب المالكي هو المذهب الرسمي للدولة، وباتت السلطة القضائية والتشريعية والتنفيذية كلها تعتمد على الفقه المالكي لإصدار الأحكام.

وعلى العموم إن دخول المذهب المالكي لبلاد السودان الغربي شكل وحدة فقهية متكاملة بينها وبين بلاد المغرب الإسلامي تمثلت في رسوخ قضايا فقهية جعلت من المؤلفات المالكية كموطأ الإمام

---

[1]- عبد الرحمن الاجهوري زين الدين المالكي المصري توفي سنة 961ه-1553م،فقيه وعالم ،تتلمذ على يد شمس الدين اللقاني ،وشهاب الدين القطلاني حتى اوجيزبالافتاء والتدريس حيث تخرج على يديه جماعة كثيرة من اهم مؤلفاته "شرح مختصر خليل في فروع الفقه المالكي ،توفي في مصر ودفن في القرافة من اعمالها .انظر كحالة عمر رضا:معجم المؤلفين ج5،مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان ،دت ،ص167.،وانظر زمان عبيد وناس :مدينة غاو ،مرجع سابق ،ص203.

[2]- أحمد بن محمدبن إبراهيم الفيشي الانصاري المالكي ،نزيل الحسنية بالقاهرة،ويعرف بالحناوي ،ولد بقرية فيشة من طنطا بمصر سنة 763ه-1362م،انتقل الى القاهرة وهو صغير حيث درس هناك وتفقه ،حتى صار من علمائها ،توفي سنة 848ه-1444م،انظر العماد الحنبلي :شذارات الذهب في اخبار من ذهب ج7،دار المسيرة، بيروت لبنان،ط1979،2،ص262.وانظر زمان عبيد وناس :مدينة غاو ،مرجع سابق ص199.

[3]- عبد العزيز اللمطياليميوني توفي سنة 880ه-1475م،المكناسي نسبة الى مكناسة الزيتون بالمغرب الاقصى ،وهو فقيه مالكي نحوي من اهل فاس نزل المدينة المنورة ،له الفية في النحو وتفاسير على مختصر خليل في فروع الفقه المالكي .انظر كحالة عمر رضا :معجم المؤلفين ج5،مرجع سابق ،ص250.،زمان عبيد وناس :مدينة غاو ،مرجع سابق ،ص203.

[4]- محمد بن احمد بن محمد بن علي بن غازي المكناسي، فقيه مغربي من مكناسة الزيتون ولد سنة 841ه-1437م، توفي في فاس سنة 919ه-1513م، له عدة مؤلفات منها فهرسته التي تضن تراجم لمجموعة من العلماء ،وله كذلك أغنية الطلاب في شرح منية الحساب. ينظر: الزركلي خير الدين: الأعلام ، دار العلم للملايين ج6، بيروت لبنان، 1979.، ص 232.

مالك، ومدونة سحنون، ومختصر خليل، ورسالة بن أبي زيدالقيرواني مرجعا متفقا عليه تستمد منه الأحكامالفقهية والقضائية على وجه الخصوص .

2- العرف:

مع دخول الإسلام لبلاد السودان الغربي انزاحت بعض الأعراف والعادات الوثنية التي كانت تسود ذلك المجتمع، خاصة في مجال القضايا الاجتماعية التي حلت مكانها أحكام الشريعة الإسلامية، إلا أن هناك بعض العادات السائدة التي توارثتها[1] الأجيال وأصبحت من الأمور المتعارف عليها وإن كانت تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، وذلك راجع إلى البيئة السودانية التي هي حديثة عهد بالإسلام، كما أنها تختلف ثقافة ولغة عن مجتمعات قديمة العهد بالدين الإسلامي[2] وهو ما جعل بعض الفقهاء أن يوفق بين أحكام الفقه المالكي والعادات الإفريقية كالإمام القابسي[3]، فكان يحدد الفتوى بحيث تتلاءم مع خصوصية كل منطقة وطبيعتها، وهو ما كان في بلاد السودان الغربي من خصوصيات وجب مراعاتها فقهيا، أضف إلى ذلك محاولة بعض حكام هذه البلاد من إصلاح مجتمعاتهم وذلك من خلال رسائل وأسئلة وجهت إلى بعض الفقهاء ممن كان لهم زاد علمي في إرشاد الراعي وإصلاح الرعية، ويتجلى ذلك في رسائل الأسكيا محمد صاحب صنغاي إلى الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي[4]، وكذا الفقيه جلال الدين السيوطي[5]، وهذه الأسئلة تخص المجتمع الصنغي على الخصوص وبلاد السودان على العموم، مما كان مستشري فيه من ظواهر اعتبرت من رواسب الوثنية والتي وقف لها الفقهاء بندية محاولين إصلاح ما يمكن إصلاحه إلا أنها بتقادمها ظلت ضربا من

---

[1] -سوزي أباظة: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي 898هـ- 999هـ/1493م- 1591م مرجع سابق، ص380.

[2] -ضيفي عبد النعيم عثمان: رسوم ونظم دولة الأسكيين في سنغاي898- 100هـ/1492م-1591م، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر،2009، ص 136.

[3] -التليسي بشير رمضان: الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، 2003، ص 335.

[4] -المغيلي: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي مصدر سابق، ص57- 58.

[5] -السيوطي: الحاوي للفتاوى ج2 مصدر سابق، ص448، إيهاب شعبان : القضاء في دولتي مالي وصنغي، مرجع سابق، ص84.

العادات والأعراف ذات الموروث والتقديس الاجتماعي[1]، وهنا وقفت سلطة الفقهاء قاصرة لا تبحث إلا على المخارج الفقهية الأقل خفة في تحمل أعباء هذه الأخطاء الاجتماعية، وقد أخذت المواريث وحقوقها النصيب الأكبر في هذا العرف، فقد كانوا لا يتوارثون على الكتاب والسنة، وإنما كان يأخذ مال الميت ابن أخته وهذا ما نجده متوارث عندهم منذ عهود قديمة، كما كان فيهم استيلاء الابن الأكبر على ميراث الأب بعد وفاته وحرمان باقي إخوته، بحيث كان يدعى بأنه في منزلة أبيهم، كما لم يوجد للمرأة نصيب على الإطلاق[2] . أما القضايا الأخرى التي كانت تخضع للعرف فكانت معظمها تدخل في نطاق القضايا العامة خاصة قضايا التخابر والتآمر والخيانة العظمى للدولة[3]، وهذا ما كان يخضع لسلطة القاضي فيطبق على المجرم أقصى عقوبات القتل التي كانت عادة تتراوح مابين الشنق والدفن حيا[4]، أما السرقة فكانت تطبق على السارق عقوبات بحسب سرقته، تبدأ بثقب الأذن وقطع الثلث منها ثم النصف إلى قطعها كلية، وهذا حسب السرقات المقترفة.

أما القرى والأرياف فكانت تخضع لسلطة شيخ القبيلة أو المجموعة العرقية الذي كان يحكم وفق أعراف وتقاليد محلية أكثر من اعتمادهم على الشريعة الإسلامية[5].

كما عرفت أجزاء من بلاد السودان الغربي بعض الأعراف الفقهية التي كانت نتاج اجتهادات وفتاوى تأويلية لنصوص دينية وفقهية بأولويتها في التطبيق في هذه المجتمعات فكانت محل أخذ ورد بين الفقهاء منهم المقر ومنهم المعارض، وهذه الأعراف تمثلت في العقوبة المسلطة على الجاني وهي العقوبة

-[1] فرياني بطل شعبان: العامة في صنغي869هـ-1000هـ/1464م- 1591م، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر،2011، ص206.

-[2] السعدي : تاريخ السودان مصدر سابق، ص84، سوزي أباظة: مرجع سابق، ص380.

-[3] ينظر مبحث الحدود والعقوبات من هذا الفصل.

-[4] السعدي :مصدر سابق، ص18، العمراوي محمد السنوسي: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الأساكي 898هـ-1000هـ/1493م-1591م، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر، 2009، ص133.

-[5] ينظر مبحث العقوبات (العقوبة بالمال) من هذا الفصل.

المالية[1] عوض العقوبات المفروضة شرعا، وكانت على وجه التغريم والتعزير لمن ارتكب معصية وردعا على الإقدام على مثل هذا التصرف مستقبلا، وقد كان هذا في الأرض السائبة من بلاد السودان الغربي المعروفة بسلطة القبيلة والولاء العرقي، وقد جاءت هذه العقوبات حماية لهذا الوسط من تفشى الجرائم وتعذر إقامة الحدود ولجوء الناس إلى أعرافهم المحلية، وقد ظهر هذا جليا في نوازل حمى الله التيشيتي، ونوازل احمد بن الحاج حي الله الغلاوي(ت1209هـ-1725م) وقد طبقت هذه العقوبات على جرائم السب والكلام والضرب، خاصة إذا كان الضحية من أكابر القوم أو ممن اتصف بالعلم والورع، كما وصلت إلى حد التغريم بالإبل والمواشي إلى جانب التغريم بالمال.

ب/ تعيين القضاة:

نظرا لأهمية هذه الوظيفة وضرورتها الملحة في نظام الحكم فقد كانت بلاد السودان الغربي وعبر تاريخها الطويل تخضع لنظم وأعراف يتم بها تعيين القضاة، فحكام هذه البلاد وبداية من عهد دولة مالي ()ومن جاء بعدها كانوا يولونها أهمية كبيرة حيث يختارون القضاة من فئة العلماء والفقهاء المشهود لهم بالتقوى والورع وتحري العدل، هذا بالإضافة إلى الشروط العامة الواجب توافرها فيهم[2] .

ويعد الأسكيا محمد الكبير أول من قام بإصلاحات في هذا الجانب خاصة بعد عودته من رحلته الحجية الشهيرة [3](902هـ/1496م)، وكان الأسكيا قد اتصل بالشيخ المغيلي من خلال تلك الأسئلة التي طرحها عليه، وهي في السياسة الشرعية [4]وما يجب على الحكام القيام به في شؤون الإمارة ومن بينها خطة القضاء، إذ يجب عليهم اختيار القضاة الثقات الذين يفصلون في الأمور بحزم

---

[1]- فتاوى حمى الله التيشتي: جمع وتحقيق ولد السعد محمد المختار، دائرة القضاء، ابوظبي الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص2.، ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوى ج12مرجع سابق، ص6067.

[2] – أنظر الفصل الأول.

[3] – كانت رحلة حج الأسكيا محمد من أشهر الرحلات الحجية في بلاد السودان الغربي مثلها مثل رحلة سلطان مالي منسا موسى لما تركاه من آثار للمزيد:انظر السعدي : تاريخ السعدي مصدر سابق، ص 72،الشامي على يوسف :الحج وأثره الحضاري في دولتي مالي وصنغي 336هـ-1000هـ-1238م-1591م،رسالة ماجستير في التاريخ ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،2006،ص ص 48،47.

[4]– انظرالمغيلي: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، ذخائر المغرب العربي،الجزائر،د.ت.ط.، ص 26 ومابعدها.

وإخلاص فبصلاح القضاء يصلح الحكم ويسود العدل، وهذا ما عمل عليه الأسكيا محمد ومن جاء بعده من الآساكي، حيث بادروا بتولية القضاء للعلماء المشهود لهم بالقَدَمِ الراسخ في العلم والتمرس في الأحكام مع التقوى والتزكية.

وقد بادر الآساكي بتعيين فقهاء لهذه المهمة والإلحاح عليهم رغم رفضهم لها[1] وهو ما تجلى في صورة شغور هذا المنصب لمدة العام والنصف في مدينة تنبكتو بعد وفاة القاضي العاقب بن محمود آقيت (ت991هـ/1573م) وظل الأسكيا محمد الثاني () يلح على الفقيه أبي حفص عمر بن محمد (ت1006هـ/1597م) ليتولى هذه الخطة لكنه كان يرفض في كل مرة، إلى أن أرسل إليه الأسكيا رسوله يبلغه أنه إذا لم يقبلها سيوليها لجاهل ويكون ذنب كل ماحكم به هذا الجاهل يُسَأَلُ عليه أبو حفص إمام الله، ولما سمع أبو حفص ذلك قبل وهو يبكي وكان ذلك عام (993هـ/1585م)[2]، الشيء نفسه حدث مع الفقيه محمود بغيغ (ت1002هـ/1592م) الذي أرسل إليه الأسكيا إسحاق () بتولي قضاء جني[3]وكان يرفض فبعث إليه أحد أعيانه من الجيش ليوليه القضاء أحب أم كره، فلما نادوا عليه وجمعوا أهل جني وفقهائها وأعيانها وهو لا يعلم لماذا نادوا عليه، البسوه قميص القضاء الذي أرسله إليه الأسكيا إسحاق علم بأنه سيولى القضاء ظل يبكي كالصبي لعظم مسؤوليتها، ولما علمت زوجته بذلك لامته لوما شديدا وقالت له لما رضيت القضاء فقال لها لم ارض بذلك وإنما أجبروني به وكلفوني فقالت " لو اخترت الموت عليه لكان أهون منه"[4]وتكرر نفس الأمر

---

[1]- امتنع كثير من العلماء عن منصب القضاء منهم الإمام أبو حنيفة في عهد المنصور العباسي حتى قيل أنه عذب ومع ذلك لم يقبله ،كما أن كثير من علماء المالكية لم يرغبوا في منصب القضاء بل رفضوه ،مثل علي بن زياد فقيه القيروان عن ذالك ،وهو ما عبر عنه ابن فرحون المتوفي سنة 799هـ-1396م: "اعلم أن كثير المؤلفين من أصحابنا وغيرهم بالغوا في الترهيب والتحذير من الدخول في ولاية القضاء وشددوا في كراهية السعي فيها ورغبوا في الإعراض عنها والنفور والهروب منها... "انظر :ابن فرحون إبراهيم بن على ،تبصرة الحكام في أصول الفقه ومنهاج الأحكام ج1،تحقيق جمال مرعلشي ،دار عالم الكتاب، الرياض ،2003،ص ص10،11،وانظر بحاز إبراهيم :القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية 96هـ-296هـ-715م-909م،ج1،نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية ،الجزائر ،2006،ص ص 328،330،محمد السنوسي العمراوي ،مرجع سابق ،ص 141،أبو بكر إسماعيل ميقا ،مرجع سايق ،ص277.

[2]- السعدي ،مصدر سابق ،ص118،محمود كعت ،مصدر سابق ،ص76.

[3]- محمود كعت ،ص ص 89-90،السعدي ،ص ص 19،20،مهدي رزق الله أحمد ،حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص ص 522،523

[4]- السعدي ،ص19،محمود كعت ،90.

مع الفقيه عثمان درم الذي طلب منه الأسكيا إسحاق تولي قضاء بلدة تندرم فرفض ولم يقبله إلا قهرا بعد مد وجزر ومشاورات [1]"، وطلب الأسكيا داوود من الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط القاضي محمود بن عمر (ت976هـ/1568م) أن يقنع كل من الفقيه محمد بغيغ وأخيه الفقيه أحمد بغيغ (ت978هـ/1570م) أن يتولى أحدهما قضاء مدينة جني وتوابعها وطلب من الاعيان في مدينة جني تنبكتو بإقناعهما ولكن أصرا على الرفض، فلما ازداد الإلحاح وتشفع الناس عليهما هربا ولجأ إلى المسجد وأقاما فيه مدة شهور وظل يأتيهما رسول الأسكيا يوميا لكنهما رفضا ولم يقبلا أي شفاعة فسكت عنهما السلطان [2].

ومن خلال هذه النماذج من الرفض يتبين لنا كيف كان الفقهاء يتهربون من مهمة القضاء، وذلك لعظيم مسؤوليتها أمام الله وزهدهم فيها رغم مالها من صلاحيات التقرب من السلطان، ومن ناحية أخرى نرى أن إلحاح الآساكي على هؤلاء الفقهاء دليل على رغبتهم في إصلاح حال الرعية بتعين قضاة مشهود لهم بالورع والثقة لأن ثقة القاضي من ثقة الحاكم، وإذا كانت ظاهرة العزوف عند بعض الفقهاء فإن الكثير منهم تحملها بكل مسؤولية وحاز على ثقة الآساكي، حيث وردت عدة مراسيم بتعيين قضاة المدن الكبرى علما أن قاضي تنبكتو يعين من طرف الأسكيا شخصيا أما بقية المدن الكبرى فيعين قضاتها من طرف قاض تنبكتو باستشارة وتزكية من طرف الأسكيا، وهذا لما تحظى به هذه المدينة من قيمة حضارية ودينية في بلاد السودان الغربي وما تمثله من إرث ثقافي شاركته تلك الأسر ذات المرتبة العلمية والوجاهة الدينية والاجتماعية كأسرة آل آقيت وآل بغيغ وآل اندغمحمد.

وكان تعيين القضاة يتم بمراسيم وقرارات من الآساكي لكن رغم ذلك فهم مستقلون عنهم في الأحكام وهذا ما بدأ به الأسكيا الحاج محمد (898هـ-935م/1493-1529) من تعيين قضاة المدن والقرى البعيدة آخذ بنصيحة المغيلي من أجل تحقيق العدل في ربوع المملكة حيث يقول فيه

[1]- محمود كعت ،ص90،مهدي رزق الله أحمد ،حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص 523.

[2]- محمود كعت ،مصدر سابق ،ص113،أبو بكر إسماعيل ميقا ،نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك آل أسكيا ،الدارة السعودية ،1995،ص244.

محمود كعت "....وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة ..ونصب في تنبكتو قاضيا وبلدة جني قاضيا وفي كل بلد يستحق قاض من بلاده قاضيا من كنت إلى سبردك...."[1]

حيث أصدر مرسوم بتعيين الفقيه محمود بن عمر قاضيا لتنبكتو عام ،(ت 904ه/1498م) والذي اشتهر بعلمه وعدله وصرامته في الأحكام فمكث مدة طويلة[2] فيه، كما عين في قرية يندبع الفقيه عمر الذي تولى فيها القضاء بعدما كان يقضي بينهم من طرف الخطيب عمر[3].[4]

وفي عهد الأسكيا إسحاق عين الفقيه محمد بن القاضي محمود في قضاء تنبكتو بعد وفاة والده سنة (955ه/1518م)[5] وأصدر مرسوما بتعين الفقيه محمود بن أبي بكر بغيغ قاضيا لمدينة جنى سنة(959ه/1522م) بعد وفاة قاضيها عباس كب، وعين الفقيه عثمان درم قاضي لبلدة تندرم[6]، كما أصدر الأسكيا داوود مرسوم بتعيين الفقيه العاقب بن القاضي محمود بن عمر قاضيا على تنبكتو بعد وفاة أخيه القاضي محمد بن محمود بن عمر وذلك سنة(973ه/1566م)،وعين الفقيه محمد جغيت (توفي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي)خطيبا لجامع مدينة غاو وعين بعده الفقيه محمود كب بن جابر سنة(974ه/1566م)[7]،ثم بعده الفقيه محمود درمي سنة

---

[1]– محمود كعت ،مصدر سابق ،ص59،محمد السنوسي العمراوي ،مرجع سابق ،ص134،زبادية عبد القادر ،مملكة سنغاي في عهد الاسقيين ،مرجع سابق ص ص74-75.

–[2]التنبكتي احمد بابا ،نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،السعدي ،مصدر سابق ،ص38.

[3]– هو من أسرة آل الحاج التي ظهرت مكانتها منذ أن تولى جدهم الأكبر القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج في مدينة تنبكتو أواخر مملكة مالي وقد عين الأسكيا محمد أحد أفراد هذه الأسرة في قضاء يندبع .انظر :السعدي ،مصدر سابق ،ص ص 27،28.،وانظر :سوزي اباضة محمد حسن داوود:القضاء في صنغي في عهد الآساكي 898هـ-999هـ-1493م-1591م،مجلة المؤرخ المصري ،قسم التاريخ ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة العدد28يناير 2005،ص398،وانظر عبد الرحمن ميقا،الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8هـ-13الهجري ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية ،2011،ص369.

3- محمود كعت ،مصدر سابق ،ص ص 88-89،السعدي ،مصدر سابق ،ص ص 96-97،محمد السنوسي العمراوي ،مرجع سابق ،ص 135.

[5] محمود كعت ،مصدر سابق ،ص ص 88-89،السعدي ،مصدر سابق ،ص ص 96-97،محمد السنوسي العمراوي ،مرجع سابق ،ص 135.

[6] – كعت محمود: مصدر سابق، ص90-91.

[7] – التنبكتي احمد بابا: نيل الإبتهاج ج2 مصدر سابق، 111.

(986هـ/1578م) والملاحظة الجديرة بالذكر أنه في مدينة غاو كان يسند القضاء للخطباء ولم يكن هناك خطباء مستقلين رغم أنها كانت عاصمة الحكم، عكس المدن الأخرى كتنبكتو وجني كان قضاتهما مستقلين عن الخطباء بل وكان يسند إليهم تعين الخطباء خاصة في تنبكتو وهذا راجع ربما إلى أن الآساكي هم من كانوا يشرفون على القضايا مباشرة خاصة في القضايا الكبرى التي كان يرجع الحكم الأول فيها لهم، أما القضايا الأخرى فكان يكلف خطيب الجامع بفضها أو إجراء الصلح بين المتخاصمين لذا ما عُيِّنَ خطيب في غاو إلا وأسند له القضاء .

وفي عهد الباشاوات المغاربة، استمر هذا التقليد رغم ما تم من الحد من صلاحيات القاضي، حيث أصدر الباشاوات أوامر بتعيين قضاة، ولم يكن هذا التعين يقتصر على الأسر التي اشتهرت بممارستها للقضاء خاصة أسرتي آل آقيت وآل بغيغ، بل عين في هذه المناصب قضاة آخرين كانوا محل ثقة الباشوات كان على رأسهم الفقيه محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر الذي يعتبر أول قاضي في عهد الحكم المغربي عينه الباشا محمود بن علي زرقون على قضاء تنبكتو ومكث فيه خمسة عشر سنة إلى أن توفي سنة (1017م)[1]، ثم عين بعده الفقيه محمد بن اندغمحمد (ت1004هـ/1595م) وتولى بعده ابنه الفقيه أحمد بن محمد بن اندغمحمد (ت 1045هـ-) الذي ولاه الباشا محمود قضاء تنبكتو منذ(1020هـ) إلى حين وفاته ،كما أمر الباشا عبد الرحمن ابن القائد أحمد سعدون الشاظمي الفقيه محمد بن الإمام محمد بن كري (ت995هـ-1062م)[2] قضاء تنبكتو بعد وفاة أحمد بن اندغمحمد (ت1045هـ-).

أما مدينة جني فكذلك عين فيها قضاة من طرف الباشاوات فأولهم الفقيه القاضي أحمد الفلالي (ت خلال القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي)ثم القاضي مودب موسى دب (ت 1062هـ-)[3]

[1] - إبن القاضي المكناسي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ج2، دار التراث، القاهرة مصر، 1971، ص325.

[2] - مجهول : تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966، ص 178.، السعدي: مصدر سابق، ص291.

[3] - ميقا عبد الرحمن : الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 08الى القرن 13الهجري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2011، ص380.

ثم القاضي أحمد تروري (ت1024هـ-)[1].

أما طريقة التعيين فكانت تتم وفق مراسيم خاصة في المسجد الجامع بعد صلاة من الصلوات الخمس وذلك بحضور السلطان في يوم مشهود، حيث يأتي الفقيه الذي يريد أن ينصب قاضي فيحلف إمام الحاكم بالله أو باسم من أسمائه الحسنى أنه سيلتزم في أحكامه بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وخلفائه[2] من بعده واجتهادات أئمة العلم من بعدهم، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم ثم يقول الفقيه: " القوي عندي ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، وكذلك الضعيف عندي قوي حتى يستوفى له الحق "وعقب هذا الحلف والقسم يلبسه الحاكم قميص القضاء ويقلده المنصب بحضور الأعيان من العلماء والصالحين وأعوان الملك وغيرهم في يوم مشهود[3]، هذا إذا كان المعنى بالتولية حاضرا، أما إذا كان غائبا فيتم ذلك عن طريق المراسلة والمكاتبة؛ وكانت هذه الطريقة الأخيرة مع قضاة الأقاليم البعيدة التي يعينها قاضي تنبكتو باستشارة وتزكية من الحاكم، واستمر هذا التقليد إلى عهد الباشاوات المغاربة لكن في القصر السلطاني " المشور"[4]بدل المسجد الجامع إضافة إلى القسم على المصحف وكتاب صحيح البخاري وهذا لضمان الولاء والطاعة للعهد المغربي، وإذا كانت المدن الكبرى عرفت هذه الطريقة في التعيين أو التنصيب فإن القرى والأرياف البعيدة خاصة في الأماكن الصحراوية التي كانت لا تصلها سطوة الحكم والسلطان المركزي وكانت تعيش مرحلة الفراغ السياسي "البلاد السائبة"، فكان التعيين يتم عن طريق جماعة الحل والعقد التي تقوم مقام السلطان فيها، وهذا ما أشارت إليه معظم النصوص النوازلية التي أجازت هذا واعتبرته من باب المصلحة العليا للمجتمع نظرا لحاجة الناس إليه.

يقول عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت1233هـ- 1818م): " أن الانتصاب للقضاء يكون من جهة السلطان أو جماعة المسلمين في بلد لا سلطان فيه؛ لأن جماعة المسلمين تقوم مقام الحاكم في كل موضع لا سلطان فيه أو يتعذر الوصول منه إلى سلطان كما ذكره خليل في قوله: "وإلا

---

[1] – أحمد بن بابييرالأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 2001، ص101.

[2] – ميقا ابوبكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية مرجع سابق، ص278.

[3] – كعت محمود: مصدر سابق، ص90.

[4]– الغربي محمد: بداية الحكم المغربي، مرجع سابق، ص360.

فجماعة المسلمين"، ونصب جماعة المسلمين يكون صريحا والتزاما بأن يروا الناس يذهبون إلى شخص المرة بعد المرة ولا ينهونه ولا الذاهبين إليه، والجماعة التي تنصِّب أحدا للقضاء لابد أن يكونوا عدولا في الحدود وغيرها "[1].

كما سئل حمى الله التيشيتي(ت 1169هـ- 1755م) في نوازل القضاء عن جماعة المسلمين هل تقوم مقام الحاكم في شيء ولو في الحدود.

فأجاب[2]: الجماعة في البلد الذي لاحاكم فيه تقوم مقام الحاكم في الحدود وغيرها.

وسئل عبد الله بن الفغ سيد أحمد العلوي (ت ق12هـ/18م)في نوازله أن تقليد القضاء يكون بنصب السلطان أو جماعة المسلمين في بلد لا سلطان فيه أو يتعذر الوصول إليه "كما صرح الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي (ت1226هـ-1811م) بوجوب قيام جماعة الحل والعقد بنصب القضاة في حال فراغ السلطة[3].

فقال[4]: وأما القاضي فهو نائب الإمام في تنفيذ الأحكام الشرعية فإن كانت الأرض سائبة أو في حكم السائبة وجب على الجماعة الصالحة تقديم قاض.

ومن خلال هذه النصوص التي أكدت على قيام جماعة الحل والعقد واضطلاعها بتنصيب القاضي ولوازم شمولية العدل، بينت لنا من جهة أخرى مدى تغلغل الضوابط القضائية في هذه المجتمعات، وحرص الناس على إيجاد مسوغات شرعية لتصرفاتهم التي وجد التعبير عنها في ظاهرة الفتوى والنوازل التي تعكس وضعا تاريخيا متأصلا، قوامه تسويغ عمل هذه الجماعة في تنظيم الخطط الدينية عامة والقضاء بصفة خاصة، وتنفيذ الحدود الشرعية التي لا ينفذها إلا السلطان الجامع في الأمصار

[1] - عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي: الفتاوى، جمع وتحقيق، محمد الأمين بن محمد بيب، مكتبة الفقه المالكي، أنواكشوط موريتانيا، 2002، ص 481.

[2]- ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا مرجع سابق، ص62.

[3] - ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ج12 مرجع سابق، ص5762- 5763.، المرجع السابق، ص 63.

[4] - ولد السالم حماه الله: مدن القوافل في موريتانيا ودورها الحضاري من خلال ركب الحجاج، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أنوكشوط ، 22-23 ديسمبر 2003، ص 24.

الإسلامية، وتدل هذه النصوص على أن هذا المستوى من هذا الدور كان منذ وقت طويل ومبكر في تأسيس وتشريع عمل هذه الجماعة.

وإذا كانت المصادر لم تخبرنا عن مراسيم تنصيب القضاة واكتفت بذكر تعيينهم من طرف جماعة الحل والعقد التي خولها لها الفقه جميع صلاحيات الإمام في تنصيب وعزل ورقابة القاضي، فإنها ذكرت مجموعة من القضاة عينوا من طرف هذه الجماعة لاسيما في المدن الصحراوية التي شهدت تنامي تجارة القوافل وتعقد الحياة اليومية الاجتماعية للفرد[1] باتت وظيفة القضاء ضرورة من ضرورات الحياة، ومن بين القضاة في ولاته نجد أسرة المحاجيب[2] احتلت الريادة بستة قضاة هم أحمد الوالي بن أبي بكر المحجوبي(ت1095هـ/1684م)، وعبد الله بن أبي بكر بن الشيخ (ت1122هـ/1710م)والقاضي أحمد بن عبد الله بن علي بن الشيخ المحجوبي (ت1140هـ/1727م)، واند عبد الله بن أحمد بن الشيخ المحجوبي (ت1172هـ/1759م)، وأبو بكر بن محمد بن اند عبد الله المحجوبي (ت1208هـ-1793م)، وامبوبه بن محمد بن محمد بويه المحجوبي (ت1221هـ-1806م)وعلى الرغم من أن هذه الأسرة كانت تتوارث القضاء إلا أن هذا التوارث كان يخضع لهيئة الحل والعقد، والأمر نفسه بالنسبة للقاضي محمد التنبكتي الولاتي (ت1050هـ/1640م) الذي مارس القضاء بتعيين من هذه الهيئة خلال القرن العاشر والنصف من القرن الحادي عشر الهجري، ولا يختلف حال ولاته عن بقية الحواضر الأخرى ففي تشيت ولَّت هذه الجماعة القضاء كل[3] من القاضي الفقاري الذي لم تذكر عنه المصادر إلا اسمه وانفرد البرتلي[4] بتخمين أنه عاش في القرن العاشر الهجري/ السابع عشر ميلادي ، إضافة إلى الفقيه القاضي الحسن بن اغبد الزيدي (ت1123هـ/1711م)والذي خلفه القاضي أحمد بن فاضل الشريف (ت1164هـ/1751م)، ومن بعده القاضي حمى الله التيشيتي (ت1169هـ/1756م)،كما كان لهذه الحاضرة قضاة من خارجها اشتهروا بالعلم والنزاهة

---

[1] - ولد أيده الهلال أحمد مولود: مدن موريتانيا العتيقة قصور ولاته وودان وتيشيت وشنقيط، منشورات مركز الدراسات الصحراوية موريتانيا، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط المغرب، 2014، ص160.

[2] - ينظر الفصل الثالث قضاة ولاته.

[3] - ولد ميابي حماه الله: مدينة تيشيت رسائل وأشعار من القرن 12-13 هجري، د.د.ط، ص 53.

[4] - فتح الشكور: مصدر سابق، ص41.

فقلدتهم الجماعة هذه الوظيفة منهم القاضي العدل أحمد بن يدغور بن أحمد الشيخ الكابي الماسني (ت1188هـ-1774م)[1].

أما شنقيط[2] فقد تصدر فيها القضاء فيها كل من القاضي عبد الله بن الطالب بن حبيب العلوي (ت1101هـ/1690م)ومن بعده القاضي الطالب محمد بن المختار بن الأعمش الشنقيطي (ت1107هـ/1695م)،وخلفه القاضي عبد الله بن محم المعروف بابن رازقة (ت1143هـ/1731م) .

وفي ودان[3] قلدت الجماعة القضاء لكل من محمد بن عبد الله بن أحمد القاضي في ملتقى القرنين التاسع والعاشر الهجريين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وأحمد الفزاري عاش في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، واحمد ايد القاسم (ت1086هـ-1675م)، وحبيب الله بن سيد أحمد المتغنبز الكنتي الوداني (ت1145هـ-1742م).

وتقلد القضاء في أروان[4] كل من القاضي الوافي بن طالبنا الأرواني خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، والذي أخذ عنه ابنه طالبنا الملقب بسنبيرو بن سيد الوافي الغلاوي (ت1108هـ/1766م)، والفقيه القاضي محمد الأمين بن الطالب أحمد آل البشير بن محمد السوقي البوجبيهي (ت1135هـ-).

وعلى الرغم من عمل جماعة أهل الحل والعقد الذي كان سائدا في هذه البلاد من أجل سيرورة السلطة القضائية وحماية حقوقها إلا أننا نجد وفي ظل هذا المجال قيام إمارات وحركات إصلاحية ظهرت متأخرة ما يبرز سلطة تعيين القضاة من طرفهم رغم ظهورها بطابع قبلي أو ديني مثل حركة الإمام ناصر الدين (ت1084هـ-1673م)[5]، والذي اهتم بالقضاء وعين مجلسا خاصا به ترأسه القاضي محمد الحبيب الألفعي (ت)مع مجموعة من القضاة[6] منهم الفاضل بن أبي الفضل الحسني،

[1] - ينظر الفصل الثالث قضاة تيشيت.

[2] - ينظر الفصل الثالث قضاة شنقيط.

[3] - ينظر الفصل الثالث قضاة ودان.

[4] - ينظر الفصل الثالث قضاة أروان.

[5] - ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا قبل الإحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017، ص310.

[6] -ينظر الفصل الثالث قضاة تشمشة.

والفاضل بن بارك الله فيه الديماني، والحبيب بن الحسن اليعقوبي، ورغم قصر مدة هذه الإمارة إلا أنها اهتمت بالقضاء والجوانب الخاصة به، حيث بلغ فيها القضاة مبلغ الكثرة جعل إحدى حروب شرببه تسمى كثيب القضاة[1] لما مات فيها من القضاة، أما في الإمارات الأخرى التي قامت متأخرة عنها ابتداء من القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي فإننا لا نجد إلا إشارات خفيفة لقضاة تولوا هذه المهمة على الرغم من أنها قامت على عصبية أهل العلم أو الزوايا كما يطلق عليهم في المصادر الصحراوية.

ج/ صلاحيات القاضي وحقوقه الشرعية:

1-صلاحياتالقاضي:كان للقضاة ببلاد السودان الغربي صلاحيات واسعة استمدوها من طبيعتهم الدينيةومن المكانة التي حظوا بها عند حكام هذه البلاد، خاصة في عهد أسرةالآساكي في دولة صنغاي؛ والتي عرف عنها احترام شخصية القاضي واعتبار أحكامه قانون يسري على الجميع الحاكم قبل المحكوم[2]، وهو ما دفعببعض المؤرخين إلى عقدمقارنة بين مركز الحاكم والقاضي الديني والدنيوي،بل وقرروا أن سلطة هذا الأخير تفوق في بعض الأحيان سلطة الحاكم نفسه[3]،وهو ماتجلى في صراحة القضاة والتزامهم قول الحق وإسداء النصيحة أمام الخاصة والعامة بمن فيهم السلطان إذا شاهدوا خطأمنه يزجرونه ولا يعبئون بمنصبه، ولا أدل على هذا مماقام به القاضي أبو البركاتعند السلطان الأسكيا موسى الذي لم يستقبله أثناء اعتلائه العرش،كما هو المعمول به وهوأن يستقبل السلطان من طرف القضاة، فعندما سأل الأسكيا موسى القاضي أبا البركات عن عدم حضوره كان رده أنه لايستقبل وجها خلع أمير المؤمنين؛ والمشهور أنالأسكيا موسى خلع أباهاالأسكيا محمد[4]عن

---

[1] - ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا مرجع سابق، ص65.

[2] الحسن الوزان: وصف إفريقيا ج2،مصدر سابق ،ص167.

[3]كعت محمود ،تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص ص 178-179.،وانظر محمد الغربي ،بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص391.

[4]مكث الأسكيا محمد الكبير في السلطة مدة ستة وثلاثون سنة (899هـ-934هـ/1493-1528م)حيث تقدم به السن وضعف جسمه وفقد بصره، مما رغب الطامعين في الحكم من أولاده وأولاد أخيه، حيث ثار عليه ثلاثة من أولاده بقيادة أكبرهم

العرش بل ونفاه إلى جزيرة قريبة من غاو،ولم يقل الأسكيا موسى شيئا وإنما قال فعلت ذلك خوفا على نفسي[1]،والمثال الثاني الذي يبين نصح القضاة للسلاطين مارواه السعدي[2] من زيارة الأسكياإسحاقإلىجنيوأمر البراح بأن ينادى على الناس ويجتمعوا خاصيهم وعاميهم،فعندما اجتمعوا قال لهم:إذا كان احد اقتطع حق احد ظلما نأخذه الآن منه بالقوة، فقال له الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ (ت 959هـ- 1551م): هل ماتقوله حقا؟ فقال الأسكياإسحاق: نعم، قال له:إذاأنتأكبر الظلمة، فمارد عليه الأسكياإسحاقبشيء بل رجع إلى بيته وهو يبكي، فيستفاد من هاتين الحادثين ما كان يتمنع به القضاة من سلطة خول لهم ممارسة عملهم بكل شفافية ولو كان ذاك الشخص سلطان نفسه.

كما كان حكام هذه البلاد لايبرمون أمرا الابمشورة القاضي والأخذبرأيه وذلك باعتبارهم هيئة استشارية في المجلس الحاكم[3]،بل كان الآساكيلايضفون الشرعية على قراراتهمإلا بمباركة من القضاة، مثلما استشار الأسكيا محمد الكبير القاضيان محمودبن عمر بن محمد آقيت (ت955هـ/1547م)الذي كان أهم من يلجأ إليهم لطلب المشورة،وكذا ابنه محمودبن عمر بن آقيت (ت973هـ/1583م)الذي اعتمد عليه الأسكيا في رسم سياسة الحكم وتنظيم أمورالدولة[4]،

موسى الذي كان يتطلع إلى العرش واحتلال مكانة أبيه فاستنجد الأسكيا محمد بأخيه يحي فقتله الثوار وتخلصوا منه ،ثم ساروا إلى جاو وأجبروا أباهم على التخلي عن الحكم لابنه موسى وذلك سنة(934هـ/ 1528م) للمزيد انظر : أبو علم محمد انو توفيق ،دولة سنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري 1493م-1591م،رسالة ماجستير في التاريخ (العصور الوسطى) معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،مصر ،1977،ص50.

[1] السعدي ،تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص 75.

[2] المصدر السابق ،ص ص 96-97 ،كعت محمود ،تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص ص 88-89.

[3] كعت محمود ،تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص ص 139-152،العمراوي محمد السنوسي ،نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الآساكي (898-1000هـ/1493-1591م) أطروحة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الإفريقية ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،مصر ،2009،ص 164.

[4] - سوزي اباظة محمد حسن داوود: القضاء في صنغاي في عهد الآساكي (898هـ-999هـ-1493-1591م)مرجع سابق، ص369،إيهاب شعبان عبد الشافي:القضاء في دولتي مالي وصنغي ،مرجع سابق ،ص ص 183-184.

كما استشار الأسكيا داوود القاضي العاقب بن محمد آقيت (ت991ه/1583م)الذي كان مسددا في أحكامه، صلبا في الحق، جسورا على السلطان[1]، لايخاف في الله لومة لائم.

فإذا كانت هذه الصورة العامة لمكانة القضاة عند السلطة الحاكمة كما أسلفنا، فقد تبوأالقاضي صلاحيات أكثر اعتبرت من صميم الولاية العامة المنوطة بعمله وسلطته،والتي عدها العلماء ومن بينهم الماوردي وأبي يعلى الفراء صاحبا الأحكام السلطانية[2] وهي على النحو التالي:

-فض المنازعات وقطع التشاجر والخصومات.

-استيفاء الحقوق وإيصالهاإلى مستحقيها.

-ثبوت الولاية على كل من كان ممنوع التصرف.

-النظر في الأوقاف وتنفيذ الوصايا.

-تزويج الأيامى بالأكفاءإذا عد من الأولياء.

- إقامة الحدود على مستحقيها.

-النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأبنية ومراقبة الأخلاق العامة.

-تصفح شهوده وأمنائه واختيار النائبين عنه.

وقد تجلت هذه الصلاحيات كلها في قضاة بلاد السودان الغربي، بل زادوا على ذلك حيث كانوا يفصلون في القضايا الإجرامية[3] بصفة رئيسية كالجرائم المتعلقة بإحداث عاهة أو إتلاف عضو، فقد كانوا لا يتهاونون في تسليط العقوبة بعد تقصي الحقائق واثبات التهمة على الجاني،والتي كانت تتمثل

[1]-السعدي ،مصدر سابق ،ص40،عبلة محمد سلطان ،العناصر المغربية ،مرجع سابق ،ص 76.

[2]-انظر الفصل الأول في تعريف القضاء وأحكامه.

[3]- كعت محمود ،مصدر سابق ،ص63.

عادة في السجن والجلد والقصاص[1]، أما جرائم القتل والأعمال السياسية فعادة يكون فيها الإعداموقد كانوا يستشارون في حكمها لأنها من صلاحيات الحاكم[2]، أما قضايا التشاجر والتخاصم التي كانت تقع بين الأشخاص والقبائل فقد كانت أحكامها تلزم عادة بالصلح،هذا بالإضافةإلى تولي بعض الأحوال المدنية مثل تسجيل المحررين من العبيد،ومراقبة هلال رمضان من أجل إبلاغ الناس بالصيام[3].

وقد تصدرت قضايا الإرثأكبر المجالات التي كان لقضاة السودان الغربي اليد الطولى في إصدارالأحكام فيها[4]،حيث كانوا يلزمون بتنفيذ وصية الثلث في الهدية أي في ميراث من توفى ووصى بماله لعمل خيري أو لشخص وحرم أبناءه من الميراث إذ لاوصية إلا في الثلث،كما كانوا يَعُدُّون تركة الرجل الميت بل ويحفظونها[5] إذا كان الميت من الغرباء ولم يعرف له وريث فتبقى إلىأن يحضر وريثه الشرعي على حسب المدة المحددة من الشرع ، وإذا لم يعرف وطالت المدة ولم يحضر الوريث الشرعي وزعت هذه التركة[6]على الفقراء والمساكين أو جعلت وقفا مثلماوزع القاضي العاقب بن محمود تركة موسى سنسار – والذي لم يكن له وريث – على الفقراء والمساكين.

---

[1]-العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق ،ص158.

[2]-السعدي ،مصدر سابق: ص ص 74-75،محمد الغربي ،مرجع سابق ،ص393.

[3] – سوزي اباظة محمد حسن داوود: مرجع سابق ،ص357.

[4]– وقد حظيت حقوق النساء بالنصيب الأكبر في هذه القضايا ،حيث عادة ما كانت تسكت المرأة عن حقها في الميراث إما خوفا أو حياء، خاصة إذا كان متاعا أو عقارا من دور أو أراضي زراعية ،فيتم تقويمها وتقدير حق المرأة من هذه التركة ،انظر العمراوي محمد السنوسي،مرجع سابق ،ص ص 154-155.

[5]–كعت محمود،تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص ص 110-113،الحسن الوزان ،وصف إفريقيا ،مصدر سابق ،ص468.

[6]– الهادي مبروك الدالي،التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ميلادي،الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ،1999،ص 136.

مراقبة الأخلاق العامة:كماكان من صلاحيات القاضي مراقبة الأخلاق العامة للمدينة [1]وحرصهم على عدم تفشي ظواهر اجتماعية سلبية قد تؤدي إلى ضياع المجتمع وانحلال أخلاقه، خاصة ظاهرة الزنا التيأنشئت لها محكمة خاصة في عهد الأسكيا إسحاق الثاني؛ وذلك للحد منها بعدما أصبحت متفشية في المجتمع الصنغي وبين أوساط الطبقة الراقية، مما أجبر القضاة على تسليط عقوبات قاسية على مرتكبي هذه الآفة[2].

المشاركة في تعيين قضاة الأقاليم: وهذه كانت من صلاحيات قاضي تنبكتو الذي يعد قاضي القضاة،فهو المخول الوحيد باستشارة الحاكم في هؤلاء القضاة خاصة ممن توفرت فيهم شروط الكفاءة، فمثلا عندما توفي قاضي جني عين الأسكياإسحاق القاضي محمود بغيغ بعد مشاورة قاضي تنبكتو وتزكية أهلجني له [3].

الإشراف على الأوقاف[4]: وهي الأشياء الموقوفة للصالح العام من عقار ومنقول كالدور وماشابهها أو أو ماتُحَبَّس فائدته،فكان يتولى القاضي مهمتها وتوزيع الصدقات من مداخيلها على الفقراء والمساكين والمحتاجين وطلبة العلم ورحلات الحجيج وملجأ العجزة،مثلمافعل القاضي العاقب بن محمود الذي تلقى من الأسكيا داوود مامقداره أربعة آلاف من الذهب ووجبات الفقراء وهي أربعة آلاف كيس من الحبوب سنويا،فقام بتوزيعها على المساكين والعجزة إلىأنأقيم لهم ملجأ يأويهم يسمى جنان المساكين[5].

---

[1]الأحمر أسماء أحمد،الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية (869-1000هـ-1464م-1591م)،دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،ليبيا ،ط1، 2008،ص 111.

[2]كعت محمود: تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص152،العمراوي محمد السنوسي ،مرجع سابق ،ص157.،إيهاب شعبان عبد الشافي سالم ،القضاء في دولتي مالي وصنغاي ،مرجع سابق ،ص97.

[3]السعدي: مصدر سابق ،ص صص 19 ،96، 97، كعت محمود ،مصدر سابق ،ص88، 89.

[4] – العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص160.، مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية مرجع سابق، ص337.

[5] – سوزي أباظة: القضاء في صنغاي، مرجع سابق، ص360.

الإشراف على سير عملية التعليم[1]:فالقاضي كان هو المشرف المباشر على هذه العملية ومايدخل فيها من إحصاء الطلبة،والسهر على راحتهم من مأكل ومشرب ومأوى،ومتابعة الأحباس التي كانت توقف خصيصا على الطلبة، إضافةإلىالأموالالتي كانت تعطى من المحسنين والهدايا التي كانت تهدى من طرف الآساكي،كما نجد الكثير منهم مارس مهنة التدريس والتأليف إلى جانب مهنة القضاء[2] وأخص بالذكر لا الحصر القاضي محمود بن عمر بن محمد آقيت (ت955ه/1548م) الذي جمع بين القضاء والتدريس فأحيا مجدالعلم في تنبكتو،حيث زاد عددالطلبة في المدارس وازدهرت الحياة الثقافية في عصره يقول فيه أحمد بابا التنبكتي: "...مع ملازمته فانتفع به بشر كثير وأحيا العلم بتلك البلاد واشتهر هناك وكثر طلابه في الفقه ...ونجب منهم جماعة كثيرة وكان أكثر مايقرأ المدونة والرسالة ومختصر خليل والألفية وربما قرأ غيرهما ومارس مهنة التدريس والتعليم أكثر من خمسين عاما .."[3]، وكذا القاضي محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري المعروف ببغيغ (ت1003ه/1594م) الذي قام بالتدريس والعلم وكان محبا لطلابه.

الإشراف على بناء المساجد وانجازها[4]:كما من صلاحياتالقاضي الإشراف على عملية بناء المساجد وترميمهاوجمع الأموال والنفقة التي تدخل في إطار عملية البناء وتحفيز الناس على المشاركة في هذه الأعمال،كما كانوا يتلقون الهبات من السلاطين لبناء وترميم هذه المساجد وخير مثال على ذلك ما أرسلهاالأسكيا داوود من هبات إلى المساجد كالمال والأخشاب عددها المؤرخين بأربعة آلاف قطعة خشبية لتجديد وبناء مساجد كل من كاغ وتنبكتو وجني[5]،ومن أمثلة القضاة الذين قاموا بهذه المهمة القاضي العاقب بن محمد بن عمر بن محمد آقيت (ت991ه/1573م) الذي كان له دور بارز في بناء المساجد وترميمها مثل مسجد محمد نض في الفترة مابين(976ه-977ه/1567م-

[1] - إيهاب شعبان: القضاء في دولتي مالي وصنغي مرجع سابق، 167.
[2] - السعدي : مصدر سابق، ص31- 38، سوزي إباظة: مرجع سابق، ص361.
[3] - التنبكتي احمد بابا: كفاية المحتاج ج2 مصدر سابق، 245.
[4] - كعت محمود: مصدر سابق، 121.، السعدي: مصدر سابق، ص108-111.
[5] - الأرواني: السعادة الأبدية مصدر سابق، ص 72.

1568م)، والجامع الكبير في تنبكتو في نفس الفترة،ومسجد السوق بها،وبدأ بتجديد مسجد سنكري سنة (986هـ/1577م)،وعلى هذا النهج سار كل من قضاة جني وغاو وغيرهم من مدن الدولة[1].

تعيين الأئمة والخطباء[2]: فقد اضطلع القضاة بهذه المهمة من تعيين الإمام الراتب للمسجدواختياره ممن كانت تتوفرفيه شروط العلم والورع والتقوى، وخيردليل على ذلك[3]ماقام به القاضي محمود بن عمر آقيت من تعيين الإمامأحمد والدنا سرك في إمامة الجامع الكبير بتنبكتو بعد وفاة أبي القاسم التواتي،ثم عين بعده الإمام علي الجزولي،وعُيِّنَ اندغمحمد بن المختار إماما لمسجد سنكري من طرف نفس القاضي وذلك سنة(915هـ/)،كماعين القاضي العاقب بن محمد آقيتالإمام عثمان ابن الحسن التشيتي (ت977هـ/1569م) الذي رفض المنصب لكن بعد إلحاح قبله ليعين بعد وفاته الإمام محمد بن أبي بكر بن اكداد الفلاني المتوفى(979هـ/1581م)، وتولى بعده الإمامأحمد بن الإمام الصديق الذي مكث في إمامة مسجد الجامع الكبير مدة خمسة عشر سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام.

ترأسركب الحجيج[4]:حيث كان للقضاة شرف ترأس هذه الرحلات في غياب السلاطين فيكلف بهذه المهمة وتكون في موكب يشبه الموكب السلطاني فتقام لهم الأفراح ويحتفى بهم،وخير مثال على ذلك القافلة الحجية التيترأسها القاضي محمود بن عمر بن محمد آقيت سنة(915هـ/1509م) والتي استقبلها السلطان الأسكيا محمد بنفسه وكان من مودعي هذه القافلة الحجية.

[1] – إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص166.

[2] – ميقا أبوبكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية مرجع سابق، 287.

[3] – كعت محمود: مصدر سابق، ص75– 76، السعدي: مصدر سابق، ص 60– 61– 62– 213.

[4] – التنبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج مصدر سابق، ص314.، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص163– 164.

هذا وقد كانت للقضاة صلاحيات أخرى[1] كتعييناالأعوان الخاصين بهم،ومراقبة هلال شهر رمضان وعيد الفطر، والإشراف على رواتب المؤذنين وقيمي المساجد،والتي كانت تعطى لهم من الزكاة حيث يأخذونها لحما وحبوبا من طرف القاضي.

وفي عهد الباشاوات المغاربة أصبحت صلاحيات القاضي محدودة ومكانتهم شكلية[2]،فلايؤخذ برأيهم ولايعتد بأحكامهم بل أصبحت لاتتعدى الجلد،أماأحكام القتل فكانت ترجع إلى الباشا الحاكم،كما انتزعت منهم سلطة تعيين قضاة الأقاليم،بل استبدل كثير منهم ونصب مكانه قاض آخر ربما يكون اقل علما ومكانة منه، أما تعيين أئمة المساجد فقد أصبح يخضع لمشاورة الباشا وإبداءرأيه فيه إما بقبوله أو رفضه،كمانجد بعض الأئمة ممن قوبلوا بتعيين الباشا أسندت لهم بعض مهام القاضي كإصلاح ذات البين، كما حرم القضاة من تلك الهبات والهدايا التي كان يمنحها لهم الحاكم للقيام ببناء وترميم المساجدوهوماجعل عدد المساجدفي العهد المغربي ضئيل فلانجد إلا ثلاثة مساجد بنيت مقارنة بفترة حكم الآساكي[3].

وفي بلاد السيبة فقد كان للقاضي صلاحيات واسعة اشتملت على ماذكرناه من قبل زيادة على أنه جمع بين الوظائف الدينية القضاء والإمامة والخطبة والإفتاء، وهي وظائف كانت لصيقة بالقضاء في هذه البلاد وذلك راجع إلى طبيعة مجتمعها القبلي الذي عرف عنه اقتسام الخطط الدينية بين قبائله مماجعلها في قبيلة دون الآخرين يتوارثهاأبناؤها جيلا بعد جيل، مثل قبيلة المحاجيب في ولاته التي اشتهر أفرادهابذالك[4]، وقد باشر قضاة هذه البلاد إصدارالأحكام وتطبيقها واستثنوا من ذلك الحدود والقصاص التي كانت ترجع إلى سلطة أهل الحل والعقد،كما اعتبر منصب قاضي الجماعة (قاضي القضاة)من المناصب ذات الصلاحيات الواسعة مقارنة بالقضاة الآخرين،فقد كان يعين في قبيلة

---

[1] - سوزي أباظة: مرجع سابق، 357.

[2] - الغربي محمد: مرجع سابق، 94- 95.

[3]- المرجع السابق، ص 97- 98- 99.

[4] - بوبريك رحال: المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لولاته خلال القرنين 18-19، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط المغرب، 2002، ص 19- 20.

اشتهر أفرادها بالعلم والورع وتلقى احترام من طرف جميع القبائلفينصب قاضي الجماعة منها[1]، ويعتبر حكمه يشمل جميع القبائل وله صلاحيات نقض أحكام القضاة الآخرينفكانت له سفرة سنوية تعرف بسفرة القضاء تدوم شهور يدور خلالها بين القبائل فيقر مايقره من الأحكام وينقض مايراه غير صالح منها[2].

2 -**رواتبالقضاةوحقوقهم** :أدى توسع الدولة الاسلامية ،وكثرة قضاياها الى تطوير مؤسسة القضاء وتنظيمها ،مما استوجب العناية بشخصية القاضي من جوانبه الاجتماعية والمعشية ،فكانت له مرتبات تكفل له من بيت مال المسلمين نظير تفرغه لقضايا الناس ومساهمتته في اصلاح شؤون الدولة[3] ،ولاغرو اذا كان بعض القضاة قد امتنعوا عن اخذ هذه الأجرة فإن الكثير منهم اعتبرها حق من حقوقه الشرعية ،ووجدوا لها تأصيل بعمل السلف الصالح ،حيث ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر بإعطاء هم الأجرة بقوله "إغنوهم بالعمالة عن الخيانة "،وأن علي كان يمنح شريحاً خمسة مئة درهم ،وكان ابو حنيفة لايرى بأساً أن يأخذ القاضي أجرته من بيت مال المسلمين[4]،وهو ماكانت عليه الغالبية من قضاة العالم الإسلامي خاصة في بلاد المغرب التى لم يعرف أن قضاتها أمتنعوا عن أخذ الأجرة إلا الامام سحنون[5] الذي امتنع عن اخذها ولكن لم ينكر ذالك عن بقية القضاة . واذا كان اتفاق الفقهاء على جواز اخذ اجرة القاضي من بيت مال المسلمين فإنها لم تكن مقدرة براتب معلوم وانما كانت تترك للحكام على حسب الدول والازمنة والأمكنة ،وهو ماكان في بلاد المغرب، والاندلس ،ومصر، وبلاد السودان الغربي التى عرفت بدورها تطوراً في هذا المجال منذ العهد المرابطي الذي كانت الأجرة فيه تؤخذ من الفئ والغنائم[6]، ثم مملكة مالي التى اشتهر عن ملوكها اكرامهم

[1] – سعد الدين السوقي: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومايجاورهم من السوادين، مخطوط مرقون من مكتبة محمد محمود ولد ودادي، انواكشوط موريتانيا، ص145- 147.

[2] – المصدر السابق: ص 147، ولد السالم حماه الله: مرجع سابق، ص24.

[3] – الزحيلي محمد: تاريخ القضاء في الإسلام مرجع سابق، 159.

[4] – الناطور شحادة وآخرون: النظم الإسلامية، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد الأردن، 1992، ص 129.

[5] – بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب الإسلامي ج2 مرجع سابق، ص263

[6] – سعد الدين السوقي: مصدر سابق، ص 149.

للعلماء ومنهم القضاة خاصة في عهد السلطان منسا موسى ،وفي دولة صنغاي فقد عرفوا انتكاسة نوعية في الفترة الاولى من حكم صنغي في عهد الملك سني علي الذي اشتهر عنه جور العلماء ومنهم القضاة ،وبمجئأسرة الأساكي عرف القضاة اهتمام كبير من طرف هذه الاسرة وذلك لما اشتهرت به من حبها للعلماء وتقديرها لهم ،فقد اغدقوا عليهم من الأموال والهدايا ما جعلهم في رغد من عيشهم وهذا ما تثبته المكانة الاجتماعية المرموقة لكثير من القضاة وان كان البعض منهم من اسر عرفت بالثراء المادي والازدهار العلمي مثل أسرة آل أقيت آل بغيغ[1]، وهذا ما أكدته المصادر التاريخية التي أرخت لهذه الفترة . هذا وقد تمتع القضاة بحياة طيبة ورغدة ،ومستوى معيشي راق ،حيث كانت تدفع لهم مرتبات كبيرة ومجزية من بيت مال المسلمين او الخزينة العامة للدولة ،اومن اموال الاوقاف والزكاة والغرامات[2]، اضافة الى منحة تعطى لهم تسمى واجبات الفقراء وهي تعادل اربعة آلاف كيس من الحبوب سنوياً نظير اشرافهم على توزيع هذه الحبوب ،أما الهدايا والعطايا التى كان يمنحها الاساكي للقضاة فقد تجلت صورها وكثرت مجالاتها منها ما أهداه الاسكيا محمد للقاضي محمود بن عمر عندما رزق بولده محمد وهي عبارة عن(1000)الف مثقال من الذهب ،واكرم ضيوفه يوم عقيقته ب مئة (100)الف مثقال[3]، واهدى الاسكيا داوود الى القاضي العاقب بن محمود بن عمر وخطيب كاغ محمد جغيث اعداد كثيرة من العبيد الذين ورثهم من احد جنوده المتوفين ،اضافة الى مئة مثقال من الذهب على ان يقسمها بينه وبين اهله وبين من يستحق شيئا منها ،كما اهدى للقاضي محمود كعت عندما اراد تزويج ابنائه وبناته كثير العطايا تمثلت في أربع زرابي،واربع إماء،وان يعتني بهن في جهازهن ،اما البنون فقد اهداهم كسوة العام المتمثلة في عمامتين وقميصين وقلنسوتين

[1] - التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج ج2 مصدر سابق، ص244، السعدي : تاريخ السودان مصدر سابق، 155-158.

[2] - الحسن الوزان: وصف إفريقيا ج2، مصدر سابق، ص167، الأحمر أسماء أحمد: الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية 869هـ-1000هـ/ 1464م- 1591م، دار الفيسيفساء للطباعة والنشر، طرابلس ليبيا، 2008، 114.

[3] - كعت محمود: مصدر سابق، ص82- 107، السعدي : مصدر سابق، ص66.

،اضافة الى دابتين فرساً ورمكة ،ومزرعة بعبيدها واربعين حلابة .يضاف الى هذا انه اشترى للقاضي محمود كتاباً يبلغ ثمنه ثمانين (80) مثقال[1] .

كما ان بعض القضاة كانوا من أسر تعد ذات ثراء ومكانة عالية في مجتمع صنغي كأسرة آل أقيت ،وآل بغيغ ،ويعتبر القاضي محمود بن عمر نموذج من هذه الاسر ،امتلك قطعان كثيرة من البقر والغنم والابل ،وقد وصف لنا احمد بابا التنبكتي حالته المادية وماكان يملكه فيقول "فساعدته السعادة فنال ماشاء من دولة ورياسة تفيأ منها ظلاً ظليلاً واكتسب من الدنيا عرضاً طويلاً"[2] ونفس الشئ من الثراء ينطبق على القاضي عمر بن محمد أقيت والقاضي العاقب بن محمود ،والقاضي محمود بغيغ .

ومن خلال هذه النماذج التى افردناها يتبن ان مكانة القضاة في دولة صنغاي في عهد الاساكي قد ارتفعت نظير ماتمتعوا به من أرزاق ومرتبات اكسبتهم مكانة اجتماعية هامة في هرمية السلطة والمجتمع ،فضلاً عما حازوا عليه من حب وتقدير من طرف الحاكم وبقية افراد المجتمع وهو ماحذا بابن خلدون بالقول " ان لحملة العلم بدولتهم مكانة الوجاهة ،وكانت خطة القضاء اعظم الخطط عند الخاصة والعامة "[3] .

وفي عهد السيادة المغربية ظل القضاة بنفس الرواتب والاجور يتقاضونها[4] من نفس المصادر ،الا انه لم تكن تمنح لهم الهدايا والهبات من طرف الباشاوات نظراً للظروف السياسية التى خضعت لها البلاد اضافة الى تراجع سلطة القاضي التى اصبحت محصورة في بعض الاحكام والقضايا والتى عادة ماتخضع لرأي الباشا ومشورته . واذا كان القضاة تمتعوا برواتب وعطايا في ظل دولة الاساكي في صنغي ،فإن نظرائهم في البلاد السائبة قد توسع نفوذهم ولم يعرفوا رواتب منتظمة ولاعطايا محتسبة ،بل لجأ الكثير

---

[1] - المصدر السابق: ص 108- 109، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص144- 145.

[2]- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج ج2 مصدر سابق،241.

[3] - إبن خلدون عبد الرحمن : مصدر سابق، ص228.

[4] - الغربي محمد: مرجع سابق، ص395.

منهم الى أخذ الأجرة على المتقاضين اوجزء من التركة يعتبر حق له اذا كانت من المقسومات ،ولعل هذا الامر يعزو الى غياب السلطة المتحكمة في هذا المجال السائد[1] .

كما ان كثير من الفقهاء جعل ذالك الغياب مسوغاً لقبول الهدايا والهبات المختلفة من الناس مباشرة باعتبارها استخلاصاً لحقوقهم المترتبة على المجتمع في مقابل القضاء.حتى ان الكثير منهم ظل يرتحل لهذا في مناسبات معينة وهو مافرضته حالة التسيب السياسي والتجزوء والانقسام ونمط الحياة والبداوة الظاعنة من غياب مال عام وأوقاف شرعية يرزق منها القضاة .

اذا كان غياب السلطة قد مكن من توسيع مجال نفوذهم فإنه قدطرح اشكالات عديدة على القضاء لعل من اكثرها إلحاحاً غياب بيت مال يستمد منه القضاة ارزاقهم ووسائل عملهم ،ويبدو ان من الفقهاء من جعل ذلك الغياب مسوغاً لقبول الهدايا والهبات المختلفة من الناس مباشرة باعتبارها استخلاصاً لحقوقهم المترتبة على المجتمع في مقابل القضاء والتعليم والفتيا وغيرها من الخدمات الضرورية ،واذا كان كبار الفقهاء يتلقون امولاً ومساعدات متنوعة من تلامذاتهم والمتمسكين بأهداب سلطانهم الديني والثقافي ويرحلون في مواسم معينة في مجالاتهم لجباية تلك الأموال دون أن ترتبط الرحلة غالباً بخدمة محددة[2].

ويبدو ان ارتباط تلك الهدايا والهبات بعمليات التقاضي مباشرة وعدم اقتصار تقديمها على المستفيدين من عمليات القضاء قد جنب الفقهاء كثيراً من الحرج وحماهم من شبهة الرشوة لكن الأمر لم يقتصر فيما يبدو على هذا النوع من السلوك بل اصبحت الهبات تقدم من طرف المتقاضين وترتبط بعملية التقاضي وتقسيم المواريث وغيرها من الخدمات الشرعية التى يجب ان ورثة الانبياء محتمين ومعولين على ثواب الآخرة .فالقضاء وظيفة شرعية لايجوز مبدئياً أخذ الاجرة عليها ،لان جميع مايجب على الانسان فعله يحرم عليه اخذ الاجرة عليه إن احتيج الى ذالك ،وانطلاقا من هذه القاعدة اعتبر

[1] – ولد البراء يحي: الفقه والمجتمع والسلطة، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط موريتانيا،1994، ص 41.

[2] – ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء مرجع سابق، ص93.

الفقهاء الغنى احد شروط الكمال في صحة تولى القضاء .واصبح القضاة يرزقون عند تولي الحاجة من بيت مال المسلمين منذ عهد علي بن ابي طالب لشريح بالنظر في الاحكام الشرعية لما شغله امر الخوارج عن الاضطلاع بتلك المهمة .

وترسخ ذالك التقليد في العهود اللاحقة وعمل القضاة على تأصيليه والتنظير له جاعلين منطلقهم في ذالك ما اقتطعه الصحابة من ارزاق لابي بكر الصديق من بيت مال المسلمين لما اشتغل عن التجارة بأمر الخلافة ،كما وسع الفقهاء مجال أرزاق القضاة بحيث لم تعد مقصورة على بيت مال المسلمين بمفهومه الضيق بل اعتاضوا عنه ان لم يوجد بالاوقاف العامة فإن لم توجد فاوقاف المساجد وما شاكلها[1].

وينبغي التنبيه ان ما يتلقاه القضاة المحتاجون لطلب الرزق من بيت المال يعتبر اعانة لهم على النهوض بمهامهم لا اجر عليها وقد بين القرافي الفرق الدقيق بين الامرين في فروقه فقال "القضاة يجوز ان يكون لهم ارزاق من بيت المال على القضاء إجماعاً ولا يجوز أن يستأجروا على القضاء اجماعاً بسبب ان الارزاق اعانة لهم على القيام بالمصالح ، لأنه عوض عما وجب عليهم من تنفيذ الاحكام عند قيام الحجج ولو استأجروا على ذالك لدخلت التهمة في الحكم "[2].

د/أصناف القضاة:

عرفت بلاد السودان الغربي كغيرها من البلدان الإسلامية أصنافا للقضاة، اختلفت مهامهم على حسب الظروف والأحوال والبلدان، فكان منهم قضاة للجماعة، وقضاة محكمون، وقضاة للعسكر، كما وجدت أصنافا أخرى تقل شأنا عن سابقيها، لكن في اختصاصات معينة كقاضي الأنكحة، وقاضي المواريث، وقاضي الأهلة، وقد وجدت هذه الثلاثة في أوقات وأزمنة معينة، كما أنها لم تكن بنفس التنظيم الذي شهده القضاة الأوائل.

---

[1]- المرجع السابق، ص94.

[2]- المرجع نفسه.

1- **قضاة الجماعة**: اشتهرت هذه الصفة بالقاضي الذي كان في المدينة التي كان فيها مقر السلطان " السلطة الحاكمة "، منذ العهد العباسي أين أصبح القضاء مستقل عن إدارة الوالي أو الحاكم، بل ظل يجتهد في أحكامه المستمدة من الفقه واجتهادات الأئمة الأربعة وأقوال السلف، وذلك لتطور المجتمع الإسلامي وتعدد قضاياه بتنوع فئاته الاجتماعية والمذهبية، اضطرت الدولة إلى إحداث منصب قاضي القضاة[1] الذي كانت له سلطة تعيين قضاة الأقاليم الأخرى، وأول من سمي بهذا المنصب القاضي أبو يوسف صاحب كتاب الخراج[2]، وكان قاضي الخليفة العباسي هارون الرشيد، كما عرفت مصر بدورها هذا المنصب في العهد الفاطمي وتوارثه آسرة آل النعمان[3]، أما بلاد المغرب والأندلس فقد عرفت هذا المنصب باسم قاضي الجماعة[4]أو صاحب الصلاة؛ لأنه كان عادة يؤم الناس في الصلاة، كما كان يقيم في مقر عاصمة الدولة كقرطبة عاصمة الخلافة والحكم في الأندلس، أو فاس ومراكش، أو تلمسان، أو تونس، في المغرب الإسلامي[5]،وكان يختار غالبا من الفقهاء الذين تولوا بعض المناصب الهامة في الدولة، حيث أن سلطته كانت دائما تتبع للأمير أو الحاكم أو سلطة

---

[1]- بدوي عبد الرحمن الطائي أحمد فاضل، موسوعة الحضارة الإسلامية، مج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص39.

[2]- أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي صاحب الإمام أبو حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيها عالما ومن حفاظ الحديث، ولي القضاء بغداد أيّام المهدي والهادي والرشيد، ومات سنة 182هـ، يعتبر أول من وضع الكتب في أصول الفقه على المذهب الحنفي، أنظر: الذهبي محمد بن أحمد، الإعلام بوفيات الأعلام، تحقيق: مصطفى بن علي عوض، ربيع أبو بكر عبد الباقي، مج1، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 116. وانظر الزركلي: الأعلام، ج8، ص184..عدنان محمد، القضاء في عهد الدولة الحفصية، مرجع سابق، ص 34.

[3]- سامعي إسماعيل، القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن 4هـ/ 10م، مركز الكتاب الأكاديمي، الجزائر، ط1، 2010، ص 72، 73، خلاف محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس، مرجع سابق، ص 162.

[4]- أطلق على قاضي القضاة في الأندلس اسم قاضي الجماعة في عهد الإمارة الأموية، وأول من أطلق عليه هو القاضي يحيى بن يزيد قاضي قرطبة عاصمة الحكم آنذاك، أنظر: الخشني، قضاة قرطبة، مصدر سابق، ص14، خلاف محمد عبد الوهاب، تاريخ القضاء في الأندلس، مرجع سابق، ص 162.

[5]- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 3، دار الجيل، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996، ص ص 319، 320.

الحل والعقد في بعض الاستثناءات، رغم ما كان يتمتع به من صلاحيات التعيين والإقالة لبعض عماله.[1]

وقد اضطلع بهذه الوظيفة في بلاد السودان الغربي فقهاء تميزوا بالريادة العلمية والحظوة السلطانية[2]، ممن اشتهرت أسرهم بالعلم والمكانة الاجتماعية، كأسرة آل أقيت، وآل بغيغ[3]، إضافة إلى من تولوا الخطط الدنية وتوارثوها في أعقابهم بمؤازرة النظام القبلي، ومباركة أهل الحل والعقد، كأسرة المحاجيب[4] في ولاتة، وآل محمد البشير في أروان[5].

وإذا كان هذا المنصب شرفيا من حيث التقليد السلطوي، فإنه ظل تكليفا من حيث التقليد العلمي والديني. ففي دولة صنغاي وعهد الأساكي نجد قضاة تنبكتو نالوا هذا المنصب لما لهذه المدينة من أهمية حضارية وعلمية تجلت من رسوخ ذلك التلاقح التجاري وما نتج عنه من ازدهار علمي بوأها المكانة التاريخية، فجعلت من سلاطين هذه الدولة يولونها الأهمية الكبرى رغم أنهم لم يتخذوها عاصمة لحكمهم[6].

وعليه فقد كانت سمات القضاة تحتل الريادة من حيث الوظائف السلطانية والدينية، فتعيين قاضي تنبكتو كان من أولويات الأساكي[7]، ولا أدلّ على هذا من تداول هذا المنصب من طرف آل أقيت.

---

[1]- ولد السعد، تاريخ القضاء في موريتانيا، مرجع سابق، ص 62.

[2]- الشمراني، أمل بنت صالح بن غصاب، القضاء في المجتمع التكنيتي، خلال القرن 10-11هـ/16-17م، مجلة عصور مصادر وتراجم، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، العدد 22-23، جانفي-مارس، 2017، ص 375.

[3]- مطير سعد غيث، آل بغيغالونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرن 10-11هـ/16-17م، مجلة جامعة الزيتونة، ليبيا، العدد11، سنة 2014، ص ص 18، 19.

[4]- رحال بوبريك، المدينة في مجتمع البداوة، مرجع سابق، ص ص 32، 33.

[5]- السوقي العتيق بن الشيخ، الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين، مرجع سابق، ص 146.

[6]- مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق، ص 524.

[7]- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ج1، ص ص 11، 12، سوسي أباظة، القضاء في صنغاي، مرجع سابق، ص 362.

ويتضح منصب قاضي القضاة في البلاد السائبة بصورة جلية من خلال تلك السلطة التي تمنح له أكثر من قاضي القبيلة، ويستمد صلاحياته من خلال أهل الحل والعقد المكونة من مجموعة قبائل يختارون قاضي القضاة من القبيلة التي اشتهر أفرادها بالعلم، يتوارثونه جيلا بعد جيل ويكون مسجدهم هو مكان التقاضي[1]؛ لذا اصطلح عليهم أهل المسجد، وهو المراد بالمسجد الذي يحكم منه على بقية المساجد؛ لكون علمائه أكثر علما وعددا وفضلا مما سواهم من القبائل، ومثل هذا كان في بلاد أروان وماجاورها من البلاد الصحراوية التي تدخل ضمن أرض السيبة، واشتهرت منها قبائل كآل محمد البشير، وأهل تكلالة، وأهل تبورق، وأهل كنهان، وأهل ابني أعال، وهم الذين يساكنون الأمراء في الصحراء، وكان لأهلها مزية على غيرهم أنها حازت على مرتبة قاضي القضاة[2].

وإذا كان عامل الأسرة ومكانتها أتاحوا هذا لمنصب قاضي القضاة، فإن عامل ثاني لا يقل أهمية عن سابقيه، وهو التراكم المعرفي وسنوات التجربة في ممارسة القضاء والإفتاء، إضافة إلى قوة الشخصية كلها تتداخل وتؤدي دور مهم في عملية الترقية الاجتماعية والدنية في المدينة[3]،مما يعطي ولاء سلطويا سلطويا واجتماعيا تبرره هذه العوامل لشخصية قاضي القضاة، إن الوصول إلى رئاسة القضاء يتم بعد سنوات من حياة البحث المستمر عن العلم والمعرفة وممارسة التدريس، وكان البعض يداوم صحبة قاض معروف ويخدمه بمساعدته في الفتوى وهذا ما يتضح من خلال ترجمة الفقيه محمد بن محمد بن إبراهيم[4] الذي أخذ الفقه عن شيخه الكصري واستعان به في كثير من أموره وشاركه في التدريس والتحكيم وكادت تنتهي إليه رئاسة الإفتاء والقضاء بولاته، وهذا نموذج يبين كيفية الرغبة في الوصول إلى رئاسة القضاء والإفتاء بعد هذه المدة من الكسب والملازمة[5].

[1]-السوقي العتيق بن الشيخ: الجوهر الثمين مرجع سابق، ص 145.

[2]-المرجع نفسه.

[3]-رحال بوبريك: المدينة في مجتمع البداوة: مرجع سابق، ص30.

[4]-المحجوبي الولاتي: منح الرب الغفور، مصدر سابق، ص 301.

[5]- رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 29.

إن موقع القاضي داخل ولاته يفرض عليه أن يكون حازما وأن يكون شخصية قوية في مواجهة محيط قلما راعى تطبيق الأحكام القضائية وخصوصا القبائل الرحل من بني حسان، لذا نجد نماذج من قضاة كانوا صارمين مع الظلمة واستطاعوا بفضل شخصيتهم القوية فرض أحكامهم وسلطتهم القضائية[1].

وهذا ما تعكسه ترجمة بنان بن محمد المختار بن أعلي[2]، حيث كان "سائسا رئيسا من رؤساء أهل ولاته جسورا على الظلمة واللصوص "ويقدم لنا صاحب فتح الشكور[3] نموذجا لقاض لم يمد سلطته فقط على بني حسان بل تجاوزه إلى باشاوات الرماة، والقادة، والتوارق، وأهل الشوكة من مجموعات قطاع الطرق.

وإذا كانت سلطة قاضي الجماعة تجاوزت حدود القبيلة أو المدينة كما رأينا، إلى محاربة اللصوصية والتعدي، فإن معظم القضايا التي واجهتها تمثلت في تلك النزعات المتولدة عن المعاملات التجارية وهو ما استخلصه الباحث الموريتاني الدكتور أحمد مولود أيده الهلالي[4] من خلال جرده لوثائق النزعات في قصور ودان، وتيشيت، وولاته، وشنقيط، حيث أن هذه النزعات المعقدة تدخل ضمن صلاحيات قاضي الجماعة، المعين والمتفق عليه من طرف جميع القبائل وبمباركة أهل الحل والعقد، أما النزعات المحلية البسيطة فقد كان يحلها القضاة المحليون دون أن ترفع إلى قاضي الجماعة[5]، وهذا ما يتضح من خلال وجود قضاة ثانويين إلى جانب قاضي الجماعة يحكمون في بعض القضايا المتعلقة بالمعاملات والأنكحة مثل القاضي عبد الله بن محمد المعروف بابن رازقة (ت1143ه/1731م) الذي كان قاضيا مرموقا بشنقيط ولكنه لم يولي قضاء الجماعة، وأبو بكر بن محمد بن اند عبد الله

[1]- الحمدي أحمد: الوظائف الدينية بإيولاتن، في عهد الإمارات القبلية، مجلة عصور، العدد 12، 13، 14، 15، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2008- 2009، ص 15، وانظر رحال بوبريك: مرجع سابق، ص 31.

[2]- المحجوبي الولاتي: المصدر نفسه، ص ص 32-205.

[3]-البرتلي: مصدر سابق، ص ص 192-193.

[4]-باحث موريتاني مختص في علم الأركيولوجية (علم الأثار) وهو أستاذ محاضر بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط مورتانيا، وعضو في مركز أبحاث الدراسات الصحراوية بموريتانيا.

[5]- أيده الهلال أحمد مولود: مدن موريتانيا العتيقة، قصور ولاته ووادان، وتيشيت، وشنقيط، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، الصحراوية، دار ابن الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2014، ص 169.

المحجوبي الولاتي(ت1208ه/1793م)[1]والذي تولى القضاء في ولاته وعمره لا يتجاوز ستة وثلاثون سنة، اشتهر بعدله إلا أنه لم يولى قضاء الجماعة بل اكتفى بالقضاء المحلي.

وكانت من مهام هؤلاء القضاة التعقيب على أحكام القضاة المحليين[2]، أمّا أحكامهم فإنها لا تعقب وإذا ولوا واحد منهم القضاء فلايعزل بل يبقى في وظيفته حتى يموت أويكبر فيولي من أصحابه من رضيه بقبول جماعة الحل والعقد[3].

وقد كان عمل قاضي الجماعة يتم كذلك في سفرة سنوية يعملها كل عام، حيث يرسل إلى كبراء الأحياء فيجتمعون عنده ويخرجون في سفرتهم المشهورة بسفرة القضاء، وتكون على المساجد (أماكن القضاء) وتكون على القضاة، فمن وجدوه يحكم بغير مشهور مالك نقضوا حكمه ومن وجدوه يحكم تبعا لهواه أدبوه وذلوه، وينظرون في أعمال الناس يقيمونها ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[4]، هكذا يعملون في جميع جهات البلاد التي تجمعهم وإياها وطن واحد، ولا يزالون كذلك حتى يطوفون على جميع أهل المساجد وربما مكثوا عاما حتى صار عرفا في بلادهم من أطال السفر قيل فلان سفر سفرة القاضي[5]،وهكذا كانت وظيفة قضاة الجماعة التي اشتملت على عمل المحتسب أيضا، مما جعل سلطتهم سليلة للسلطة القبلية والتي تمتعت بحق تطبيق أحكامها وإنصاف المظلوم وردع الظالم، وقد شكلت هذه الهيئة بمثابة رقابة عليا على القضاة المحليين الذين استأثر كثير منهم بأحكام جائرة في بعض الأحيان، إلا أنه بمجرد تفكك الصرح الجامع لهذه القبائل بإثارة نار الفتنة وقيام إمارات جديدة في ثوب قبلي جديد خلا الجو لكثير من المتفقهة، فجعلوا يفتون ويقضون من غير تقيد برؤسائهم، واستولى الجهل والكسل والبطالة على أمراء البلاد فتركوا المجال للجهال، فضعفت قوى الجماعة الذين يفتشون عن الأحكام.

---

[1]-البرتلي: مصدر سابق، ص 43، 44.

[2]-أيده الهلال أحمد مولود: المرجع السابق ص 170، ابن حامد: حياة موريتانيا الجزء الثقافي، مرجع سابق، ص 205.

[3]-ولد سعد محمد المختار: تاريخ القضاء، مرجع السابق، ص63.

[4]-السوقي: المرجع السابق، ص 174.

[5]-المرجع السابق ص 148.

2-**القضاة المُحَكَّمُونْ**: والحَكَمُ هو من يُحَكِّمُهُ طرفان في النزاع بينهما، ويشترط فيه العدالة والمعرفة والحياد في الخصومة المحكوم فيها[1] ولا يطال نظر المحكم بخلاف قاضي الجماعة الراتب مختلف المجالات، بل يقتصر أساسا على الأموال والجراحات، وقد عرفها الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي: " أن ولاية التحكيم بين الخصمين ولاية منتقاة من آحاد الناس وهي شعبة من القضاء متعلقة بالأموال دون الحدود..."[2]، فلا يجوز التحكيم في المظالم التي يحتاج فيها صاحبها إلى علو يد وعظم رهبة للبت في الحدود، والعقود، واللعان، والولاء، والنسب، والطلاق، والعتق، والرشد، والسفه، وما تعلق بالغائب من أمور، وكان هذا النوع منتشر في البوادي والقرى من البلاد السائبة، وقد تميز عن سابقيه بعدم إلزامية تزكية أهل الحل والعقد وإنما يعتمد على الكفاءة العلمية والشهودية بذلك، لذا نجده اختص في قضايا دون غيرها . وقد وقع سجال فقهي بين فقهاء هذه المنطقة على جواز تحكيم هذا النوع أم لا؟ وعن حكم المحكم وأهليته القانونية، وهل يجوز حكم المحكم في القضايا التي لا يحكم فيها إلا القضاة في البلد الذي لاحاكم فيه؟[3]وقد اجتمعت معظم الآراء الفقهية على اعتبار حكم المحكم نافذ ما لم يعارض الصواب، أما مسألة القضايا التي لا يحكم فيها إلا القاضي في البلد الذي لا حاكم به، وكذلك يمض حكمه إن كان صوابا لكن يؤدب، وهذا الرأي ذهب إليه الفقيه حمى الله التيشيتي (ت1169هـ- 1755م) في نوازله ،كما أفتى العالم أحمد فال بن أود الجكني بجواز هذا واعتبر أنه ليس لأحد الخصمين النزاع بعد حكم المحكم مع أن المحكم معزول عن القضية بمجرد الفراغ منها[4]، بينما يرى القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي[5] أنه لا ينعزل ويعتبر حكمه كحكم القاضي.

---

[1]-ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء، مرجع سابق، ص 71.

[2]-ولد السالم حماه الله: مدن القوافل في موريتانيا ودورها الحضاري من خلال الخطط الدينية وركب الحج، مرجع سابق، ص 25.

[3]-ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى، ج12، ص 5560، 5588.

[4]-ولد السعد: تاريخ القضاء، ص72.

[5]-عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: الفتاوى، ص 33.

ورغم وجود هذا النوع من القضاء، إلا أن المصادر ظلت صامتة لم تذكر لنا أسماء قضاة محكمين اشتهروا بذلك واكتفت بذكر هذه الوظيفة رغم شيوعها في هذه المنطقة، ولعل ذلك راجع إلى كون معظم من مارسها قد تولى القضاء إما في ظل السلطة المتغلبة أو بمباركة أهل الحل والعقد، وهنا تراجم لكثير منهم سنوردها فيما بعد، وهذا ما يؤكده تعايش هذا الشكل من القضاء مع القضاء الآخر بشكل طبيعي طيلة العهد الحساني[1] لحل إشكالات الاجتماع البشري، وان كان قد أثار ذلك التعايش أحيانا بعض اللبس بشان نفوذ وصلاحيات المحكم في هذه البلاد.

3- قضاة الأكوار: تنقسم بلاد السودان الغربي إلى عدة جهات ومناطق، استوجب أن يكون في كل منطقة قاضي يفصل في خلافاتهم وقضاياهم بعدما كان الأمر يتم عند خطيب المسجد، لكن بعد قيام دولة الأساكي في صنغاي اضطلع الأسكيا محمد الكبير بتعيين قاضي لكل بلد، أو إقليم بعيد عن مركزية السلطة، ثم تبعه في ذلك بقية الأساكي، وباتساع رقعة الدولة وامتداد أطرافها ونظراً لما تكتسيه تنبكتو من أهمية حضارية وتجارية كمدينة محورية في بلاد السودان الغربي، عهد إلى قاضيها باعتباره قاضي القضاة (الجماعة) سلطة تعيين قضاة الأقاليم الأخرى، بحيث كان يتخير ويستشير الأسكيا فيمن يراه مناسباً لذلك.

4- **القضاء العسكري**: أخضعت بلاد السودان الغربي للقضاء العسكري بعد الحملة المغربية عليها، حيث تم تقويض سلطة القاضي، خاصة بعد نكبة العلماء وتهجير أسر اشتهرت بمكانتها العلمية والقضائية في هذه البلاد، مثل عائلة آل آقيت التي هُجِّرت إلى مراكش.

وبعد حالة عدم الاستقرار في البلاد اضطر باشاوات المغرب إلى تطبيق الحكم العسكري وإحكام القبضة الحديدية على سائر البلاد[2]؛ من أجل استتباب الأمن، حيث خضعت معظم المدن إلى أحكام عسكرية كحظر التجوال الذي يقضي بعدم مغادرة أي فرد لمنزله بعد غروب الشمس باستثناء

[1]-ولد السعد: المرجع نفسه، ص72.

[2] – الطوخي وداد نصر : مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، معهد الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، مصر، 1986، ص 59- 60.

العسكريين، وحتى في شهر رمضان الذي أعتاد فيه الناس على تأدية صلاة الشفع،كما لم يسمح بالتجمهر في الطرقات[1]، وقد اتخذ باشاوات المغرب في السودان الغربي أجهزة عسكرية للتحري وضبط القضايا التي كان عادة يفصل فيها الباشا بنفسه داخل القصر[2]، ويتكون هذا الجهاز من ضباط يقومون باستنطاق المجرم وكشف جرمه وجمع الأدلة والملابسات، وهذا ما حدث أثناء قتل اثنين من سكان تنبكتو في ظروف غامضة وبعد بحث دقيق توصل أعوان الباشا إلى المشتبه بهم وهم خمسة أفراد وجئ بهم إلى قصر الباشا، وكان من واجب العون المكلف بالاعتقال أن يقف أمام الشخص المطلوب ويعرفه بنفسه ثم ينطق بهذه الجملة "الباشا يناديك وأمرنا أن نقبضك إليه "[3].

وقد شملت هذه الأحكام العسكرية حتى الآداب العامة للمدينة والمعاملات التجارية، ناهيك عن الجرائم الكبرى التي تدخل في خانة الجنايات، والتي كانت عادة عقوبتها القتل والشنق بالسلاسل، والنفي إلى أماكن أخرى، وقد شملت هذه الأحكام جميع الناس بما فيهم الموظفين الإداريين والعسكريين[4].

هـ/ مجلس القاضي ومساعدوه:

1- مجلس القاضي: كانت عملية التقاضي في بلاد السودان الغربي غالبا ما تتم في المساجد مثلها مثل ما كان شائعا في معظم أنحاء العالم الإسلامي، وإن كانت قد عرفت أماكن أخرى كمنازل القضاة، والأماكن العامة كالساحات، لكن أدت المساجد الدور الكبير[5] في هذا، وأن كان من شروط اختيار هذا المكان أن يكون مفتوحا حتى يتسنى للجميع حضور مجلس القاضي لكي يتعرفوا على نزاهة القاضي ويطمئنوا على سير عدله مع المتخاصمين، وهو ما توفر في المسجد أو إحدى ساحاته

[1] - السعدي: مصدر سابق، ص 198.

[2] - الغربي محمد: مرجع سابق، ص 405.

[3] - مجهول:تذكرة النسيان مصدر سابق، ص 137- 138.

[4] - الغربي محمد: مرجع سابق، ص 406-407.

[5] -بحاز إبراهيم: القضاء في المغرب الإسلامي ،مرجع سابق ،ص343،الناصرة عدنان حسن محمد ،القضاء في عهد الدولة الحفصية ،مرجع سابق ،ص ص 73-74.

لعقد جلسات التقاضي[1]، حيث أن كثيرا من المصادر الإسلامية اعتبرته لازما على القاضي العمل فيه، إذ يقول ابن بطال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم في هذا الصدد[2]: " الذي يجب على القاضي أن يقضي بين الناس في المسجد أو في رحابه "، كما نقل عن ابن العطار أن القاضي يجب أن يلتزم النظر في المسجد فهو كان فعل المتقدمين بهم السالفين ليصل إليهم القوي والضعيف ولا ينبغي أن يحجب أحدا عنه وهو أقرب إلى التواضع وأحوال النساك والصالحين "[3].

واختيار المسجد لارتباط القضاء بالوظائف الدينية التي عادة ما كان يتبوأها فقيه عالم قد يجمع بين الإمامة والقضاء، وقد ذكرت المصادر المحلية نماذج من مجالس القضاة في عهد الآساكي ومن جاء بعدهم، كمجلس القاضي محمود بن عمر بن محمد آقيت الذي كان يعقد مجلسه في جامع سنكري [4]، وكذا ابنه القاضي العاقب بن محمود، كما اشتهر في كل السوق والبلاد السائبة التقاضي في المساجد، واعتبر المسجد كمحدد لمكانة القبيلة[5]من حيث احتوائها على علماء لهم مكانة ورمزية علمية؛ فيعتبر مسجدهم جامع للجمعة والجماعة والقضاء، أما القبيلة التي لا علم فيها فلا مسجد لهم؛ أي أن مسجدهم جامع للصلوات فقط دون الجمعة والقضاء، ويستفاد من هذا أن رمزية المسجد حددت بمكان إجراء التقاضي الذي هو القبيلة ومسجدهم الذي يعتبر مكانا محوريا لفض النزاعات، وفك الخصومات بين جميع القبائل الأخرى التي ترجع إليه في قضاياهم، وهو ما تجلى في جلوس القاضي محمد بن الأمين بن الطالب سيد أحمد بن البشير بن محمد السوقي[6] الذي كان يتزعم

---

[1]-الزحيلي محمد ،تاريخ القضاء في الإسلام ،مرجع سابق ،ص346-347.

[2]- عبد الوهاب خلاف،تاريخ القضاء في الأندلس ،ص ص224-225.

[3]- ابن العطار ،الوثائق والسجلات ،مصدر سابق ،نقلا عن عبد الوهاب خلاف ،مرجع سابق ،ص225.

[4]- هو أحد المساجد الرئيسية في مدينة تنبكتو وهو بمثابة جامعة إسلامية لتعليم العلوم تم بناءه من طرف سيدة أغلالية (قبائل الأغلال) ثرية في أيام دولة مالي 726-837هـ/1325-1433م،وأعيد ترميمه وتوسعته في عهد دولة صنغاي من طرف السلطان الأسكيا محمد الكبير بعد رجوعه من رحلته الحجية،للمزيد :انظر السعدي ،تاريخ السودان ،ص27.،وكعت محمود،تاريخ الفتاش،ص121-122،وانظر مبروك محمود فاطمة ،العمائر الإسلامية في إمبراطورية السنغاي زمن الآسكيين (898-1000هـ/1492-1591م)،أطروحة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الإفريقية ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،مصر ،2008،ص101.

[5]- السوقي سعد الدين ،الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين ،مخطوط غير محقق،(بحوزتنا)ورقة 144، 145.

[6]-انظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة أروان وكل السوق.

يتزعم قضاء قبائل كل السوق، وكانت له سفرة سنوية يدور فيها بين هذه القبائل حيث يجلس إلى أكثر القبائل علما فيجلس في مسجدهم ليفصل في قضايا هم.

أما في ولاته ورغم تقاسم الخطط الدينية بين القبائل المشَّكِلة لها خاصة قبيلة المحاجيب[1]التي اشتهرت بممارستها لهذه الوظائف، فرغم هذا كان القضاء لا يتم إلا في مساجدها، وقد اشتهر منها القاضي أحمد الوالي المحجوبي الولاتي[2]، والقاضي أبو بكر المحجوبي الولاتي[3] اللذان جمعا بين الخطط الدينية الثلاث الإمامة والإفتاء والقضاء، أما بلاد الهوسا اشتهر فيها كل من القاضي العاقب بن عبد الله بن انصمنالمسوفي[4] الذي مارس القضاء في مسجد اقدز طيلة بقائه بها، وفي مدينة كاتسينا مارس القضاء القضاء في مسجدها القاضي أحمد التازحتي[5]، وفي كانو نجد القاضي مخلوف البلبالي[6] .

وإذا كان المسجد حظي بهذا الاهتمام الكبير في قضاء بلاد السودان الغربي فإن ذلك راجع إلى أن المسجد هو المكان المفضل الذي كان أكثر القضاة يقضون فيه جل أوقاتهم، إما تدريسا، أو إمامة، أو خطابة، كما كان المسجد تحت إشرافهم من بداية بنائه إلى نهايته وتعيين الأئمة والمؤذنون والخطباء، كما أن المنطقة يسودها المذهب المالكي الذي يعتبر بأن المسجد هو أفضل مكان للتقاضي؛ وذلك لإمكانية حضور جمع كبير من الناس لإجراءات التقاضي، عكس بعض المذاهب التي تؤكد على إلزامية القضاء في دور مخصصة له مثل المذهب الحنفي.

2- مساعدو القاضي: حتى يتمكن القاضي من أداء عمله على أحسن حال وأكمل وجه كن لابد له من مساعدين وأعوان يساعدونه في عمله من أجل إرساء العدالة بين أفراد المجتمع، وإيصال الحقوق إلى أصحابها، وتنفيذ الأحكام المناسبة، لذلك نرى القضاة ببلاد السودان الغربي قد اتخذوا مجموعة من المساعدين والأعوان أهمهم:

[1]- بوبريك رحال ،المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لولاته خلال القرنين 18-19الميلاديين ،منشورات معهد الدراسات الإفريقية ،الرباط ،2002،ص ص ص 30-31-32.

[2]- انظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة ولاته.

[3]- انظر ترجمته في الفصل الثالث في قضاة ولاته.

[4]- انظر ترجمته في الفصل الثالث في قضاة الهوسا.

[5]- انظر ترجمته في الفصل الثالث في قضاة الهوسا.

[6]- انظر ترجمته في الفصل الثالث في قضاة الهوسا.

الموثقون والكتبة: يعتبر فن الكتابة من الفنون التي ذاع صيتها في الحضارة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين إلى العهد الأموي أين أصبحت الدولة الإسلامية في اتساع وتطور مما اجبر خلفاء بني أمية على استحداث ديوان للكتابة[1] مهمته كتابة الرسائل السلطانية التي ترسل إلى الأمصار، ثم تطور وأصبح يشمل مجالات أخرى أضحت بحاجة إلى كتابة وتدوين مثل: المظالم، والجند، والخراج، والقضاء الذي بلغ شأنا كبيرا في العهد العباسي، حيث اتُّخذ ديوان الكتابة الخاص بقاضي القضاة[2]، تدون فيه جميع الأحكام والمنازعات والعقود وكل ما له علاقة بالتقاضي، وقد كان الحال كذلك في بلاد مصر والمغرب والأندلس، حيث اتخذ القضاة كُتَّابًا وهذا دليل على كثرة الأشغال والقضايا التي أصبح القاضي مكلفا بها وربما أرهقته فالتجأ إلى الكاتب عونا له، ومن الممكن كذلك أنه لما شعر بجلال منصبه وعظيم شخصيته اتخذ الكاتب مساعدا له زيادة في الهيبة والإجلال، ولا يختلف الأمر عن بلاد السودان الغربي التي اتخذت الكتابة فن من فنون الآداب السلطانية [3]واعتبرت الكتاب واسطة بين الحكام والرعية من جهة وبين الحاكم والقضاة من جهة أخرى، وذلك بدءا من مملكة مالي وعهد سلطانها منسا موسى الذي اتخذ الفقيه كاتب موسى كاتبا له، لتعرف هذه المهنة ازدهارا في دولة صنغاي أين اتخذ الآساكي كتابا يكتبون لهم الرسائل السلطانية ويقومون ببعثها إلى الأقاليم، فاشتهر منهم الكاتب إبراهيم الخضر[4] في عهد سني علي؛ واستمر إلى عهد الأسكيا محمد الذي أكرمه إكراما كبيرا بعدما تعرض له من الإهانة وكاد أن يقتل في عهد سني على، ثم ابنه

---

[1]- وقد اتخذ بنو أمية الكاتب ،فكان اسم عبد الحميد الكاتب الذي اشتهر على عهد آخر خلفاءهم "مروان بن محمد 132هـ-749م"الذي وضع أسس الكتابة الفنية ،وبلغت أوجها في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي على يد "ابن العميدت360هـ-971م"لذالك "قيل فتحت الرسائل (المقصود به الكتابة)بعبد الحميد وانتهت بابن العميد "للمزيد انظر :ابن خلكان أبي العباس شمس الدين ،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج3،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت لبنان 1970، ص ص231،228، وانظر محاسنة محمد حسين ،أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب العربي ،العين الإمارات العربية ،ط1، 2001،ص 178.

[2]- عدد القلقشندي شروط لكاتب القاضي وهي :أن يكون عارفا للحلال والحرام ،والتأويل والتنزيل ،والمتشابه والحدود القائمة ،والفرائض والاختلاف في الأموال والفروج،وان يكون حافظا للأحكام حاذقا بالشروط (أي شروط تولية القضاء)للمزيد انظر :القلقشندى أبو العباس ،صبح الأعشى في صناعة الانشا ج1،دار الكتب المصرية ط1992،ص ص 143، 144.

[3]- بحاز إبراهيم ،القضاء في المغرب الإسلامي من الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296هـ-713م-909م)ج1،نشر جمعية التراث ،القرارة غرداية ،الجزائر ،ط2، 2006،ص 354.

[4]- كعت محمود ،مصدر سابق ،ص ص 265-277،عبد الرحمن ميقا ،الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص228.

حوى الذي كان كاتبا في تنبكتو برتبة وقدر عالي، ثم جاء الكاتب عبد الجبار اليمني [1]الذي أشهده الأسكيا محمد على وثيقة عدم التعرض للشريف أحمد الصقلي هو وأسرته في جميع أرجاء السلطنة، وكذا الكاتب عبد الله بن علي الذي أمره الأسكيا محمد بكتابة وثيقة حفدة الشيخ مورهوكار الذين اشتكوا للأسكيا محمد حالة البؤس والشدة التي عاملهم بها سني علي، إضافة إلى الكاتب الذي صاحب الأسكيا محمد في رحلته الحجية [2]، وفي عهد الأسكيا داوود تولى الكتابة الفقيه بكر الأنباري[3] الذي بلَّغ الأسكيا رسالة القاضي محمود كعت يطلب فيها من الأسكيا مساعدته في تزويج أبنائه وبناته، كما كتب وشهد هذا الكاتب على إعطاء دية القتل الخطأ لابن القاسم بن مزوار الشريف الونكري الذي قتله الأسكيا داوود خطأ، وفي عهد الباشاوات المغاربة تولى هذه المهنة فقهاء اشتهروا بالعلم أمثال عبد الرحمن السعدي[4] صاحب كتاب تاريخ السودان وان كانت هذه المهنة قد ادخل عليها بعض التعديلات في التعيين وتبعيتها المطلقة للباشاوات، حيث عين أفرادا من أصول مغاربية كانت لهم رتب عسكرية أو وظائف أخرى، كمحمد بن بركة، وأحمد بن الحداد، ومصطفى القبل، وكان الباشا هو الذي يحدد مهامهم بإشارة منه خاصة فيما يتعلق بالقضاء، كما اشتهرت أسر علمية بهذه المهنة كأسرة كورد الفلاني التي اشتهر منها الفقيه أبو العباس أحمد بن اندغمحمد الذي جاء في ترجمته[5]"...أنه كان مفتيا في زمانه، نحويا بليغا متواضعا، اشتهر في زمانه بعلم القران والتوثيق "، والفقيه العالم عبد الله بن محمود بن محمد بغيغ بن كورد الفلاني، وباب بن سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يورو بن محمد كورد الفلاني، إضافة إلى أسرة السيوطي التي اشتهر منها عبد الرحمن السيوطي[6] ،كما اشتهر الفقيه الحسن الكاتب بن علي الفضنوني[7]توفي 1056هـ،والفقيه الفغ سعيد سعيد الكاتب [8]توفي 1170هـ،وإذا كان هذا عموم وظيفة الكتابة في هذه البلاد ومن اشتهروا بها فإنها لم تكن خاصة بديوان دون آخر أو بالسلطان ومجلسه، بل كانت واسطة بين القضاة والسلطان

[1]السعدي: تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص68.

[2]كعت محمود: مصدر سابق ،ص صص 74-111-150.

[3]المصدر السابق: ص ص 272-275.،عبد الرحمن ميقا ،مرجع سابق ،ص372.

[4]المرجع السابق ،ص318.

[5]مهدي رزق الله أحمد ،حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص528، كعت محمود ،تاريخ الفتاش ،ص277.

[6]السعدي: تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص30.

[7]عبد الرحمن ميقا ،مرجع سابق 230.

[8]المرجع السابق ،ص361.

كذلك وان كانت تدخل في عملية التقاضي؛ لأنها تساعد القاضي في تدوين كل ماله علاقة بالعقود والمواثيق وما يدار في جلسات الحكم من أحكام، فيكلفون بأخذ أقوال الخصوم ويكتبونها وتحفظ في سجلات خاصة[1]، إضافة إلى أنهم كانوا يوثقون الشهادات ويحصون التركات وينوبون عن الغائبين، وكل هذا يتم أمام القاضي والشهود لتكون بيِّنَةً للحكم تساعد القاضي على إحقاق الحق وضمان العدل والنزاهة، وكانت هذه الأحكام تختم من طرفهم ويذكر فيها مجموعة من الشهود والقاضي[2] .

الشهود (**شاهد القاضي**): ويسمون بالعدول وهم من يعينهم القاضي ممن تتوفر فيهم شروط معينة تتعلق بالاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح بأن يكون غير مقدوح فيه، وهو ما أشار إليه ابن خلدون [3]عند حديثه عن العدول أي الشهود فقال: "وظيفة دينية تابعة للقضاء، وحقيقة هذه الوظيفة الوظيفة هي القيام بعد إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الإشهاد والأداء عند التنازع، وكتبا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم، وشروط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية والبراءة من الجرح".

وأول من اتخذ شهود ثابتين في مجلس القضاء هو القاضي غوث بن سليمان (140-144هـ/757-761م)، الذي تولى قضاء مصر زمن خلافة أبي جعفر المنصور العباسي[4]، وكان الناس قبل ذلك يشهدون فمن كان معروف بالسلامة قبله القاضي وإن كان غير معروف بها أوقف، وإن كان الشاهد مجهولا لا يعرف سَئَل عنه جيرانه مما ذكروه به من خير أو من شر عمل به، ومن الشهود نشأت بطانة القاضي التي أصبحت في مجلسه بصفة دائمة وكان اختيارهم يرجع إلى القاضي ويمكنه إقصاء من يطعن فيه مقدرة أو نزاهة أو أخلاقا؛ لأن مهمتهم أصبحت رسمية بعد هذه التزكية[5]، وتكلف إليهم دراسة واقع القضية والبينة التي يقدمها المشتكي، وهي في الغالب مجموعة من

---

[1]- المرجع السابق ،ص342.

[2]-سوزي باظة محمد حسن،القضاء في صنغي في عهد الآساكي 898ه999هـ-1493-1591م، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ جامعة القاهرة،العدد28،يناير 2005،ص355.

[3]-ابن خلدون ،مصدر سابق ج2،ص ص 635-636.

[4]-الكندي أبو عمر محمد بن يوسف،الولاة والقضاة،مطبعة الآباء اليسوعيين ،بيروت لبنان ،1908،ص361.

[5]-وقد أشار ابن سهل في نوازله إلى ما يجب على القاضي أن يقوم به في تحري شهادة الشهود فقال: "ينبغي للقاضي أن يكتب شهادة الشهود بين يديه ولا يلقن الشاهد ويتركه على ما عنده من علم ولا بأس من أن يسأله عن تاريخ شيء إن احتاج إليه ،ولا يسأله أن يزيد في شهادته أو ينقص منها ،وينبغي للقاضي إذا شهد الشاهد عنده أن يكتب شهادته واسم قبيلته ونعته ومسكنه

البراهين المقنعة والتي يصل إليها الشاهد من خلال دراسته للوثائق، ومن خلال ملاحظاته الشخصية وتجربته العملية ومعرفته العلمية في ميادين الحياة المختلفة [1].

هذا بالنسبة لعلاقته مع القاضي، أما بالنسبة لعلاقاته بعامة الناس فهو الذي يتأكد من صحة بياناتهم وأدلتهم ويشهد عليها ويسجل لهم العقود [2]، كما أنه هو الذي يدون القرارات المتخذة في حقهم .

وقد اتخذ القضاة ببلاد السودان الغربي شهود من العلماء الكبار مهمتهم التصديق على وثائق الصلح الذي كان يعقد بين الجماعات المتخاصمة أو بين القبائل المتحاربة، وقد زادت أهمية هذا المنصب في هذه البلاد خاصة بعد دخول المغاربة في حملة المنصور الذهبي أكثر مما كان عليه في عهد الآساكي، ويرجع ذلك إلى كثرة الفتن والقلاقل في مجتمع السودان الغربي، أضف إلى ذلك قد يعتبر من المناصب المتأثرة بالروافد المغربية الأندلسية أو المصرية وقد وجد مثله مقاما في الأندلس يعرف بالفقيه المشاور، وفي مصر يعرفون بأمناء المحاكم[3]، وهما يمثلان شاهد القاضي في بلاد السودان الغربي؛ لأنهم يشتركون في نفس الوظائف وهي التصديق على وثائق الصلح، وإحصاء تركات الأموات، ومراقبة الأهلة في رمضان والأعياد[4].

رغم وجود هذا المنصب ببلاد السودان إلا أن المصادر لم تتكلم عن شهود القاضي إلا في إشارات معينة ذكرها السعدي[5] عند حديثه عن الصلح الذي وقع بين قبائل من جني وأخرى من تنبكتو

ومسجده الذي يصلي فيه والشهر الذي يشهد فيه والسنة ،ثم يوقع ذلك في صك عنده ثم يجعله في ديوانه لئلا تسقط للمشهود له شهادته فيزيد فيها أو ينقص "ابن سهل ،النوازل ورقة 16،نقلا عن خلاف عبد الوهاب ،تاريخ القضاء في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ،المؤسسة العربية الحديثة ،مصر ،ط1، 1992،ص250 .

[1]-بحاز إبراهيم ،القضاء في المغرب الإسلامي ،ج1،مرجع سابق ،ص365.

[2]-النواصرة عدنان حسن محمد ،القضاء في عهد الدولة الحفصية بأفريقية 625-981هـ-1227-1573م دراسة تاريخية ،مذكرة ماجستير في التاريخ ،كلية الآداب والعلوم ،جامعة آل البيت ،المملكة الأردنية الهاشمية ،2002-2003،ص62.

[3]-عبد الرزاق إبراهيم عيسى،تاريخ القضاء في مصر العثمانية 1517م-1798م،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة مصر ،1998، ص ص 301،304.،ضيفي عثمان عبد النعيم ،رسوم ونظم الآسكيين في سنغاي (898هـ-1000هـ/1492-1591م)،أطروحة دكتوراه فلسفة في الدراسات الإفريقية ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،مصر،2009،ص142.

[4]-الغربي محمد،بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مرجع سابق،ص 389.

[5]-السعدي،مصدر سابق ،ص 276،عبد الرحمن ميقا،الحركة الفقهية ،مرجع سابق،ص229.

"....خرج قاضي ماسنة من جني إلى تنبكتو مع شاهدي قاضي جني فقبلهم الباشا وقبل الصلح وأجازه...."، أما الإشارة الثانية[1] وهي ما حدث بين القائد علي بن الجسيم وبعض الرماة وما ترتب عنه من تعطيل للتجارة بأن حبست أمتعة تجار كبر وغيرهم من القرى المجاورة، فاشتكوا أمر هذا القائد إلى القاضي الذي بعث بدوره شهوده أن يكلموه بان يطلق متاع الناس وتجارتهم [2].

ويبدو أن شهود القاضي لم يكن عددهم معين فأحيانا يكون اثنين وأحيانا أخرى ثلاثة، وقد يتجاوز إلى أربعة أو أكثر، ومن مشاهير العلماء الذين أسندت لهم هذه المهمة نجد الفقيه محمود بغيغالونكري الذي كان من اكبر شهود القاضي عباس كب [3]، والفقيه الإمام باب عم الفقيه مصطفى بن عبد الله كري الوداني، والفقيه أحمد بن عثمان بن محمد بن محمد تاشفينالوداني، والفقيه العالم بابير بن الفقيه أحمد، وكان هؤلاء شهود القاضي باب المختار[4] .

المستخلف: وهو من ينوب عن القاضي في حالة غيابه لضرورة أو لغير ضرورة كمرض، أو سفر، أو حج، والمستخلف عرف في قضاء الأقاليم الكبرى، كتنبكتو، وجني، وغاو، ولابد في المستخلف أن تتوفر فيه الشروط الواجب توفرها[5] في القاضي، من عدل، ونزاهة، وورع، وتقوى، إضافة إلى شروط الانعقاد[6] التي تكون من القاضي باستشارة السلطان، وللمستخلف اختصاصات يجب ألا تخرج عما كلفه به المخلف (القاضي) ويعتبر المستخلف كقاض احتياطي لحالات الضرورة. وقد عرفت بلاد السودان الغربي استخلاف كثيرا من القضاة في مناصبهم، مثل ما استخلف القاضي حبيب حفيد

[1]- المرجع نفسه .

[2]-السعدي ،مصدر سابق ،ص276.

[3]-كعت محمود ،تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص ص 88-89، السعدي ،مصدر سابق،ص96.

[4]- المصدر نفسه.

[5]-راجع الفصل التمهيدي في شروط القاضي.

[6]-ذكر ابن العطار في وثائقه اختصاصات مستخلف القاضي وحدوده فقال: "وإذا استخلف القاضي ناظرا في الأحكام فللمستخلف أن يشهد عنده الشهود فيما فيه التنازع ،وله قبول من عرف منهم بعدالة وتنعقد عليه المقالات ويعدل عنده الشهود، وتثبت حيازة ما شهد الشهود بملكه، ثم يرفع ذلك كله إلى القاضي الذي استخلفه بحضرة شاهدي عدل فتثبت بهما عند القاضي إخباره له به، ويلزم القاضي حينئذ أن يجيز فعل مستخلفه وينفذ ما ثبت عنده ويسجل للمحكوم له وينعقد التسجيل في ذلك والإشهاد على القاضي "انظر ابن العطار محمد بن أحمد الأموي ،كتاب الوثائق والسجلات ،تحقيق،ب.شالميتا، ف.كورينطي،مدريد،اسبانيا ،1983، ص ص 642-643، نقلا عن :خلاف عبد الوهاب ،تاريخ القضاء في الأندلس ،مرجع سابق ،ص304.

الفقيه عبد الرحمن التميمي الفقيه المختار النحوي[1] (ت922هـ/1516م)، واستخلف القاضي محمود بن عمر آقيت القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت943هـ/1563م) وذالك بأمر من الأسكيا محمد الكبير[2]، والقاضي العاقب بن محمود آقيت استخلفه أخيه محمد بن محمود آقيت، واستخلف القاضي عباس كب (ت949هـ/1543م) القاضي محمود بغيغ على قضاء جني، كما استخلف القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف الذي توفي أثناء أداء فريضة الحج القاضي مؤدب بكر تروري [3]، وكان معظم هؤلاء المستخلفين يعينون قضاة فيما بعد خاصة بعد وفاة القاضي.

المستشارين: وكان يساعد القاضي في مهامه مجلس من الفقهاء يسمى أهل الشورى ويتكون عادة من: المفتي، وأئمة المساجد، وكبار العلماء، فهم يساعدون القاضي[4] في المسائل الطارئة والنوازل التي لا يعرف بشأنها نص أو حكم سابق في متناوله، وقد كان تعيين هؤلاء المستشارين بمباركة السلطان بعد أن يعينهم القاضي، ويعتبر عمل هذه الهيئة استشاري محض في كثير من القضايا المستعصية، ومنهم من جمع بين استشارة السلطان واستشارة القاضي مثل الفقيه أبو القاسم التواتي، والإمام إبراهيم الزلفي، ومنهم من أصبح قاضيا فيما بعد مثل العاقب بن عبد الله الأنصنمي، فمن أمثلة القضاة الذين اتخذوا مستشارين القاضي عمر بن محمود آقيت [5] الذي استعان بالعديد من الفقهاء منهم: الفقيه محمد بن القاضي محمود بغيغ، والفقيه المفتي اأمد معيا، والفقيه أبو العباس أحمد بن الإمام صديق تعل، والقاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف في مدينة جني استشار كلا من الفقيه مودب بكر تروري، والفقيه عبد الله بن الفقيه أحمد بري الذي تولى الإفتاء زمن القاضي محمد اندغمحمد[6]، والفقيه محمد بن أحمد بن محمد التازختي، والفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان مفتي جني.

---

[1]-السعدي،مصدر سابق ،ص 91.،سوزي اباظة ،القضاء في صنغاي ،مرجع سابق ،ص356.

[2]-أحمد بابا التنبكتي ،نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص291،السعدي ،مصدر سابق ،ص صص 98-108-109،العمراوي محمد السنوسي،مرجع سابق ،ص146.

[3]- السعدي،مصدر سابق ،ص 19،البرتلي فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص 37،سوزي اباظة ،مرجع سابق، ص356.،إيهاب شعبان عبد الشافي سالم ،مرجع سابق ،ص44.

[4]-السعدي،مصدر سابق ،ص ص 76-77،محمود كعت ،مصدر سابق ،ص104.

[5]- العمراوي محمد السنوسي ،نظام الحكم والإدارة بمملكة سنغاي ،مرجع سابق ،ص174.

[6]-البرتلي:فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص71.السعدي ،221،أحمد بابا التنبكتي ،نيل الابتهاج ج2،مصدر سابق ،ص296.

متولي الشرع: كان من المهام التي توكل إلى شخص ذو ثقة وعلم يعينه القاضي، وتنحصر مهمته في حصر تركة الشخص المتوفى والقيام على حراستها، خاصة إذا كان ذو أملاك كثيرة، أو من الغرباء ولا يعرف له وريث وخيف على هذه التركة من الضياع، أو السرقة، فيكلف متولي الشرع أعوانه بالحراسة على دار الميت ما لم يتم اتخاذ الإجراءات القضائية [1]، ورغم إننا لم نجد إشارات كثيرة لهذه الوظيفة في المصادر المحلية إلا أن السعدي انفرد بذكر واحدة منها عند حديثه عن وفاة الباشا منصور بن الباشا محمود لنك بمدينة جني عندما قال عنه: "ودفن ليلة إذ في الجامع الكبير وبت أنا وثلاثة من الشهود عند باب داره للحراسة عليها بعدما اطلعنا جميعا على ما احتوت عليها الديار وفي الغد ضحوة زممنا[2] تركته بحضرة الكواهي[3] بعد استئذان متولي الشرع "[4]

حكام الأقاليم: ويعتبر حكام الأقاليم من مساعدي القضاة في أحكامهم، خاصة إذا علمنا أن بلاد السودان الغربي خضعت لعدة تقسيمات إدارية حسب التحولات السياسية التي حلت بها، ففي أيام دولة الآساكي قسمت المملكة إلى عدة مناطق أو ولايات يشرف على كل إقليم حاكم معين من طرف السلطان، ويكون له حق الإشراف وتسيير هذا الإقليم من جميع النواحي[5] عدا القضاء فانه يرجع إلى القاضي[6] الذي يستعين به في بعض القضايا التي تتعلق بالإخلال بأمن المدينة وآدابها العامة العامة وذلك باستشارة حاكم الإقليم.

[1] مهدي رزق الله أحمد،حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص ص 527-528،عثمان ضيفي عبد المنعم ،رسوم ونظم دولة الآسكيين في سنغاي ،مرجع سابق ،ص134.

[2] زممنا: أي حصرنا.

[3] الكواهي :جمع كاهية وهو لقب أطلق في الجيش الإنكشاري للدولة العثمانية، ودخل بلاد السودان الغربي مع الحملة السعدية التي تأثرت ببعض التنظيمات الجيش العثماني، ويدل على رتبة عسكرية في جيش تسمى المعتمد.ينظر: الحواس غربي: السيادة المغربية بالبلاد السودانية 1591م-1660م دراسة سياسية عسكرية، رسالة ماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص67.

[4] السعدي :مصدر سابق ،ص245.

[5] السعدي : مصدر سابق ،ص ص 6-10-13،محمود كعت ،مصدر سابق ،ص16

[6] - الفانوس عمار صليح سليم ،دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي ،مرجع سابق ،ص 131،زبادية ،مرجع سابق ،ص34.

المشرف على القبيلة: ويطلق عليه اسم (كوري فارم)[1]، ومهمة القائم على هذه الوظيفة الذهاب إلى رؤساء القبائل للتعرف على مشاكلهم والعمل على التآلف بين القبائل المتباينة التي كانت تعيش داخل حدود هذه البلاد؛ من أجل الحد من النزاعات القبلية والصراعات الداخلية، فقد كان يعمل إلى جانب القاضي[2] من أجل تحقيق التسامح والتصالح بين هذه القبائل ومعالجة مشاكلهم بالطرق السلمية.

مفتش الضرائب العامة: وتسمى وظيفته الإدارية (موندي) وله أعوان منتشرون مهمتهم مراقبة القوافل التجارية الخارجة من البلاد والعائدة إليها، وأخذ الرسوم المفروضة على الداخل والخارج من البضاعات[3].

مراقبو الأسواق: ويسمى (بويوكوي)[4]، ومن مهامه مراقبة الأسواق وتنظيمها، وعقد الأسواق اليومية اليومية والأسبوعية، ومراقبة الأوزان والمكاييل والمقاييس، وفحص العملة لتمييز الخبيث منها من الطيب، ومراقبة السلع وصلاحها وأسعارها ومنع الغش، وكذا مراقبة الآداب العامة وسلوك الناس في الأسواق[5].

الأسر التي توارثت مهنة القضاء :عرفت بلاد السودان الغربي أسر علمية إشتهرت بالريادة العلمية والمكانة الاجتماعية مما بوأها حظوة لدى سلاطين ومجتمع السودان الغربي مكنتها من ممارسة السلطة القضائية والوظائف الدينية ومن بين هذه الاسر ،أسرة آل أقيت ،وآل بغيغ ،وآل أندغ محمد،والمحاجيب .

1-أسرةآلأقيت: يرجع أصل هذه الأسرة الى قبائل مسوفة الصنهاجية التي سكنت الصحراء ،وتعود تسمية هذه الأسرة الى الجد الأول محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المسوفي الشهير

---

[1]- الأحمر أسماء أحمد ،الدين والدولة ،مرجع سابق ،ص108.

[2]-جوان جوزيف ،الإسلام في ممااليك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء ،ترجمة مختار السويقي ،د دط،القاهرة ،1984،ص85.

[3]-محمود كعت ،ص22، الأحمر أسماء أحمد ،ص108،عبد المنعم ضيفي ،ص93.

[4]-زمان عبيد وناس: مدينة كاو ،مرجع سابق ،ص50.

[5]- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي زمن الآسكيين ،ص58.

بأقيت[1]،الذي وصل الى منطقة ماسنة قادماً من الشمال و استقر بها لفترة من الزمن ثم رحل عنها الى ولاته بسبب ماتعرض له من مضايقات من طرف الفلانين ،وبعد ولاته ذهب الى تنبكتو واستقر بأبنائه الثلاثة عمر ،واحمد ،ومحمود ،وذالك لضمان العلم والتربية السليمة فيها نظراً لما كانت تتمتع به من إشعاع علمي وثقافي في هذه الفترة (ق8هجري) ،تربى هؤلاء الأبناء الثلاثة في تنبكتو[2] حيث تلقوا التربية والتعليم ،مما أكسبهم مكانة علمية واجتماعية جعلت منهم محل إقتداء وریاسة ،وقد اشتهر منهم عمر الذي فر من تنبكتو إثر حملة سني علي على تنبكتو ومحنة العلماء ،فاضطر للهروب الى ولاته مجدداً واستقر بها[3] مخلفاً أولاده الثلاثة عبد الله وأحمد ومحمود، فعاد الاثنان أحمد ومحمود الى تنبكتو[4] لتكميل مسيرتها العلمية ،ويعتبر هؤلاء الاولاد الثلاثة ابناء عمر بن محمد الجيل الأول لعائلة آل أقيت التي ترأست المكانة العلمية والفقهية في تنبكتو ،وبلاد السودان الغربي ،وقد خلفوا أجيال من العلماء تولوا مهنة القضاء مثل القاضي محمود بن عمر ت955ه الذي خلف ابناء ،محمد والعاقب ،وعمر ،وكذا القاضي أحمد بن عمر والد أحمد بابا التنبكتي[5]، وقد تولى كل منهما القضاء في تنبكتو،وقد تعرضت هذه الاسر للتهجير بعد النكبة التي أحلت بتنبكتو إثر الغزو السعدي لبلاد السودان الغربي[6] فرحلوا أسارى الي مراكش،وأودعهم المنصور السجن ولم يطلق سراحهم الافي رمضان

-[1]السعدي: تاريخ السودان مصدر سابق ،ص ص 155-158.

[2]-البارة بنت أحمد: الاسلام وأثره في التحولات السياسية مرجع سابق ،ص59.

[3]-السعدي: مصدر سابق ،ص 66،الذيابات آمنة محمود عودة ،أحمد بابا التنبكتي ومنهجه في كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،مجلة المشكاة للعلوم الانسانية والاجتماعية ،العدد2مج3،عمادة البحث العلمي ،جامعة العلوم الاسلامية العالمية،الاردن ،2016،ص415.

[4]-التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص 610،كفاية المحتاج ج2 مصدر سابق ،ص238.

[5]-التنبكتي احمد بابا ،نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص 608.،والشمراني أمل صالح غضبان ،القضاء في المجتمع التنبكتي خلال القرن 10-11ه -16-17م ،مجلة عصور تصدر عن مخبر تراجم ومصادر ،جامعة وهران 1احمد بن بلة،وهران ، الجزائر ،العدد32-33،جانفي مارس ،2017،ص375.

[6]-السعدي :مصدر سابق ،ص375.،التنبكتي احمد بابا ،نيل الابتهاج ،ص 608.

رمضان سنة 1004هـ بشرط بقاءهم في مراكش[1]،وعند وفاة المنصور سنة 1002هـ ،خيرهم إبنه زيدان بين البقاء في مراكش أو الرجوع الى وطنهم فخيروا الرجوع الى تنبكتو.

2-أسرة آل بغيغ[2] : وهي من الاسر السودانية، تنحدر من مدينة جني، يرجع أصلها الى ونكرة إحدى قبائل الماندينغ (الماندیجو) التي حكمت مملكة مالي ،هاجرت من جني الى تنبكتو في أواسط القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي وسكنو ا حي ونغارةكوندا[3] بوسط مدينة تنبكتو،حيث اشتهروا بالعلم والتفقه مما أكسبهم الإمامة والقضاء ،فكانوا أئمة لجامع سيدي يحي بتنبكتو ،وقضاة ،وأول من مارس القضاء منهم الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الذي تولى قضاء جني في عهد الاسكيا إسحاق ،واشتهر بعدله وعلمه ونصحه للسلطان ،ثم جاء من بعده إبنه محمد بن محمود بغيغ،وأحمد بن محمود بغيغ اللذان برز كثيراً في مجال التعليم ورغم كفاءتهما فإنهما كانا يتهربان من

[1]- تفرد بعض المصادر خبر إجبار المنصور آل قيت في البقاء في مراكش بعد خروجهم من السجن مما اضطر أحمد بابا التنبكتي الى مقابلة المنصور ومعاتبته على مافعله بهم ،حيث اورد الناصري حادثة دخوله عليه بقوله "ولمادخل الفقيه ابو العباس (احمد بابا التنبكتي) على المنصور بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب على طريقة خلفاء بني العباس ومن تشبه بهم فقال الشيخ إن الله تعالى يقول "وماكان لبشر أن يكلمه الله الاوحياً أو من وراء حجاب "(الشورى 51)،وانت قد تشبهت برب الارباب فإن كانت لك حاجة في الكلام فأنزل إلينا وأرفع عنا الحجاب ،فنزل المنصور ورفعت الأستار فقال له الشيخ أي حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي وتصفيدي من تنبكتو الى هنا ،حتى سقطت على ظهر الجمل واندقت ساقي ؟فقال له المنصور :أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم في بلادكم من أعيانها ،فإن أذعنتم أذعن غيركم ،فقال الشيخ أبو العباس فهلا جمعت الكلمة بتُرك تلمسان فإنهم أقرب إليك منا ؟فقال المنصور قال النبي صل الله عليه وسلم "أتركوا التُّرك ماتركوكم "فامتثلنا الحديث ،فقال أبو العباس ذك زمان وبَعْدقالإبن عباس "لاتتركوا الترك وإن تركوكم "فسكت المنصور وانفض المجلس "ينظر :السلاوي الناصري ،الاستقصاءج5،مصدر سابق ،ص ص 121-122.

[2]- تكتب بباء مفتوحة وغين معجمة ساكنة وياء وعين مهملة مضمومة ،وقد وردت عند أحمد بابا التنبكتي في كتابه كفاية المحتاج ج2مصدر سابق ،ص244.

[3]-وتعني هذه الكلمة في لغة السراكولي والمكتوبة من لفظين (بغ)وتعني الأزرق و(يغ) وتعني الرجل ،أي الرجل الأزرق .ينظر :مطير سعد غيث ،الثقافة العربية الاسلامية مرجع سابق ،ص281. SISSOKO M.ODE.LINTELLIGEMSIADETOMBOCTOUAUXXVEET.MODY.SEKE MEXVESIESCLESBULLTIMDELI.A.N.B.4.1969.P394.

القضاء ،لكن كانت لهم أدوار فيه والسعي في قضاء حوائج الناس ،حيث أشار احمد بابا التنبكتي[1] لذلك عند حديثه عن محمد بن محمود بغيغ "...مع السعي في قضاء الحوائج وارتكاب ضرر نفسه والتفجع لمكروههم والاصلاح بينهم "،وقد خلفا أحمد ومحمد إبني الفقيه محمود بغيغ أولاد وأحفاد كان لهم دور كبير في الحياة العلمية والقضائية[2] في جني وتنبكتو منهم إبراهيم بن أحمد بن محمد بغيغ الذي شهد له بالعلم خاصة اللغة والنحو ،والمصطفى بن أحمد بن محمود بغيغ الذي تتلمذ على يدي عثمان الفلاني ومحمد كري ،والفقيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمود بغيغ الذي تولى الإمامة والقضاء ،وأحمد بن أحمد بغيغ الذي كان من كبار علماء وقته في جني حيث كرس معظم حياته للتدريس والقضاء والإفتاء ،والفقيه سعيد بن محمد بغيغ[3] كان هو الأخر فقيهاً قيل أنه سخر أمواله لخدمة الفقراء والأرامل والأيتام.

3-أسرة آل أندغ محمد: يعود أصل هذه الأسرة الى قبائل صنهاجة الصحراوية[4]، قدمت من ولاته فاستوطنتها ،وامتدت فروعها حتى كثرت ،أما أصل تسميتها فيعود الى الفقيه أندغ محمد[5] بن عثمان بن محمد بن نوح جد أحد بابا التنبكتي من أمه ويعتبر الفقيه اندغ محمد بن عثمان عميد هذه الأسرة ،وقد خلف أربعة أبناء هم ،عبد الرحمن بن أندغ محمد ،والمختار النحوي[6]،وأحمد بن أندغ

[1]- التنبكتي احمد بابا ،نيل الابتهاج ج2 مصدر سابق ،ص ص 296-297.الأرواني احمد بن بابير ،السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكتو البهية ،دراسة وتحقيق الهادي مبروك الدالي ،جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ،ليبيا ،دار الكتب الوطنية بنغازي ،ليبيا ،2001،ص 84.

[2]-مطير سعد غيث : آل بغيغالونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11ه -16-17م ،مجلة جامعة الزيتونة ليبيا ،العدد2014،11،ص18.

[3]- ميقا عبد الرحمن : الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص 294-300-323.،وانظر :الأرواني أحمد بابير ،السعادة الأبدية مصدر سابق ،ص132.

[4] - السعدي : مصدر سابق ،ص142،البارة بنت أحمد ،مرجع سابق ،ص 56.

[5] - السعدي :مصدر سابق ،ص 143.

[6] - المصدر السابق :ص 148.،البرتلي ،فتح الشكور مصدر سابق ،ص 177.

محمد[1]،ومحمود بن أندغ محمد ،كما خلف بنات منهن واحدة تزوجها عمر بن محمد آقيت والتي أنجبت له ثلاثة فقهاء من أسرة آل أقيت هم أحمد ومحمود وعبد الله وكلهم أشتهروا بالعلم والصلاح وقد اشتهرت عائلة أندغ محمد بالعلم والقضاء فتوارث أجيالها القضاء فاشتهر منهمخلق كثير منهم المختار النحوي الذي عاصر عهد سني علي وشهد فتنته مع العلماء فهاجر ولاته صحبة صهره عمر بن محمد آقيت وأبنائه خوفاً من بطش سني علي[2] وفي ولاته واصل مسيرته العلمية فدرس على يدي الإمام الزموري ونال منه إجازة كتاب الشفا للقاضي عياض ،وقد خلف من الابناء محمد ،وأندغ محمد[3]،وأبناؤهما المختار[4] وأبو عبد الله محمد[5]، أما احمد بن اندغ محمد فمن أبنائه أحمد بري[6]،وإبنه بري[6]،وإبنه عبد الله وكذا محمد ،وأما محمود فمن أبنائه أندغ محمد وإبنه أبو العباس ،وكل هؤلاء كانوا من الفقهاء والقضاة في تنبكتو ،وهذا ما أكسبهم شهرة ومكانة كبيرة في هذا المجتمع .

4-**المحاجيب**:وهيإحدى القبائل التي سكنت ولاته،وكانت لها السلطة الدينية والمكانة الإجتماعية حتى أن روايات تأسيس المدينة ترجع إليهم ،وقد اختلفت الروايات في أصلهم ونسبهم غير أن الرواية الأكثر شيوعاً هي رواية المختار بن حامد صاحب موسوعة تاريخ موريتانيا،[7] الذي يرجع أصل المحاجيب الى ذلك الاسم الذي يطلق على مجموعة قبائل في شكل اتحاد وقع بينهم عقد وهم ثلاثة قبائل تظاهروا وتحالفوا في ولاته وهم ،اولاً: أولاد الفقيه عثمان بن عثمان بن محمد بن يحي بن ينومر[8]،ثانياً:أولاد أند علي ونسبهم يرجع الى محمد بن الحنفية وهم أخوال المحاجيب وقضاتهم قديماً وأولهم قدوماً على ولاته ثم ساروا إلى تنبكتو،ثالثاً:الإمامات ونسبهم الى سعيد بن العاص الصحابي

[1]-الارواني: السعادة الأبدية مصدر سابق ،ص97.

[2]- مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والأسلام ،مرجع سابق ،ص ص 331-332.

[3] -الارواني: السعادة الأبدية مصدر سابق ،ص 120.

[4]-البرتلي: مصدر سابق ،ص107.،مهدي رزق الله ،مرجع سابق ،ص 334.

[5] – الأرواني: مصدر سابق ،ص 116.

[6] – المصدر نفسه: مهدي رزق الله ،مرجع سابق ،ص 333.

[7] – ابن حامد: حياة موريتانيا التاريخ السياسي ،مرجع سابق ،ص 62،والجغرافي ،ص 132،حوادث السنين مرجع سابق ،ص 39.

[8] – ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا قبل الإحتلال الفرنسي ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،2017،ص 257.

الجليل ،وكانوا يتولون إمامة الصلاة[1] حتى إنقرضوا ،وقد عاش هؤلاء البطون الثلاثة قروناً في ولاته وتازخت[2] وقامت لهم دولة علم ودين ودنيا ،وكان منهم جميعاً ائمة وعلماء ،ومدرسون وقضاة[3]، ومفتون ،ورؤساء مشهورون وكان للمحاجيب عادات[4] يحترمونها منها أن نساءهم لايتزوجن من الأجانب ولايخرجن من البيوت ومن هنا سموا أولاد الفقيه عثمان بالمحاجيب ثم أطلق الإسم على الجميع.

ي/ أهم القضايا:باتساع رقعة بلاد السودان الغربي،وتنوع أجناسه،تعددت قضاياه ومشكلاته،مما أوجب على القضاة النظر فيها وإيجاد حلولا تناسب كل منها،ومن بين هذه القضايا الأكثر أهمية في هذا المجتمع تلك المتعلقة بالتعدي على النفس والفساد الأخلاقي،وقضايا الزواج والطلاق،ثم قضايا المواريث وقضايا المال، مثل الفساد، والغش، والاحتيال، وصولا إلى القضايا السياسية التي كان يفصل فيها الحاكم بنفسه،وقد وجدت لهذه القضايا عقوبات على حسب الجرم المتخذ وطبيعته.

قضايا الزواج والطلاق:وتعتبرهذه من أكبر القضايا انتشارا في المجتمع الإسلامي عموما وبلاد السودان الغربي على وجه الخصوص؛ لما لها من آثار سلبية على حياة الفرد والمجتمع،وقدواجه القضاة في هذه البلاد عدة قضايا أسرية تداخلت فيها أحكام الدين الإسلامي مع بعض الأعراف السائدة.

يعتبر الزواج عقدٌأو رابطةٌ اجتماعية أقرَّها الله تعالى لتنظيم الحياة الإنسانية ومنع الفوضى والاختلاط المشبوه، وتحقيق الطهر والعفاف والبعد عن العلاقات الجنسية غير المشروعة؛والتي تؤدي إلى انتشار الأمراض والوقوع في الموبقات[5]،لذا كان مقصدا ربانيا الغاية منه الحفاظ على النسل البشري واستمرار الحياة الطبيعية،وقد جعله الله تعالى سنة الأنبياء والمرسلين قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك

[1] – الكنتي محمد الخليفة: الرسالة الغلاوية، مصدر سابق ،ص ص 235-236.انظر الفصل الأول من الرسالة.

[2] – قرية صغيرة قديمة تقع غرب ولاته خربها أولاد يونس (من أولاد داوود أعروك) في القرن التاسع الهجري 15م فتلاشى أمرها بعدما كانت عامرة ،وكانت قرية علم ودين ،وكان لرؤسها مغرم على أهل ولاته وإضرارهم ،وينسب الى هذه البلدة أحد قضاة بلاد الهوسا محمد بن أحمد التازختي ت936هـ ،وبها مقبرة كبيرة مدفون بها أحد أعيان علماء آل آقيت وهو عبد الله بن عمر بن محمد آقيت ،وقد أصبح سكانها بعد خرابها في عداد المحاجيب .ينظر إبن حامد المختار ،حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص 112.

[3] – ينظر الفصل الثالث قضاة ولاته.

[4] – بوبريك رحال: المدينة في مجتمع البداوة ،مرجع سابق ،ص 17.

[5]الشيخي حسن إبراهيم علي: تأثير الإسلام وثقافته ،مرجع سابق،ص148.

وجعلنا لهم أزواجا وذرية...﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقلكم من أنفسكمأزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[2]،وقوله صلى الله عليه وسلم : «تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

وينشأالزواج بالخطبة والمهر والعقد، وهذا ما قرّرَهاالإسلام ودعا إليه،وقد حددت المجتمعات عادات وتقاليد الزواج للأفراد ورسمت لهم طريق يتبعونه ويفرض عليهم الالتزام بحدودهاومن يخرج عن ذلك يتصدى له المجتمع بقوة وعنف، بل ويفرض عليه عقوبات .

أما الزواج في المجتمعات الإفريقية ولاسيما بلاد السودان الغربي فقد كان غير منظم ولايستند إلى ضوابط شرعية،بل كان يعتمد على موروثات فوضوية يسودها التفكك والانحلال،وبعد مجيء الإسلام نظمت حياة هذه المجتمعات، وأصبح الزواج يسير وفق التقاليد الإسلاميةالتي رتبت على هذه العلاقة حقوق وواجبات لكلا الزوجين، حيث تعتبر التزام متبادل بين الطرفين[4].

وقد اختلفت عادات الزواج في بلاد السودان الغربي من منطقة إلى أخرى، ففي مدينة جني كانت تبدأ بأن يخطب الرجل الفتاة من وليها أو ممن ينوب عنها ويقدم العريس إلى عروسه صداقا يختلف من شخص إلى آخر حسب القدرة المادية لكل شخص،وكان مهر العروس بالنسبة للطبقة الموسرة عادة مايكون من ستة إلى سبعة من الإبل مع أشياءأخرى مصاحبة للمهر ممثلة في ملابس وحلي وعطر للعروس، أما طبقة العامة فإن مهر الفتاة كان عبارة عن رأسين من الماعز ونحوه[5].

وتقام الحفلات للخطبة والقِرَانْ بحضور القاضي والإمام، ثم كتابة العقد بإحضار الشهود لتوثيقه،ثم تقرأسورة الفاتحة ويتم العقد،وبعدها تقام وليمة كبيرة للحضور من المدعوين ليتم بعدها الزفاف.

[1]- سورة الرعد ،الآية38.

[2]- سورة الروم ،الآية21.

[3]- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2 سنة 2002م، باب الرغبة في النكاح، رقم:13457.

[4]- الشيخي حسن إبراهيم علي ،مرجع سابق ،ص148.

[5]- الغلاوي المصطفى بن أحمد، العمل المشكور في جمع نوازل التكرور،مخطوط بمعهد أحمد بابا التنبكتي ،مدينة تنبكتو، مالي،تحت مالي،تحت رقم 521،ج1،ورقة101،100،نقلا عن بطل شعبان محمد غرياني ،العامة في دولة صنغاي،مرجع سابق ،ص137.

وقد جاء في نوازل التكرور نموذج لعادة عامة صنغاي في النكاح،حيث سئل عن هذه النازلة **القاضي محمدبن محمود بغيغ** الذي أشار إلىأن عادة العامة في النكاح أن يبدأ هذا الأمر بالخطبة،ويتقدم طالب الزواج لعرض طلبه في خطبة العروس من وليهاولابد من موافقة الولي ثم موافقة العروس؛ وبعد ذلك يقدر الصداق، ويعد هذا الاتفاق والقبول مقدمة لعقد النكاح،وكانت بعض الفتيات يشترطن على من يتقدم لخطبتهن وله زوجة بعصمته أن يقوم بتطليق هذه الزوجة[1]، أما نص عقد الزواج حسب ماجاء في النوازل أيضا فكان " إن فلانا ابن فلان أراد أن يتزوج بفلانة ابنة فلان فزوجناه إياها بتوكيلها أو بتوكيل وكيلها وتفويضها إلى العقد على صداق كذا وكذانصفه حال ونصفه مؤجل عليه إلى كذا..." وكان يلزم إتمام العقد كماهو شائع الإيجاب والقبول، وأن يقول ولي المرأة قبلته لها ..."[2].

وقد وضحت لنا النوازل التي تخص هذه المنطقة عديد النصوص التي تبين هذه القضايا التي تصدى لها قضاة هذه البلاد والمتمثلة في حالات الزواج بدون ولي، مع العلم أن من شروط الزواج في المذهب المالكي وجود الولي؛إذ لازواج بدون ولي مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم:«أيما امرأة نكحت بغيرإذن وليها فنكاحها باطل »[3] وهو ماسئل عنه **القاضي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي**[4]: عمن نكح امرأة بلاولي وأقام معها مدة وولدت الأولاد ثم طلقها ثلاث هل تحرم عليه بذلك حتى تنكح زوجا غيره أم لا؟

فكانت إجابته:إن هذا النكاح مختلف فيه بين العلماء وفسخه بعد البناءطلاق وطلاقها قبل الفسخ يلزم، فتحرم عليه بذلك حتى تنكح زوجا غيره، وإن نكحها بلا محلل وجب فسخه[5].

---

[1]- الغلاوي المصطفى بن أحمد ،مصدر سابق، ج2،ورقة 5و6،وانظر إيهاب شعبان عبد الشافي ،القضاء في دولتي مالي وصنغي ،مرجع سابق ،ص87.

[2]- الغلاوي المصطفى بن أحمد ،نفس المصدر .

[3]- أخرجه أبو داود السنن، باب في الولي، رقم:2083، والترمذي، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، رقم:1102.

[4]- انظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة شنقيط.

[5]- ولد البراء يحي ،المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء ،المجلد الثامن ،باب الأنكحة، مصدر سابق ،ص3156.

ومن قضاياهم تزويج بنت الأخت من طرف خالها وأبوها موجودعلى مسيرة عشرة أيامأو أقلفقداعتبر **القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي**[1]أن هذا الزواج باطل ويفسخ عقده وترجع الكلمة لأبيها حتى وإن كانت في كفالة خالها[2].

أما الصداق أو المهرفقد وجدت فيه كذلك إشكالات بين الفقهاء من حيث طبيعته،أهو حق للزوجة أملأهلها؟ وكذلك من حيث قيمة المؤجل والمقدم منه، وقد اختلف الفقهاء في تحديد طبيعته، فرأى البعض فيه مقابلالبضعالمرأة أي مقابل لتمكين الزوج من الاستمتاع بزوجته،ورأى البعض الآخر فيه صلة أو نحلة فرضها الله عزَّ وجلَّ على الزوج لصالح الزوجة، وشبه بعض الفقهاء المهر بالثمن[3] في البيوع وأخضعوه لبعض الأحكامالتي يخضع لها الثمن؛ غير أن هؤلاء الفقهاءرغم تشبيههم المهر بالثمن لم يخطر ببالهم أن آثار الزواج تختلف اختلافا بيِّنًا عن تلك التي تتولد عن البيوع، وكل ماقصدوا إليه من وراء هذا التشبيه هو تطبيق بعض أحكام الثمن على المهر، وقد كما كانت قيمة الصداق مختلفة، سواء أكان من الحيوانات،أو المنقولات،أو النقد،أو الحلي، وهي تختلف من شخص إلى آخر باختلاف القدرة المادية لكل شخص؛ وباختلاف الأسرة ومكانتها الاجتماعية[4].

وقد جاءت بعض الأحكام القضائية في الصداق حسب تلك النوازل التي طرأت، مثل هل يعتبر صداق الأمة التي تتزوج من العبد وكلاهما مملوك لشخص هل يجوز أخذ ذلك الصداق أم لا؟

فأجاب عنه القاضي محمد بن فاضل الشريف التيشيتي[5]في السؤال الذي ورد إليه عمن تزوج عبده من أمته ودفع عنه الصداق هل ينزعه منها أم لا؟ بأنه لايجوز له أن ينزعه منها إلا أن يطول الزمان[6].

---

[1] - المصدر السابق ،ص3157.

[2] - زناتي محمود سلام ،الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،1969،ص ص82-83.

[3] - الصاوي كرم باز ،البيت والعائلة السنغائية زمن أسرة الآسكيين 899هـ-1000م،ندوة المجتمعات الإفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري في مطلع القرن الحادي والعشرون،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،مصر 2005،ص41،وانظر: إيهاب شعبان عبد الشافي ،مرجع سابق ،ص86.

[4] - بطل شعبان محمد غرياني ،العامة في دولة صنغي ،مرجع سابق ،ص137.

[5] - ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ،مصدر سابق ،ص3236.

[6]المصدر نفسه.

ومنأقضيتهم في هذا مايسقط به صداق المرأة التي اشتهرت بالفسق وعقد عليها الزوج.

فأجاب القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي:أن الزوجة إذا كانت مشهورة بالفسق والزوج لم يعلم حين العقد أو علم وظن زواله بعده لكنها استمرت عليه فلاصداق لها البتة، وإن استمر على إمساكها فهي جرحة منفوذة[1] المقتل في شهادته وإمامته[2].

ومن النوازل التي تخص عقود الزواج التي تتضمن بعض الشروط ومنها أن الزوج لايحق له أن يتزوج بأخرى، ويتضح ذلك من خلال نازلة سئل فيها الفقيه **محمد بن عبد الكريم المغيلي** على أن تَمَكُّن الزوجة من زوجها بالشرط المذكورمدعاة لأن تخرج أحيانا عن طاعته ولذلك سئل عما إذا كان نشوز الزوجة يعطي الحق للزوج في أن يتزوج عليها أم لا؟وقد وضع المغيلي جوابا بأن الزوجة إن تمكنت من زوجها بهذا الشرط وعلمت بأنه لايجد نكاح غيرها فتعوجت عليه وأضرت به في العشرة يحل له أن يتزوج عليها[3].

ومن خلال إحدى النوازل التي سئل فيها **الشيخ محمودبن عمر التنبكتي** يتضح أن بعض النسوة كن يشترطن على الرجل إذا تقدم لخطبة إحداهن وله زوجة بعصمته أن يطلق هذه الزوجة، وأحيانا يلجأ الرجل لبعض الحيل ليوهم الزوجة الجديدة بأنه طلق زوجته الأولى، وهذا ماتصدى له الفقهاء بالبطلان وعدم الجواز.

وقد وقعت نازلة زمن **الشيخ المختار الكبير الكنتي** (ت1226ه/1811م)عن رجل خطب إلى ابنته رجل وكان هذا الرجل له زوجة أخرى فشرط عليه في العقد أنه متى ارتجع زوجته فالثانية طالق أو أمرها بيدها.

فأجاب الشيخ المختار: بعدم جوازهذا الشرط عملا بالآية الكريمة ﴿ الرجال قوامون على النساء بمافضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾[4]، وأن الزوجة ليس لها شرط إلا حسن

---

[1] جرحة منفوذة: أي عار كبير عليه إذا أبقى زوجته في عصمته مع استمرارها على الفسق.

[2] عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ،الفتاوى ،جمع وتحقيق،محمد الأمين بن محمد بيب،مكتبة الفقه المالكي،انواكشوط موريتانيا،ط1، 2002،ص231.

[3] الغلاوي المصطفى بن أحمد ،مصدر سابق ج2،ورقة 113،إيهاب شعبان عبد الشافي ،مرجع سابق ،ص87.

[4] سورة النساء، آية 34.

العشرة والإحسان بالنفقة والكسوة والتعليم،وأن يكون الطلاق بيد الرجل[1]، كماجاء في نوازل **حمى الله التيشيتي**[2]عن شهودحضروا عقد نكاح وشهد بعضهم أن الزوج شرط لها أنه إن تزوج عليها فأمرها بيدها أو هي طالق ولم يحفظواغيرذلك في شهادتهم؛ وشهد بعضهم أن الزوج قيد ذلك بقوله ما لم تسئ، مع أن شهادتهم كلهم على أن ذلك بمجلس العقد، فهل يعمل بشهادة من حفظ زيادة القيد أم بشهادة من لم يحفظها؟

فأجاب حمى الله:بأنه يعمل بشهادة الذين حفظوا في شهادتهم زيادة القيد بعدم الإساءة إن كانوا موصوفين بالعدالة الموجبة لقبول شهادتهم[3].

ويتضح من خلال هذه النماذج التي صورتها نوازل المنطقة أن هناك شيوع ظاهرةالتعدد، وأن تكاليف الزواج لم تكن كثيرة؛وإنما كان يراعى عند الزواج الظروف والمستوى المادي للزوج، وهو ما أدىإلى ظهور مشاكل وقضايا أسرية استوجبت وضع شروط معينة اختلف فيها حسب فهم واجتهادكل فقيه.

الطلاق:يعتبر الطلاق من الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في بلاد السودان الغربي، ويرجع ذلك إلى الخلافات التي كانت تقع بين الأزواجوما يترتب عنها من مشاكل تفضي عادة إلى فك الرابطة الزوجية، وقد كان في تقاليدهم أن لكل من الرجل والمرأة الحق في الطلاق، فبينما يستطيع الرجل أن ينهي الزواج بمحض إرادته؛ كان ينبغي للمرأة أن يساعدها أهلها حتى تتمكن من إنهاء الزواج، فالمرأة التي لا تجد السعادة مع زوجها تعود إلى أهلها وتحاول إقناعهم بما لديها من أسباب ومبررات تدعم حجتها للانفصال عن زوجها؛ لأن الانفصال يترتب عليه رد المهر للزوج حتى تنهي هذه العلاقة، كما كان لأقارب الزوجة أنفسهم الحق في إنهاء الزواج حتى ولو كان ذلك من غير رغبة منها، ويستعمل أقارب الزوجة هذا الحق في الأحوال التي يخل فيها الزواج بواجباته نحوهم [4].

[1] المختار ابن أبي بكر الكنتي ،أجوبة على بعض المسائل ،مخطوطة بقسم المخطوطات العربية والأعجمية ،جامعة نيامي النيجر ،تحت رقم 564،ورقة 1و2،نقلا عن بطل شعبان محمد غرياني ،العامة في دولة صنغي ،مرجع سابق ،ص138.

[2]ولد البراء يحي ،المصدر السابق ،ج8،ص3265.

[3]المصدر السابق ،ص3266.

[4]- زناتي محمود سلام: مرجع سابق ،ص133.

وقد قدمت لنا النوازل صور لحالات الطلاق وكيف عالجها القضاة سواء من خلال وجود مخارج فقهية تتلاءم وطبيعة الواقعة من حيث كونها إحدى أوجه الطلاق التي يمكن للزوج أن يراجع زوجته، أو من خلال التصدي لألفاظ الطلاق التي تحرم العودة إلى الزوج والتي كانوا يعتبرون أن الرابطة الزوجية تم حلها، وبالتالي لا يمكن للزوج أن يراجع زوجته، ومن تلك الصور والنماذج الكثيرة نذكر:

فقد سئل الفقيه **عبد الرحمن السكتاني** خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي: عن رجل تخاصم مع زوجته أرادت أن تخرج إلى بيت أهلها فحلف عليها بالحرام لو خرجت بدون إذنه فتعمدت الخروج رغما عنه، فأخبر الزوج أهلها عن هذا اليمين الذي صدر منه، فقال له والد الزوجة عليك بالفقهاء واسأل عن يمينك، وبعد أيام بعث له الفقهاء بإجابة بعدم نزول يمينه ولا شيء عليه فردها مرة ثانية وطالت عشرتهما بعد ذلك سنين[1].

كما سئل الفقيه **القاضي محمد بن فاضل الشريف التيشيتي**[2]: عمن قالت له زوجته طلقني فقال لها قضيت حاجتك؟ وعمن طالبت منه زوجته الطلاق فقال لها أصبتي ما تحبين؟

فأجاب: بأن الزوجة قد وقع عليها الطلاق قدر ما تحب ولا يعلم ذلك إلا من جهتها؛ لأنها قد تكون بقصد الرجعة أو بقصد البائن فوضع أن الأفضل أن يفارقها؛ لأنها قد تظهر خلاف ما عندها[3].

ومن المسائل الأخرى التي عرضت على **القاضي محمد بن الفاضل التيشيتي** أن رجلا وقع بينه وبين زوجته الطلاق الثلاث وتزوجت بعده بزوج آخر وتصادق معها[4] على الدخول وغيره من الشروط التي تحل بها للزوج الأول فلما تيقنت حصول الشروط طلبت منه الفراق بسرعة وغاظه ذلك جدا وأبى، وبعد ذلك ادعت العِنَّة والاعتراض[5] لعله يفارقها مع تصادقهما على الدخول قبل الدعوى وبعدها، وقيل لها كيف ذلك وقد تزوج قبلك ولم تقل زوجته عنه ذلك فقالت ما حملني على ذلك إلا حب

[1]- السكتاني عيسى بن عبد الرحمن: أجوبة عيسى بن عبد الرحمن ،مكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات،المملكة العربية السعودية ،محفوظة برقم 9-26 ورقة 13 نقلا عن إيهاب شعبان عبد الشافي ،مرجع سابق ،ص ص87-88.

[2]- انظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة تيشيت.

[3]- ولد البراء يحي: مصدر سابق ج8،ص3302.

[4]- وتصادق معها: أي دفع إليها الصداق.

[5]- العِنَّة والاعتراض أي أنه عاجز عن الجماع، بسبب مشكل في جهازه التناسلي.

فراقه ولكن ما وجدت فيه عيبا لعلني أرجع إلى زوجي الأول فكذَّبت نفسها في الدعوى وبقيت معه حتى فارقها، فهل تحل لزوجها الأول أم لا ؟

فأجاب: بأنها تحل له لأن إنكار الدخول بعد تصادقهما عليه لا يعتبر[1] .

ومن بين النوازل التي قضى فيها قضاة بلاد السودان الغربي، أن امرأة ادعت على زوجها طلاقا بائنا وأنكر هو هذا الادعاء، وزعمت أن شهودا شهدوا على ذلك وقد ماتوا أو غابوا، ولم يثبت الطلاق عند من تحاكما إليه وبقيت عنده يطؤها إلى أن ثبت الطلاق بالشهود، وأرادت المرأة صداق ما حصل لها من وطئ بعد الطلاق وقبل ثبوته، فقد حكم **القاضي محمد حمى الله بن أحمد بن الإمام الشريف التيشيتي** بأنه لا صداق لها وإنما يفرق بينهما [2].

وقد وجدت مشاكل ترتبط بالطلاق اجتهد القضاة في إيجاد حلول لها وهو ما أجاب عنه **القاضي عبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي**[3] في قضية المرأة التي رفعت أمرها إلى قاض آخر تطلب الطلاق من زوجها بدعوات هي: عدم قبضها حالَّ صداقها، وعدم النفقة والكسوة، وسوء المعاشرة بمخالطة الأجنبيات، وبالضرر لها بطول الغيبة التي يلزم منه ترك المعاشرة، فطلقها، فكان رأي القاضي أن نقض الطلاق وأقرَّ بعدم صحته واستدل بذلك على أن حال الصداق لا تطلق به إذا حصل الدخول، أما الطلاق بالنفقة والكسوة فهو مقيد بقيود وهم الشهود وما علموه ترك لها نفقة ولا بعث إليها بشيء فوصلها ولا وكلت أحدا على قبضها منه ولا تطوع أحد بالإنفاق عليها بسببه، ولا رضيت بالمقام معه دون نفقة، ولا مالا للزوج ينفق عليها منه[4].

فإذا ثبتت هذه القيود عند الحاكم نظر فإن كان قريب الغيبة أعذر إليه وإن كان بعيد أو مجهول الحال أجلَّ له بالاجتهاد وبعد الأجل تحلف هي على ما ذكر بحضرة عدليين ثم يطلقها منه واستدل بكلام ابن فرحون في تبصرته[5]، أما قولها دخول الزوج على الأجنبيات فلم أرى من ذكر أنه يطلق به

---

[1]- المصدر السابق ،ص3236.

[2]-المصدر السابق ،ص3302.

[3]- انظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة شنقيط .

[4]- عبد الله بن الحاج إبراهيم ،الفتاوى ،مصدر سابق ،ص236.

[5]- ورد في كلام ابن فرحون

به على الزوج بل جزاؤه الأدب أي أن يؤدب من طرف الحاكم، وأما جعله ترك الوطء ضررا فحجة عليه لا له، واستدل بقول خليل في مختصره: " أو ترك الوطء ضررا " فحجة عليه لا له وذلك يسمى عند الأصوليين بالقلب إذا لم يتركه ضررا لها بل لعذر من الأعذار المبيحة.

أما في إرادة المرأة الطلاق لغيبة زوجها أو القيام بشرط ونحو ذلك فلا، ويستوجب الشروط المذكورة[1]زائد اليمين لاستظهار صحة الحكم بدونها، فاليمين مع الشاهد اختلف فيها فهل ثبوت الحق بالشاهد فقط وهي استظهار واحتياط أو بها مع الشاهد؟ ومع ذلك لا نقول بمضي حُكم من حَكم بشاهد فقط دون اليمين بناء على أنها للاستظهار، ثم إذا تقرر ما رأيت من نقض الحكم علمت أن المرأة في عصمة زوجها الأول، ونكاح الثاني مفسوخ ولا شيء على الثاني إن لم يدخل بها[2].

ومن أمثلة قضاؤه في رجل طلق زوجته ثم راجعها فامتنعت إلا أن يدفع لها شيئا يرضيها به، فوعد أن يدفع لها بعيرا مثلا إذا تيسر بيده، فهل يلزم الزوج شيء من ذلك إذ المشهور في الوعد من أصله استحباب الوفاء به، ويعتبر هذا الوعد وعد مكره عليه فلا خلاف عندي في عدم وجوبه [3].

كما سئل عن امرأة طلبت الطلاق من زوجها وليس أحد منهما مبغضا للآخر فامتنع ثم كررت عليه وقال لها ذلك حاجتك فقالت نعم فقال لها خذي ما شئت من الطلاق فأخذت ثلاثا فسكت حتى خرجت من دار سكانها، ثم قال لم أرد بذلك طلاقا هل يلزمه ما قضت به ولا مناكرة له في ذلك أو لا يلزمه شيء؟

فأجاب القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: أنه يلزمه طلاق الثلاث ولا مناكرة له في ذلك؛ لأن ما فيه الطاء واللام والقاف صريح في الطلاق، والصريح لا يصرف غير الطلاق بالنية [4]

---

[1]- عبد الله بن الحاج إبراهيم ،الفتاوى ،مصدر سابق ،ص237.

[2]- المصدر السابق ،ص239،وانظر: ولد البراء يحي،مصدر سابق ،ص صص 3306-3307-3308.

[3]- المصدر السابق ،ص292.

[4]- ولد البراء يحي: مصدر سابق ،ص3304.

وسئل عن رجل تزوج امرأة بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وإن فعل فأمرها بيدها، ثم بعد ذلك أساءت الإساءة العرفية المعروفة بين الناس من خروجها بلا إذن منه ومنعها الاستمتاع وعدم حفظها نفسها وماله، ما حكمها إن تزوج عليها هل تطلق؟ وهل يأخذ بشرطها ولا تؤثر فيه إساءتها[1]؟

فأجاب: بأن الزوج إن شرط ألا تسيء بطل شرطها بالإساءة، فإن شرطت ولو أساءت فشرطها باطل[2]؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «كل شرط خالف كتاب الله تعالى فهو باطل وإن اشترط مائة شرط»[3].

ومن قضايا الطلاق التي انتشرت بصورة رهيبة الألفاظ التي استعملها السودانيون في الطلاق مثل ألفاظ التخلية أي تخلي الزوج عن زوجته كأن تقول المرأة لزوجها خليني فيقول لها قد خليتك ينوي بها الطلاق[4]، استعمال ألفاظ الكتابة للدلالة على الطلاق كأن يقول الزوج لزوجته اذهبي مثلا، وهذه الحالات عرضت على **القاضي محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري الشهير ببغيغ**، وعلى **القاضي محمود بن عمر آقيت**، فأفتوا بوقوع الطلاق طالما كانت نية الناطق باللفظ هي الطلاق، لاسيما وأن ألفاظ الطلاق تختلف أحكامها باختلاف عرف الناس تبعا لكل منطقة[5].

وقد نتج عن الطلاق وتعدده في بلاد السودان (أي طلاق الثلاث) ظهور المحلل الذي يسمح بعودة الحياة الزوجية بين الزوجين بعد أن حرمت عليه حتى تتزوج غيره، بدليل أن السيوطي[6] أشار إلى ظهور ظهور بعض العوام الذين عملوا كمحللين، حيث كانت حرفة الواحد منهم أن ينكح النساء المطلقات بالثلاث فيحللهن لأزواجهن، وهو ما ورد في سؤال على **القاضي أحمد بابا التنبكتي** في صورة

---

[1]- عبد الله بن الحاج إبراهيم: الفتاوى ،مصدر سابق ،ص306.

[2]- المصدر السابق ،ص308.

[3]- أخرجه الإمام مالك في كتاب الموطأ من باب العتق والولاء رقم: 1559، والإمام أحمد في المسند في بلوغ الأماني 14-162،البخاري في مواضع في صحيحه ،منها كتاب البيوع ،إذا اشترط شروطا في البيع لا تحل ،رقم: 2168،ومسلم في صحيحه،من كتاب العتق ،باب إنما الولاء لمن اعتق رقم: 1504.

[4]- الغلاوي المصطفى بن أحمد ،مصدر سابق ،ج2،ورقة 301.

[5]- بطل شعبان محمد غرياني ،العامة في دولة صنغي ،مرجع سابق ،ص140.

[6]-السيوطي جلال الدين: الحاوي للفتاوي ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،2004،ص338،وانظر بطل شعبان محمد غرياني ،مرجع سابق ،ص141.

تخاصم وتشاجر زوجين فقام الزوج بتطليق زوجته في حالة الغضب وبينهما أولاد فافترقا الأولاد والزوج بذلك الافتراق فكان السؤال هل للزوج من سبيل لإرجاع زوجته؟

فأجاب: أنه لا يجوز له إرجاعها إلا بعد ما تتزوج بَعْلاً آخر[1].

قضايا الإرث: وتعدُّ هذه القضايا من أبرز القضايا الشائكة والمعقدة التي نظر فيها القضاء ببلاد السودان الغربي وقد تعددت وتنوعت هذه القضايا، ويرجع ذلك في الغالب إلى تراخي الإخوة أو الأقرباء في تقسيم الميراث لمدة طويلة تصل بعض الأحيان إلى عشرات السنين، وهذا التراخي ناتج إما عن الحياء، أو الخوف، أو المروءة، وغير ذالك من الأسباب.

وقد كان للميراث في هذه المجتمعات نظام خاص عرف قديما واستمر في عهد دولة صنغاي[2]، مثل أخذ العشر من الميراث قبل تقسيمه، وكذلك إعطاء الميراث لابن الأخت، أما من حيث التقسيم فقد كان ادعاء أحد الأخوين ممن له ميراث قديم ولم يقسم بينهم بشكل شرعي ونهائي والأخ الثاني له الحق في بعض الممتلكات من عقارات وعبيد أو مواشي، ويكون الثاني قد استفاد من تلك الممتلكات سواء بالاستخدام أو السكن أو من عائداتها ببيع أو إيجار، وكذا مطالبة الأحفاد من جدهم أو خالهم بتركة أمهم التي بأيديهم من حلي أو متاع أو عبيد أوعقار[3].

---

[1]-مكتوب في الفقه: فتوى لأحمد باب التنبكتي ، مخطوطة محفوظة ضمن مشروع الحفاظ على المخطوطات والتراث والثقافة الإسلامية بمعهد أحمد بابا التنبكتي مدينة تنبكتو دولة مالي تحت رقم 106 ورقة 1و2 نقلا عن إيهاب شعبان عبد الشافي ،القضاء في دولتي مالي وصنغي ،مرجع سابق ،ص88.

[2]- ويعتبر هذا من رواسب الوثنية التي استمرت حتى دخول الإسلام، وهو ما عبرت عنه أسئلة الأسكيا محمد الكبير التي سألها الإمام المغيلي " إن أناس لا يتوارثون على الكتاب والسنة وإنما يأخذ مال الميت ابن أخته مثلا ،وكانوا على هذه الحالة منذ القديم حتى وجدنا أموالا كثيرة فهل هذه الأموال لبيت المال أو تترك بأيديهم ويجبرون على التوارث فيه وفي غيره على شريعة الإسلام ولا يتعرض لهم على ذلك أصلا ،وبعض الناس يقرون أن الميراث كما فرض الله تعالى ولكن إذا كان في الورثة كبير استولى على جميع التركة وقال هذا مال إخواني وأنا بمنزلة أبيهم اليوم فيعطي الزوجة ونحوها ويستولي على الباقي يتصرف فيه كيف يشاء من غير ايماء، ولا تقديم ولا رضا أحد منهم ،ولا يتعرض له أحد في ذلك مدة حياته حتى إذا مات استولى على تركته الأقوى أيضا ،وبعضهم لا يورث الزوجة ولا غيرها من النساء ،وبعضهم فيه عبيد لا يباعون ولا يوهبون إنما يقولون عبيد السلطنة لمن يرثهم عن الميت كابن الأخت مثلا .انظر: المغيلي محمد بن عبد الكريم ،أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي ،تقديم وتحقيق عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،د.ت.ط،ص ص57-58.

[3]- الغلاوي: مصدر سابق ،ج1ورقة 152، 186،إيهاب شعبان عبد الشافي ،مرجع سابق ،ص92،سوزي إباضة: القضاء في صنغاي،مرجع سابق ،ص374.

كما كانت قضايا أخرى ترفع إلى القضاء مثل رفض الأبناء لوصية الأب المتوفى، الذي أعطى وتصدق بكل إرثه وماله على المساكين، وهذا النوع من القضايا يبين لنا مدى الجهل بأمور الشريعة التي تنص على أن لا وصية أكثر من الثلث، وقد جاءت بعض الأحكام والفتاوى عن نوازل حكم فيها قضاة تخص قضايا الميراث[1]، وهو ما تجلى في السؤال الذي طرح على **القاضي محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي**[2]،عن رجل مات وترك ابنين وابنة صغيرة فقام عمهم أخو الميت وعزل حليا من ذهب من مال الميت للبنت الصغيرة هل يصح هذا العزل أم لا؟وإن كان صحيحا فهل فيه زكاة أم لا ؟

فأجاب: إذا كان هذا العزل على غير وجه القسمة وإنما عزله رجاء أن يحصل للبنت إذا قسم المال، فهذا الإخفاء لا يكون قسما وإنه لا زكاة فيه، وان كان عزله إياه على وجه القسمة فينظر حينئذ في ذلك، فان كان العم وصيا أو مقدما فتصح قسمته بالقرعة بلا نزاع[3]، أما التراضي في هذا الأمر ففيه خلاف ذكره صاحب المعيار المعرب (الونشريسي)[4].

كما جاء من أقضيتهم ما سئل **عنه محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي**: عن امرأة حامل ثم فسد حملها ثم وجد هل يرث هذا الحمل من مات ورثته في زمن تلك الخسارة أم لا؟

فأجاب: إن تحقق حمل واحد من أوله إلى أن ولد فانه يرث بلا شك، وأما إن تحقق أنه حدث بعد موت الأول أو شك في ذلك فلا يرث إذ لا يرث أحد مع الشك[5].

وقد سئل القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: عمن تزوج امرأة وكانت له أخرى له ذرية منها ولم تقم بينة على طلاقه للأولى ومات، وطلبت الأولى إرثها منه فهل لها ذلك أم لا؟

فأجاب: بأن لها إرثها منه؛ لأن الأصل بقاء ما كان عليه حتى يثبت خلافه.

[1]– الغلاوي: مصدر سابق ،ج2ورقة 90، العمراوي محمد السنوسي،نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي في عهد الآساكي،مرجع سابق،ص155.

[2]–ينظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة ولاته.

[3]–الغلاوي: مصدر سابق ج1،ورقة 230.

[4]–ولد البراء يحي: مصدر سابق ج12،ص6297.

[5]– عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: الفتاوى: مصدر سابق ،ص583.،ولد البراء يحي مصدر سابق ،ج12،ص6298.

وجاءت قضية رجل تزوج امرأة وهو مريض مرض "السعلة[1] "ثم مات، إن تلك الزوجة ترثه إن كان حين العقد يقبل ويدبر ويدخل ويخرج ويتصرف، إذ المرض المخوف ما اقعد صاحبه ولازم الفراش، وهذا ما جاء في نوازل ابن هلال[2]"المرض الخفيف الذي لم يلزم صاحبه الفراش ولا يمنع من التصرف على القدمين لا يحجر على المريض بسببه فتصح تبرعات المتصف به وهبته وعطاياه" لأنه ليس مريض مرض موت، وليس كل مسعول مسلول لأن السل إنما سمي سلا لأنه يسل صاحبه شيئا فشيئا، ومن لازمه قطع التصرف على القدمين، وهذا بتعارفهم أن مرض السل كان خطيرا عادة ما يؤدي إلى موت صاحبه، بخلاف المسعول (السعال) قد يطول عمر صاحبه ويكثر تصرفه وقد يصح من ذلك المرض، وقد يتطور به المرض والصحة ومن كان هكذا فليس مرضه مخوفا، أما المرض المخوف فيدخل كذلك تحته الطاعون وإن كان يتصرف على قدميه، وقاسوا عليه حالة الملجج في البحر حال هوله، وكذا حاضر صف القتال ونحو ذلك فقد أنزلوا الصحيح فيه منزلة المريض المرض المخوف، وقاسوا حكم الناس زمن الوباء إن من لم يصبه المرض على حكم الصحة حتى يصيبه المرض. وهذا ما أفتى به القباب[3]وأبو مهدي الغبريني[4]، وأفتى البرزلي[1] بأن حكمه حكم حاضر الزحف أو اشد إذا بلغ الوباء ثلث الناس أو أكثر وإلا فحكمه حكم الصحيح .

[1]- السعال الشديد والغير متوقف.

[2]- ابن هلال هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي أخذ عن القوري وغيرهم من مؤلفاته نوازله الشهيرة ،والدر النثر على أجوبة أبي الحسن الصغير وغير ذلك ،توفي رحمه الله سنة 903هـ وله ابن اسمه عبد العزيز الذي تبحر هو كذالك في مختلف العلوم عقليها ونقليها ،الفقيه المحدث اخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام البناني وأبي عبد الله المسناوي وأحمد العماري المصري، من مؤلفاته نور البصر على شرح مختصر خليل توفي سنة 910هـ ،وهناك القاضي أبو العباس احمد بن عمر بن هلال الذي اخذ عن سراج الدين بن عمر المراكشي وشمس الدين الأصبهاني وغيرهم من مؤلفاته شرحان على مختصر ابن الحاجب الأصلي وشرح على كافيته وغير ذلك وقد توفي رحمه الله سنة 795هـ،وكل هذه الأسماء اشتهرت بابن هلال ولها من المساهمة العلمية ما جعل الأمر يستشكل على الباحث من عدم التمييز بينهم، نظرا لانتسابهم إلى المذهب المالكي وتقارب سنوات وفاتهم ،انظر عبد الله بن الحاج ،مصدر سابق ،ص174-175.

[3]- هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن المشهور بالقباب، أخذ عن أبي الحسن بن فرحون والسبطيوالفشتاليوغيرهم،وعنه الإمام الشاطبي وابن الخطيب القسنطيني (ابن قنفد)وعمر الرجراجي وغيرهم من مؤلفاته شرح على أحكام النظر لابن القطان وشرح على بيوع ابن جماعة ،توفي رحمه الله عام 778هـ.ينظر عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، الفتاوى،ص ص175-176.

[4]- هو أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي عالم تونس وصالحها وخطيب جامعها الأعظم بعد ابن عرفة ،اخذ ابن عرفة وغيره وأخذ عن جماعة منهم ابن ناجي وأحمد القلشاني وابو الحسن ابن عصفور وغيرهم اختلف في سنة وفاته فقيل عام 813هـ،وقيل 815هـ.ينظر :عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ،الفتاوى ،مصدر سابق ،ص186.

وجاء من قضاياهم أن المرأة إذا عفت عن زوجها هل يفرق بين قولها نويت كذا، وعما إذا قالت زعمت إن ذلك لا يضرني في ميراثي، هل يكون ذلك كالنية أو لا؟ مع أنها قالت لا نية لي.

فكان رأي القضاء أن يميز بين قولها نويت كذا قبل لأن الإنسان مصدق في كيفية خروج ماله من يديه كما هو معلوم، وأما إذا زعمت أن ذلك لاي ضرها في ميراثها فهو كالنية لدلالته على عدم إدخال الميراث من جهة أن الإنسان مصدق في كيفية خروج ماله من يديه، وإنما يكون كالنية ولم نجعله نية لأن الزعم اعتقاد والاعتقادات انفعالات لا كسب للعبد فيها على التحقيق؛ لأنها أنوار تشرق في القلب فقد تكون عما هو من فعله كالنظر في النظريات، وقد تكون من غير كسب كمعلوم الضروريات، وإما النية فقصد وهو من فعل العبد[2].

أما تقسيم التركات فقد وضحت لنا النوازل نماذج من تركات أشرف القضاة على تقسيمها وهو ما حصل مع **القاضي عبد الله بن رازكة العلوي الشنقيطي**[3]في تركة شخص يدعى خيري بن الأمين، وهو عقار ومال قومه فكان حاصله ثمانية وخمسون ومائة مثقال، وعليه دين حاصله الثابت ثمانية وأربعون ومائة مثقال، منه سبعون لزوجته والباقي لغيرها ولكن تولت قضاءه من مالها وباعت فيه صميم مالها فتحصل لها جميع المتروك ملكا خاصا بها إلا سيفا وسطلة[4]ومهراسا ومرجلا[5]فهذا المستثنى فيه لورثة خيري على قدر فرائضهم الشرعية وما سواه فهو لها في الدين، وكتبه من أقطعه لها بعد

---

[1]هو أبو القاسم بن أحمد بن محمد المعتل البلوي المعروف بالبرزلي القيرواني ثم التونسي المتوفى سنة 841هـ ،احد كبار العلماء المالكيين وفقهاء الدولة الحفصية ومفتيها، اخذ عن ابن عرفة ولازمه طويلا، وعن ابن مرزوق الجد وعنه أخذ ابن ناجي والرصاع وابن مرزوق الحفيد من أهم آثاره كتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام المعروف بفتاوى البرزلي ،ويشكل هذا الكتاب إلى جانب نوازل المازوني ت883هـ المعروف بالدرر المكنونة في نوازل مازونة، والمعيار المعرب للونشريسي ت914هـ اشهر مجامع الفتاوى في الغرب الإسلامي حتى بداية القرن العاشر الهجري :ينظر ولد السعد محمد المختار ،الفقهاء الشناقطة ومسألة العقوبة بالمال من خلال فتاوى محمد يحالولاتي،الندوة العلمية "محمد يحي الولاتي عالم التجديد والتواصل "نظمها مركز البحوث والدراسات الولاتية ، انواكشوط موريتانيا ،20-22ديسمبر2012،ص05.

[2]عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ،الفتاوى ،مصدر سابق ،ص583.

[3]- ينظر ترجمته في الفصل الثالث قضاة شنقيط.

[4]-السطلة: هي الدلو الكبير الذي يوضع فيه الماء .

[5]-المرجل: هو القدر الكبير الذي يطهى فيه الطعام لجماعة من عشرة أفراد فما فوق.

المحاسبة وثبوت الدين بموجبه[1]أوائل شوال عام ستة وعشرون ومائة وألف القاضي **عبد الله بن محمد بن القاضي** لطف الله بهم آمين.

قضايا التعدي على النفس: ويأتي على رأس هذه القضايا بيع الأحرار على أساس أنهم عبيد، وقتل النفس، والغصب والتعدي، وقد وجدت صور ونماذج لهذه القضايا عالجها قضاة بلاد السودان الغربي في شكل قضايا عرضت عليهم وأصبحت من الظواهر المشاعة في ذلك المجتمع، أو في شكل أسئلة طرحت باعتبار القياس والمآل.

وقد ذكرت المصادر المحلية ظاهرة الاسترقاق في مجتمع السودان الغربي، وهي من القضايا التي شغلت قضاة البلاد خاصة في عهد دولة الأساكي وبداية الوجود المغربي في هذه البلاد، وهو ما جعل القضاة يقفون لها وقفة صمود رافضين هذه المعاملات وضرورة معالجتها بشكل فوري وسريع، وهذا ما تجلى في وقفة القاضي محمود بن عمر آقيت الذي علم بأن رجل من أهل تندرم يسمى " فرّي علي كسر " متجبر يعتدي على الأحرار ويبيعهم، فذهب إليه وعنفه قائلاً له: " لما تبيع الأحرار ألا تخاف أن يبيعوك "[2]، وشكاه إلى الأسكيا فلما علم بذلك خرج هارباً فقبض عليه رجلاً وباعه وقيده في الحديد لسقي الجنان، وقد أشار السعدي أيضا إلى ظاهرة بيع الأحرار على أنهم عبيد ومعاملتهم معاملة سيئة وأخذ أموالهم وتجبر السادة عليهم،كما أشار أحمد بابا التنبكتي[3] بدوره إلى هذه القضية وقال: إن الفتنة كانت تقع بين حكام الأقاليم في بلاد السودان الغربي فيغير بعضهم على بعض ويسبون ما تيسر لهم من أهل هذه البلاد ،حيث كانوا يباعون في الأسواق رغم أنهم مسلمون أحرارا، وكان هذا أمر شائع عندهم وأن أهل هذه البلاد قد أسلموا دون استيلاء أحد عليهم كأهل بلاد كشن (كاتسينا)، وبرنو، وصنغي، وقد أجاب أحمد بابا التنبكتي[4] على عدة أسئلة وفتاوى تخص هذه

---

[1] -ولد البراء يحي: مصدر سابق ، ج1، ص6324.

[2] - السعدي : مصدر سابق، ص 97- 98.، إيهاب شعبان : مرجع سابق، ص90.

[3] - التنبكتي أحمد بابا: معراج الصعود أجوبة احمد بابا حول الإسترقاق، تحقيق فاطمة الحراق وجون هانويك، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط المغرب، 2000، ص53.

[4] - المصدر السابق: ص، 54 ومابعدها.

الظاهرة، مثل فتواه التي تخص الرقيق وأوضاعهم ومن يجوز استرقاقهم، فأوعز للمالك بإثبات عبودية من يدعي ملكيته وليس أن يثبت العبد حريته؛ لأن الأصل في الإنسان الحرية وأن عبوديته موضع شك، خاصة في ظل وجود حالات الإغارة وبيع الأحرار التي انتشرت في مجتمع السودان الغربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي.

وتعد مسألة بيع الأحرار من الظواهر المنتشرة في مجتمع الغرب الإسلامي، وقد سئل عنها الفقهاء وكانت لهم فتاوى متشابهة، مما يشير إلى وجود تقارب فيما كان يحدث في البيئتين المغربية والسودانية[1]، وأن قضاة السودان الغربي حكموا بنفس حكم المفتيين والقضاة المغاربة، بل ونجد أسئلة جاءت من بلاد المغرب إلى علماء بلاد السودان الغربي مثلما سئل الفقيه محمد بن محمود بغيغ من أهل بلاد جزولة في المغرب الأقصى، وسئل أحمد بابا التنبكتي من أهل توات من بلاد المغرب الأوسط.

سئل محمد بغيغ بن محمود بن أبي بكر الونكري بما نصه[2]: "سؤال كتب لقاضي الجماعة بتنبكتو عام ستة وثلاثين وتسعمائة في أمر من يجوز شراؤه من العبيد القادمين من بلاد السودان ونصه: " إلى القاضي الأعدل الأكمل الشيخ الأفضل قاضي الجماعة بتنبكتو سيدي محمد، أحمد الله تعالى عاقبتنا وعاقبته، ونور قلوبنا وقلبه بنور معرفته، وأجلى عنا وعنه غياهب الجهل وجهل شرائعه، بعد السلام الجزيل عليكم من كل من اعتنى بأمور الشريعة في بلاد جزولة فأوكد الأمور علينا أن تُنَفِسَ كربتنا بإيضاح ما أشكل علينا فيما يرد علينا من العبيد من أشتات قبائل السودان من جهة وادان وتيشيت وإيولاتن، وأما جهة تنبكت فنحن بحمد الله تعالى لا نسأل عما جاء منها لحسن ظننا بكم أن تباع في بلدكم أحرار المسلمين، وبيِّن لنا أي القبائل التي يجوز شراؤها ممن سباهم وأتى بهم، ومن لا يجوز لإسلامهم لعدم الحكم والملك في تلك الجهة؛ لأن أهل وادان مغلوبون لا يقدرون على دفع الظلم بأيديهم ولا يقبل عنهم بألسنتهم، ولك الأجر الجزيل عند الله تعالى لكل ذي دين محتاج

[1] – سوزي أباظة: مرجع سابق، ص375.

[2] – ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوى ج12 مرجع سابق، ص6179.

إلى من يخدم زوجته ولم يكن عندها خدام إلا من السودان، وبعضهم يأتوننا يقرؤون سوراً من القرآن، وبعضهم يقول بلسانه ما يدل على إسلامه فأشكل علينا الأمر؟ وقد **أجاب**[1]: " وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته: فبيع الأحرار في هذه البلاد فشا فشواً، فكل من ادعى الحرية فهو مصدق ما لم يتبن كذبه، أتاكم من هذه الناحية، أو ناحية ودان، أو ناحية غيرها.

وكذلك سئل القاضي أحمد بابا التنبكتي[2] في هذا الموضوع من أهل توات: " الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد المرسلين وبعد، فيقول فقير ربه أحمد بابا بن الحاج أحمد ألهمه الله تعالى رشده ووفقه لما يرضيه ويقربه لديه زلفى وبعد، لا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، قدم إلي سؤال منذ ثلاث سنين أو أزيد من بلاد توات صانها الله تعالى من ضروب الأفات ومن نقص الثمرات، طالعته بعد الحمدلة والتصلية إلى الفقهاء الجلة الأعيان ومصابيح إقليم السودان ممن له في المسألة التبصرة والبيان خصوصاً الفقيه المجيد الحافظ المفيد أبا العباس سيدي أحمد بابا أبقاه الله تعالى عدة للدين وعمدة للمستفيدين، " وكان رده بأن هذا منافي للإسلام، وأن هؤلاء مسلمين بل ثبت قدمهم في الإسلام وقد فصل أحمد بابا التنبكتي في هذا الموضوع وبيّن حال الكفر التي استوجبت الاسترقاق وما كان من وضعها حال الإسلام[3].

ومن المسائل الشائكة أيضا التي كانت ترفع إلى القضاء وتخص العبيد وقضايا عتقهم[4]، وقد عالج الإسلام هذه القضايا منذ ظهوره معالجة إنسانية وشجع عليها، وقد وجدت صور لهذا على سبيل المثال تتجلى في قيام أحد الشريكين بعتق عبد أو أمة دون علم شريكه أو في حالة غيابه وسفره، أو عتق أحد الإخوة جميع الرقيق الذين ورثهم هو وإخوته من أبيه دون علم البقية من الإخوة أو من غير

[1] – المرجع نفسه.

[2] – المرجع السابق: ص 6180.

[3] – الحمدي أحمد: تحديد وضعية عبيد توات من خلال الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا التنبكتي، مجلة الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران الجزائر، العدادن 22- 23، 2014،ص 447.

[4] – عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي: الفتاوى مصدر سابق، 532 ومابعدها.

رغبتهم وغير ذلك من أشكال وأنواع العتق، وقد وضَّحَ حكم الشرع في هذه المسألة في حالة عدم علم الشريك أو غيابه بأن يمضي العتق ويلزم العاتق بنصف ثمن البيع[1].

الغصب والتعدي: فقد وجدت حالات التعدي على المال والحيوان واغتصابه في بعض أجزاء بلاد السودان الغربي، خاصة بلاد السيبة التي كانت تشهد غارات القبائل على بعضها وانتشار قطاع الطرق، مما حذا بالقضاة لوضع حل لهذه القضايا المستحدثة في هذه المجالات التي تعرف حالة عدم الاستقرار وقلة التنظيم الإداري والسياسي.

فقد سئل القاضي محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي[2]: عن بلد ليس فيه سلطان يعدل بين أهله وصار بعضهم يجور على بعض، هل يصبر المرء على جورهم ويترك ماله لهم للأكل مخافة « القاتل والمقتول في النار »[3]، أو يقاتلهم عملاً بحديث « من قتل دون ماله فهو شهيد »[4]؟

فأجاب: الذي عليه جماهير العلماء بأنه لا يجوز أن يقاتل من قصد أخذ ماله بغير حق، سواء كان المال قليلاً أو كثيراً، وذلك لعموم الحديث السابق.

كما سئل محمد حمى الله بن أحمد الشريف التيشيتي[5]: عن قولهم الحرام لا يتعلق بذمتين، بل بذمة الغاصب وحده، هل هذا صحيح أم لا؟

فأجاب: القول بأن الحرام لا يتعلق بذمتين بل بذمة الغاصب صحيح، ومعنى ذلك أن الحرام إذا فات وتعلق بذمة الغاصب لم يتعلق بذمة غيره إذا اشتراه؛ لأن الغاصب ملكه بالفوات؛ لأن الحرام إذا تعلق

---

[1] – ولد البراء يحي: المرجع السابق، ص 6225- 6226- 6227.

[2] – ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ج10 مرجع سابق، ص 4713- 4714- 4715.

[3] –أخرجه البخاري، باب قوله تعالى:" ومن أحياها "، رقم:6875، ومسلم باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما رقم:2888 .

[4] –أخرجه البخاري، باب من قاتل دون ماله رقم:2480، ومسلمباب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد رقم:226 .

[5] – ولد السعد محمد المختار: الفتاوى والتاريخ دراسة لمظاهر الحياة الإقتصادية والإجتماعية في موريتانيا من خلال فقه النوازل، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2000، ص74، ولد البراء يحي: مرجع سابق، ص4727.

بالذمة صار ما بيد صاحبه مالاً من ماله يقطع من سرقه له، ثم أن المغصوب إذا فات عند الغاصب واتفق على فواته أو كان القول بعدم فواته ضعيفاً يكره لنا شراؤه ولا يمنع، والكراهية في الثاني أشد منها في الأول، وإن كان القول بعدم فواته قوياً ولكنه خلاف المشهور لم يجز شراؤه منه، بل يمنع مراعاة للقول بعدم الفوات، والله تعالى أعلم.

سئل الحاج الحسن بن آغيد الزيدي[1]: عن رجل غصب من آخر حيواناً فتبعه إلى محله فرده إليه، ثم هجم عليه لص آخر فغصبه منه ثانياً، هل الضمان على الثاني لأن الأول برئ منه برده لربه؛ لأنهم قالوا ليس للمغصوب منه أن يجبر الغاصب على رده لمحل الغصب، أو على الأول؛ لأنه أخرجه من بلد الأمن إلى موضع الخوف؟

فأجاب: إن الغاصب الأول لم يبق عليه ضمان، ولو قدرنا أنه يلزمه رده إلى الموضع الذي غصبه منه؛ لأن ربه قد قبله منه في ذلك الموضع الذي نقله إليه.

كما سئل عمن تبع مالاً منهوباً عند بعض المحاربين ووجده قد فات بأيديهم وأخذ قضاءه فلمن يكون ؟

فأجاب[2]: إن أهل الأموال المنهوبة أولى بذلك؛ لأنهم من جملة الغرماء للمحاربين، وأما الآخذ إن لم يكن من جملة الغرماء فليس له ذالك ومما يدل على ذلك ما نقله السنهوري: أن السلطان إذا أجبر العمال على بيع متاعهم لقضاء ما أتلفوه من أموال الناس، فيجب عليه دفع المأخوذ من العمال لأهل الأموال فإن حبسه فهو ظالم في حبسه.

ومن صور التعدي **ما سئل عنه –الحاج الحسن بن آغيد الزيدي**[3]**–** عن قوم وجدوا بعيرا لرجل غائب في أيدي اللصوص وطلبوه من اللصوص فأبوا أن يدفعوه لهم، ودفعوا لهم بعيراً صغيراً عوضاً من

[1]– ولد البراء يحي: مرجع سابق،ص 4722..
[2] – المرجع نفسه.
[3]– المرجع السابق، ص4723.

البعير المذكور فهل لهؤلاء القوم أن يتملكوا هذا البعير الصغير الذي أخذوه من اللصوص عوضاً عن البعير الكبير الذي ربه غائباً أم لا؟

فأجاب: أن البعير الصغير الذي أخذه القوم من اللصوص للرجل الغائب.

وقد سئل في هذه المسألة **القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي**: أي الأخذ من الغاصب بهبة، أو صدقة، أو بيع، أو شراء، أو غير ذلك من الصور.

فأجاب[1]: إن الناس في أخذ المال على مذهبين، فمنهم من لا يجيز أخذ ما لم يتحقق حليته؛ لأن الحلال عندهم ما علم أصله، ومنهم من يجيز أخذ ما لم يتحقق حرمته؛ لأن الحلال عندهم ما جهل أصله فالخلاف في المشكوك في حِلِّيَتِهِ، والمذهب الأول أنسب لحال عوام المسلمين؛ لكثرة الحرام في هذا الزمان حتى صار المشكوك فيه هو الدرجة العليا، إذا تقرر هذا فما تحققت حرمته والمغصوب منه معين لا يجوز بوجه إلا لمن خاف على نفسه الموت فيأكله قبل الميتة إن لم يخاف القطع، كما قال خليل في مختصره، وإن تحققت حِلِّيَتَهُ بأن اشتراه بشيء في الذمة، فإنه يحل أخذه بالهبة والصدقة والشراء وغير ذلك، ومحل الخلاف ما شك في حرمته بأن لم يدر هل أخذ من مستغرق الذمة[2] أو من معصوم المال؟ أو علم أنه من معصوم المال لكن جهلت عينه، فمثل هذا أجازه المتأخرون لكثرة الحرام في هذا الزمان، ومثل تحقق الحِلِّيَة ظنيتها، ولهذا جاز الشراء ممن جُلّ ماله حلال.

أما إذا كان الظن كالتحقيق مُنِعَتْ معاملة من جُلّ ماله حرام، مع أن مذهب ابن القاسم الكراهة، وأن ابن القاسم نظر إلى أن الغالب كالمحقق، فلم يجزم بالجواز فأعمل الدليلين، وإعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما كما هو مقرر في الأصول.

[1] - عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي: الفتاوى مصدر سابق، ص383.

[2] - مستغرقي الذمة هو الذي استغرقت الحقوق جميع ماله، سواء أكانت الحقوق لله كالكفارة، او للعباد من جهة التعدي كالغصب والسرقة والغش والخيانة، او من جهة المعاملة كالربى، اما ترك الصلاة فلاتعلق له باستغراق الذمة.ينظر: ولد البراء يحي: المرجع السابق،ص 4882.

واعلم أن مال مستغرق الذمة جائز لكل الناس على الصحيح كالفيء فيأخذ منه الغني والفقير، وبعضهم يقول إن مال مستغرق الذمة كالزكاة فيمنع للغني أخذه هذا المال.

الحدود والعقوبات :والحدود هي عقوبات شرعية وضعت للردع عن ارتكاب أوعن ترك ما أمر به، وهي عقوبات ينص عليها الوحي الإلهي وتشمل حد القتل ،وحد الزنا ،وحد السرقة[1]،وحد القذف ،أما العقوبات فمتعددة وتبدأ بالتخويف والتعزير[2]، والتأديب[3] وتنتهي بالسجن وهي عادة محل اجتهاد قضائي في تكييف جرائمها.

وقدكانت الاحكام في بلاد السودان الغربي تخضع لهذه العقوبات المتعلقة بالحدود ،اضافة الى بعض العقوبات التي لم يكن لها أصل في الدين الإسلامي وانما هي من مستحدثات البيئة السودانية ،وقد إختلفت أحكام القضاة فيها على حسب نوع الجريمة المرتكبة ومدى خطورتها وضررها على المجتمع ،وكانت هذه الأحكام تعلن على الملأ،والقاضي مفوض في إختيار نوع العقوبة التي يراها مناسبة[4] وهي متنوعة مابين السجن والجلد ،والموت ،أو مصادرة الأملاك ،إضافة الى عقوبات الجرائم السياسية التي تمس السلطة الحاكمة والتي كانت عادة تخضع لأوامر السلطان نفسه.

وسنقتصر على ذكر بعض منها خاصة ما كان سائداً منها في هذه البلاد.

---

[1] - الماوردي ،الأحكام السلطانية مصدر سابق ،ص275-276.

[2] - التعزير هو عقوبة تخص بتنفيذها وتقريرها السلطة فيما ليس فيه نص شرعي ،وهو من باب التأديب ،ويختلف بإختلاف المستويات الإجتماعية .ينظر الماوردي ،مصدر سابق ،ص 293.،حركات ابراهيم ،المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط مرجع سابق ،ص 251.

[3] - التأديب :وهو دون التعزير وهو يكون باللسان وبالضرب وبالحبس ،وانما هو على قدر الذنب والتمرد والآداب عظة للمذنب ولغيره لكي لايتمادى .ينظر :بحاز ابراهيم ،القضاء في المغرب الإسلامي ج2مرجع سابق ،ص 566.

[4] - سوزي اباظة ،القضاء في صنغاي ،مرجع سابق ،ص 379.،إيهاب شعبان ،القضاء في دولتي مالي وصنغي مرجع سابق ،ص103.

1-**عقوبة التجريس** :ويقصد بها التشهير أي أن يشهر بمقترف الجنحة خاصة الغش في الموازين والمكاييل[1]، والسعي بين الناس بالنميمة ،حيث كان يجرد الجاني من ملابسه العلوية ويصبغ بالألوان الحمراء والسوداء والبيضاء ،ويركب دابة ووجه الى مؤخرة الدابة ويطاف به في أحياء المدينة ويذكر الجنحة التي ارتكبها[2]،اما الذين يزيدون في أجور أعمالهم ويتحايلون في ذالك خاصة الحمالين على الحمير الى الاسواق فإن عقابهم كان بالسوط حسب درجة الجنحة المرتكبة[3] .

2- **عقوبة قطع الأذن** :وهذه العقوبة كانت تطبق على السارق حسب درجة السرقة وبصفة تدريجية ،فالذي يسرق سرقة بسيطة تخرم أذنه ،واذا زاد الجرم تقطع ثلث الأذن ،واذا زاد أكثر تقطع الأذن بالكامل[4]،واذا كان أكبر من ذالك تقطع الأذنان ،وكانت هذه العقوبة من العقوبات المخالفة للشريعة الاسلامية التي أبطلت فيما بعد[5].

3-**عقوبة إهدار الدم** :وهي من العقوبات التي تتعلق ببعض القضايا التي تمس السلطة ،او القتل،وكان المتهم الموقع عليه يربط في سرج الجواد وتوثق يداه بحبل ويطاف به في الشوارع وينادي المنادي من يقبل بمسك هذا الرجل في اول الليل أو أخره بجوار بيته أو في الطريق فليقتله فدمه مهدور ومن تركه فقد ترك عدو الله ورسوله وعدوي[6]، وقد فعل هذا لرجل في مملكة صنغاي يسمى سعيد مار ،حيث أمر الاسكيا اسحاق بهدر دمه نتيجة لهتكه لإعراض الناس.

4-**عقوبة الدفن حياً**:وكانت تنفذ ضد المتهمين بالخيانة وكانت تخص بها المحكمة الملكية التي تعقد برئاسة الاسكيا نفسه ،فقد حكم الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد الكبير 934-973ه على

---

[1]- المغيلي ،اسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي ،مصدر سابق ،ص 53.

[2]- السعدي ،تاريخ السودان مصدر سابق ،ص 90.

[3] - الغربي محمد ،بداية الحكم المغربي مرجع سابق ،ص 406.

[4]- الهادي مبروك الدالي ،التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيماوراء الصحراء مرجع سايق ،ص 139.

[5]- ضيفي عثمان عبد النعيم ،رسوم ونظم دولة الأسكيين في سنغاي مرجع سابق ،ص147.

[6] - السعدي، مصدر سابق ،ص 129.،الهادي مبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق ،ص 141.

احد الثواريسمى (لأبي بنك) في محاولة خلعه فأمر أن يدفن حياً[1]،كما كانت عقوبة الدفن للذين لايحترمون التراتيب السلطانية من المشي وعدم الركوب وراء السلطان ،وكانت هذه العقوبة تتم بعدة طرق منها أن يلقى المتهم في حفرة كبيرة وعميقة ويتم عليه الردم[2]، والثانية أن يوضع المتهم في سنكور[3] والغرض من وضعه في السنكور هو أن السنكور يصبح صلباً لو أصابه الماء مثل الجبس فينطبق صدر المتهم ويصاب بالإختناق وبعد دهنه بالسنكور يخاط عليه بجلد البقر ثم يلقى في حفرة عمقها متران ،وقد ابتكر هذه العقوبة الأسكيا إسحاق الثاني[4] (996-100هـ)وحكم بها على احد احد المتهمين يسمى(هنبركي).

وفي عهد الباشوات المغاربة فقد زيد على هذه العقوبات، واختلفت أشكال الاعدام بإختلاف الجريمة فمن المجرمين من كان يشنق وتقطع اطرافه ومنهم من كان يخنق بالسلاسل ،اوتشق جمجمته ،أو يقطع رأسه بالسيف،[5]وهو ماحدث لأحد المطلوبين قضائيا بعدما فر من معتقله ،وبعد إعادة إعتقاله قطع رأسه وارسل الى الباشا فأمر بتعليقه في وسط السوق على جدار هناك ،كما قسا الباشوات على من كانوا يتهمون الناس بالباطل ويتسببون في إلحاق الأذى بهم ،فقد إتهم شخص مغربي يدعى محمد السباعي تاجراً سودانياً إسمه (سلتي محمد قلي)بالسرقة فقبض على المتهم وعذب ،ولكن الباشا إكتشف أنه برئ بعدما إنتهى العدول من إحصاء أمواله ،فأطلق سراح التاجر ،وأنزل عقاب الموت بالمغربي محمد السباعي[6] .

[1]-السعدي ،مصدر سابق ،ص 84.،ضيفي عثمان عبد النعيم ،مرجع سابق ،ص 148.

[2]- ايهاب شعبان ،مرجع سابق ،ص 105.

[3]-السنكور في لغة الصنغاي هو نوع من الطين شديد التماسك إذا أخلط بالماء يبنون به أعمدة منازلهم لقوته ومتانته فيسربل به المتهم ويضغط عليه ضغطة قويه ينظر الهادي مبروك الدالي ،مرجع سابق ،ص 140.

[4]-السعدي ،مصدر سابق ،ص 128-129.،الهادي مبروك الدالي ،مرجع سابق ،ص 141.

[5] -الغربي محمد ،مرجع سابق ،ص 407.

[6] -السعدي،مصدر سابق ،ص 235.

ولم تكن هذه العقوبات خاصة بعامة الناس فقط ،بل حتى بالطبقات المثقفة، والولاة وأعوانهم وهو ماتجلى في تنفيذ حكم الاعدام في حق الوالي محمد التازي الذي كان برتبة قائد ،حيث ارتكب جريمة القتل العمدي في حق احد الأفراد وكذا الخروج عن أوامر الباشا ،فألقي عليه القبض وأعدم ورميت جثته في النهر[1] .كما قبض الباشا على أحد اعوانه متلبساً بجرم فركب الباشا فرسه وقاد المجرم امامه الى السوق ،فأمر بقطع رأسه حتى وتطاير دمه فعلق بثياب أحد الباعة وهو يشاهد ذالك[2] .

كما وجدت عقوبة النفي الى مكان مملؤءبالقازورات ،والحشرات ،والضفادع، والناموس ، وقد نفذت هذه العقوبة في زمن الأساكي عندما نفى الاسكيا موسى والده الاسكيا محمد الكبير إثر الانقلاب عليه الى جزيرة قرب نهر النيجر[3]،واستمرت هذه العقوبة حتى العهد المغربي إين ازدادت عملية نفي المجرمين الى اماكن بعيدة عن مدنهم ويعتبرون في حكم المعتقلين لايحق لهم الخروج من منفاهم ،وهو ماجرى لشيخ قبيلة حكم عليه بالجلد والنفي من تنبكتو الى مدينة بامبا[4] ،كما وجدت عقوبة السجن التي تخص بعض الجرائم السياسية كالمشاركة في ثوارات أو الخروج أثناء حظر التجوال، او التسبب في قيام فتنة ،وكانت عادة السجون هي محل بقاء المتهم الى حين تنفيذ الحكم النهائي عليه ،وقد وجدت في مملكة صنغاي وهي سجن تنبكتو ،وسجن جني ،وسجن غاو[5]، ثم أضيفت لها سجون أخرى في العهد المغربي مثل سجن(كون) ويقع وسط حصن في شرق تنبكتو[6]، وسجن (سلتي)[7]بالقرب من تنبكتو، ويعد من أصعب السجون لتوفره على وسائل التعذيب ،وهناك سجن (كروكي)[8] في جبال هنبوري ببلاد الموسي ،كما وجد السجن الذي بناه المغاربة داخل قصبة المشور

---

[1] -المصدر السابق،ص 260.،الغربي محمد ،مرجع سابق ،ص 406.

[2] - المرجع السابق ،ص 406.

[3]- كعت ،تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص 143،السعدي ،مصدر سابق ،ص ص 89- 122.

[4]-الغربي محمد ،مرجع سابق ،ص 406.

[5]- زبادية عبد القادر: مملكة صنغاي مرجع سابق ،ص 75.،سوزي اباظة ،القضاء في صنغاي مرجع سابق ،ص 380.

[6] - الغربي محمد،مرجع سابق ،ص 407.

[7] - السعدي ،مصدر سابق ،ص 235-236.

[8]-المصدر السابق ،ص 301.

في تنبكتو[1]، إضافة إلى مركز للتعذيب والاستنطاق بالقرب من ميناء كبارا قرب نهر النيجر يدعى (أنكدا)[2]،وكانت هذه السجون تتفاوت في أهميتها ودرجة العقوبات المقدمة فيها حسب الجرائم المقترفة ،وأعتبر السجن الموجود داخل قصبة المشور خصيصاً للمتهمين قيد التحقيق إضافة الى العمال الظالمون الذين يعملون في هيئات الدولة كرجال الشرطة والمحتسبون وقد سجن الأسكيا محمد بان في هذا السجن خصومه الذين دبروا ضده المحاولة الإنقلابية الفاشلة[3].

العقوبةبالمال :وهذه من العقوبات التي وجدت في بلاد السيبة نظراً لعدم وجود سلطة سياسية متغلبة في هذا المجال ،فاضطرت جماعة الحل والعقد لفرض هذه العقوبة كنوع من الزجر وهي تكون في المال أوبه .

العقوبة في المال[4] :وهي عقوبة الجاني في المال المعصى به أو فيه بإتلافه عليه أو صرفه في وجه من وجوه المصلحة التي يحددها الحاكم أو القاضي ،ولها أصلها الثابت في الشرع حيث أمر صل الله عليه وسلم بقطع نخيل يهود بني النضير عقاباً لهم على غدرهم ومنعهم من الإحتماء به في مواجهة المسلمين ،وبإكفاء القدور التي طبخ فيها لحم الحمر الأهلية يوم خيبر قبل أن تقسم[5]، ومثل حرمان القاتل من الميراث والوصية.

أما العقوبة بالمال[6] :فتعرف بأنها أخذ قدر من المال من الجاني على وجه التغريم تعزيراً له على معصيته،وزجراً له وردعاً عن الأقدام على مثل ذلك التصرف مستقبلاً ،وقد إختلف فيها الفقهاء بجوازها من عدمه،أوبجوازها بشروط معينة ،حيث قال بها كل من الحنفية والشافعية ،وأجازها إبن القيم

---

[1] -الغربي محمد ،مرجع سابق ،ص 407.

[2] - السعدي،مصدر سابق ،ص 261.

[3] -كعت محمود،تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص 143.،السعدي ،مصدر سابق ،ص 65-89.،الهادي مبروك الدالي ،التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق ،ص 141.

[4] - ولد السعد محمد المختار ،الفقهاء الشناقطة ومسألة العقوبة بالمال ،مرجع سابق ،ص 02.

[5] - أخرجه البخاري في الصحيح رقم (5528)،ومسلم في صحيحيه رقم (1802)

[6] -ولد السعد محمد المختار: مرجع سابق ،ص 02.

الجوزية[1] من الحنابلة ،بينما أختلف المالكية في شأنها بين مجيز لها في المال ومانع لها به ،وبين من يجوزها مطلقاً ،واعتبر هذا الأختلاف مثاراً لجدل واسع بين فقهاء المالكية خاصة في البيئة المغربية ،فقد أفتى البرزلي[2] بجوازها خلافاً للشماع[3] الذي أفتى بعدم جوازهاوألف في ذلك كتاب سماه (مطالع التمام ونصائح الأنام ومنجاة الخواص والعوام في رد القول بإباحة إغرام ذوي الجنايات زيادة على ماشرع الله من الحدود والأحكام)[4]، ونفس الشي ينطبق على المغرب الأقصى، حيث أفتى عدة علماء بعدم جوازها مثل عبد القادر الفاسي (ت 1091هـ-1696م)،وأحمد بن عرضون (ت 992هـ- 1584م)،وعبد الواحد الونشريسي ابن صاحب المعيار (ت 955هـ-1548م)،بينما نجد محمد العربي الفاسي (ت1052هـ-1642م)،وأبو القاسم بن حجو (ت956هـ-1549م)،والهبطي (ت963هـ-1556م)،وموسى بن علي الوزاني (ت970هـ-15م) ،وميارة (ت1072هـ-1662م)،وأعتبر هؤلاء من أشهر القائلين بها عند تعذر الحدود ،واستندوا في ذلك الى إنتشار الجرائم والفتن في الوسط القبلي المغربي المتمرد على السلطة[5]، ومسند رأيهم الى الفقيه

---

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن جرير الزرعي الدمشقي المعروف بإبن القيم الجوزية الحنبلي، أخذ عن ابن تيمية ودخل معه السجن وبقي معه فيه إلى أن مات إبن تيمية رحمه الله ،وكان مدافعاً مستميتاً عن آراء شيخيه إبن تيمية وقام بدور كبير في نشر تلك الآراء والدفاع عنها بشتى الحجج ،وله عدة مؤلفات زاد عددها عن الستين مؤلف منها، إعلام الموقعين عن رب العالمين، وزاد المعاد في هدي خير الأنام، وحادي الأرواح الى بلاد الأفراح، والطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، وكتاب الروح، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وأياك نستعين،وغير ذلك من المؤلفات، وقد ولد عام 691هـ ،وتوفي رحمه الله عام 751هـ.ينظر :عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي،الفتاوى،مصدر سابق ،ص 524.

[2]- ينظر ترجمته في نفس الفصل (قضايا الإرث).

[3]- هو أبو العباس أحمد بن محمد الهنتاتي (توفي سنة 833هـ- 1429م)،تولى قضاء تونس في عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي (ت796هـ-837هـ).ينظر :إبن الشماع ابو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تحقيق وتقديم الطاهر بن محمود المعموري،الدار العربية للكتاب،تونس،1984،ص 18.

[4]- فتحة محمد ،النوازل الفقهية والمجتمع:أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 60هـ الى القرن 09هجري -12م-15م،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الحسن الثاني عن الشق الدار البيضاء المغرب،1999،ص 65،النواصرة عدنان حسن محمد،القضاء في عهد الدولة الحفصية مرجع سابق،ص 100.

[5]-ولد السعد محمد المختار،مرجع سابق،ص ص 06-07.

التونسي البرزلي[1] الذي اعتبروه سلطة مرجعية ،ولاتختلف الأراء الفقهية عما جرى في تونس والمغرب عن بلاد السيبة كمجال صحراوي ظهرت فيه فتاوى فقهية تنادي بضرورة العقوبة المالية لتعذر تطبيق الحدود في كثير من القضايا ،ويعتبر القاضي الشريف حمى الله التيشتي ت1169هـ ،أول من تناول هذه القضية في فتوتين من فتاوى الجنايات[2] وهذا بعدما سئل عن العقوبة بالمال هل قال بها أحد من أئمتنا أم لا؟،فأجاب أن العقوبة بالمال مع عدم الإمام أولى وعدم التمكن من إقامة الحدود وإجراء الأحكام على أصلها أولى من الإمهال وعدم الزجر وترك القوي يأكل الضعيف ،واستدل بشرح لامية الزقاق للعلامة أحمد ميارة[3]، أما الفتوى الثانية[4] "فقد سئل عن جماعة الحل والعقد إذاجتمعوا على أن من سرق يعطى كذا وكذا أوتقطع أذنه ،والذي أخذه يأكله رؤساء القبيلة هل يجوز هذا ويلزم غرم المال أم لا ؟وعلى جواز قطع الأذن إذا سرق عبد هل للجماعة أن يأخذوا من سيده مالاً على ترك قطع أذنه مع أنه لايحصل بذلك الكف أم لا؟ فأجاب أن قطع الأذن لم أرى من ذكر العقوبة به وإن لم يحصل الكف عن الفساد إلا به،تقتضي السياسة أن لايستبعد العمل به إذنص أئمتنا على جواز قتل ثلث أهل الفساد لإصلاح الثلثين منهم ،وإذا قلنا به للسياسة فلايجوز أخذ المال من سيد العبد على أن لاتقطع أذنه مع أنه لايحصل الكف عن الفساد بذلك بذلك كما لايخفى والله تعالى أعلم ".

وتبع القاضي الشريف حمى الله التيشتي بجواز العقوبة بالمال القاضي عبد بن الحاج أبراهيم العلوي (ت1233هـ)الذي سئل بدور عن العقوبة بالمال هل تجوز أم لا؟فأجاب نظماً[5] ونثراً على جوازها

---

[1]- للإطلاع على فتوى البرزلي بجواز العقوبة بالمال وكذا رد الشماع عليه ينظر :كتاب الشماع (مطالع التمام ونصائح الأنام ومناجاة الخواص والعوام في رد القول بإباحة إغرام ذوي الجنايات والإجرام زيادة على ماشرع الله من الحدود والأحكام، تحقيق عبد الخالق أحمدون، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الأسلامية،المغرب،2003،ص ص 58-61.،وكذا ولد السعد محمد المختار، مرجع سابق،ص ص 5- 6.

[2]- جاءت هذه الفتاوى ضمن مجموع فتاوى حمى الله التيشتي، التي جمعها وحققها الدكتور محمد المختار ولد السعد،دائرة القضاء،أبوظبي،الإمارات العربية2010 ،تحت رقم (208-209)،وكذا الدكتور يحي ولد البراء في، المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوى ج12، مرجع سابق،ص 6067،تحت رقم (6081).

[3]- وتسمى فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق،تحقيق رشيد البكاري، المكتبة العصرية، بيروت لبنان،2008.

[4]- ولد البراء يحي، المجموعة الكبرى ج12،مرجع سابق،ص 6067.،ولد السعد محمد المختار،مرجع سابق،ص ص 9- 10.

[5]- يقول من الشعر :وجوزوا العقوبة المالية .... إن عدمت أحكامنا الشرعية.

فقال "إذا وجدت أمور ثلاثة جازت العقوبة بالمال وفي المال إتفاقاً فكيف إذا وجد جميعها "وأن هذه الأمور هي "أن تكون الأرض سائبة لاسلطان فيها كبلاد هذه المغافرة وماوالاها فتجوز فيها العقوبة بالمال اتفاقاً" من باب أولى وأحرى إذا انعقد الإجماع على العمل بها لاسيما إجماع العوام والخواص في سائر بلاد الشرق والغرب والبلاد السائبة التي لاوسيلة فيها للزجر اولى منها[1]، إذيقدر عليها من لايقدر على غيرها من الحدود والتعازير ،والاجماع معصوم لقوله صل الله عليه وسلم "أمتي لاتجتمع على ضلالة"،ومن أنكر هذا الإجماع فمعلوم انه لاعقل له ولوفرضنا محالاً أن هذه الأشياء انعدم جميعها لكانت جائزة ايضاً ولاتختص كما قال إبن فرحون بقول معين ولابفعل معين ،وقال ابن القيم الجوزية من ادعى نسخها فقد غلط على مذاهب الائمة نقلاً واستدلالاً[2] وليس يسهل دعوى نسخها وفعل الخلفاء الراشدين وأكابر الصحابة لها بعد موته صل الله عليه وسلم مبطل لدعوى نسخها، والمدعون للنسخ ليس معهم كتاب ولاإجماع يصحح دعواهم، مع أن الواقع في سائر البلاد وقوع جميع الأمور الثلاثة المجوز واحد منها لها إتفاقاً وبالعموم في هذه الحالة."[3]

كذاك إن جرى بها قل عمل .... أوعقد الإجماع فيما نقلوا.

فهذه أدلة في رسن .... موجودة لها بهذا الزمن. ينظر: عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي،مصدر سابق،ص 523.

[1]- المصدر السابق،ص 524.

[2]- المصدر نفسه،ولد البراء يحي،مرجع سابق،ص 6069.

[3]- المصدر السابق،ص 525.

الفصل الثالث: أشهر قضاة بلاد السودان الغربي

- قضاة تنبكتو

- قضاة جني

- قضاة غاو

- قضاة أروان وكل السوق

- قضاة ولاتة

- قضاة ودان

- قضاة تيشيت

- قضاة شنقيط

- قضاة بلاد القبلة (الترارزة والبراكنة)

- قضاة الهوسا

قضاة تنبكتو:

1- **القاضي حبيب عبدالرحمن التميمي(ت 904هـ)**[1]: هو أحد أحفاد الفقيه عبدالرحمن التميمي الذي رحل من الحجاز مع سلطان مالي منسا موسى واستوطن بتنبكتو، كان جيب عالما ورعا زاهدا في الدنيا شوهد له بالورع والتقوى تولى قضاء تنبكتو في عهد الملك سني علي بعد رحيل علماء تنبكتو عنها إثر اختلافهم مع سني علي، لكن القاضي جيب كان من المقربين له مما جعله ينال خطوة توليه القضاء الذي ظل فيه إلى أن وافته المنية سنة 904هـ[2]بعد أن أوصى بالقضاء لأبي البركات القاضي محمود بن عمر 1463هـ.

2-القاضي أبوعبدالله أند محمد بن عثمان بن نوح (ت 942هـ)[3]:هو أحد أجداد العالم أحمد بابا التنبكتي كان ممن تولوا قضاء تنبكتو في أواسط القرن التاسع الهجري، كان عالما مثقفا وصفه السعدي بمعدن العلم والصلاح، وهو من العلماء الذين قدموا خدمة لتنبكتو في مجال العلوم، كانت له رحلات إلى المشرق ومصر، التقى فيها بالإمام السيوطي، اشتغل بالتدريس و القضاء [4]في تنبكتو حتى وفاته سنة (942 هـ /1463م).

3-القاضي أحمد بن عمر (ت 942هـ): بن محمد آقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المسوفي جد أحمد بابا التنبكتي عرف بالحاج أحمد[5]، كان من أهل العلم والفضل والصلاح وصفه أحمد بابا التنبكتي بأنه كان خيرا ورعا محافظا على السنة والمروءة والصيانة والتحري، محبا للنبي وصحبه

---

[1] البرتلي: مصدر سابق ،ص176،السعدي تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص51.

[2] عبد الرحمن محمد ميقا: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص ص320-321.

[3] السعدي: مصدر سابق ،ص 28.،البرتلي ،مصدر سابق ،ص112.

[4] إيهاب شعبان: القضاء في دولتي مالي وصنغاي ،مرجع سابق ،ص50، وانظر ميقا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية والإصلاحية في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص186.

[5] التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص ص 88-89.

ملازما لقراءة كتاب الشفا للقاضي عياض معتنيا به، فقيها نحويا لغويا عروضيا، معتنيا بتحصيل[1] العلم ونسخ كتبه حيث كتب عدة دووايين بخط يديه وجمع عدة فوائد وتعاليق، أخذ العلم عن جده لأمه، والنحو عن خاله الفقيه المختار النحوي، من أهم أبنائه الفقيه أبو حفص عمر بن أحمد، اشتغل بقضاء تنبكتو وولاته ثم رحل إلى المشرق فكانت له رحلة حجية سنة 890هـ[2]، التقى خلالها بالإمام السيوطي والعالم خالد الوقاد الأزهري إمام النحاة في عصره ،رجع إلى بلاده زمن حملة سني علي على تنبكتو وهو ما جعله يذهب إلى بلاد الهوسا[3] ويستقر في حاضرة كانو التي جلس بها للتعليم والقضاء إلى أن رجع إلى تنبكتو بعد سقوط حكم سني علي، أين جلس للتدريس والقضاء فتخرج علي يديه جملة من العلماء أشهرهم الفقيه القاضي محمود بن عمر الذي قر أعليه المدونة وغيرها، ولم يزل دؤوبا مجتهدا في تعليم العلم وتحصيله حتى توفي ليلة الجمعة من ربيع الثاني سنة942هـ.

4-القاضي أحمد بن أحمد بن اند عبدالله (عاش خلال القرن العاشر 10هـ/16م):هو الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن أحمد بن أندغمحمد، كان عالما فقيها قاضيا تولى قضاء تنبكتو ولم يمكث به طويلا، عاش خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي،ولا نعرف تاريخ وفاته تحديدا .

5-القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت 955هـ/ 1547م)[4]: وهو من أسرة آقيت المسوفية، ولد عام(868هـ/ 1547م) بتنبكتو ونشأ في بيت علم وجاه، عينه الأسكيا محمد قاضي على تنبكتو سنة(904 هـ/ 1498م)بعد وفاة قاضيها جيب الذي أوصى له وزكّاه قبل وفاته،

---

[1] - السعدي: ،مصدر سابق ،ص37،البرتلي: ،مصدر سابق ،ص ص 25-26،بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص ص 315-316.

[2] - مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص ص 335-336.

[3] - ميقا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية ،مرجع سابق ،ص190.

[4] - البرتلي: مصدر سابق ،ص ص 29-30.

مكث فيه خمسين سنة قال عنه أحمد بابا التنبكتي[1]: "قاضيها أبو الثناء وأبو المحاسن، عالم التكرور وصالحها ومدرسها و فقيهها وإما مها بلا مدافع ،كان من خيار عباد الله الصالحين العارفين به ذا ثبت عظيم في أمور وهدى تام وسكون ووقار وجلالة، اشتهر علمه وصلاحه في البلاد وطار صيته في الأقطار شرقا وغربا، وظهرت ديانته وورعه وصلاحه وعدله ونزاهته لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين فمن دونهم، ويزرونه في بيته فلا يقوم لهم ولا يلتفت إليهم ويهادونه بالهدايا والتحف، وكان شيخا كريما جوادا يفرق ما يهدى له بين الناس، تولى القضاء عام تسعة مئة وأربعة (هجرية) فشدد في الأمور وسدد وتوخى الحق في الأحكام.....ظهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته ....." .

اشتغل بالتدريس والعلم إلى جانب القضاء حيث كانت له حلقة علم يدرس فيها الفقه كمختصر خليل ومدونة سحنون، والنحو كألفية ابن مالك، حتى كثر طلبته وانتشرت دروسه فأخرجوها في مجلدين ووضعوا لها شروحا بلغت شهرة كبيرة في بلاد السودان الغربي، كما كانت له عدة رحلات إلى البلاد الإسلامية منها رحلته الحجية عام(915هـ/ 1509م)التي فيها جماعة من مشاهير العلماء أمثال إبراهيم المقدسي، والشيخ زكرياء القلقشندي، والناصر اللقاني وغيرهم من علماء مصر، كما كان له تلاميذ أشهرهم والد الفقيه أحمد بابا التنبكتي، بالإضافة إلى أبنائه الثلاثة الذين تولوا قضاء تنبكتو فيما بعده، محمد، العاقب، عمر[2].

6-القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر(ت خلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي)[3]:له باع علمي كبير من علماء تنبكتو الذين اشتهروا به، قاضي تنبكتو لمدة عشرة أعوام تولاه لما حج القاضي محمود بن عمر الذي استخلفه فيه، ثم أرجعه إليه بعد تدخل الأسكيا محمد نتيجة حكمه في نازله فاختلف مع محمود بن عمر فتدخل السلطان وأرجع محمود إلى مكانه

[1] – التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص ص 343-344.

[2]– السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق، ص38، مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق، ص ص 336-337.

[3] –عبد الرحمن ميقا: الحركة الفقهية ورجالها، مرجع سابق، ص326.

كقاضي، يعتبر عبدالرحمن بن أبي بكر من العلماء الذين أسهموا في ازدهار الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي، توفي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي.

7-القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد آقيت(ت 973هـ/ 1565م)[1]: تولى القضاء بعد وفاة والده محمود وكان عمره خمسة وأربعين سنة مكث فيه حوالي سبعة عشر سنة حتى توفي، كان عالما جليلا اشتهر بالذكاء والفهم نشأ في بيت علم وصلاح ورياسة وجاه ودين، تعلم على يد أفراد أسرته وظل يتلقى العلم حتى شهد له أشياخه به، كما مارس التدريس إلى جانب القضاء فكانت له مؤلفات منها تعليقه على رجز المغيلي في المنطق، أخذ عنه عدة علماء منهم أحمد بن الحاج الذي أخذ عنه البيان والمنطق [2]، ووالد أحمد بابا التنبكتي توفي في تنبكتو وعمره ثلاثة وستون سنة[3].

8-القاضي أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد آقيت(ت991هـ/1583م)[4]: وهو والد العلامة أحمد بابا التنبكتي، كان أحد فقهاء وأعلام تنبكتو قال عنه ابنه أحمد بابا التنبكتي [5]: " إنه كان رحمه الله تعالى علامة فهامة ذكيا درَّاكًا محصلا مفتيا محدثا أصوليا بيَّانا منطقيا، وكان رقيق القلب عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس نفَّاعًا بجاهه لا ترد له شفاعة، يُغْلِظُ على الملوك فمن دونهم وينقادون له أعظم الانقياد ..."، كانت له مكانة علمية كبيرة، حيث برع في الفقه والأدب والحديث، وصار مفتيا وقاضيا حتى وصف بأنه الحافظ[6]،جلس للتدريس في تنبكتو واشتهر بحبه لتلاميذه والإنفاق عليهم لاسيما الأيتام، تتلمذ على يديه كثير من علماء تنبكتو البارزين أمثال ابنه أحمد بابا، وأحمد ومحمد ابني القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ (قاضي جني)،وعبد الرحمن بن

[1] - السعدي: مصدر سابق، ص 33.

[2] - التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق، ص340.

[3] - مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ، ص338، ميقا أبو بكر إسماعيل: الحركة العلمية ، مرجع سابق، ص194-195.

[4] - التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق، ص141.

[5] - المصدر نفسه.

[6] - السعدي: مصدر سابق، ص42-55.

محمود آقيت قاضي تنبكتو[1]، كانت له رحلات إلى بلاد المشرق منها رحلته الحجية (956هـ/1549م) التي زار فيها مصر والحجاز، فالتقى بمجموعة من العلماء أهمهم: الشيخ الناصر اللقاني، والشيخ التاجوري، والشريف يوسف الأرميوني، والشيخ الأجهوري، كما لقي بالحجاز جماعة من كبار العلماء منهم بركات الحطاب، وعبد المعطي السخاوي حيث أجاز بعضهم إجازات في بعض المتون [2].

اشتهر الشيخ بحبه للكتب وشغفه بها [3]سواء تأليفا أوجمعا مما أكسبه مكتبة ضخمة وثرية يزورها كل من يرغب في استعارة الكتب، أما كتبه التي ألفها فهي كثيرة منها: شرح على تخميس الفزاري لابن صهيب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،وألف شرح في منظومة المغيلي في المنطق شرحا جامعا، وكتب حاشية على شرح التتائي، كما كان له شرح على صغرى السنوسي في العقيدة وهي جزء من أم البراهين، وله شرح على القرطبية، وشرح جمل الخونجي في المنطق، كما كانت له حلقات تدريس في المسجد الجامع، أهمها حلقة صحيح البخاري في شعبان ورمضان.

كما اشتهر ببراعته في الأدب والفقه والحديث، قال عنه السعدي[4]: " إنه البارع في علم الأدب والفقه والفقه والحديث، المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وان دل على رسوخ قدمه في العلم وسمو مكانته في الأدب ،فقد مدحه العالم الأصولي أبوعبد الله محمد بن محمد البكري الشافعي المصري (ت1006هـ/1598م) بهاته الأبيات:

أحبتنا والله إني على عهدي ....وحبي لكم حبي وودي لكم ودي

ولم أنس أيام التداني وطيبها ....وأوقاتنا ما بين عور إلى جدي

---

[1] – المصدر السابق: ص 45، مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص ص 340341.

[2] – إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، مرجع سابق،ص52.

[3] – مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص341.

[4] – السعدي: مصدر سابق، ص32، الباز أحمد السيد: الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي القرن 07-10هـ-13-16م، الإفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة ط1، 2013،ص117.

وإني على ذكر لكم وتوجهي ....إلى الله فيما ترتجون من الرفد

وأسأله في كل وقت مكرم ....بتحقيق ماتبغون من واسع المد

لعمر ودين ثم أولادكم وما ....ترمون من فضل يفيض بلاحد[1].

توفي الشيخ بتنبكتو سنة تسعة مئة وواحد وتسعون هجرية.

9-القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد آقيت(ت 991هـ/ 1583هـ)[2]: تولى منصب القضاء بعد وفاة أخيه محمد في عهد السلطان الأسكيا داوود بن الأسكيا محمد، كان عالما مسددا في الأحكام ذا بصيرة لا تخطئ فراسته كما وصفه أحمد بابا التنبكتي [3]:" كان مسددا في الأحكام صلبا في الحق ثبتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي القلب مُقْدِمًا في الأمور العظام التي توقف فيها غيره جسوراً على السلطان فمن دونه وقع له معهم وقائع وكانوا يخضعون له ويطاوعونه في كل ما أراد، إن رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه ثم يلاطفونه حتى يرجع ...".

أما السعدي [4]فقال عنه: "كان عالما جليلا ثاقب الذهن قوى القلب صلبا في الحق.....ذا فراسة إذا تكلم في شيء لا يخطئ كلامه، كأنه ينظر في الغيب، قد ملأ أرضه بالعدل لا يعرف له نظير في ذلك من جميع الآفاق...".

أخذ العلم عن أبيه محمود بن عمر وعمه الحاج أحمد، كما رحل إلى المشرق فحج والتقى هناك بعدة علماء منهم ناصر الدين اللقاني، وأبا الحسن البكري، والشيخ البكري، حيث أجازه اللقاني في جميع ما يجوز له وعنه، رجع إلى بلاده واشتغل بالتدريس والقضاء، وكان من تلامذته أحمد بابا التنبكتي

---

[1] السعدي: مصدر سابق، ص33، مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق، ص341، إيهاب شعبان عبد الشافي: مرجع سابق ،ص52.

[2] السعدي: مصدر سابق ،ص34.

[3]التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ،ص ص 218-219.

[4]السعدي: مصدر سابق، ص40.

الذي أجازه وكتب له الإجازة بخط يديه، كانت له إصلاحات في تنبكتو منها: قيامه ببناء المساجد وترميمها وإصلاحها كالمسجد الكبير ومسجد سنكري، مكث في القضاء ثماني عشر سنة إلى أن توفي عام(991هـ/ 1583م)[1].

10- القاضي محمد بن محمود بغيغ(ت 1002هـ/ 1593م)[2]: هو ابن الفقيه محمود بغيغ قاضي مدينة جني في منتصف القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، ولد سنة(930هـ/1523م) بجني و تعلم على يد أبيه محمود وخاله، ثم رحل إلى تنبكتو رفقة أخيه أحمد فجلسا في مجلس الفقيه أحمد محمد سعيد التنبكتي ونهلا من علمه خاصة في الفقه والحديث، كانت له رحلات إلى المشرق خاصة رحلة الحج التي رافق فيها أخاه وخاله والتقوا بعدة علماء في مصر مثل ناصر الدين اللقاني، والشريف يوسف البرهمتوشي، إما في الحجاز فجلسوا في مجالس بعض العلماء مثل العالم التاجوري والامام محمد البكري الصديق، وعند رجوعه إلى تنبكتو لازم الفقيه أحمد بن أحمد وأخذ عليه البيان والأصول والمنطق والقضاء والتدريس، وأصبح شيخا وقته في تنبكتو خصوصا وبلاد السودان عموما معلما منفردا وحيد زمانه وفريد عصره، تخرج على يديه عدة تلاميذ أشهرهم، أحمد بابا التنبكتي الذي لازمه أكثر من عشرين سنة فقرأ عليه المختصر وابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق، والموطأ قراءة تفهم والمدونة وغيرهم من الكتب الفقهية واللغوية حتى أجازه في جميع ما يجوز له وعنه، وقد ذكر هذا أحمدبابا [3]في نبيل الابتهاج وكفاية المحتاج، أما أثار محمد بن محمود بغيغ كثيرا أهمها شرحه على مختصر خليل، وتتبع هفوات العلامة التتائي الكبير من أوله إلى آخره، فوضع ما فيه من السهو ثقلا وتقريرا، جمعها أحمد بابا في كراريس، كماله فتاوى منها فتواه بخصوص الإفطار في

[1] - إيهاب شعبان عبد الشافي: مرجع سابق ،ص51،مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص339.

[2] - السعدي: مصدر سابق ،ص ص 43-45.

[3] - التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ،ص341-342.

رمضان، بقي رحمه الله طول حياته في التدريس والفتوى والقضاء إلى أن توفى في يوم الجمعة من شوال سنة 1002هـ في تنبكتو ودفن بها[1].

11- القاضي عمر بن محمود (ت 1003هـ/ 1594م)[2]:هو أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت تولى منصب القضاء في تنبكتو سنة(933هـ/ 1585م) بعد رفضه له وإلحاح كبير من طرف الأسكيا محمد، كان عالما متضلعا في الفقه والحديث والسير والتاريخ وأيام الناس، بلغ الغاية القصوى حتى قال عنه بعض معاصريه من الشيوخ: " أنه لو كان موجودا زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتيا فيها "[3]، ولما تولى القضاء في تنبكتو أقام تسع سنين حتى وفاته، أخذ العلم عن مجموعة من العلماء منهم والده الفقيه القاضي محمود [4]، وأخذ عنه جماعة من علماء السودان وهو من القضاة الذين حلَّت بهم كارثة الغزو المغربي وأُخِذَ أسيرا إلى مراكش التي توفي بها عام(1003هـ/ 1594م)[5].

12- القاضي محمد بن القاضي عبد الرحمان (ت 1016هـ/ 1617م)[6]: تولى قضاء تنبكتو سنة(1003 هـ/ 1593م)، بعد نكبت أسرة آل آقيت وإجلاء أولاد القاضي محمود إلى مراكش، كان عالما جوادا كريما واسع القلب رحب الصدر، مكث في القضاء أربعة عشر سنة وبضعة أشهر، ولما رجع أحمد بابا التنبكتي من منفاه ذهب إليه ليهنئه، توفي[7] يوم الثلاثاء لست بقين من ذي العقدة العقدة عام(1016 هـ/ 1617م).

---

1 - مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص350-351، ميقا أبو بكر إسماعيل: مرجع سابق ،ص204.

2 - السعدي: مصدر سابق ،ص34.

3 - البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص178.

4 - السعدي: ،مصدر سابق ،ص34.

5 - مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص342.،ميقا أبو بكر إسماعيل: مرجع سابق ،ص196.

6 - عبد الرحمن محمد ميقا: الحركة الفقهية ورجالها ،مرجع سابق ،ص335.

7 - السعدي: تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص307.

13- القاضي محمد بن أحمد(ت 1017هـ/ 1617م)[1]:هو القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر ولد سنة(952هـ/1404م)بتنبكتو، كان عالما زاهدا وورعا تعلم على عدة مشايخ فأخذ الفقه والنحو والحديث، يعتبر أول القضاة الذين تولوا القضاء في تنبكتو في عهد المغاربة، حيث عين من طرف الباشا محمود بن علي زرقون بعدما قضى على أولاد محمود آقيت، حيث كان عمره خمسين سنة ومكث فيه خمسة عشر سنة وتوفي [2]سنة **1017هـ**.

14-القاضي محمد بن أندا غمحمد (ت 1020هـ/ 1622م)[3]:هو الفقيه القاضي محمد بن أندا غمحمد بن أحمد بري بن القاضي أند غمحمد الجد، اشتهر بالعلم والورع والتقوى، له قدم راسخة في الفقه كان محدثا، أخذ عنه خلقا كثيرا من العلماء منهم محمد كورد الفلاني[4]، كما كان من من شيوخه أبو البركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي، تولى القضاء في عهد الباشاوات (محمود لنك)بعد وفاة القاضي محمد أحمد بن القاضي عبد الرحمن، مكث فيه أربعة سنين حتى وفاته سنة (1020 هـ/1622م)[5].

15- القاضي محمد الأمين بن القاضي محمد (ت1020هـ/ 1622م)[6]: هو محمد الأمين بن القاضي محمد كان عالما فقيها تولى قضاء تنبكتو حتى توفي 1020هـ/ 1522م.

16- القاضي أحمد بابا التنبكتي(ت 1036هـ/ 1627م)[7]:هو أبو العباس أحمد بابا بن الحاج الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن آقيت بن عمر بن على بن على بن يحى وينتهي الى آل عمر

---

[1] - المصدر السابق ،ص308.

[2]- الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص ص396-398.

[3] -السعدي: مصدر سابق ،ص ص 219-309.

[4]-البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص109.

[5] -عبد الرحمن محمد ميقا: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص287.

[6]- المرجع السابق ،ص375.

[7] -القادري محمد بن الطيب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، تحقيق محمد حجى، وأحمد توفيق (موسوعة أعلام المغرب)ج3،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان، ط2، 2008،ص151، البرتلي: مصدر سابق ،ص31-37.

الصنهاجي الماسيني[1] نسبة إلى قبيلة صنهاجة الصحراوية[2]، ولد في تنبكتو عام 963هـ 1556م في آسرة آقيت المعروفة بانتسابها للعلماء تلقى تعليمه الأول على يد والده وغيرهم من مشايخ تنبكتو أبرزهم محمد بغيغ ابن القاضي محمود بغيغ الونكري ,الذي ذكره في نيل الابتهاج[3] حيث قال:" هو شيخي وأستاذي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وبكتبه، كما أخذ الفقه والحديث والمنطق على والده أحمد، والنحو على عمه أبا بكر، إضافة إلى حضوره دروس الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد، كما كانت له إجازات [4]من عدة علماء أهمها إجازة شيخه بخط يديه في كل مايجوز له وعلمه، كما أجازه أجازه الإمام يحي بن محمد الحطاب الطرابلسي[5] في مراسلات بينهما، تعرض لمحن كثيرة أهمها محنة أسره[6] عندما احتل السعديون مدينة تنبكتو أَسَرَتْ جميع عائلة آقيت وكثيرا من العلماء نقلوا إلى مراكش أين بقي في السجن عامين كاملين، أين فرضت عليه الإقامة الجبرية بأمر من السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى أن توفي المنصور وجاء ابنه زيدان فأفرج عنه وأذن لهم بالرجوع، حيث بقي في مراكش مدة من الزمن مدرسا وقاضيا إلى أن رجع إلى بلاده تنبكتو قضى فيها عشرين سنة يعلم الناس ويفتي ويقضي بينهم إلى أن توفي يوم الخميس السادس من شعبان سنة(1036هـ/ 1627م)[7]،أما تلاميذه فهم كثر في تنبكتو ومراكش، منهم القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني[8] قاضي قاضي فاس المتوفي(1032هـ/ 1524م)، والقاضي أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني

---

[1]–الماسني: نسبة إلى منطقة ماسنة موطن أجداده الأصلي قبل رحيلهم منها إلى ولاته ،ثم استقرارهم النهائي في تنبكتو حوالي القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي ،انظر الشيخي حسن علي إبراهيم: تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي ،مرجع سابق، ص343.

[2] –القشاط محمد سعيد: أعلام من الصحراء ،دار الملتقى للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،ط1، 1997،ص 27.

[3] – التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص151.

[4] – التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ،ص142.

[5] – المقري أحمد بن محمد: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية الرباط المغرب ، ط2 1983،ص 311.

[6] – التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ،ص ص13-16.

[7]– بن مخلوف محمد : شجرة النور الزكية: مصدر سابق ،ص299.،البرتلي: مصدر سابق ،ص37.

[8] – السعدي:مصدر سابق ،ص36.

صاحب نفح الطيب المتوفي(1041هـ/ 1584م)، أبو العباس احمد بن محمد أبي العافية المكناسي المتوفي(1029هـ/ 1619م)الشهير بابن القاضي وقد شغل منصب قاضي مكناس وله كتاب جذوة الاقتباس[1] الشيخ محمد عبدالله الر جراجي المتوفي(1022هـ/ 1613م)كان مفتي مراكش، وأبو العباس أحمد بن على بن محمد السوسي البوسعيدي (1046هـ/ 1636م) مؤلف كتاب بذل المناصحة، وأبو الفضل محمد بن عبدالله سعيد الحامي والفقيه أبو زيد الوقاد التلمساني[2] والفقيه الحاج الحاج أحمد التواتي شيخ البرتلي الذي يقول:"...ولما خرجنا من المحنة طلبوني للقراء فجلست بعد الإجابة في جامع الشرفاء بمراكش من أبوة جوامعها أقرئ مختصر خليل قراءة بحث وتقرير وتحقيق ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك وألفية العراقي، فختمت على نحو عشر مرات، وتحفة الأحكام لابن عاصم، الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي قراءة تفهم مرارا، وكذا الشفا، والموطأ، والمعجزات الكبرى للسيوطي، وشمائل الترميذي، والاكتفاء لابن الربيع الكسلاعي وغيرهم، وازدحم علي الخلق وأعيان طلبتها ولازموني قراء على قضاتها كقاضي الجماعة بفاس العلامة أبو القاسم بن النعيم الغساني وهو كبير ينيف عن الستين، وكذا قاضي مكناس الرحلة المؤلف صاحبنا أبو العباس ابن القاضي المكناسي هو أسن مني،ومفتي مراكش الر جر اجي وغيرهم[3]، هذا فيما يخص فترة تواجده بالمغرب أما أما في بلاد السودان الغربي وفي تنبكتو تحديدا فقد تتلمذا على يديه خلق كثير منهم الفقيه المصطفى بن أحمد بن محمود بغيغ، وشقيقه الفقيه محمد بن أحمد بن محمود بغيغ، والإمام محمد بن القاضي محمد سابح الفلاني المتوفي (1066هـ/1655م)والفقيه عبد الرحمن صاحب كتاب تاريخ السودان[4] والذي وصفه بأنه العلامة فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل فنون العلم، أما وقد ترك أحمد بابا التنبكتي آثارا علمية كثيرة وصفه الباحث المغربي محمد الغربي بالقدم الراسخ في مجال التراجم

---

[1] – مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص ص 290-291.

[2] – البرتلي: مصدر سابق ،ص176.، بن مخلوف: شجرة النور، مصدر سابق ،ص309.

[3] – المصدر السابق ،ص ص 34-35، التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج من ليس في الديباج ج2، مصدر سابق،ص ص 284-285-284.

[4] – السعدي: مصدر سابق، ص35.

بقوله:" أن ما تركه أحمد بابا من تراجم يعد فتحا كبيرا ليس على السودان فحسب بل على صعيد كتابة التراجم في العالم الإسلامي كله قد يمه وحديثه"[1] ومنها نيل الابتهاج بتطريز الديباج وهو عبارة عن تراجم وضعه كتكملة لكتاب ابن فرحون المالكي (799هـ)وعنوانه الديباج المذهب في ترجمة أعيان المذهب وهو ترجمة لعلماء المذهب المالكي الذين لم يكون ابن فرحون يعرف عنهم شيء، وقد ذكر أحمد بابا سبب تآليفيه لهذا الكتاب في مقدمته [2]"فمازالت نفسي تحدثني من قديم الزمان ومن كثير من ساعات الأوان باستدراكي عليه ببعض ما فاته أو ما جاء بعده من الأئمة الأعيان، فقيدت فيه بحسب الأماكن حيث كنت ببلد بعيدة عن نيل المقصد من ذلك لبعدها عن مدن العلم وكتب هذا الشأن، فقصر بي الحال مع عدم مساعدة الزمان لما بلينا به من حوادث الوقت، وفتنة تشغل عن كل فرض وترمي بشرر من الطول والعرض......ولولا فضل المولى ذي الفضل و الإ حسان ....ما جمعت في هذه الكراريس ما تيسر لي من ذلكم ما ليس في ديباج ابن فرحون مذكورة، وزدت في تراجم من ذكره ما ترك من أوصافه المشكورة فجاء بحمد الله فوق ما أردت، وزائدا على ما نويت وقصدت ،وسميته نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وقد ترجم فيه لثمانمائة واثنين من علماء المذهب المالكي وقد بدأ في تأليفه في تنبكتو وأتمه في مراكش سنة(1005هـ/1596م) ثم وضع له تكملة سماها تكملة الديباج [3]والتي ذيلها بكتاب آخر هو كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، الذي يضم ما يزيد عن سبعة مئة وترجمة لعلماء المذهب المالكي [4]،, الذي يضم ما يزيد عن سبعة مئة وترجمة لعلماء مالكيين ومشارقة ومغاربة وسودانيين و أندلسيين، وقد ألفه في مراكش أثناء إقامته سنة(1002هـ 1603م)،وقد ذكر المؤلف في كتابه المصادر التي اعتمد عليها، وشيوخه و مقر وءا

---

[1]- الغربي محمد: مرجع سابق، ص 539.

[2]- التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص641،الشيخي حسن على إبراهيم: تأثير الإسلام ،مرجع سابق، ص348،الغربي محمد: مرجع سابق ،ص541.

[3] – مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص294.

[4]- السعدي: ،مصدر سابق ،ص ص 238-322.

ته، وكذا من مؤلفاته معراج الصعود إلى الحكم مجلوب السودان[1] قد ألفه عام(1024هـ 1615م)كإجابة على أسئلة وردت عليه من سكان [2]توات طلبوا فيها فتوى حول هذا الموضوع، حليب النعمة ودفع النغمة وموضوعه حول علاقة العلماء برجال السلطة تحفة الفضلاء، أوجز فيه فضللا العلماء ومجد فيه العلم ورجاله، المقصد والمأرب في أعظم أسماء الرب وشرح في أسماء الله الحسنى [3]واسم الله الأعظم، المقصد في شرح مختصر خليل، ترتيب جامع المعيار المعرب للونشريسي النكت الوافية شرح الألفية، اختصار شرح المقدمة الصغرى، تعليق على مواضيع من المختصر خليل ومختصر ابن الحاجب، اللآلي السندسية مختصر على المواهب القدسية لمحمد الملالي، نيل الأمل في تفضيل النية على العمل جزء في تكفير الكبائر الأعمال الصالحة[4].

17- القاضي أحمد بن أندغ محمد (ت 1045هـ/1635م)[5]:هو الفقيه أحمد بن أندغ محمد بن محمد أحد فقهاء تنبكتو التي عاش فيها وتعلم على يد أعلامها البارزين منهم الفقيه محمود بغيغ الونكري كان عالما متضلعا في صنوف عدة لغويا وأصوليا[6] في شتى العلوم والمعارف منها الفقه والنحو، تولى قضاء تنبكتو بعد وفاة أخيه محمد سنة(1020 هـ 1622م) بأمر من الباشا محمود لنك يقول السعدي [7]"......ثم القاضي محمد بن أندغ محمد بن أحمد بري بن أحمد أندغ محمد ولاه الباشا محمود لنك فتولى وهو ابن ستين سنة وتوفي وعمره أربعا وستين سنة مكث في القضاء أربع سنين ثم أخوه القاضي سيد بن أحمد أندغ محمد ولاه الباشا محمود لنك أيضا فتولى وهو ابن خمسين

---

[1]- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج ،مصدر سابق ،ص67.

[2] -التنبكتي أحمد بابا: معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق ،تحقيق فاطمة الحراق ،وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة الرباط المغرب ،ط1، 2000.

[3]- زبادية عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2010، 126-127.

[4]- التنبكتيأحمد بابا: نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص17.

[5] -السعدي: مصدر سابق ،ص219.،البرتلي: مصدر سابق ،ص39.

[6] -المصدر السابق ،ص 257.

[7] -المصدر السابق ،ص308.

سنة وتوفي وعمره سبع وسبعون سنة ومكث في القضاء سبعا وعشرين سنة ..."، من آثاره[1] شرحه الحسن على الآجرومية سماه (الفتوح القيومية في شرح الآجرومية) فيه فوائد مهمة وفروع وتتمات يتشوق لها عالي الهمة، يدل على علو كعبه في العربية وكثرة إطلاعه على دقائقها، كرس جهوده في التدريس والتأليف والقضاء إلى أن توفي ضحوة الجمعة سنة 1045هـ.

18- **القاضي محمد بن محمد الإمام بن محمد الحفيد المشهور بكري(ت 1062هـ/ 16م)**[2]:كان من علماء تنبكتو الزهاد اشتهر بالورع والتقوى إلى جانب العلم، ولد بتنبكتو سنة(995هـ/ 15م) له قدم راسخ في الفتوى والقضاء ,حيث تولى قضاء تنبكتو في عهد الباشا وات وذلك بأمر من الباشا عبد الرحمن ابن القائد أحمد سعدون الشا ظمي، بعد وفاة القاضي أبي العباس سيد أحمد بن أند غمحمد عام(1045هـ/ 16م)، بقي في القضاء إلى أن وافته المنية سنة 1062هـ[3].

19-القاضي محمد بن محمد كري[4]:فقيه من فقهاء تنبكتو وأحد قضاتها، كان أبوه إماما لمسجد شكري في عهد الباشا محمود بن زر قون بعدما قضى على أسرة آل آقيت ورحلّها إلى مراكش، تعلم على يديه الفقه والنحو حتى تمكن من الملكة العلمية التي أهلته لتولي القضاء في عهد الباشا عبد الرحمن ابن القائد أحمد سعدون الشا ظمي، حيث مكث فيه سبعة عشر سنة إلى أن توفي في نهاية الحادي عشر هجري في عهد الباشا أحمد بن الباشا حد وخلفه القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا.

20- القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا(ت 1108هـ/ 17م)[5]:هو الفقيه أبو زيد عبد الرحمن الرحمن بن أحمد معيا أحد أعلام تنبكتو وقضاتها، تولى قضاء تنبكتو في عهد الباشا أحمد بن الباشا

---

[1] -مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص ص 299-300،عبد الرحمن محمد ميقا: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص260.

[2] - السعدي: مصدر سابق ،ص ص 257-291-308.

[3] - عبد الرحمن محمد ميقا: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص290.

[4] - المرجع السابق، ص339.

[5] - البرتلي: فتح الشكور، مصدر سابق ،ص180.

حد بعد وفاة القاضي محمد بن محمد كري وكان عمره ثلاثة وسبعين سنة، بقي في القضاء إلى أن توفي سنة 1108هـ[1].

21- **القاضي معيا الحفيد** (**ت 1121هـ/ 17م**)[2]:هو معيا سيد أحمد بن الفقيه إبراهيم بن الفقيه عبدالله بن الولي الصالح أحمد معيا أحد علماء تنبكتو المشهورين، ولد سنة(1072هـ/ 16م)، تربى في بيت علم وصلاح ودين واجتهاد، كان عالي الكعب في الفقه تربع للتدريس في تنبكتو إلى أن تبوأ القضاء بعد وفاة والده القاضي إبراهيم بن الفقيه عبدالله وذلك سنة(1110هـ/17م) وكان عمره آنذاك ثمانية وثلاثون سنة، وظل في القضاء طيلة إحدى عشرة سنة إلى أن توفي في شهر ذي العقدة عام 1121هـ.

22- القاضي أحمد بن الفقيه إبراهيم (كان حيا سنة 1144هـ/ 17م ت خلال القرن 12هـ/18م)[3]: هو القاضي أحمد بن الفقيه إبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج، كان عالما فقيها ورعاً، رُوِيَ عن الشيخ الفقيه الأمين بن أحمد أنه قال: " لا يحول بين الشيخ أحمد وبين درس المصحف إلا إقراء العلم وهو ملازم هذا العمل الصالح في جميع أوقاته رحمه الله تعالى "، عُيِّن قاضيا في عهد الباشا وات، نال خطوة كبيرة عندهم لأنهم كانوا يلجؤون إليه لتوسط في الصلح بينهم وبين العامة وقد نجح في عدة مرات في ذلك كان حيا سنة 1144هـ، توفي خلال القرن الثاني عشر هجرية.

23-القاضي باب المختار (ت 1163هـ/ 17م)[4]:وهو ابن القاضي محمد بن المختار النحوي ابن أنك أند غمحمد, كان عالما فقيها قاضيا ينفق على المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عين قاضيا بحضرة جماعة المسلمين بالمشور في عهد الباشا وات، وذلك يوم السبت السادس عشر من

---

[1] - عبد الرحمن محمد ميقا: مرجع سابق ،ص366.

[2] - المرجع السابق ،ص311.

[3] السعدي: مصدر سابق ،ص60،عبد الرحمن محمد ميقا: مرجع سابق ،ص354.

[4]المرجع السابق ،ص357.

جمادى الثانية سنة سبع وأربعين مئة وألف (1147هـ) وظل فيه إلى أن وافته المنية في شهر شوال عام(1163هـ).

24-القاضي بابيير (ت 1169هـ/ 17م):هو أحد فقهاء تنبكتو وأعلامها, تولى القضاء في عهد الباشا وات المغاربة، وذلك بعد وفاة القاضي بابا المختار(1163هـ)، حيث مكث في القضاء ستة أعوام حتى توفي يوم الأحد الرابع عشر من رمضان عام التاسع والستين ومئة بعد الألف هجرية .

25- القاضي بابير بن معيا الحفيد (ت خلال القرن 12هـ/ 18م)[1]:هو أبو عبدالله ابن القاضي سيد أحمد بن القاضي إبراهيم عبدالله بن الفقيه الولي سيد أحمد معيا الشهير ببايير، أحد قضاة تنبكتو في عهد حكم المغاربة، حيث ولاه الباشا ببكر سنة(1163هـ/ 17م)،كان عادلا في أحكامه مسددا في أموره، أحيا السنة وحارب الظلم والفساد والبدعة، اشتهر بكثرة الإنفاق على الفقراء والمساكين توفي في تنبكتو خلال القرن(12هـ/ 18م).

26- القاضي محمود بن القاضي أحمد(ت 1179هـ/ 17م):عالما فقيها من علماء تنبكتو تولى القضاء بعد وفاة أخيه بابير سنة 1169هـ/17م وذلك في عهد الباشا وا ت المغاربة ,وبأمر من الباشا عبد الرؤوف باشا ,حيث بقي في القضاء تسع سنوات ونصف إلى أن توفي في العام التاسع والسبعون ومائة وألف هجرية.

27- القاضي محمود بن القاضي أحمد (ت 1190هـ /17م): هو أحد فقهاء تنبكتو وأعلامها، كان فقيها متمكنا بارعا في الأحكام، عين قاضيا لتنبكتو ومكث فيها خمسة أشهر وتوفي وذلك سنة تسعين ومائة وألف هجرية.

[1]المصدر السابق ،ص ص ص 35-63-245،المرجع السابق ،ص267.

28- القاضي أبكر بن القاضي بابا المختار (ت 1193هـ/ 17م):هو أحد الفقهاء في تنبكتو كان عالما نزيها عينه الباشا حد قاضياً على الناس سنة(1180هـ)ومكث فيه لمدة ثلاثة عشر سنة إلى أن وافته المنية يوم تسعة شعبان عام ثلاثة وتسعين ومائة بعد الألف هجرية .

29- القاضي ألفا معيا بن القاضي محمود(ت 1194هـ/ 17م):هو أحد العلماء الأعلام في تنبكتو، كان فقيها قاضيا تولى القضاء بعد وفاته القاضي أبكر بن باب المختار عام(1193هـ / 17م) وذلك في عهد الباشا وات المغاربة، ولم يبق في القضاء إلا تسعة أشهر وتوفي يوم الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام أربعة وتسعين ومائة بعد الألف للهجرة.

قضاة جني:

1-القاضي محمد ساقو الونكري[1]:نسبة إلى قبيلة ونكرة توفي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، وهو من الفقهاء الوافدين إلى جني أواخر القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي وكان قبل قدومه يسكن في قرية قريبة من جني تسمى طورا، عينه السلطان محمد الأسكيا قاضيا على[2]جني بعد رجوعه من رحلته الحجية سنة(904هـ/) وذلك بعد ما أعجب به القاضي محمود بن عمر (قاضي تنبكتو)عندما زار مدينة جني فأعجب بفقهه وعلمه فأشار على الأسكيا محمد أن يعينه قاضيا على جني، ويعتبر محمد ساقو أول قاض معين من طرف السلطة الحاكمة في جنى يحكم بين الناس بالأحكام الشرعية، وكان الناس قبله يتحاكمون عند الخطيب فيفصل بينهم بالصلح، بنى له الأسكيا محمد دارا يتولى فيها مهمة الفصل بين الناس بالشرع[3]،ظل في قضاء جني إلى وفاته خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، تعدت شهرته الآفاق خاصة بعدما قاد الحرب على الوثنية لإقامة دين الإسلام .

---

[1]-السعدي: تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص ص 16-17، محمود كعت: تاريخ الفتاش، مصدر سابق ،ص ص 89-90.

[2]-مهدي رزق الله احمد: مرجع سابق، ص375.

[3] -ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ورجالها ،مرجع سابق ،ص281.، أحمد مرجان سحر عنتر: فقهاء المالكية ،مرجع سابق ،ص ص 175-176.

2- القاضي عباس كب (**ت949هـ/1542م**)[1]:هو الفقيه عباس كب كان بربريا من وعكري، سكن جني وكان رجلا فاضلا عالما فقيها له قدم راسخ في الكرم، يقول عنه السعدي[2]: " أنه من بلد جنوى وكان فقيها عالما جليلا فاضلا خيرا له قدم راسخ في السخاء والعلم وهو من قضاة جني "الذين اشتهروا في القرنين التاسع والعاشر الهجري الخامس عشر السادس عشر ميلادي وتوفي بها.

3- القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري(ت959هـ/1551م)[3]:وهو من قبيلة ونكرة التي ينتمي إليها القاضي محمد ساقو أحد علماء جني وقضاتها كان متفننا وفقيها متمكنا في الفقه قال عنه السعدي[4]: " كان فقيها عالما واسع الإدراك جريئا في الحق لا يخشى في الله لومة لائم، له مواقف جريئة مع السلاطين والحكام "وهو والد الفقيهين محمد بغيغ وأحمد بغيغ، تولى قضاء جني سنة (949هـ/1551م) في عهد الأسكيا إسحاق بعد وفاة القاضي عباس كب [5]، وهو أحد رموز أسرة بغيغ التي تميزت بالشهرة العلمية والقضائية في جني وتنبكتو، ظل في قضاء جني إلى أن توفي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي .

4- القاضي عمر ترف[6]:ينسب إلى أحد الأسر الجنوية المشهورة، وهو أب القاضي أحمد ترف كان عالما ورعا اشتهر بالصلاح والتقوى، تولى قضاء جني سنة(1002هـ/1539م) وظل فيه إلى وفاته خلال القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي [1] .

---

[1] -محمد سلطان عبلة: العناصر المغربية في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص 72.،ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ،مرجع سابق،ص324 ، أبوبكر إسماعيل ميقا: الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية، مرجع سابق، ص226.

[2] -السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق ،ص19.

[3] -التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص 341،البرتلي:فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص113.

[4] -السعدي: تاريخ السودان، مصدر سابق ،ص19.

[5] - مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة و الإسلام ،مرجع سابق ،ص375.،ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ص 343.

[6] - محمود كعت: تاريخ الفتاش ،مصدر سابق ،ص89.،السعدي:تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص ص 19-20.

5- **القاضي أحمد ترف**[2]:من علماء جني أحد الفقهاء المتمكنين، كان خطيبا إماما لمسجد جني أسندت له الوظائف الثلاثة القضاء والإمامة والخطابة، زار بيت الله فانتدب الخطيب ماما علي للخطبة والإمام يحي لإمامة المسجد الجامع والقاضي مودب تروري على القضاء[3] توفي رحمه الله في أرض الحرمين خلال القرن الحادي عشر هجري السادس عشر ميلادي.

6-القاضي بكر تروري[4]:أصله من كلوى من أولاد السلاطين وكانت أسرته من الأسر الحاكمة في جني لكنه زهد في السلطة وخدم العلم فبارك الله تعالى له في علمه ونال ذلك بتبوئه مكانة القضاء بعد ما استخلفه القاضي أحمد ترف مكانه لما ذهب إلى الحج وظل فيه إلى أن وافته المنية، يعد من أبرز العلماء الذين عاشوا في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي .

7-القاضي محمد بنب كناتي[5]: الونكري أصلا الجنوي بلدا من قضاة جني المشهورين، كان عالما جليلا فقيها ورعا جليل القدر، تولى قضاء جني بعد وفاة أبي بكر تروري، ويعد آخر القضاة في مملكة صنغاي في عهد الأسكيين، فما إن دخل المغاربة حتى عزلوه عن القضاء وذلك بإشراف القائد مامي الذي سجنه ثم أفرج عنه توفي في جني خلال القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي.

8-القاضي أحمد الفيلالي[6]: هو الفقيه أحمد الفيلالي من أصول مغربية رحل إلى بلاد السودان الغربي واستوطن جني كان عالما فقيها قاضيا ورعا شهد له بالكفاءة والعلم، تولى قضاء جني في عهد

---

[1]- سوزي اباظة: القضاء في صنغاي، مرجع سابق، ص 364.، أحمد مرجان سحر عنتر: فقهاء المالكية، مرجع سابق ،ص176.،ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص307،مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص376.

[2] - محمود كعت: مصدر سابق ،ص 89،السعدي:مصدر سابق ،ص20.

[3]- مهدي رزق اللهأحمد: مرجع سابق ،ص 376.،أحمد مرجان سحر عنتر: مرجع سابق ،ص 176.

[4]- السعدي: مصدر سابق ،ص ص 19-20.،ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص319.،مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص 376.

[5] - السعدي: المصدر نفسه، عبلة محمد سلطان: العناصر المغربية ،مرجع سابق ،ص 72.،ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص335.

[6] - ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية، مرجع سابق ،ص 311.

الباشا وات بعد اندثار حكم الآساكي فولاه القائد مامي على قضاء جني بعد ما عزل القاضي محمد بنب كناتي وظل في القضاء إلى أن توفي خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي .

9-موسى دب[1]:هو الفقيه موسى دب مودب الجنوي عالما فقيها مشهود له بالخير والفضل، عينه الباشا وات قاضيا على جني بعد وفاة القاضي أحمد الفيلالي وظل فيه إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي بجني.

10- القاضي أحمد تروي (ت1024هـ/1615م)[2]: هو الفقيه الخير الصالح أبو العباس احمد تروي كان رحمه الله عالما فقيها متبحرا صالحا زاهدا ورعا قاضيا عادلا تولى قضاء جني بعد وفاة القاضي موسى دب، وظل يدرس ويقضي بين الناس بالعدل إلى أن وافته المنية في شهر جمادى الأول عام 1024هـ بمدينة جني.

11-القاضي سعيد (ت1026هـ/1617م)[3]: فقيه وعالم من أصول مغربية سكنوا جني كان متمكنا في العلم والقضاء، مارس مهنة الإمامة بالجامع الكبير في جني وظل فيه إلى أن توفي أحمد تروي فاستخلفه في القضاء وذلك بعد مشاورات كل من الباشا التلمساني في تنبكتو وحاكم جني البلبالي وسلطانها السوداني الجكني أبي بكر ساكر ظل في القضاء إلى أن وافته المنية في شهر صفر عام 1026هودفن بجني.

12- القاضي أحمد دب بن موسى دب (ت1061هـ/16م)[4]: الجنوي أصلا ومسكنا عالما فقيها ورعا قاضيا عدلا تولى قضاء جني في عهد المغاربة عام(1026هـ-)بعد وفاة القاضي سعيد

[1] - المرجع السابق، ص0 38.

[2] - المرجع السابق، ص 309.

[3]- المرجع السابق ،ص 322.

[4]- المرجع السابق ،ص 310.

حيث ظل في القضاء واحد وثلاثين سنة إلى أن توفي يوم إحدى وعشرين من شوال عام 1061هـ ودفن بجني.

13- القاضي عبد الرحمن بن موسى دب (ت1026هـ/16م)[1]: الجنوي أصلا ومسكنا فقيه عالم أخذ العلم عن أبيه موسى في جني هو وأخيه أحمد، تولى القضاء في جني بعد وفاة أخيه أحمد دب عام 1026هـ حيث مكث فيه خمسة أشهر ثم توفى في ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام اثنين 1026هـ.

14-القاضي محمد بن مرزوق مولى الهواري (ت1062هـ/16م)[2]: وهو من الذين سكنوا جني وكان عالما فقيها عدلا زاهدا، تولى قضاء جني بعد وفاة القاضي عبد الرحمن بن القاضي موسى دب، وظل في القضاء إلى أن وافته المنية سنة 1062هـ ودفن بجني.

قضاة غاو:

1 – القاضي محمد جغيت: وهو من فقهاء غاو كان خطيباً للجامع الكبير فيها، يقضي بين الناس باعتبار أن الخطيب هو القاضي و ذلك قبل ما يعين قاضي متنقل، عاش في بدايات حكم الأسكيا محمد إلا اننا لا نعرف سنة وفاته بالضبط وذلك لسكوت المصادر التاريخية عنها، غير أنه كان حياً في القرن العاشر الهجري.

2- القاضي الفك عبد الله بن محمد الأغلالي: كان رحمه الله عالماً فقيهاً مقرباً من الأسكيا الحاج محمد، حيث كان محل ثقته، يستشيره ويشهده في كتابة وثائقه وعقوده الخاصة، حيث أشهده في كتابة الوثيقة التي أهدى بموجبها هدايا وأعطيات وأحباس لأحفاد الفقيه مور محمد هوكار، لا نعرف تاريخ وفاته بالضبط إلا أنه عاش خلال القرن العاشر الهجري.

[1]- المرجع السابق ،ص 327.

[2]-المرجع السابق ،ص 339.

3- القاضي الفك عبد الله بن محمود يدبغ: وهو الفقيه محمود بن محمد المكنى يدبغ من علماء وفقهاء مدينة غاو، تولى قضاء المدينة في عهد ألاسكا محمد الكبير، وهو أحد المرافقين له أثناء رحلته الحجية سنة (903 هـ/ 15م) ويعتبر القاضي محمود أحد المستشارين الخاصين للأسكيا، توفي في غاو خلال القرن العاشر الهجري.

4 – القاضي محمود كعت (ت 1002هـ 1593م)[1]: هو الفقيه محمود بن المتوكل من أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح وهو من أشهرهم، ولد في مدينة كرمن[2] من أصل ونكري[3] رحل إلى تنبكتو وتفقه فيها، وتعلم اللغة والحديث والتفسير والتاريخ بالإضافة إلى ملازمته كبار الفقهاء والعلماء حتى صار معلماً وشيخاً، من أهم شيوخه محمود بن محمود التنبكتي في نيل الابتهاج[4] " إنه كان طويل النفس في التعليم لا يأنف من مبتدئ ولا من بليد...... وكان مع ذلك محققاً داركاً ذكياً فطناً غواصاً، في اللطائف حلاّلاً للمشاكل الاجتماعية بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد طارت شهرته في الآفاق فجزاه الله عنا أحسن الجزاء"، تولى منصب القضاء في تنبكتو وغاو هذه الأخيرة لازم فيها الأسكيا الحاج محمد وكان مقرباً منه حيث سافر معه إلى الحج في رحلته الشهيرة فزار كلاً من الحجاز ومصر والتقى ببعض علمائهم، ويعتبر محمود كعت أحد العلماء الذين أرخوا لبلاد السودان الغربي وساهموا في إثراء الحركة الثقافية فيها ويعد كتابه تاريخ الفتاش المصدر الأول[5] في تاريخها باعتبار أن محمود كعت عاصر الأحداث واستقى معلوماته من خلال تجربة عايشها وشاهداها لذا جاء كتابه وصف دقيق للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في دولة صنغي وحالتها إبان الغزو المغربي، كما

---

[1] -السعدي: مصدر سابق ص أنظر محمد الغريب: بداية الحكم المغربي مرجع سابق ص 531.

[2] -كرمن: مدينة تقع قرب غاو من ناحية الغرب.

[3] -محمود كعت: مصدر سابق ص ص 09، 10، وانظر زمان عبيد وناس: مرجع سابق ص ص 184 185.

[4] -التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق ص331، وانظر زيادية عبد القادر دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .د ط . د س . ظ. ص 122.

[5] - السعدي: مصدر سابق ص75، ابوبكر إسماعيل ميقا: مرجع سابق ص ص 209، 210 أنظر مهدي رزق الله: حركة التجارة، مرجع سابق ص 352.

اهتم على وجه الخصوص بذكر حالة القضاء في هذه الدولة والشخصيات القضائية ومراكز القضاء، توفي القاضي محمود كعت سنة (1002هـ/ 1593م) وهو لم يكمل من تأليف كتابه لذا جاء أبناؤه[1] من بعده إسماعيل، و يوسف، ومحمد الأمين، وكذا أحد أحفاده وأكملواْ هذا التأليف الذي امتدت أحداثه إلى ما بعد وفاته، وأخرج في حلته النهائية بعد ما ظل مخطوط إلى أن قاما المستشرقان الفرنسيان هود س ودفولاس بنشره في باريس سنة (1914م) وقد ترجم إلى العربية كما أعيد طبعه دون تغير سنة 1923م ، و 1964م[2].

5 – القاضي إسماعيل بن القاضي محمود كعت: وهو من أصل ونكري نجل القاضي محمود كعت عاش في تنبكتو، تلقى تعليمه الأول بها على يد والده محمود كعت وبعض علماء المدينة كالفقيه محمد هوكار، والصالح جور، تولى قضاء غاو بعد وفاة أبيه، وهو أحد الأبناء الذين أكملوا كتابة تاريخ الفتاش بعد ما توفي والده، وقد تحدث عن ذلك هو صراحة بقوله " .... وأنا حاضر أي القاضي اسماعيل كعت....". توفي في غاو، ولا نعرف سنة وفاته بالضبط إلا أنه كان حياً في القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي.

6 – القاضي محمد الأمين بن القاضي محمود كعت (ت 1055هـ/ 1645م): وهو النجل الثالث للقاضي محمود كعت، عاش في غاو وتلقى تعليمه فيها على يدي والده القاضي محمود وبعض العلماء أمثال الفقيه صالح محمد تندي عمر المعروف بالشيخ العمري الذي كان من أهل العلم والفضل، كما قال السعدي، والفقيه محمد تل، يعتبر القاضي محمد الأمين أحد فقهاء غاو الذين تولواْ القضاء بعد أخيه إسماعيل، وذلك خلال فترة حكم الباشا وات المغاربة، كما أنه أحد الأبناء الذين أكملوا تأليف كتاب والدهم محمود كعت والذي بدوره كان مشاركاً في عملية التأليف إذ يقول "..... هكذا روينا القصة عن خالنا الفقيه القاضي محمد الأمين ابن القاضي محمود كعت رحمهم الله

[1]– محمود كعت: مصدر سابق ، ص صص 75. 106. 116. 126، السعدي: مصدر سابق ص 89،إسماعيل ميقا: مرجع سابق ص 211.

[2]– مطير سعد غيث: مرجع سابق ص 281.

...." وقد كان معاصراً للفقيه المؤرخ عبد الرحمن السعدي الذي أثنى عليه وذكر أنه توفي سنة 1055هودفن بغاو.

7 – القاضي محمد بن محمد كري (**ت سنة 1062هـ**): هو الفقيه محمد بن محمد الملقب بكري أحد أعيان وفقهاء مدينة غاو، كان عالماً زاهداً، وقاضياً عدلاً، تولي القضاء في عهد الباشا وات المغاربة إلى أن توفي سنة 1062هـ.

8 – الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (**ت 909 هـ/ 1503م**): هو محمد بن عبد الكريم بن عمر بن مخلوف بن علي بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن مناد بن السري بن قيس بن الطالب بن أبي بكر بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن عليبن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]ولد في مغيلة قرب تلمسان[2] سنة(820 هـ/ 1418م)حيث تلقى تعليمه الأول بها على يد الشيخ أحمد

[1]– مقدم مبروك :الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مناقبه وآثاره مج1 دار القدس العربي الجزائر، ط2011،1 ص 35.

[2]– وقع اختلاف بين الباحثين حول تاريخ ميلاد المغيلي فمنهم من يرجعه إلى سنة 790هـ مثل الباحث الليبي الهادي مبروك الدالي، والباحث مطير سعد غيث، وهؤلاء قد اعتمدوا على النقل دون التحقيق أنظر الهادي الدالي: قبائل الهوسا دراسة وثائقية، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، ط3 2009. ص 142، مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان =الغربي خلال القرنين 10 و 11هـ 16 و17م، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، مصر. د ت ط. ص 267.

أما الباحث مبروك مقدم فقد أورد تاريخ 831هـ قال لتطابقه مع الأحداث واعتمد على الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب سكان توات للشيخ الزجلاوي (ت ق 12هـ) وهي مخطوطة عنده، وكذا في خزانة كوسام لصاحبها الشاري الطيب، مقدم مبروك مرجع سابق ص 35، وإن كان هذا الرأي يقارب ما أورده الباحث الحمدي أحمد الذي أورد تاريخ 820هـ معتمداً على رواية ابن القاضي المكناسي (ت ق 11هـ) في كتابه الوفيات حيث أورد مقاربة لذلك باعتبار أن المغيلي عندما رجع إلى توات بعد سماعه خبر قتل ولده عبد الجبار من طرف اليهود سنة902هـ عندها يكون قد ضعف نوعاً وهو قد جاوز المائةإذا اعتبرنا تاريخ ميلاده 790هـ ، وكان يتولى قيادة جيشه بنفسه، الحمدي أحمد: الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع الجزائر ط1 2012 ، ص 20.

بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب[1] فحفظ عليه القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية على مذهب الإمام مالك، تميز بالنباهة والذكاء وعلو الهمة مما أهله ليسافر طالباً للعلم في عدة أقطار مغاربية حيث التقى بشيوخ أهمهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي[2] الذي أخذ عليه علم العقيدة والتصوف، والشيخ يحي ابن إيدير التادلسي[3] الذي أخذ عليه الفلسفة والمنطق، كما كانت له رحلات إلى كل من تونس والمغرب الأقصى سمع أثناءها إلى عدة شيوخ صقلواْ ملكته العلمية والفكرية، فصار من العلماء الذين يشار اليهم بالبنان وصفه ابن مريم صاحب السبتان بقوله[4]: "الإمام العلامة والمحقق الفهامة القدوة الصالح السني الحر أحد أذكياء العالم وأحد أفراد العلماء، الذين أوتوا بسطة في العلم و التقدم والسنية في الدين المشهور بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغض أعدائه...." كما وصفه الشفشاوي المغربي بقوله[5]: " هو الفقيه الصدر الأوحد أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي كان

---

[1]- هو فقيه من علماء المالكية في تلمسان تخرج على يديه خلق كثير من علماء تلمسان و فقهائها، من بينهم الونشريسي صاحب المعيار، والإمام السنوسي صاحب العقائد، وكذا الإمام المغيلي الذي يعد من تلامذته النجباء ختم عليه المدونة مرتين، له العديد من الفتاوى ذكرها صاحب المعيار، توفي سنة 875هـ، انظر حاج أحمد نور الدين: المنهج الدعوي للأمام المغيلي، مذكرة ماجستير في الدعوة والإعلام كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية جامعة باتنة، إشراف مولود سعادة 2010. 2011 .ص 30.

[2]- هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبوزيد الشهير بالثعالبي(786هـ- 875هـ / 1384م- 1470م)،أحد رموز مدينة الجزائر الكبار وصلحائها الأبرار ولد بناحية يسر بالجنوب الشرقي للجزائر، انتقل إلى بجاية سنة 802هـ فأخذ عن علمائها ثم تونس سنة 809هـ فأخذ على أصحاب ابن عرفة ثم مصر وأخذ عن البساطي وولي الدين العراقي، ثم ارتحل إلى تركيا ومنها إلى الحجاز فحج وعاد إلى الجزائر، تولى القضاء فيها وهو غير راضي بل كلف به، له مجموعة من المؤلفات منها: الجواهر الحسان في تفسير القرآن في أربع مجلدات، مذيل بمعجم لغوي لشرح غريبه، الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز، وتحفة الإخوان في إعراب بعض أي من القرآن، انظر محمد المختار اسكندر: القضاء الجزائري عبد العصور دار الأوطان ج1 ط1 15 ص 254.

[3]-من كبار الفقهاء في زمانه درس في تلمسان على يد الشيخ ابن زاغو النغراوي ثم هاجر إلى توات سنة 845هـ وتصدر بها التدريس و الافتاء والقضاء تخرج على يديه ثلة منهم المغيلي، و العصنوني قاضي تمنطيط فيما بعد، توفي سنة 877هـ ، أنظر البكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 09 حتى 14هـ ط1 دار هومة للنشر الجزائر ط1 2005 ص 75.

[4]-ابن مريم أبو عبد الله المديوني: البستان في ذكر علماء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1986،ص253-254، و أنظر التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق ص 576.

[5]-محمد بن عسكر الحسيني: دوحة الناشر تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي للتأليف والتراجم والنشر لبنان 1976، ص138.

من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء..." وما هاتين الشهادتين فيه إلا دليل على علو كعبه في العلم وسمو نظره في الدين، حيث خرج من تلمسان متوجهاً إلى توات بعدما تضايق من وضعية عصره وحكامه الذين خرجواْ عن التقاليد الإسلامية، فدخل توات وبقي هناك عالماً ومتعلماً يدعوا الناس إلى طريق الحق، لكن سرعان مالفت أنظاره أمر اليهود الذين كانوا يتحكمون في زمام الأمور سواء تحكمهم في التجارة أو تنفذهم لدى أولي الأمور مما أعطاهم السطوة وبالتالي تحكمهم في رقاب المسلمين، فأعلن عليهم الحرب فخرب كنائسهم وبيعهم و أمر بإجلائهم ودخل معهم في صراع، مما جعل قاضي المنطقة العصنوني[1] ورئيس المدينة يقضون ضد الإمام المغيلي في قضية إجلاء اليهود، فما كان من الإمام المغيلي الا ان كاتب العلماء في كل من فاس وتلمسان و تونس مستفتياً وراجياً منهم موافاته بآرائهم في هذا الموضوع الذي انقسم فيه الناس بين مؤيد ومعارض للشيخ المغيلي.

بعد معركة اليهود في تمنطيط لم تطب له نفساً في توات فقرر الرحلة إلى بلاد السودان الغربي[2]أين دخل تكدا و أقدز من بلاد الهوسا، وبنى بها مسجداً يعرف بمسجد الكرامة حيث جلس للتعليم والنصح والإرشاد[3] فانتفع به خلق كثير منهم العاقب الأنصنمي وأحمد بن محمد التاذختي اللذان تتلمذا عليه، وكذا الشيخ أعمر بن أحمد البكاي الكنتي[4] الذي كان تلميذه ورفيق أسفاره وقد أخذ

---

[1]–عبد الله بن أبي بكر العصنوني: قاضي تمنطيط زمن المغيلي أصله من تلمسان حل بتوات سنة 862هـ سكن بادئ الأمر في قرية بني تامر قرب أدرار ثم انتقل إلى تمنطيط وتصدر بها التعليم والإفتاء كما تولى فيها القضاء بعد موت شيخه يحي بن يدير سنة877هـ ، خالف المغيلي في مسألة هدم بِيَع اليهود توفي914هـ أنظر بكري عبد الحميد: المرجع السابق ص 76، وأنظر بعثمان عبد الرحمن: نظام القضاء في منطقة توات خلال القرنين 11 و12هـ 17 – 18م ، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران، إشراف بن معمر محمد 2015- 2016 ، ص 114.

[2]–زبادية عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب و المسلمين ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. ب س ط. ص 131.

[3]–الشيخي حسن علي إبراهيم: تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم درمان السودان، إشراف محمد علي محمد الطيب 2008- 2009 .ص 321.

[4]–بن محمد الكنتي بن علي: من قبيلة كنته الشهيرة ولد حوالي 865هـ/ 1460م ودرس في بداية حياته على يد والده أحمد ثم رحل إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصر ومرَّ ببلاد الشام، وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى بلاد التكرر بين نهر السنغال ونهر النيجر،

عنه مبادئ الطريقة القادرية وأمره بنشرها في بلاد السودان الغربي، واستطاع المغيلي التأثير في الناس ببلاد السودان الغربي التي أصبح من أكبر العلماء[1] فيها، كما اتجه إلى بلاد كانو وكاتسينا واتخذه أمير كانو (محمد رمفا مستشاراً له بعدما طلب منه النصح والإرشاد فكتب له رسالة سماها " تاج الدين فيما يجب على الملوك"[2] وهي في شكل نصائح تعالج مسائل الحكم والإدارة في ضوء القرآن والسنة النبوية[3] يقول أحمد بابا التنبكتي[4] في هذا: " ثم دخل بلاد كنو وكتسن (كاتسينا) من بلاد السودان الغربي واجتمع بصاحب كنو (كانو) واستفاد عليه وكتب رسالة في السلطنة يحضه على إتباع الشرع بأمر المعروف والنهي عن المنكر وقرر لهم أحكام الشرع و قواعده ..." ويتضح من خلال هذه الرسالة أن المغيلي كان يركز على جانب الإصلاح السياسي والاقتصادي الذي يضمن العدالة الاجتماعية من منظور الشريعة الإسلامية وقد اقترح فيه إعادة تنظيم سير العمل في الدولة وقال: " إن الحاكم الذي يطمح إلى إدارة دولته فعليه أن يعين مجلساً يشير عليه في إدارة أمور تلك الدولة، كما يجب تعيين أمينا على خزائن الدولة وتخصيص كتبة ومحاسبين يحتفظون بسجلات ينضبط بها نظام الدولة"[5]، ويبدو أن فكر المغيلي الإصلاحي لقي رواجاً وإقبالاً في بلاد السودان الغربي؛ إذ سرعان ما جاءته رسالة من محمد بن أبي بكر التوري الاسكيا محمد الذي تزعم مملكة صنغي(898هـ- 999هـ) بعد انقراض حكم سني علي، وقد عاشت هذه المملكة بمجيئه أزهى عصورها إذ قام بإصلاحات شملت الجانب الديني والعلمي حيث أكرم العلماء وقربهم إليه وما حرصه على لقاء المغيلي وطلبه النصيحة

حيث التقى بالشيخ المغيلي فتتلمذ عليه ولازمه في أسفاره خاصة الرحلة الحجية الثانية التي زار فيها مصر رفقة المغيلي والتقى بالشيخ السيوطي، أنظر الحمدي أحمد: مرجع سابق ص 29.

1 –مني محمد عادل سيد حسين: الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا من القرن 08 الى 10هـ 14- 16م، مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية في قسم التاريخ الاسلامي، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، مصر، 2009، ص 72.

2 –اسمه: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين تأليف محمد بن عبد الكريم المغيلي، قام بتحقيق الباحث محمد خير رمضان يوسف طبعته دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة 1994.

3 –المصدر السابق ص 16 وما بعدها.

4 –التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق ص 577.

5 –المغيلي: تاج الدين، مصدر سابق ص 25 وما بعدها.

منه إلا دليل على ذلك. جاء الإمام المغيلي إلى غاو واتخذه الاسكيا محمد مستشاراً و إماما ومفتياً وقاضياً في دولته[1] ، إذ استفتاه في العديد من القضايا على شكل أسئلة فأفتاه في مؤلفه المعروف بأسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي[2] ، وهذا المؤلف يعتبر وثيقة تاريخية هامة في تاريخ بلاد السودان الغربي خاصة و أمور السياسة والإمامة والحكم والقضاء بصفة عامة لأنها احتوت معلومات قيمة عن الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني الذي كانت تعيشه هذه البلاد آنذاك، وقد ركز جهوده للتأثير على العلماء والحكام بصفة خاصة مما أحدث ثورة فكرية وثقافية سادت بلاد السودان الغربي تجلت في تلك الإصلاحات التي تزعمها أبناء هذه المنطقة أمثال عثمان دان فودي[3] ، وأخوه عبد الله[4]والشيخ أحمد (أحمدو)[5] و(مالك ساي).

لم يبق الإمام المغيلي طويلاً في بلاد السودان إذ سرعان ما جاءته أخبار موت ابنه عبد الجبار الذي قتله اليهود فرجع إلى توات ليواصل صراعه معهم[6] وبقي هناك في زاويته التي أقامها في توات إلى أن توفي سنة(909 هـ/ 1503م)[7]ودفن هناك وضريحه مشهور بها، بعد هذا النشاط الدعوي والإصلاحي ترك الشيخ المغيلي آثارا تمثلت في تلك الكوكبة المتنوعة من المؤلفات والتي دخل جزء كبير

---

[1]–الشيخي حسن علي إبراهيم: مرجع سابق ص 321.

[2]–وقد حققها الباحث زبادية عبد القادر وهي مطبوعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974.

[3]–أنظر ترجمته ضمن قضاة الهوسا.

[4]–هو أخو الشيخ عثمان دان فودي، وهو من أعلام بلاد الهوسا (ولد سنة 1195هـ 1781م، و توفي سنة 1253هـ 1837م)، تتلمذ على يد الشيخ جبريل بن عمر (ستأتي ترجمته ضمن قضاة الهوسا) ، من أهم مؤلفاته ألفية الأصول ، البحر المحيط في النحو، تزين الورقات، ضياء السياسات، مفتاح التفسير، نظمه على مفتاح الأصول، بدري محمد فهد: أثر الإسلام في انتشار العربية في إفريقيا حوليات جامعة النيجر، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب 1998. ص 231،232 وأنظر مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ص 453.

[5]– هو علم من قبائل الفلان كان في حركة عثمان دان فودي وقام بدور فعال، وهو من إقليم ماسينا قرب نهر السينغال، إذ سرعان ما انفصل عن حركة عثمان وأسس لنفسه حركة شملت جني وماسينا وتنبكتو وأسس عاصمة له سماها حمد الله، بدأ في تنظيمها، وكان معروف بروحه الجهادية و محاربته البدع ودعوته الناس للعلم والعبادة، وأسس مدرسة للتعليم في مدينته، انظر مهدي رزق الله: مرجع سابق ص 557.

[6]–التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق، ص 577.

[7]–مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق ص 269.

منها في طي الإهمال والنسيان وهي في شتى أصناف المعرفة من فقه وسياسة وتصوف وعقيدة ومنطق وشعر ولغة انبثقت من نهجه الإصلاحي والدعوي الذي تميز بالتزاوج بين الورد الصوفي والكفاح الجهادي ومن بين هذه المؤلفات ما يلي:

- في الفقه له عدة مؤلفات أهمها شرح لمختصر خليل سماه مغني النبيل في مختصر خليل وصل فيه الى القسم بين الزوجات، وله قطع على مواضيع البيوع وغيرها[1].

- إكليل مغني النبيل وهو حاشية على شرح مغني النبيل.

- شرح بيوع من ابن الحاجب ، أما في المواريث فله المفروض في علم الفروض، وكذلك مختصر في علم الفروض، ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه[2] ، وفي التفسير له عدة مؤلفات منها البدر المنير في علوم التفسير، وله تفسير فاتحة الكتاب، أما في اللغة والشعر فله مقدمة في اللغة العربية[3]، إضافة إلى إلى مجموعة قصائد، منها قصيدته الميمية التي أمتدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارته لبيت الله الحرام سنة(901هـ/ 1500م)وقد ارتجلها أمام ضريحه في الحجرة النبوية والتي يقول فيها:

بُشْرَاك يا قلبي هذا سيد الأمم	وهذه حضرة المختار في الحرام
وهـــــذه الروضة الغراء ظاهـرة	وهذه القبـة الخضـراء كالعلـم
ومنبر المصطفى الهادي وحجرته	وصحبـه وبقيـع دائـر بهـم
فطب وغب عن هموم كنت تحملها	وسل تنل كل ما ترجوه من كـرم
إني فقيـر إلى عفـو و مرحمـة	و أنت أدرى بما في القلب من ألـم

[1]–حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق ص 118.

[2]–الحمدي أحمد: مرجع سابق ص 49.

[3]–التنبكتي أحمد بابا: مرجع سابق ص 577،578، انظر مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق ص 270.

وقد أتيتك أرجو منك مكرمة وأنت أهل الرضا والجود والكرم

والحال يغني عن الشكوى إليك وقد عرفت حالي وان ام أحكه بفم

فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد أودى به الكسر مما نال من جرم

لقد سعيت إلى أبواب حجرتكم سعياً على الرأس لاسعياً على القدم[1]

ويبدو أن الشيخ المغيلي كان طويل القريحة حاضر البديهة في الشعر إذ أنشد أثناء حربه على اليهود هذه القصيدة التي كانت عبارة عن نصح و تحذير للذين يوالون اليهود:

تنبه فإن الله منك بحرصه ولي لأنصار النبي محمد

تنبه لا ترضى و تكره في العدى ترى حكم من يحمي عدو محمد

عدوك من يحمي عدوك في الورى فيا ويل من يحمي عدو محمد

عدوك من يرضي عدوك في الورى فيا ويل من يرضي عدو محمد

أترضون أن يأوي خبيث عدوكم كما انتم تأووا عدو محمد

أترضون أن يرضي خبيث عدوكم كما انتم ترضونْ عدو محمد[2]

وله قصيدة أخرى في هذا المجال:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود

قوماً أهانواْ دينهم وأكرمواْ دين اليهود

[1]-الحمدي أحمد: مرجع سابق ص 260.

[2]- المرجع السابق ص 49.

يكفي الفتى من شينهم	وخبث أصل صنيعهم
أن قطعواْ من دينهم	ورفعواْ دين اليهود
يا ليتهم لو دبرواْ	واسترجعواْ واستغفرواْ
وستروْاْ ما اظهرواْ	من نصرهم رهط اليهود
ألم تروْاْ كيف قضى	رب الورى فيما مضى
أنى يفوز بالرضى	من رضيت عنه اليهود[1]

كما له كتاب تحدث فيه عن يهود توات سماه مصباح الأرواح[2] في أصول الفلاح وقد قرظاه ابن غازي المكناسي والإمام السنوسي وقد حقق الأستاذ رابح بونار سنة 1974م، وطبع باسم الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

أما في علوم الحديث فله مؤلف مفتاح النظر في علم الحديث:

واشتغل المغيلي في المنطق وعلوم الكلام فألف كتابه المعروف برجز المغيلي في المنطق وهو عبارة عن منظومة ومقدمة في المنطق، وشرح جمل الخونجي، وكتابه منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب[3]، وله ثلاثة شروح عليها، إضافةإلى مراسلاته مع الشيخ الإمام السيوطي (ت911هـ) الذي أبدى في الأول معارضته الاشتغال بعلم المنطق ورفضه مما أدى إلى وقوع سجال فكري[4] كان في شكل ردود بأبيات شعرية حيث ألف المغيلي ما يلي:

---

[1]- المرجع نفسه ص 50.

[2]- التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ص 577.

[3]-حسن عيسى عبد الظاهر: مرجع سابق ص 118.

[4]-الحمدي أحمد: مرجع سابق ص 182.

سمعت بأمر ما سمعت بمثله وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العلم حجة وينهي عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعني إلا عبارة عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانيه في كل الكلام وهل ترى دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله

أرني هداك الله منه قضية على غير هذا تنفها عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وذمه رجال وان أثبت صحة نقله

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم دليلاً على الشخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبين به لا بهم إذ هم هداة لأجله

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالم بالشرع باح بفضله

ورد السيوطي كذلك في قصيدة مدافعاً عن رأيه مطلعها:

حمدت إله العرش شكراً لفضله وأهدى صلاة للنبي وأهله

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بنبله[1]

كما وجدت مؤلفات المغيلي عدة شروح وتعليقات في بلاد السودان الغربي من بينها الرسالة التي أعدها أحمد بن عمر آقيت سماها إمناح الأحباب في منح الأحباب[2] وكذا الرسالتان اللتان أعدهما

[1]-نفس المرجع ص ص 183،184.

[2]-مطير سعد غيث أحمد: مرجع سابق ص 271.

الفقيه محمد بن محمود بن عمر آقيت وهما أرجوزة على شرح منظومة المغيلي، وشرح وتعليق على رجز المغيلي في المنطق[1].

وفي السياسة ألف أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي، وتاج الدين فيما يجب على الملوك، وهذان المؤلفان قد مر معنا.

قضاة أروان[2] وكل السوق[3]:

1-القاضي أحمد بن اكاده السوقي الأر واني(ت1044هـ/1635م)[1]: هو أحمد بن آد(سيدي أحمد) بن أبي بكر قوسي بن بلال بن نور بن مالك بن عبد الرحمن بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز

---

[1]-التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج، مرجع سابق ص 597.

[2] -هي مدينة من مدن بلاد السودان الغربي تقع اليوم في جمهورية مالي في صحراء قاحلة على بعد 270كلم شمال مدينة تنبكتو في الإقليم المعروف بالأزواد، اختلف المؤرخون في معنى أروان فمنهم من يقول أنها بمعنى (أها)التي تعني ملح البير ، وأيوان وهي تعني الحيوان وهذا بلغة الطوارق، وهناك من يرى أنها فعلا من لغة الطوارق وهي مأخوذة من كلمة أراد ايوان وتعني البئر التي لاتمتح إلابدلو واحد، والبعض يعطي لكلمة أروان ايوان معنى آخر هو البئر -وتسمى أهل السوق لأنها كانت عبارة عن سوق لتجمع التجار والبضائع ثم صارت بلدة وهي تدخل ضمن نطاق ولاية كيدال شمال مالي إقليم الأزواد، وقد قيل إن الصحابي الجليل عقبة بن نافع وصل إليها وانتشر الإسلام في بلاد السودان من خلالها ومازالت مقابر الصحابة معروفة عندهم .انظر الأرواني محمد محمود: مصدر سابق ،ص277. التي تسقي منه الثيران الصغيرة ،وهناك من يقول إن معناها الحبال التي تمتح الماء من البئر (الرشا)،ومهما تعددت هذه التفاسير لكلمة أروان فهي تدل على عنصر أساسي يجمعها هو الماء والبئر ،فأروان تمتاز بأنها منطقة مياه غزيرة وعذبة وتنتشر حولها الآبار والعيون حيث يذكر أن أكثر من 300عين ماء حواليها، وأن أول من سكنها قبائل الطوارق من مغشرن، وقد اكتسبت أهميتها الحضارية كمجال رعوي بوقوعها على حافة مفترق الطرق المؤدي إلى مدن بلاد السودان الغربي والقوافل القادمة من سجلماسة وليبيا، كما سكنها قبائل أخرى كالكنتيين والبرابيش و الجكانيين، وقد وصفها الوزان في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي. للمزيد انظر الحسن الوزان: وصف إفريقيا ج2،ص، ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص45،الأرواني محمد محمود: تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكتو وشنقيط وأروان في جميع البلدان، تحقيق الهادي مبروك الدالي،دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا ،2008،ط2010،ص 34.

[3]-وتسمى أهل السوق لأنها كانت عبارة عن سوق لتجمع التجار والبضائع ثم صارت بلد وهي تدخل ضمن نطاق ولاية كيدال شمال مالي إقليم الأزواد، وقد قيل إن الصحابي الجليل عقبة بن نافع وصل اليها وانتشر الإسلام في بلاد السودان من خلالها ومازالت مقابر الصحابة معروفة عندهم .انظر الأر واني محمد محمود: مصدر سابق ،ص277.

بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن الحسن بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهو من صلحاء أروان رحل إليها من بلدة كل السوق، فقيه لغوي أصولي منطقي، أحد أعيان أروان وعالمها وقاضيها ومنه توارثته عائلته وأحفاده من بعده، أخذ العلم عن محمد بغيغ التنبكتي وتفوق فيه حتى بلغ مرتبة عالية أهلته لتبوء منصب القضاء، إضافة إلى درجة الولاية والصلاح[2]التي شهدت عليه وهذا ما أكدته المصادر المعاصر له، حيث أوردت أن السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي أثناء توجيه حملته لغزو بلاد السودان الغربي وجه رسالة إلى قائد هذه الحملة باشا جودر، يوصيه فيها على العالم أحمد بن اك اداه السوقي وأن يحسن معاملته ويستشيره في حال دخوله لبلاد السودان الغربي؛ لأنه ولي القطر كما جاء في الرسالة[3]،له عدة إجازات في الفقه والحديث مشهورة السند من أهم تلامذته محمد بن ايجل الزيدي التيشيتي إضافة إلى أبنائه، رحل إلى الحج وخلف ابنه قاضيا على أروان وتسير أمورها وذلك باتفاق من جماعة أهل الحل والعقد إلى أن رجع من رحلته، توفي[4] في أروان سنة 1044هـ.

2-**القاضي طالبنا بن محمد اكنيه بن الشيخ أحمد اداه(ت1104هـ/1693م)**[5]: أحد أعيان وعلماء وقضاة أروان، وهو جد أسرة القاضي الوافي الغلاوي والقاضي سنبير والتي كانت تتولى خطة القضاء في أروان، وقد أورد صاحب الترجمان نصا مفيدا حول القضاء والقضاة في أروان يقول محمود بن الشيخ الأر واني[6]: "أما القضاة في أروان فلم يزالوا من أبناء القاضي سيد محمد اكنيه بن الشيخ سيد أحمد بن اداه إلى اليوم؛ لأن القضاة كلهم من بني القاضي طالبنا سوى اثنين هما سيدي أحمد بن

[1] -ابن حامد المختار: حوادث السنين ،ص46،البرتلي ،فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص ص 50-51.

[2] -البرتلي: مصدر سابق ،ص ص 211-212.

[3] -مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص ص ص 296-297-298.،عادل محمود أحمد اغاد: الحضارة الإسلامية في مالي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، مرجع سابق ،ص ص 213-214-215.

[4] -الأرواني محمد محمود: تاريخ الصحراء والسودان ،مصدر سابق ،ص ص ص 119-120-164.

[5] -ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق ،ص 69.

[6] -الأرواني محمد محمود: مصدر سابق ،ص ص 120-121.

سيدي أبوبكر بن الصيد وابنه كلادي ابن سيدي أحمد فهما من بني أخينا طالبنا جد الفا ابن القاضي سيدي محمد اكنيه بن الشيخ سيدي أحمد بن اداه "فأولهم بعد سيدي أحمد (ت1044هـ)ثم ابنه سيدي محمد ثم القاضي طالبنا الذي كان عالما فقيها متضلعا نحويا بليغا، تولى قضاء أروان بعد أبيه محمد (الذي لم تخبرنا عنه المصادر) توفي في أروان سنة 1104هـ.

3-القاضي سيد الوافي بن طالبنا الأر واني (ت1122هـ/1711م)[1]: هو الفقيه سيد الوافي بن طالبنا بن محمد اكنه بن أحمد اداه الأر واني، وهو والد القاضي سنبير و، وجد القاضي عمار بن سنبير و بن الوافي بن طالبنا، كان عالما ضليعا وفقيها محدثا من أسرة عرف عنها القضاء فاشتغل به هو كذلك إلى جانب الفتوى، عينه باشا تنبكتو عبد الله بن الحاج العمراني قاضيا على تنبكتو [2]مدة قصيرة ثم رجع إلى بلده أروان، كان من فضلاء وعلماء أروان بل المنطقة كلها، تخرج على يديه خلق كثير منهم ابنه سنبير و الذي أخذ عنه صحيح البخاري ومسلم، والشفاء للقاضي عياض، وموطأ الإمام مالك والخصائص والمعجزات الصغرى والكبرى للسيوطي، كما أخذ عنه الشيخ أحمد الكلسوكي وابنه محمد الأمين، توفي بأر وان[3]سنة 1122هـ.

4-القاضي محمد الأمين بن الطالب سيد أحمد بن البشير بن محمد السوقي(ت1135هـ/17م)[4]: كان من كبار فقهاء عصره في كل السوق عاصر القاضي سنبير و، كان إماما يقتدي به وعالما محدثا لغويا وفقيها له باع طويل في النحو والصرف متقنا للقراءات، قاضيا عدلا لا يحكم بين الناس إلا بالعدل، مجتهدا في أحكامه لا يخاف في الله لومة لائم، اشتهر عدله بين الناس حتى عُدَّ من أبى حكمه ظالما، انتهت إليه رياسة القضاء والفتوى ببلده، ولا يطلب الرشا ولا يقبلها وربما أفشى سرَّ من أراد إعطاءه شيئا ويقول له: ماتر يد أن تعطيني أعطيه لخصمك على

[1] -ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص116.

[2] -الأرواني محمد محمود: مصدر سابق ،ص119.

[3] -البرتلي: مصدر سابق ،ص216،عبد الرحمن ميقا :الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص ص 302-303.

[4] -ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا ،مرجع سابق ،ص 103.

رؤوس الأشهاد، وأحب الخصماء عنده من تفاصلوا بينهم قبل وصولهم إليه، كان من بركة عدله وعلامته عدم إظهار الحسد من معاصريه من العلماء والقضاة بل أظهروا فضله وشهدوا بعدله، وكان لا يلتفت إلى كبير إلا بالاستقامة وكثيرا ما كان يقول: "ميزان الشرع امتثالا واجتنابا بأيدينا وهو الفصل بين الناس والمعيار"، أسهب البرتلي في الحديث عن خصاله العلمية والأخلاقية فقال[1]: " إنه كان يُبْعَثُ إليه بالمشكلات ويُسْتَنَدُ إليه في المعضلات ويُرْحَل إليه من الأقطار للتعلم، وظهر نفعه ونفع به القريب والبعيد والحانق والبليد واللاهي والجادي والحاضر والبادي معمرا أحيانه بذلك والفصل بين المسلمين بالعدل، ولا يكتب الحكم بينهم إلا بأساس على القرآن والحديث ثم القواعد والفروع ما أخذ ما في الشرع من هينه ولينه ..."،وظل على هذه الحال إلى وفاته سنة1135هـ.

5-القاضي سنبير و بن سيد الوافي الغلاوي بن القاضي طالبنا بن القاضي سيد أحمد اكنيه بن سيد أحمد اداه الأر واني(ت1180هـ/1767م)[2]: ومعنى سنبير و باللغة أواللهجة السنغائية الرجل الكبير، وهو أحد قضاة أروان من بيت توارث أفراده القضاء واشتهروا به، قال عنه البرتلي[3]: "العلامة البحر الفهامة الفقيه النحوي قاض أروان المشتهر ذكره وعلمه "، أخذ العلم عن أبيه سيد الوافي بن طالبنا وعن سيد أحمد بن الشيخ السوقي وعن الحاج أبي بكر بن الحاج عيس الغلاوي، تولى منصب القضاء في حياة أبيه له عدة إسهامات علمية " فتح الرب اللطيف في تخريج ما في المختصر من الضعيف "، بالإضافة إلى نوازله التي عرفت بصنجة الوزان في نوازل أروان، يعتبر سنبير و من المنظرين لأخذ الأجرة على القضاء نظرا لغياب بيت المال الذي يضمن رزق القاضي، فأقام حملة لأخذ عشر الزكاة وأموال النزاع باسم أجرة القاسم أو المقوم أو الكاتب؛ وهو ما حمل بعض علماء عصره للرد عليه، منهم الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي في كتاب سماه "البرد الموشى في بيان منع بيع الحكم والرشا وجميع أنواع الحرام الذي في المخلوقات قد فشا "وهو ما ذكره الشيخ محمد بن المختار

---

[1] -البرتلي: مصدر سابق ،ص149-150.

[2]- ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص 182.،الأرواني محمد محمود: مصدر سابق ،ص 334.

[3] -البرتلي: مصدر سابق ،ص ص 102-103.

الكنتي في كتابه "علم اليقين وسنن المتقين[1] "توفي سنبيرو في أروان يوم ثمانية وعشرون من رمضان سنة1180هـ.

6-القاضي عمار بن سنبير و (توفي خلال القرن الثاني عشر هجري/ الثامن عشر ميلادي)[2]:
وهو ابن القاضي سنبيرو بن الوافي الغلاوي بن القاضي طالبنا بن محمد آكنيه بن أحمد بن آداه الأروني فقيه وعالم، ورث القضاء عن أبيه وأجداده إلى جانب اشتغاله بالعلم وهو أبو القاضي عالي بن عمار، الذي انقسم القضاء في عهده في أروان إلى قاضين قاض يقضي إلى مجموعة البرابيش، وقاض آخر يقضي لأهل أروان، وذلك إثر خلاف بينهما، توفي القاضي عمار في أواخر القرن الثاني عشر هجري ودفن بأروان.

7-القاضي حم بن أحمد السوقي (ت1207هـ/1793م)[3]: هو أحد فقهاء وقضاة كل السوق، كان عالما ورعا عاملا بعلمه زاهدا ورعا تقيا سخيا قواما، متفننا في العلوم العقلية والنقلية كعلوم التفسير واللغويات والحديث حتى صار شيخ زمانه، أسندت له مهمة الإفتاء والقضاء في كل السوق وكان شديد التفوق فيها حتى أنه اشتهر عليه من شدة توفقه في القضاء بين اثنين "إني أرجو أن القي الله وأنا لم اقض بين اثنين "لم يتزوج طوال حياته خوفا من عدم الإيفاء بحقوق الزوجة توفي رحمه الله سنة 1207هبكل السوق.

8-القاضي محمد المصطفى المعروف بو اندي الكلا دي (كان حيا عام 1214هـ/1799م)[4]: كان فقيها وقاضيا ومفسرا ومحدثا فهامة ورعا مدرسا للفقه والتفسير والحديث والعربية، أخذ العلم عن شيوخ عدة منهم الشيخ الصالح محمد الطاهر بن على النحيب، وأخذ عن فريد دهره محمد امان بن سيد قطب، أما تلامذته منهم محمد الكلادي الذي أخذ عنه ألفية بن مالك و لاميته وبعض

[1] -ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا ،مرجع سابق ،ص ص 102-103.

[2] -عبد الرحمن ميقا: الحركة الفقهية مرجع سابق، ص371.

[3] - البرتلي: مصدر سابق، ص139، ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص232.

[4] - البرتلي: مصدر سابق، ص145، ابن حامد المختار: مرجع سابق، ص268.

تقرير المكودي، ومنظومة ابن الهاشم في الجمل، لم تذكر المصادر سنة وفاته إلا انه كان حيا سنة أربعة عشر ومائتين وألف هجرية.

9-القاضي مم بن احلوان الكلادي (توفي في بداية القرن الثالث عشر هجري)[1]: كان عالما متفننا فقيها في العلوم العقلية والنقلية، له حظ وافر في العربية والفقه والتفسير والمنطق، كان يملأ فراغه بالقراءة والمطالعة، اشتغل بالتدريس والقضاء في كل السوق وما جاورها، من أهم تلامذته ابن أخيه أحمد بن أبي بكر احلوان الكلادي، وعلي بن انبار السوداني، كماله عدة مؤلفات أهمها تعليقه على المكودي، بقي في التدريس والقضاء إلى حين وفاته بداية القرن الثالث عشر هجري.

ألا يا خفاف الجن بالله خبروا......... بلادي وأوطاني بما أن قائله.

وقولوا لهم إن الغريب غريبهم.......... على سطح دار ذاهب العقل ذاهله.

وليس له من صاحب ومؤنس......... سوى ساحرات كل حين تقابله.

عاد بعد ذلك الى بلاده مدرساً وقاضياً ومفتياً الى ان توفي سنة خمسة وستون ومئة والف هجرية.

قضاة بلاد الهاوسا:

1- القاضي محمد بن أحمد التاذختي(ت 936هـ/1529م)[2]: هو الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي، عرف بأيد أحمد كان فقيها عالما محدثا فهامة، درس على يد الفقيه أحمد بن عمر آقيت، ثم ارتحل إلى تكد في الفترة التي كان بها الشيخ المغيلي فحضر دروسه وأخذ عليه، ثم سافر صحبة الشيخ القاضي محمود بن عمر قاضي تنبكتو إلى المشرق[3] فدخلوا مصر أين التقوا بشيخ

---

[1]- البرتلي: مصدر سابق، ص140.

[2]-التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج ،مصدر سابق ،ص587،وانظر عبد الرحمن ميقا: الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص283.

[3]-الشيخي حسن على إبراهيم: تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ،قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ،جامعة أم درمان السودان ،2008-2009م،ص335.

الإسلام زكريا والبرهانيين والقلقشندي وابن أبي الشريف وعبد الحق السنباطي الذين روى عنهم الحديث فأجازوه حتى صار من تعداد المحدثين يقول السعدي عنه:[1] "روى وحصل واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين[2]، كما حضر دروس الأخوين: شمس الدين اللقاني وناصر الدين اللقاني، وكوَّن علاقة مع هؤلاء الشيوخ خاصة أحمد بن محمد والشيخ السنباطي، ثم توجه إلى مكة أين حصل على إجازة من شيخها أبي البركات النويري وابن عمته عبد القادر والشيخ علي الحجاز والشيخ أبي الطيب البستي، وبعد عودته من رحلته من رحلته المشرقية استقر في بلد كاتسينا التي أكرمه حاكمها غاية الإكرام وأسند إليه خطة القضاة، والتي بقي فيها إلى أن توفي ستة وثلاثون وتسعمائة هجرية عن سن يناهز بضع وستون سنة، بعد أن ترك مؤلفات في شكل رسائل ونوازل منها تقاييده وطُرَرُهُ على مختصر خليل[3].

2-**القاضي مخلوف البلبالي(ت940هـ/1533م)**[4]: هو الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي جاء من بلاد المغرب إلى تنبكتو، كان تاجرا ثم ما لبث أن رحل إلى ولاته وأخذ عن الشيخ عبد الله بن عمر بن محمد آقيت[5] مع كبر سنه، حيث لاحظ فيه نجابة فحثه على العلم فرغب فيه فرحل إلى المغرب الأقصى والتزم ابن غازي المكناسي وغيره من العلماء، ليرجع إلى بلاد السودان الغربي واتجه إلى كانو وكاتسينا اللتان بقي فيهما مدة من الزمن يدرس العلم ويقضي بين الناس[6]، كانت له أبحاثا ونوازل مع الفقيه العاقب الأنصمني الذي كان في خلاف معه؛ ليرحل مرة أخرى إلى مراكش من

[1] -السعدي: تاريخ السودان ،مصدر سابق ،ص ص39-40،وانظر الباز أحمد السيد: مرجع سابق ،ص117

[2] -التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ،ص587.

[3] -عبد الرحمن ميقا: مرجع سابق ،ص283.

[4] -البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،146،السعدي :مصدر سابق ،ص29.

[5] -التنبكتي أحمد بابا:مصدر سابق ،ص608.

[6] -منى محمد عادل: الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا من القرن الثامن إلى القرن العاشر الهجريين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين ،مذكرة ماجستير في التاريخ ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،2009،ص 75، ،قدور عبد الرحمن: الوجود المغربي في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص106.

المغرب الأقصى من أجل الزيادة في العلم أين سم هناك فمرض ورجع إلى تنبكتو التي توفي بها سنة أربعين وتسعمائة هجرية[1].

3-القاضي العاقب بن عبد الله المسوفي(كان حيا سنة 950هـ/1541م)[2]: ينتمي الفقيه العاقب بن عبد الله إلى قبائل مسوفة الصنهاجية، ولقب بالأنصمني نسبة إلى بلد أنصمن الواقعة قرب تكدا[3]، تعلم في مسقط رأسه أنصمن، ثم رحل إلى تنبكتو ودرس بها، وتتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وسافر إلى مصر ودرس على الإمام السيوطي، كما ذهب إلى الحج في رحلة أواخر القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي والتقى فيها مجموعة من العلماء، ومنها عاد إلى مدينة أقدز[4] أين زاول التعليم والقضاء، له عدة مؤلفات ومناظرات فقهية مع العالم مخلوف بن صالح البلبالي (ت941هـ/1534م)[5]، أما نتاجه العلمي فقد خلف مؤلفات كثيرة منها: تعليقه على مختصر خليل، إضافة إلى إجابته عن سؤال الفقيه محمد بن محمود بن عمر آقيت (ت963هـ/1565م) [6]نجل القاضيي محمود بن عمر الذي أرسل له سؤالا فقهي يستفتيه فيه فكان رده: "الجواب المحدود عن أسئلة الفقيه محمد بن محمود" كما كانت له إجابات عن أسئلة الاسكيا محمد الكبير رد له في جواب سماه: "[7] أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير" أما فتواه التي اختلف فيها مع بعض شيوخ قريته (أنصمن) حول وجوب الجمعة[8] التي قال بضرورة تأديتها فيها فراسلوا علماء مصر الذين بدورهم وقفوا إلى جانب رأي الفقيه العاقب الأنصمني.

---

[1] -عبد الرحمن ميقا:مرجع سابق ،ص296،السعدي:مصدر سابق ،ص 39.

[2]-التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص353.

[3] -هي مدينة صغيرة بنتها قبائل صنهاجة قرب اقدز ،انظر أحمد بابا التنبكتي :المصدر نفسه

[4]-مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص273.

[5]-التنبكتي أحمد بابا:مصدر سابق ،ص

[6] -عبلة محمد سلطان: العناصر المغربية في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص135.

[7] -مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص274.

[8] -بدري محمد فهد: أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية في إفريقيا ،حوليات جامعة الإسلامية بالنيجر ،العدد04،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء المغرب ،1998،ص ص221-222.

4-القاضي عبد الرحمن سقين(ت956هـ 1549م)[1]: هو عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي ولد بمدينة القصر الصغير قرب البحر المتوسط[2]، تتلمذ بفاس على يد الشيخ ابن غازي المكناسي[3]، والشيخ زروق[4] وهو من شيوخ العالم المنجور صاحب الفهرس قال عنه: "هو الفقيه الفقيه المحدث والمسند المحقق الرحالة..."، رحل إلى عدة أقطار عربية منها مصر أين أخذ علم الحديث والتقى بعلمائها[5]، ثم ذهب إلى بلاد السودان الغربي فزار كانو وكاتسينا سنة(923-924هـ/ 1518م-1519م) وبقي هناك مدرسا وقاضيا ومفتيا[6]حتى ذاعت شهرته بين الناس وعرف بأخلاقه وورعه مما جعلهم يستلهمون من علمه أكثر فأكثر، خاصة إذا علمنا أنهم كانوا على قدر واسع من المعرفة بالإسلام واللغة العربية [7]مما ترك أثرا في نفوس أهل الهوسا من خلال تلك الأسانيد التي اتصلت به من جملة من علماء الفولان والبرنو والكشناويين، و ذلك بعدما رجع إلى المغرب أين توفي هناك[8] سنة ستة وخميس وتسعة مائة هجرية.

[1] -منى عادل حسين: مرجع سابق ،ص ص ص74-75-76.

[2] -قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي ،مرجع سابق ،ص105.

[3]-ابن غازي المكناسي: محمد بن احمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني "الشهير بابن غازي "المكناسي ثم الفاسي، ولد بمكناسة الزيتون سنة 841هـ-وأخذ العلم بها ،ثم انتقل إلى فاس ،من أهم مشائخه ،الشيخ النيجي والفقيه القوري ،كان خاتمة المقرئين وآخر المحدثين بالمغرب ،اشتغل بالتدريس في جامع القرويين في فاس ،له عدة تآليف منها شفاء الغليل في حل مقفل خليل، تكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة ،توفي بفاس سنة 914هـ-ودفن في عدوة الأندلسيين، انظر التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص581ومابعدها ،وانظر الشفشاوي محمد بن عسكر الحسني: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ،تحقيق محمد حجي،دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر ،ط1977،2،ص45.

[4]-زروق: أبوالعباس أحمد بن عيسى البرنوصي الفاسي، عرف واشتهر بزروق، فقيه ومتصوف مغربي ،من أهم شيوخه أباعبد الله محمد الزيتوني ،توفي بليبيا سنة 899هـ/1493.انظر الشفشاوي: دوحة الناشر ،مصدر سابق ،ص48،ابن مريم: البستان ،مصدر سابق، ص45.

[5]-التنبكتي أحمد بابا: مصدر سابق ،ص176.

[6] -منى محمد عادل حسين: مرجع سابق ،ص76.

[7] -بن شريفة محمد: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان الأوسط ،مطبعة المعارف الجديدة الرباط ،1999،ص ص 147-171.

[8] -منى محمد عادل حسين: مرجع سابق ،ص76.

5-**القاضي الشيخ تاكداوي الأنصمني(ت ق 10هـ/16م)**[1]: هو الفقيه النجيب ابن محمد شمس الدين التاكداوي نسبة إلى (تكدا) الأنصمني أحد الفقهاء المشهورين هناك، اشتغل بالتدريس والقضاء في بلدة أنصمن،كان من شيوخ عصره في الفقه والصلاح كما قال عنه أحمد بابا التنبكتي في كفاية المحتاج من ليس في الدباج، من تآليفه: شرح مختصر خليل بشرحين كبير في أربعة أسفار، والآخر في سفرين، وله تعليق على كتاب شرح المعجزات الكبرى للسيوطي، وشرح عشرينيات الفزاري، والطريقة المثلى إلى الوسيلة العظمى[2]، توفي في بلدة أنصمن خلال القرن العاشر هجري.

6-**القاضي محمد الكشناوي الشهير بابن الصباغ(ت1066هـ/1655م)**[3]: وهو أحد فقهاء وقضاة كاتسينا من بلاد الهاوسا، وصفه صاحب إنفاق الميسور بـ: "دهليز العلم"[4] تتلمذ على يديه الفقيه محمد منسة، له عدة مؤلفات ذكر صاحب إنفاق الميسور منها مؤلف واحد وهو شرحه على عشرينيات الفزاري[5]، إضافة إلى ما توصلا إليه المستشرقان: بيفارو هيكست، من أن لابن الصباغ مؤلفات أخرى وهي مزجرات الفتيان، التي هي عبارة عن قصيدة في وصايا للشباب ليتعلموا ما ينفعهم ويبث فيهم الروح الدينية[6]، كما له مؤلفات في الأدب واللغة منها: بلوغ الأرب من كلام العرب، وبهجة الآفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف، وكتاب الدرر واليواقيت في شرح الدر والدرياق لعبد الرحمن الرجاني، وله رحلة تتضمن ما شاهده في أسفاره، وكتاب بغية الموالي في

---

[1]-التنبكتي أحمدبابا: كفاية المحتاج من ليس في الديباج ج2، تحقيق محمد مطيع، المكتبة الدينية المغرب، ط200، ص353.، السعدي:مصدر سابق ،ص41.، وانظر الباز أحمد السيد: الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي القرن 07هـ-الى القرن 10هـ-13م-16م، الدولية الإفريقية للنشر، القاهرة ،ط2014،1،ص 118.

[2] -بللو محمد: إنفاق الميسور ، مصدر سابق ،ص61.

[3]-مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص417.

[4]-بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص52.

[5]-المصدر نفسه.

[6] -مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص418،الباز أحمد السيد: مرجع سابق ،ص ص123-136. .136

ترجمة محمد الوالي، وقد ذكر الباحث النيجيري عبد الله آدم الالوري[1] في كتابه موجز تاريخ نيجيريا بعض الأبيات منها:

العلم نور الله كالإيـمـان   يُنْقِصُهُ لعبة الصبيان

العلم روض الله كالبستان   أشجاره كثيرة الأفنان

أثمـــاره تطيب باللسان   من ذاقه يرقى إلى الكيوان

كما له قصيدة يمدح فيها أمير برنو عندما انتصر على قبائل الكورارفا[2].

7- **القاضي محمد حمي بن مسني (ت1078هـ/1666م)**[3]: هو أحد فقهاء بلاد الهاوسا درس عن محمد الكشناوي الشهير بابن الصباغ، اشتغل بالتدريس والإفتاء والقضاء في كانو حيث تتلمذ على يديه عدد من التلاميذ منهم: عبد السلام الهاوسي[4] وحمد راجي، تعرض لمحنة ألحقت به الأحزان الأحزان وذلك إثر هجوم قبائل الكورارفا على مدينة كانو وتخريبها، توفي سنة ثمانية وسبعين وألف هجرية، ترك آثار منها النفحة العنبرية في شرح العشرينية، وبزوغ الشمسية في شرح العشماوية، وأزهار الربى في أخبار بلاداليوربا[5].

8- **القاضي محمد مسنة (ت1087هـ/1676م)**[6]: هو أبو عبد الله محمد بن مسنة بن فومة بن محمد ابن عبد الله بن نوح البرناوي الكشناوي أحد فقهاء كاتسينا من بلاد الهاوسا، تتلمذ على يد العالم ابن الصباغ[7] اشتغل بالتدريس والقضاء، له عدة مؤلفات أهمها: النفحة العنبرية في حل ألفاظ

---

[1]-الألوري عبد الله آدم:موجز تاريخ نيجيريا ،مرجع سابق ،ص08.

[2] -مهدي رزق الله:مرجع سابق ،ص419.

[3]-الالوري عبد الله آدم:موجز تاريخ نيجيريا ،مرجع سابق ،ص62،الدالي الهادي مبروك: قبائل الهوسا دراسة وثائقية ،دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا،ط3،2009،ص135.

[4]-المرجع نفسه ،ص134.

[5]-بلاد اليوربا: وهي جنوب غرب نيجيريا الحالية وهي بلاد ذات اشجار كثيفة وانهار ورمال وجبال، يقال ان سكانها من بقايا كنعان الذين هم عشيرة نمرود جاءوا الى هذه البلاد عن طريق الحبشة من مصر.ينظر :بللو محمد: انفاق الميسور مصدر سابق، ص71.

[6] -مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص421.

[7] -الدالي الهادي مبروك: قبائل الهوسا ،مرجع سابق ،ص129.

العشرينية، اللطيف المنظوم وليس فيه حرف منقوط، البزوغ الشمسية في شرح العشماوية[1] وهو شرح لكتاب عبد الباري الرافعي العشماوي المصري، وهو عبارة عن مقدمة في العبادات، تزيين العصا وضرب هامات من عصى، عين الخلاص في تلاوة سورة الإخلاص، شفاء روبا في تحرير فقهاء يوربا، نزهة يسيرة على معرفة ما يقبل الصرف من عدمه، أزهار الربا في أخبار يربا الصباغ[2].

9-**القاضي عمر الترودي**[3]: هو من فقهاء بلاد الهوسا اسمه الكامل عمر بن أحمد بن أبي بكر الترودي، أصله من إمارة كبي الهوسية، نبغ في العلم حتى نال الحظوة، قال عنه صاحب إنفاق الميسور: الشيخ العالم العلامة والنحرير الفهامة البليغ ... كان فقيها جليلا وعالما صدرا شهيرا ماجدا فاضلا أصيلا من بيت علم ودين"[4]، وهذا دليل على أنه كان صاحب قدم راسخة في العلم مما جعل جعل له شأن وقدر كبير عند الناس، له عدة تآليف منها: تخميسه على قصائد الكواكب الدرية للبصيري، وتخميس على بانت سعاد القصيدة الشهيرة لكعب بن زهير، كما له نصيحة سماها: بيان مالا يعتمد عليه من الكتب، وقد أوصى بها أصحابه وتلامذته لأنه شكك في صحتها وضعفها وهذه النصيحة قد أورد جزءا منها الباحث الليبي الدالي مبروك الهادي في كتابه قبائل الهوسا، وهي:"بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالكتب التي لا ينبغي مطالعتها والاشتغال بها ولكون أكثر ما فيها ضعيف وباطل ولكون الأحاديث والآثار التي فيها موضوعات كثيرة في أيدي الناس منها كتاب وصية علي وكتاب قصة الدعاء المبارك وكتاب نصيحة إبليس"[5]، توفي الفقيه عمر الترودي وهو ذاهب لأداء فريضة الحج ولم يصل إليه بل بقي في الأزباكية[6]،وربما حلَّ به مرض منعه من مواصلة الطريق مما اضطره

[1] -بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص52.
[2] -مهدي رزق الله: مرجع سابق ،ص221.
[3] -بللو محمد: مصدر سابق ،ص75.
[4] -المصدر نفسه.
[5] -الدالي الهادي مبروك: قبائل الهوسا ،مرجع سابق ،ص129.
[6] -الالوري عبد الله آدم: موجز تاريخ نيجيريا ،مرجع سابق ،ص61.

اضطره للبقاء، وتوفي هناك ولا نعرف سنة وفاته بالضبط إلا أنه كان حيا في القرن الحادي عشر هجري[1].

10- **القاضي عبد الله سك الفلاني البغاوي**[2]: هو أحد الفقهاء وعلماء بلاد الهاوسا وصفه صاحب إنفاق الميسور بأنه عالم علامة نحرير وشيخ فهامة وحيد عصره وفريد دهره، ومما يدل على سمو مكانته ورفعة قدره ما قاله فيه كذلك صاحب إنفاق الميسور في تلك الأبيات:

مدينة العلم عبد الله ذاك سكا وفي التعدد خذ من بعده عمر[3]

رحل لطلب العلم في مدينة فزان وتتلمذ على مشاهير الشيوخ منهم البكري الذي وقع له معه خلاف بسبب ما كان ينكره الشيخ البكري على عادة عند الفلانيين وقال إنها من موجبات الكفر، فرد عليه الشيخ عبد الله بأنها لا توجب الكفر مادام أنهم يصومون ويصلون ويقرون بالتوحيد، رجع إلى وطنه فتصدى للتدريس والإفتاء والقضاء[4]، أخذه عنه جماعة من الفضلاء من الطلبة والعلماء، لا نعرف تاريخ وفاته بالضبط إلا أنه كان حيا في القرن الحادي عشر هجري.

11- **القاضي علي جب (ت1111هـ/1700م)[5]**: هو من علماء بلاد الهاوسا المشهورين ولد في في بلدة مارتوا فيما بين سنتي (1008هـ-1602م/1010هـ-1602م) درس على يد علماء بلدته[6]، وصفه صاحب إنفاق الميسور بـ:"شيخ الشيوخ"[7]، حيث تتلمذ على يديه الشيخ جبريل وأحمد بن غار وغيرهم كثير، كما عرف بحسن أخلاقه وسعيه في الدعوة إلى الله مما حبب فيه العامة

---

[1] -بللومحمد:مصدر سابق ،ص ص 49-50،الدالي الهادي مبروك: مرجع السابق ،ص 131.

[2] -بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص50.

[3] -المصدر نفسه .

[4] -مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص 422

[5] -بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص54.

[6] -الدالي الهادي مبروك: مرجع سابق، ص 131.

[7] - المصدر نفسه.

والخاصة[1]، اشتغل بالتدريس إلى جانب القضاء والفتوى، كما ألف مؤلفات من بينها: شرحه على العقيدة الكبرى للسنوسي، وشرح لامية الأفعال[2]، توفي سنة إحدى عشر ومائة وألف هجرية.

12- **القاضي محمد بن محمد الفولاني الكشناوي (ت 1154هـ/1741م)**[3]: هو من إحدى إحدى قبائل الفلان التي سكنت كاتسينا من بلاد الهاوسا، كان إماما ورعا وعالما داركا متقنا متفننا له باع علمي كبير في جميع العلوم، ومعرفة تامة بدقائق الأسرار والأنوار، تلقى ببلاده عن الشيخ محمد بن سليمان بن محمد النوالي البرناوي الباغرماوي، والشيخ هشام والشيخ محمد فودي (والد الشيخ عثمان دان فودي، المصلح الذي ظهر في بلاد الهاوسا)[4]، وقال إن محمد فودي هو أول من حصل له له على يديه الفتح حيث قرأ عليه أكثر كتب الأدب ولازمه[5]، وصار شيخه محمد فودي يناديه بسيبويه، وقيل كان يلقبه بصاحب المقامات لحفظه واستحضاره الشديد وذلك لقوة ذاكرته وسرعة بداهته، كما قرأ علم الحروف والأوقاف، والحساب والمواقيت، وعلم الأصول، والمعاني والبيان، والمنطق، وألفية العراقي، وعقائد السنوسي، وصحيح البخاري، وثلاثة أرباع مختصر خليل على الشيخ محمد بندو، الذي لازمه كثيرا مثل شيخه الأول محمد بن فودي، كانت للشيخ محمد بن محمد الفولاني رحلات إلى بلاد مصر والحجاز سواء كانت للحج أم لاكتساب معارف، فقد زار مصر وتعرف على أحد علمائها وهو الجبرتي والد المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي الذي ترجم للشيخ محمد بن محمد الفلاني وقد تعرف عليه عن طريق والده حسن، التي كانت له معرفة بعلم التنجيم والشيخ الفولاني كذلك كانت له معرفة واسعة بهذا العلم، مما جعل والد الجبرتي يحتك به ويستفيد من علومه خاصة علم التنجيم العددي بعدما استضافه في منزله مدة طويلة، ومات بمصر سنة: أربعة وخمسين

1- مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص427.

2-الألوري عبد الله آدم: موجز تاريخ نيجيريا ،مرجع سابق ،ص 62.

3 -بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص51.

4 -الدالي الهادي مبروك: قبائل الهوسا، مرجع سابق ،ص130.

5 -الجبرتي عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج1،تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ،عبدالعظيم رمضان، دار الكتب المصرية القاهرة ،ط،1997،ص ص 159-160.

وألف هجرية[1]، ترك محمد بن محمد الفلاني عدة مؤلفات ذكرها الجبرتي وهي[2]: الدر المنظوم، وخلاصة السر المكتوم في علم الطلاسم والنجوم، وهو كتاب ألفه أثناء رحلته الحجية في مكة سنة 1142هـ/1729م، رتبه على مقدمة وخمسة مقاصد وخاتمة وقسم كل مقصد إلى أبواب وكل باب يشمل على مقدمة وفصول، ومنظومة في علم المنطق سماها: منح القدوس، وشرحها شرحا عظيما سماه: إزالة العبوس عن وجه منح القدوس، بلوغ الأرب من كلام العرب في علم النحو، كما له نظم لأبيات شعرية[3]:

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا

تبعت مطامعي فاستبعدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

13- **القاضي جبريل بن عمر (ت1206هـ/1791م)**[4]: كان يلقب بأبي الأمانة، أحد أعلام الهوسا، ولد بمنطقة آدر[5] لم يعرف تاريخ ولادته بالتحديد إلا أنه كان حيا سنة(1163هـ/1750م)، سنة(1163هـ/1750م)، تتلمذ على يد مجموعة من الشيوخ منهم والده عمر، والشيخ علي جب، والشيخ حمد مرتضي الذي التقاه بمصر أثناء عودته من الحج حيث أجازه، أما من تتلمذوا على يديه فمنهم العالم المصلح عثمان بن فودي وأخوه علي بن فودي، حيث كان له أثرا عميقا في تكوين شخصيتهما ومسا رحيا تهما[6] وهو ما أكده الشيخ عثمان بنفسه "ليعلم أهل بلادنا السودانية هذه بعض ما أنعم الله عليهم، ليجتهدوا في شكر الله تعالى على وجود هذا الشيخ في هذه البلاد فيستوجبوا المزيد..."،كما أخذ عنه محمد العاقب الصنهاجي، ومحمد النجيب، وأبو بكر بن عثمان، ومحمد بن الحاج، ومحمد المهيب المنقوري، ومحمد بللو بن عثمان[7]، وعمر التوفيق، وقد كان ذا شمائل

---

[1] -مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ،مرجع سابق ،ص ص 423-424.

[2] -الجبرتي عبد الرحمن: مصدر سابق ج1،ص 160، الدالي الهادي مبروك: مرجع سابق، ص ص 128-129.

[3] - مهدي رزق الله أحمد:حركة التجارة والإسلام، مرجع سابق ،ص445.

[4] - بللو محمد:إنفاق الميسور ،مصدر سابق ،ص

[5]- منطقة آدر: هي منطقة في بلاد الهوسا قريبة من حاضرتي كانو وكاتسينا، من بلاد السودان الغربي انظر الفصل الأول.

[6] -بللو محمد:مصدر سابق ،ص

[7] -المصدر نفسه .

شمائل وخصال ممدوحة، حيث مدحه كثيرا ممن عرفوه وجالسوه وشهدوا له بالعلم والرسوخ، وقد ذكر هذه الفضائل الإمام محمد بللو في الإنفاق "...أنه كان ممن حمل لواء العلم في زمانه وممن بلغ الغاية في الاشتغال بالكتاب والسنة وحض الناس عليهما ،وأنه أول من قام بهدم العادات الذميمة ....ونحن بالنسبة إلى مقامه نسبة الضالع إلى الضليع،ونسبة دوي الزنبور مع نغمة الزبور فو الله لا ندري هل نهتدي إلى سبيل السنة وترك العوائد الذميمة في بلادنا السودانية هذه فهو موجة من أمواجه "[1]،كما قيلت فيه أبيات شعرية من كل من الشيخ محمد بللو والشيخ عبد الله بن فودي .فالأول يقول:

شيخ الشيوخ بأرضنا جبريل ******بركــاته مـــانـــالها تفصيل

كشفت به ظلم الضلال كأنه ******في كشفها ببلادنا قنديل[2]

أما عبد الله بن فودي فيقول:

عجبت شأنه في كل فن ولولا ****** لقلت لا وجود لمثله شأنه في كل زمان

شمس الضحى بزغت بغرب فانتهت ****** للشرق تشرق للقريش وخزرج [3].

كما تأثر به تلميذه الشيخ عثمان بن فودي، وهو ما تجلى في نصوصه الأدبية وأبياته الشعرية، مثل نصيحة الأمة المحمدية ،وشفاء الغليل فيما أشكل من كلام شيخنا جبريل، أما الشعر فيتجلى في تلك القصيدة التي مطلعها:

الحمد لله الذي منَّ على **** عباده بخير من قد أرسلا

محمد صلى الله عليه الله*****والآل والصحب ومن تلا [4].

---

[1] -بللو محمد: مصدر سابق ،ص، مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص428.

[2] -المصدر نفسه ،المرجع نفسه.

[3] -القصيدة أوردها كاملة صاحب إنفاق الميسور ،انظر بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق، ص ،وكذا :الدالي الهادي مبروك: مبروك: مرجع سابق ،ص133.

[4] -الهادي الدالي مبروك: قبائل الهوسا ،مرجع سابق ،ص133.

أما مؤلفاته فقد ترك الشيخ جبريل عدة مؤلفات أهمها: المشكلات التي جمعها تلميذه عثمان بن فودي في مؤلف واحد، نظم أوضح المسالك لابن هشام، الغنية في أصول الحديث، كما قيلت فيه قصائد وأبيات حتى بعد وفاته، منها ما قاله الشيخ محمد الناصر عند زيارته لقبره.

قضاة ولاته:

1- القاضي محمد التنبكتي الولاتي (ت1050هـ /1640م)[1]: وهو قاض ولاته وأحد أعيانها البارزين اشتهر بالعلم والتقوى والصلاح، في زمنه رحل أجداده إلى تنبكتو ثم رجع إلى ولاته التي توفي بها سنة 1050هـ /1640م، كان يفتي بعدم تحريم الربا بين اللصوص المستغرقي في الذمة[2]وقد خالفه في فتواه الحسن بن آغبدي الزيدي أحد علماء المعاصرين له (ت1123هـ/ 1711م) وأكد على الموقف المبدئ القاضي بحرمة الربا بين جميع المسلمين مهما كان شكلها، كما تبعه في فتواه ابن الأعمش العلوي.[3]

2- القاضي أحمد الوالي المحجوبي الولاتي (1095هـ / 1684م)[4]: وهو من قبيلة المحاجيب من أبناء الفقيه عثمان المحجوبي، ولي الإمامة والقضاء والتدريس، وبالتالي جمع الخطط الثلاثة، اشتهر بالورع والصلاح، وكان ماهرا بالقرآن له حافظة قوية، حيث كان يحفظ على ظهر قلب مقامات الحريري، من أهم تلاميذه الفقيه التيشيتي الحسن بن آغبدي الزيدي، والفقيه عمر بن بابه الولاتي المحجوبي[5]، وعثمان بن عمر الوالي الولاتي وغيرهم، توفي بولاته سنة 1095هـ.

[1]-البرتلي: فتح الشكور، مصدر سابق، ص 98.

[2]-ابن حامد المختار: حوادث السنين، مصدر سابق،ص48.

[3]-البرتلي: مصدر سابق،ص114.

[4] -البرتلي: مصدر سابق، ص ص 41،42.

[5]- ابن حامد: حوادث السنين ،مصدر سابق ،ص62

3- الفقيه محمد بن أبي بكر هاشم الغلاوي (ت1098هـ / 1686م)[1]: من قبيلة الأغلال[2] التي سكنت ولاته، كان فقيها مميزا ومفتيا وقاضيا، درس على يد الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي، قال عنه صاحب فتح الشكور: "كانت الأسئلة ترد إليه من البدو والحضر فيجيب عنها وانتفع الناس به من آثاره السيدية وهي منظومة في التوحيد، ومكتوب في مستغرق الذمة وفتاوى مجموعة[3]، وقد انتقد عليه شيخه في بعض من فتاويه وأورد تلك الردود في نوازله المجوعة توفي سنة 1098هـ بولاته.

4- القاضي عتيق بن الفقيه سيدي محمد بن محمد علي سل: الولاتي دارا التنبكتي أصلا، كان عالما متفننا فقيها نحويا من أهل الصلاح والفضل[4] الذين كان لهم شرف التعليم والنصح في ولاته، تولى القضاء بها إلى وفاته التي هي غير مؤكدة بتاريخ إلا أنه كان حيا سنة 1077هـ /1667.أثنى عليه كثير من العلماء منهم الفقيه محمد المختار بن الأعمش الذي كان يصفه بالعالم[5].

5- **القاضي عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ الولاتي (ت1122هـ /1710م)**: كان فقيها عالما بالأحكام والوثائق بصيرا نحويا، اشتغل بوظيفة القضاء والإمامة يقول عنه البرتلي[6]: " لم يجمع الوظيفتين إلا هو وأحمد الولي المحجوبي"، أخذ عنه الفقيه محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي، وأجازه محمد بن المختار بن الأعمش في الصحيحين، والموطأ، ومختصر خليل، وتوضيحه، وألفية العراقي[7]، وحكم ابن عطاء الله، كما أجازه في الأحاديث المسلسة بالأسانيد المروية إلى عبد الله بن

---

[1]- ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة، مصدر سابق، ص 47.

[2]- التكني أحمد بلعراف: إزالة الريب والشك، مصدر سابق،ص199.

[3]البرتلي: فتح الشكور، مصدر سابق، ص ص 114-115،ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 63،حياة موريتانيا الجزء الثقافي ،ص 208.

[4]-البرتلي: فتح الشكور، مصدر سابق، ص 201.

[5]-ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية ورجالها، مرجع سابق، ص 330.

[6]-البرتلي: فتح الشكور، مصدر سابق، ص 161.

[7]-ابن طوير الجنة: مصدر سابق، ص 52،التنبكتي أحمد بلعراف: مصدر سابق،ص167.

عمر بن العاص رضي الله عنهما، من تآليفه: فتاوى فقهية، وقصيدة لامية نحو ثالثين بيت في معاني حروف الجر، وقصيدة نونية في غرض التوسل مطلعها:

حمدت إلهي على امتناني   بحمد يوافي آيادي الإحسان[1]

توفي سنة 1122هودفن بولاته.

6- القاضي عبد الرحيم بن الفقيه أحمد الوالي المحجوبي الولاتي (ت 1130هـ/ 1717م): ولد بولاته سنة (1078هـ/ 1668م)[2]، وهو من الفقهاء المميزين اشتغل بالتدريس والقضاء عرف بالشهامة، من تآليفه: مقدمة في الفقه مختصرة [3]توفي سنة 1130هـ بولاته[4].

7- القاضي الحاج أحمد بن عبد الله بن علي بن الشيخ الولاتي المحجوبي (ت1140هـ/ 1728م): من علماء ولاته العاملين، لا تأخذه في الله لومة لائم يقول عنه البرتلي[5]: "من العلماء العاملين على التحقيق التام"، كان شاعرا له عدة مؤلفات منها: منظومة في علم الكلام، ونظم في المناسك، ونظم في فرائض خليل، وتآليف في الخصائص، وآخر في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في دلائل الخيرات[6]، اهتم بشراء الكتب واستنساخها فجمع مكتبة كبيرة، حج إلى البيت الله الحرام مع ركب أهل بلده ولقي رجالا من صناديد العلم فأخذه عنهم، انتهت إليه رئاسة الفتوى والقضاء والنوازل بولاته، توفي يوم تسعة ربيع الثاني سنة1140هبولاته.

8- القاضي أبو بكر عيسى بن أبي هريرة الغلاوي (ت1146هـ / 1733م): من فقهاء ولاته تولى القضاء والفتيا أخذ الفقه عن الحاج عثمان المجاور، والمنطق عن محمد بن موسى بن إيجل الزيدي

[1]-ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 83، حياة موريتانيا الجزء الثقافي، مرجع سابق،ص212.

[2]-البرتلي: مصدر سابق، ص 176.

[3]-ابن حامد المختار: حوادث السنين، ص 89.

[4]-ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي، مرجع سابق، ص 212.

[5]-البرتلي: مصدر سابق، ص ص 43-44.

[6]-ابن حامد المختار: حوادث السنين، ص ص 99، 100، حياة موريتانيا الجزء الثقافي، ص 213.

وكان من المتصوفة[1]، أخذ أوراد الطريقة الشاذلية عن أحمد بن ناصر الدرعي أثناء سفرهما إلى الحج سنة (1121هـ / 1709م)، أخذ عنه العديد من الفقهاء من أمثال الطالب البشير بن الحاج أحمد الصادي قال فيه البرتلي[2]: " ... من صدور العلماء وفخر من مفاخر الفقهاء، قاضيا عدلا مسددا في أحكامه صلبا في الحق، أتاه يوما رئيس من رؤساء القبائل شاهد على شيء فرد شهادته ولم يقبلها، وكان قوي القلب مقداما على الأمور العظام جسورا على الظلمة واللصوص..." كان يقال له مالك الصغير لشدة ثباته في القضاء وتسديده، وجوابه في النازلة إذا سئل عنها من أصح الأجوبة وأحصرها وأحسنها -والله أعلم- توفي بولاته سنة 1146هـ[3].

9- القاضي أند عبد الله بن أحمد بن أند عبد الله بن الشيخ الولاتي المحجوبي (ت1172هـ /1758م): من أشهر قضاة ولاته قال عنه البرتلي[4]: " إنه كان غرة أهل عصره في الحكم والفتوى أقضى زمانه وفارس ميدانه، شهد له بذلك الموافق والمخالف، والأقرب والمعادي" وصفه القاضي .... قاض أروان بالعالم المحقق والقاضي الموفق[5]، كان يميل في فتواه إلى القواعد والأصول قلّ أن ترى له فتوى نقلا عن الفروع، اشتهر بالزهد والسخاء والحلم، أخذ العلم عن عالم ولاته الطالب الأمين ابن الطالب الحبيب الحرشي، ثم اعتمد عن مطالعة الطلب وتقليب الدراية عن الرواية من أهم مؤلفاته: فك الوثائق عن لامية الزقاق[6]، وشرح عقيدة الفقيه محمد بن أعلى ابن الطالب أبو بكر بن على بن

---

[1]-ابن طوير الجنة: مصدر سابق، ص 51.

[2] -البرتلي: مصدر سابق، ص 75، 76.

[3]-ابن حامد المختار: حوادث السنين،ص110، حياة موريتانيا الجزء الثقافي، ص 201، ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا، مرجع سابق، ص 101.

[4]-البرتلي: مصدر سابق، ص ص 167-168.

[5]-التكني أحمد بلعراف: إزالة الريب، مصدر سابق، ص 168.

[6] -ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 167،حياة موريتانيا، مرجع سابق، ص 214.

الشيخ المحجوبي سماه سهام الألة في النهي عن التعرض لأحكام الملة توفي سنة 1172هودفن بولاته[1].

10- القاضي الحسن بن الطالب أحمد بن على البرتلي الولاتي (ت1173هـ/ 1760م): كان عالما مدرسا فقيها لغويا ذا أخلاق سنية قال فيه تلميذه المختار بن أحمد الغلاوي:

من فاته الحسن الزيدي بصحبه عليه بالحسن البرتلي يكفيه[2].

اشتغل بالقضاء إلى جانب التدريس تتلمذ على عدة شيوخ منهم الطالب الأمين بن الطالب الحرشي شيخ الشيوخ بولاته، حيث أخذ عنه علم الكلام، أما الفقه - رسالة بن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، والحكم العطائية- فقد أخذه عن الحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوي، وأخذ عن ابنه الطالب محمد، وأرجوزة بن عاصم عن محمد بن الحاج حسن أغيدي الزيدي، وأخذ النحو ألفية بن مالك عن منير بن حبيب الله الألفغي الشمشوي، من أهم تلاميذه الطالب أحمد بن أبي بكر بن الطالب عبد الرحمن البرتلي، والطالب حماد بن الطالب محمود البرتلي، وعبد الله بن الطالب عبد الرحمن بن الطالب محمد بن شلة اليوسي البلوي، توفي رحمه الله يوم السبت أربعة رجب سنة **1173هـ** بولاته[3].

11- القاضي أتفغ محمد بن جب بن أعمر بن أبايك بن يعقوب بن على بن موساني (ت ق 12هـ/ 18م)[4]: هو فقيه متميز وقارئ من قبيلة تجاكنت (أولاد موسان) القاطنين بمنطقة الفيلة (ولاته) اشتغل بالتدريس والقضاء، وقد أخذ عنه ابنه بلهش وقد ذكره محمد العاقل بن الماحي الديماني في إحدى فتاواه باسم شيخنا، وجه إليه الفقيه عمر بن باب الولاتي(ت 1145هـ/ 1732م) سؤالا

---

[1]-ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء، مرجع سابق، ص 102، النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 547.

[2]- البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق، ص 72.

[3]- ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 169، حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق ،ص ص 208-209.

[4]- ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ج2،ص 30.

عن قانون أهل ولاته في الضيافة، له من الآثار فتاوى فقهية أوردها الكصري في مجموعة نوازله توفي خلال القرن الثاني عشر الهجري.

12- القاضي الطالب أبو بكر محمد بن الحاج أحمد بن أند عبد الله الولاتي المحجوبي (ت 1208هـ/ 1793م)[1]: كان من أبرز قضاة ولاته تولى هذا المنصب سنة (1202هـ/ 1787م) بعد استعفاف وبأمر من جماعة أهل العقد والحل وكان كارها لذلك تورعا منه، كان قاضيا عدلا نزيها ورعا قال عنه البرتلي[2]:" أنه تتمة أهل الفضل وخاتمة قضاة العدل، ولي القضاء بعد امتناع واستعفاء ولم يُجَبْ، وسار أحسن سيرة وباشر القضاء بنزاهة وعفة، لا يستحي من الناس في قول الحق قرباء كانوا أو بعداء، ولا يخاف في الله لومة لائم، اشتد على أهالي الشر وعدل في الحكم، وزهد في النفع، أحيا تزكية الشهود بعد أن ماتت، وكان معرضا عن الهدية لا يقبلها ولا يلتفت إليها ولو كانت ممن لا يريد منها إلا ثواب الآخرة...." زواج بين مطالعة الكتب وتعليم العلم وفصل الخصومات[3]، له عدة شروح لم تكتمل منها: شرحه على مختصر خليل بلغ فيه باب الحج، وشروح في باب البيع،وله شروح على المدونة والتبصرة، كما له نوازل فقهية جمعها ورتبها تلميذه أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الصديق البرتلي سنة 1211هـ /1796م بعد وفاته بثلاثة سنوات[4].

13- القاضي انبويه بن محمد بوبه المحجوبي (ت1221هـ / 1806م)[5]: هو أحد القضاة الولاتيين من فرع المحاجيب، اسمه الكامل أنبويه بن محمد بن محمد ابن الطالب عبد الرحمن بن أحمد

[1]-الولاتي محمد بن صالح: منح الرب الغفور فيما أهمل صاحب فتح الشكور مصدر سابق، ص 58.
[2]-البرتلي: مصدر سابق،ص37.
[3]-التنبكي أحمد بلعراف: إزالة الريب والشك مصدر سابق، ص 67.
[4]-ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 235، بوبريك رحال: المدينة في مجتمع البداوة مرجع سابق، ص 37.
[5]-الولاتي المحجوبي: منح الرب الغفور مصدر سابق، ص 80.

الوالي أحد قضاة ولاته، كان قاضيا عدلا، ويعتبر آخر قضاة أسرة المحاجيب في ولاته[1] قبل الحرب التي اشتعلت فيها سنة(1222هـ / 1806م).

14- القاضي الكصري بن محمد بن المختار بن عثمان بن الكصري الايدليبي النعماوي (ت 1235هـ / 1819م)[2]: أحد العلماء المؤلفين والفقهاء المدرسين في ولاته خلال القرن (12هـ/ 18م)، أخذ العلم فيها عن عدة شيوخ منهم ابن عمه الطالب البشير بن الحاج الهادي الإدليبي الولاتي ت 1783م، حيث لازمه الكصري مدة ثلاثين سنة إلى أن حصلت له ملكة العلم فتصدر القضاء والافتاء على نطاق واسع، ورحل بعد حرب ولاته إلى النعمة وظل يمارس فيها التدريس والإفتاء إلى جانب القضاء، إلى وفاته[3]، ترك الكصري مصنفات عديدة منها: شرح لمختصر خليل في أربع مجلدات سماه فتح الجليل، إضافة إلى نوازل وفتاوى مجموعة تضمنت في بعض أجزائها مناظرات فقهية حامية مع بعض معاصريه جراء نقضهم بعض أحكامه، ومن أبرز هذه المناظرات مناظرته الشهيرة مع سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بسبب نقضه حكمه في نازلة الأغلال وأهل سيدي ببكر من مهاجري .... بشأن قتيل صفين بينهما إثر شجار وقع بينهما وقد وقف إلى جانب الكصري في هذه المناظرة عدة علماء منهم الحاج حمى الله الغلاوي والشيخ سيد المختار .... وثلاثة من علماء كل السوق[4]، مما جعل ابن الحاج إبراهيم يتراجع ويتبنى موقف الكصري عندما اطلع على رأيه واجتهاده، ترجم للكصري صاحب فتح الشكور البرتلي[5] فقال عنه: " أنه كان عالما فقيها قاضيا قاضيا مفتيا مدرسا، وكان غرة أهل عصره في التعليم..." توفي في مدينة النعمة بعدما رحل إليها مع قبيلته التي ظلت تتوارث القضاء فيها بعد وفاته سنة 1235هـ.

---

[1]–ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 291.

[2]–الولاتي المحجوبي: منح الرب مصدر سابق، ص98.

[3] –ابن حامد المختار: حوادث السنين، ص 342، حياة موريتانيا الجزء الثقافي، ص 226.

[4]–ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا مرجع سابق، ص ص 104-105.

[5]–البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 207.

قضاة ودان[1]:

1- القاضي أحمد أبي القاسم الحاجي الوداني(ت1086هـ /1675م)[2]:هو أحد علماء قبيلة إيدا[3]ولحاح وشيخ مشايخ ودان انتهت إليه المشيخة الفقهية بها، اشتغل بالتدريس والقضاء، من أهم شيوخه ابن عمه أحمد الفزاري بن محمد بن يعقوب الوداني الحاجي، كما أخذ عنه خلق كثير[4]من أهل شنقيط الفقيه أبو محمد الحاج عبد الله بن الفقيه محمد الشنقيطي، والفقيه أبو العباس أحمد بن أحمد بن الحاج الشنقيطي، والفقيه المختار بن الأعمش الشنقيطي توفي بودان سنة 1086هـ[5].

2- القاضي محم بن أبي بكر بن إبراهيم الوداني (كان حيا سنة 933هـ / 1527م)[6]:هو محمد بن أحمد بن أبي بن إبراهيم بن الحاج عثمان بن محمد بن أبان من قبيلة إد ولحاج، درس في تنبكتو على يد والد أحمد بابا التنبكتي، وعن محمود بن عمر التنبكتي، تولى قضاء ودان له عدة

[1]-تقع في جنوب الشرقي لموريتانيا في اتجاه مالي، وهي من مدن القوافل التجارية حيث اشتهرت كمحطة لها ،تربط بين بلاد السودان الغربي وبين بلاد المغرب وشبه جزيرة العرب ،وقد بلغت هذه المدينة أوج ازدهارها العلمي والحضاري في القرن الثاني عشر هجري ،الثامن عشر ميلادي ،غير أن أهميتها كنقطة للتبادل بين القوافل الجنوبية والشمالية قد غطى على تلك السمعة العلمية والحضارية التي طارت حتى وصلت الشرق والغرب، فالمثل العربي يقول "التمر فزاني والعلم واداني " أما في المغرب فإن سمعتها التجارية كانت غالبة ،حيث تذكر المصادر التاريخية أن الكتابات البرتغالية اهتمت بها في القرن 15-16م ويشهد لذلك أنه في سنة 1487م استفاد البرتغاليون من وادان في التبادل التجاري مع القوافل وخاصة السودانية بحثا عن الذهب والمعادن النفيسة .ينظر: ولد اباه أحمد سالم ،مدن القوافل والسياحة ،مدن القوافل العربية ،المؤتمر السابع عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،انواكشوط،22-23 ديسمبر 2003،ص ص 6-7،أحمد مولود ولد ايداه الهلال: مدن موريتانيا العتيقة قصور ولاته وودان وتيشيت وشنقيط ،مرجع سابق ،ص ص 103-104-105.

[2]-البرتلي: مصدر سابق ص40.

[3]-أيد في لغة أهل شنقيط (أزناكة) معناه ابن أو ولد ،انظر بن حامد حوادث السنين مصدر سابق ص55.

[4]-ابن حامد: حوادث السنين مصدر سابق ص41.

[5]-ولد البراء: ج1 ص197.

[6]-البرتلي: مصدر سابق ص ص 112-113.

مؤلفات أهمها: شرح على مختصر خليل بن إسحاق، وهو يعتبر أقدم شرح في غرب وجنوب غرب الصحراء سماه موهوب الجليل شرح مختصر خليل.[1]

3- القاضي سعد بن الحبيب بابا الوداني (توفي في أواخر القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي)[2]: هو سعد بن الحبيب بابا بن محمد الهادي بن محمد الأمين بن محمد بن يعقوب الحاجي الوداني، قال فيه صاحب فتح الشكور بأنه عالم فقيه مفتيا سديد النقل صحيحة خبرا متواضعا له فتاوي تدل على كثرة اطلاعه ووسع عقله وإدراكه ومع ذلك لم يحدد تاريخ وفاته بل قال أنه من أهل القرن الحادي عشر ويوجد في ترجمته غموض لنقل المعلومات حوله إلاّ أنه حسب ما جاء في تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان أنه حفيد الإمام أحمد بابا التنبكتي، له مجموعة من الفتوى المنظومة والمنثورة جمعها صاحب الترجمة في الرد على أحد المغاربة ممن نسب إلى الضلال واعتبر عصمته فاسدة مادام يتعاطى التدخين وعنوان هذه الفتاوى: الدملوك على هذيان الهشتوك[3]ولقصائد هذا المجموع أهميتها في التاريخ الثقافي لمنطقة ودان وعموم شنقيط.

4- **القاضي أحمد الفزاري (عاش خلال القرن 10هـ/ 16م)**[4]:هو أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الحاجي اليعقوبي الوداني، من قبيله إودا ولحاج التي تسكن ودان المكنى بالفزاري أحد علماء ودان وقضاتها، أخذ عن الفقيه الحاج أحمد المسك والد احمد بابا التنبكتي في تنبكتو، ثم رجع إلى ودان واشتغل بالعلم والتدريس والإفتاء والقضاء، حيث أخذ عنه الشيخ أحمد أبو القاسم الحاجي[5] الذي يعتبر شيخ شيوخ ودان، لم نقف على تاريخ وفاته إلا أنه عاش في القرن 10هـ/16م.

---

[1]-ولد البراء: مرجع سابق ج2ص173.

[2]-البرتلي: مصدر سابق ،ص209.

[3]-ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن 12هـ-18م،دار أبي رقراق للطباعة والنشر ،الرباط ،المغرب ،ص ص 178-179.

[4]-البرتلي: مصدر سابق، ص ص39-40

[5]-أحمد مولود ولد ايده الهلال: مدن موريتانيا العتيقة قصور ولاته وودان وتشيت وشنقيط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط،المغرب،2014م،ص170.

5- القاضي حبيب بن سيد أحمد المتغنبز[1]الكنتي الوداني(ت1155هـ/1742م)[2]: هو حبيب الله بن سيد أحمد بن المختار بن سيد محمد الكنتي بن أحمد البكاي بن محمد من قبيلة كنتة المتغنبزين التي تسكن ودان، كان من الفقهاء والعلماء ذا علم وورع، اشتغل بالقضاء وتميز بتسديد الأحكام، له من الآثار قصيدة رائية في الدعاء والتوسل، وعدد من الفتاوى اهتم بها وجمعها الشيخ انباوي المحجوبي الولاتي[3] توفي في ودان سنة1155هـ.

6-القاضي أحمد بن عبد الله (ت ق-12هـ-18م)[4]:هو أحمد بن عبد الله ابن سيدي أحمد ابن الإمام أحمد القاسم، فهو حفيد شيخ شيوخ ودان، من قبيلة ادولحاج (إيدياقت) الفاطمين في ودان، تتلمذ على شيوخ منهم جده الإمام أحمد ايد القاسم، اشتغل بالتدريس والإفتاء والقضاء، له مجموعة فتاوي فقهية، توفى خلال القرن الثاني عشر هجري.

7-القاضي محمد العاقب بن سيدي الهادي الحاجي الوداني[5]: هو أحد أعيان ودان وعلمائها من قبيلة إد ولحاج[6] فرع (إدياقيت) اختلف في سنة وفاته فمنه من يرجعها إلى سنة 1198، ومنهم من يرجعها إلى سنة 1199 وهو رأي بن حامد الذي اعتمد على صاحب حوليات النعمة الادليمي[7].

8- القاضي المرابط سيدي محمود (ت 1200هـ/ 1786م)[8]: هو العالم الجليل والشيخ الصالح الذي عم نفعة وانتشر صيته وذاع، فآوى إليه القاضي الوداني وأخذ عنه الزاوي والحساني، فهو

---

[1]- المتغنبز: هو اللثام الكبير الذي يلبس

[2]-البرتلي: مصدر سابق،ص81.

[3] -ولد البراء: مرجع سابق ،ص84،وانظر احمد مولود ولد أيده الهلال: مرجع سابق،ص170.

[4]-ولد البراء: مرجع سابق ص 49.

[5] -البرتلي : مصدر سابق ،ص137.

[6]-ابن طوير الجنة: مصدر سابق ص 81

[7]-ابن حامد: مصدر سابق ص208.

[8]-المصدر نفسه.

محمود بن الطالب المختار بن عبد الله بن أبيحة المشهور بالمرابط؛ لرباطه هو تلاميذه من مختلف القبائل فأصبحوا مع أبناء عمومته يسمون أهل محمود، كان عالما وأحد أعيان قبيلته إدولحاج فرع الأتيدات في ودان، درس على يد الشيخ الطالب مصطفى الغلاوي، اشتغل بالعلم والتدريس والقضاء، خرج في آخر حياته من ودان وحط رحاله بمنطقة تسمي الركيبة[1]قرب ودان أين توفي هناك سنة **1200هـ**.

9- **القاضي أحمد بن محمد الكنتي الوداني(ت 1210هـ/ 1795م)**[2]: هو أحمد بن المحمد بن بن عبد الله الكنتي المتغنبز رئيس المتغنبزين من كنته في ودان[3]، وهو من العلماء الذين كانت لهم قدم راسخ في العلم، اشتغل بالتدريس والقضاء إلى أن توفي سنة **1210هـ**.

10- القاضي محمد بابا اليعقوبي الحاجي الوداني (ت 1215هـ/ 18م)[4]: هو الفقيه النحوي محمد ابن بابا عبد الله جندي ن الأمين بن محمد علي يعقوب الوداني الحاجي اليعقوبي، ولد عام 1164(هـ /51 17م) ، كان فقيها نحويا لغويا ماهرا في العربية والمنطق والبيان والقرءات، اشتغل بالتدريس والقضاء في ودان إلى وفاته سنة 1215هـ.

قضاة تيشيت[5]:

---

[1]- ابن حامد: مصدر سابق ،ص 211، ابن طوير الجنة: مصدر سابق، ص 81.

[2]- ابن حامد: حوادث السنين ص 239ـ 248.

[3]- ابن طوير الجنة: مصدر سابق 84ـ 85.

[4]- البرتلي: مصدر سابق ص 148.

[5] -هي إحدى مدن بلاد شنقيط (من موريتانيا الحالية) تأسست سنة 536هـ/1142م وكانت حاضرة علم ومعرفة، حيث أسسها الشريف عبد المؤمن وهو سفير من سفراء العلم والدين تتلمذ على يد القاضي عياض السبتي (ت544هـ/1149م) بمراكش وحمل علمه إلى بلاد شنقيط فأسس هذه الحاضرة والتحق به زميله الحاج عثمان الذي أسس ودان بعد أن جال في البلاد وهما مدفونان فيها قرب المسجد العتيق، وهي عبارة عن واحة تمر بها القوافل التجارية من ولاية فزان وتوات، الإسكندرية، وتقول الروايات المتداولة في أصل تسميتها أن عبد المؤمن رأى واحة البلدة والجبال المطلة عليها يندفق الماء منها، فأعجبته الأرض وقال (تي شيئت) فسارت علما على القرية.

1- القاضي أبو بكر بن أحمد بن الشغ (ت 1039هـ/ 1628م)[1]: فقيه متمكن من قبيلة أهل محمد مسلم القاطنين بتيشيت، انشغل بالتدريس والقضاء، من شيوخه أحمد بولوتاد الحنشي[2] الذي كان أول من آتى بمختصر خليل إلى ناحية تيشيت، ويذكر صاحب فتح الشكور أن أبا بكر صار أعرف بهذا المختصر من شيخه، له آثارا تمثلت في تآليف فقهية، توفي سنة 1039هـ بتيشيت[3].

2- القاضي الحسن بن آغيد الزيدي (ت 1123هـ/1711م)[4] : هو الحسن بن آغيدي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن عمران الملقب بالزيدي، وهو من قبيلة أولاد زيد القاطنين بتيشيت، فقيه كبير ومفتي، اشتغل بالتدريس والقضاء في تيشيت حتى لقب بشيخ الشيوخ بها، حيث تمر به أغلب أسانيد علماء المنطقة، من أهم شيوخه القاضي الفقاري والفقيه أحمد الوالي وأحمد بو لوتاد الحنشي، قال عنه صاحب فتح الشكور:" عليه مدار الفتوى في الفقه في بلادنا"[5] ذاع صيته في الأقطار المغربية المغربية حتى أصبح تلامذته يفاخرون به في حواضر المغرب، وذلك ما يشير إليه تحويرهم لبيت المغاربة الذي حلوا به الحسن بن مسعود اليوسي[6]:

من فاته الحسن البصري بصحبه   فليصحب الحسن اليوسي يكفيه

فحور طلاب الحسن بن آغيدي قائلين

من فاته الحسن اليوسي بصحبه   فليصحب الحسن الزيدي يكفيه

---

[1] البرتلي: ص ص 71.41

[2] -أحمد أبو الأوتاد الحنشي التيشتي أحد علماء تيشيت، كان أستاذا عالما فقيها فاضلا، أخذ العلم عن الشيخ أحمد أبو القاسم الحاجي، لم تعرف سنة وفاته إلا أنه كان حيا في القرن الحادي عشر. انظر البرتلي: مصدر سابق، ص ص90.87.74.41.

[3] -ولدميابي حماه الله:مدينة تيشيت رسائل وأشعار من القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين ،د.د.ط، د.ت.،ص72.

[4] -ابن حامد: حوادث السنين، مصدر سابق، ص82.

[5] -البرتلي: ص87.

[6] -المصدر نفسه.

عرف بحسن إقرائه لمختصر خليل حتى قيل أنه لا يوجد في عصره من هو أحسن من قراء هذا المختصر، كان خبيرا بالمدونة وإحكامها وإسهامات القواعد[1]، كما كان عالما في الحديث يجيز فيه، ذهب إلى الحج ولقي محمد الخرشي بمصر بالجامع الأزهر ورد عليه أربعين مسألة في شرحها على المختصر جمعها تلميذ الحاج حسن بن حمى الله الشريف، من أهم مؤلفاته: منظومة تحفة الصبيان في الحديث ونظم في العقيدة، لأم البراهين للسنوسي، وقرة الأبصار في شرح روضة الأزهار، ونظم للمشتبه من رجال الصحيحين، ومصطلح الأثر لابن حجر العسقلاني، إضافة إلى فتاوى فقهية ضمنها انبوي الولاتي في مجموعة، من أهم تلامذه ابني الفاضل الشريف محمد وأحمد التيشيشان، ومحمد ابن باب توفي سنة1123هـ بتيشيت[2].

3- القاضي أحمد بن فاضل بن محمد بن فاضل بن الشغ بن الإمام محمد (ت1153هـ/ 1741م)[3]: فقيه محقق ولغوي، من شرفاء أولاد عبد المؤمن بن صالح[4] أحد علماء وقضاة تيشيت، أخذ العلم عن الحسن بن آغيد الزيدي قال عنه البرتلي صاحب فتح الشكور[5]: " ما رأيت أخصر ولا أحسن من فتواه" تضلع في الشعر والحديث واللغة والفقه، ذاع صيته في القطر الشنقيطي عاصر العالم عبد الله بن رازكة وكانت بينهما مشاعرات تضمنها ثناء متبادل، من أهم تلاميذه ابن أخته الشريف حمى الله بن أحمد بن الإمام، ترك آثرا ضمنها فتاوى جمعها انبوي الولاتي في مجموعته توفي سنة 1153هـ[6].

---

[1] – ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص.73.

[2] –ولد البراء يحيى: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء مدونة من 6800فتوى ونازلة وحكم، المجلد الثاني، المكتبة الوطنية بانواكشوط الناشر مولاي الحسن بن المختار بن الحسن، ط1، 2009، ص77.

[3] –ابن حامد: مصدر سابق، ص125، البرتلي: ص47.

[4] –شرفاء أولاد عبد المؤمن وهم الذين أسسوا مدينة تيشيت ينظر : ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص11.

[5] –البرتلي: مصدر سابق، ص47

[6] –ولد البراء يحيى: مرجع سابق، ص50 – ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص74.

4-القاضي يدغور بن أحمد بن الشيخ بن الأمين بن محمد بوركيبة الكابي الماسني التيشيني (ت1153هـ/1741م)[1]:قاضي تيشيت وأحد الأعيان بها، كان له باع في العلم والرياسة، تولى قضاء تيشيت، من أهم تلامذه ابنه أحمد بن يدغور المتوفى 1188هـ، وابنه أبو بكر بن أحمد بن يدغور توفي سنة 1153هـ[2].[543]

5- القاضي حمى الله بن محمد الأمين الحنشي التيشيتي(ت 1155هـ/1742م)[6]: فقيه ومؤرخ وقاض من قبيلة لحنوشة[7] (إخوة الأغلال) من أهل تيشيت، له عدة تآليف منها: ألفية في ضبط الأسماء والأفعال المشتبهة في مختصر خليل، وألفية السير وغرائب الأخبار، ورسالة في السواك، وذكر حمى الله بن امحمد بن حمى في إرشاد الحكام أنه أول من أحدث إنشاء المدائح النبوية بالعشيات، توفي في تيشيت سنة 1155هـ[8].

6- القاضي محمد بن فاضل الشريف بن الإمام محمد (ت 1160هـ/1747م)[9]: أخ القاضي القاضي أحمد المذكور وهو من شرفاء تيشيت من أولاد عبد المؤمن بن صالح وحيد عصره، كان عالما متقنا ورعا اشتغل بالعلم والقضاء في تيشيت، تصدر للإفتاء بعد موت شيخه الحسن بن آغيد الزيدي، مانت له عناية بمختصر خليل من أهم تلاميذه محمد بن الشريف أحمد بن الإمام، والقاضي يدغور الماسني، ومحمد بن المختار الشواف المسلمي، والإخوة الثلاثة العلماء أبناء أحمد بن الإمام

---

[1] -ابن حامد: مصدر سابق ص125. ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق ص76.البرتلي:مصدر سابق ،ص134.

[2] -ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص 76.

[3] -ابن حامد: مصدر سابق، ص194

[4] -البرتلي: مصدر سابق، ص134.

[5]-ولد السعد: مرجع سابق، ص103. ولد ميابي حماه الله:مرجع سابق، ص73.

[6] -ابن حامد: حوادث السنين، ص133.

[7]-قبيلة لحنوشة هي فرع من قبائل الأغلال أولاد قلال التي انتشرت في كل من شنقيط وولاته وهم يعرفون الآن بأهل الطالب ويوجدون قرب قرية تربي بمدينة العيون، انظر ولد البراء، ص87.

[8]-البرتلي: ص89، ولد البراء: مرجع سابق ص87.

[9] -ابن حامد: حوادث السنين، ص141.

محمد نض، الشريف حمى الله، والشريف المختار، والشريف أحمد، قال عنه صاحب فتح الشكور[1]: " "كان من الفقهاء المحققين وجلة أئمة العلماء العاملين انتهت إليه الرئاسة في الفتوى فانتفع الناس به" كما وصفه الايديلبي بقوله: " مفتي البلاد التكرورية على الإطلاق" من آثاره مجموعة فتاويه ونوازله جمعها انبوي المحجوبي الولاتي، وكتاب البيان والإفادة وهو شرح على منظومة الأوجلي في العقائد، توفي سنة 1160هـ[2].

7- القاضي حمى الله بن أحمد بن الإمام (ت 1169هـ/ 1755م)[3]: وهو محمد حمى الله بن أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام محمد نض بن أحمد بن هند بن الشيخ بن الإمام محمد، فقيه وقاض من علماء تيشيت من شرفائها (أهل حمى الله) اشتهر بالإفتاء والقضاء متمكن في الفقه والنوازل، أخذ عن خاليه أحمد ومحمد ابني الإمام فاضل الشريف، وعلي محمد بن الحاج أحمد المحجوبي، والمختار بن الطالب أحمد الغلاوي، وأبو بكر بابا بن أحمد الفقاري، قال عنه البرتلي[4]: "جمع العلم والعمل والسخاء والمروءة التامة" ووصفه أحمد بن محمد العاقل بلفظة شيخنا، من أهم آثاره تحصيل البيان والإفادة في شرح ما تضمنته كلمة الشهادة، وهو شرح على منظومة الأوجلي في العقائد[5]، ونظم صغرى السنوسي في علم المنطق، وله تعليق على قول خليل" وخصصت نية الحالف" إضافة غلى مجموعة فتاويه التي بلغت (219) فتوى، اختصار رسائل الحسن بن آغيدي الزيدي التي رد بها على الخرشي المصري، ورسالة في الرد على فتوى الحاج أحمد بن الحاج الأمين في بعض مسائل الصرف، والوصية الكافية لمن خصه الله بالعافية في السلوك والآداب، كما له فتيتين تجوز العقوبة

---

[1] -البرتلي: مصدر سابق، ص47.

[2] -ولد البراء يحيى: مصدر سابق، ص232. ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص 75.

[3] -ابن حامد: مصدر سابق، ص ص72-162.

[4] -البرتلي: مصدر سابق، ص89.

[5]-ابن حامد: مصدر سابق، ص62..

بالمال[1] وهو موضوع حصل فيه جدل كبير بين الفقهاء منذ القرن التاسع الهجري خاصة علماء تونس والمغرب الأقصى، توفي بتيشيت سنة 1169هـ[2].

8- القاضي محمد بن يدغور الماسني التيشيتي (ت1188هـ/1776): هو محمد بن يدغور بن أحمد بن الشيخ بن الأمين بن محمد بوركيبة الكابي الحسيني الماسني التيشيتي عالم تيشيت وقاضيها، ترجم له البرتلي وقال: "كان رحمه الله تعالى عالما بأصول الدين فقيها نحويا قارئا بقراءة نافع عابدا تقيا صالحا وليا كثير الحياء"، له حظ وافر من الحديث أخذ العلم عن ابني الفاضل الشريف التيشتي محمد وأحمد، وعن الحسن بن آغيدي الزيدي، وعن حمى الله وأخيه المختار ابني أحمد بن الإمام أحمد، إضافة إلى أبيه يدغور بن أحمد، توفي في تيشيت سنة 1188هـ.

قضاة شنقيط:

1- **القاضي أحمد اكد الحاج (ت1086هـ/1675م)**[3]: فقيه من قبيلة إيداوعلي (أهل اكد الحاج)من شنقيط، أخذ عن الشيخ أحمد بن ايد القاسم الحاجي الوداني،اشتغل بالتدريس والفتوى والقضاء من آثاره مجموعة الأجوبة الفقهية ورحلة مدونة،توفي في شنقيط سنة 1086هـ.

2- **القاضي عبد الله بن محم بن حبيب بن ابج (ت 1103هـ/1691م)**[4]: فقيه متميز ومتبحر في العلوم من قبيلة إيدا وعلي، ولد ونشأ في شنقيط وأخذ العلم في ودان عن الشيخ أحمد بن ايد القاسم الحاجي شيخ مشايخ قصر ودان، مارس القضاء في شنقيط حتى أصبح يعرف بالقاضي الشنقيطي،كما جلس بها للتدريس حقبة من الزمن أسس بها محضرة موروودة ثم هاجر من شنقيط إثر نشوب الحرب بين بطني إيدا و علي فخلف ابنه محم والد القاضي ابن رازكة في التدريس والمحضرة ثم

---

[1] -ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق ص76.

[2] -البرتلي: مصدر سابق ،ص50-51.

[3] - ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص ص 55-56،ابن حامد المختار: حياة موريتانيا ،الجزء الثقافي ،مرجع سابق ،ص199،النحوي الخليل: شنقيط المنارة والرباط ،مرجع سابق ،ص201،البرتلي ،فتح الشكور: مصدر سابق ،ص40.

[4] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ،مصدر سابق ج2،ص ص 31-32.

توجه إلى الحج ونزل بمصر زمنا لقي فيها الأجهوري وأخذ عنه، ثم رجع إلى بلده وآثر التوجه إلى بلاد القبلة عند قبيلة أولاد ديمان ثم انتصب قاضيا للبراكنة[1]، أخذ عنه خلق كثير منهم المختار بن الأعمش العلوي، ومحمد بن المختار الشواف بن محمد الشغ سل الذي أجازه في صحيح البخاري إجازة متصلة بإجازة أبي الإرشاد على الأجهوري،له عدة مشايخ أعلاهم سندا شيخ الشافعية شمس الدين محمدبن أحمد الرملي،وشيخ الإسلام بدر الدين الكرخي توفي سنة 1103هـ وهو دفين تبلبين بمنطقة العقل من بلاد الترارزة.

3- القاضي الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت1107هـ/165م)[2]: هو ابن يعقوب ابن ايجة بن يحي الشنقيطي من قبيلة إيدا وعلي، من كبار فقهاء مدينة شنقيط وأحد أبرز الوجوه العلمية بها خلال القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي، أخذ عن علماء وقته من أمثال الوالي بن الشيخ محمد عبد الله الولاتي، وعمر بن المحجوبي الولاتي،وعبد الله بن حبيب العلوي قاضي البراكنة، والحاج عبد الله بن بون المختار الحسني، ومن شيوخه الذين أعجب بهم الشيخ الشريف الفاسي المعروف بالشاب الشاطر، وكذا الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى الحسني الذي أخذ عنه الإجازة ضمن ما أخذ من إجازات إضاءة الدجنة، انتهت إليه الرياسة الدينية والدنيوية في شنقيط، فأسس بها محضرة كبيرة أخذ فيها عديد من الطلاب مثل محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي، وعثمان بن عمر بن المحجوب الولاتي، وعبد الله ولد زاركة بن محم العلوي، وعبد الله بن أبي بكر بن اعلى بن الشيخ المحجوبي الولاتي، وغيرهم كثير قال عنه صاحب الوسيط في تراجم أدباء شنقيط [3]: " أنه أول من أجاد من أهل تلك البلاد في تصنيف

---

[1] -المصدر نفسه.

[2] -ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة ،مصدر سابق ،ص48،ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص68.

[3] -النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط ،مرجع سابق ،ص527،ابن حامد المختار: حياة موريتانيا ،الجزء الثقافي ،ص205.

النوازل وكان من ألف فيها ينقل عنه "، له عدة مؤلفات أهمها[1]: شرحه على إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة للمقري التلمساني، حيث سماه فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح على إضاءة الدجنة، وله شرح على فريدة السيوطي، ونظم مغني اللبيب في النحو، وتأليف في البيان، وروضة الأفكار في علم الليل والنهار، ورسالة في الدماء، وله نوازل مجموعة، توفي بشنقيط 1107هـ.

4- القاضي عبد الله بن محم ابن القاضي العلوي الشنقيطي المعروف بابن رازكة (ت1143هـ/1731م)[2]: من أبرز الوجوه العلمية في شنقيط اشتغل بالقضاء إلى جانب شهرته في علم الأصول والشعر حتى عده مؤرخو الشعر الشنقيطي رائد الشعر بهذه البلاد، تتلمذ على يد ابن الأعمش العلوي الشنقيطي، كما سافر إلى عدة بلدان منها المغرب الأقصى التي أقام فيها علاقات مع الأسرة الحاكمة وسلطانها المولى إسماعيل العلوي وابنه محمد العالم[3] ومدحهما، كان ضليعا في شتى المعارف العربية والإسلامية، وقد مكنته أسفاره من اقتناء نوادر الكتب وتحصيل علوم كثيرة، من شيوخه بالمغرب الأقصى أحمد العطار، وأبي مدين القاضي الأكبر، وأحمد بن يعقوب الولاتي، ومحمد ميارة ،وأخذ عن أحمد بن موسى بن ايجل الزيدي تآليف السنوسي، وإضاءة الدجنة للمقري، وألفية العراقي، وصحيح البخاري، وجمع الجوامع للسبكي، وتخليص المفتاح لابن هاشم، وديوان امرئ القيس، والسُلَّمُ المرونق للأخضري في المنطق[4]،كما أخذ عنه علماء أمثال: أحمد بن خليفة العلوي، وأحمد بن الحاج حماه الله الغلاوي، من أهم مؤلفاته نزهة المعاني في ظهور البيان والمعاني، وأجوبة عن

---

[1] - ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ،مرجع سابق ،ص177.،ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ج2، مرجع سابق ،ص ص 253-254.

[2] -ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة ،مصدر سابق ،ص56.،ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص107.،البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص162.

[3] -النحوي خليل: مرجع سابق ،ص502.،الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط في تراجم آدباء شنقيط ،مرجع سابق ،ص01.

[4] -ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية ،مرجع سابق ،ص179.

أسئلة محمد بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاتي، إضافة إلى ديوان شعري يضم قصائد كثيرة[1]، توفي ابن رازكة سنة 1143هـ.

5- القاضي اتفغ مينحن محمد بن مودي (ت1151هـ/1738م)[2]: هواتفغ مينحن محمد بن مودي ابن مالك بن عبد الله جنك بن محمد بن ميحو بن نوح بن شنقيط أحد علماء شنقيط وفقهائها قال عنه الصالح الشهير أحمد يزيد اليعقوبي عند ولادته منا نحن الأولياء فاقتصرت فأصبحت "منحن" التي اشتهر بها، نشأ في أسرة علم رحل أبوه محمد بن مودي من تنبكتو إلى قبيلة أولاد ديمان التي تصاهر معها وسكن عندهم، كان من العلماء والفقهاء ذووا الباع الطويل والعلم الوافر، فقيها لغويا مبجل وشاعر متمكن، اشتغل بالتدريس والفتوى والقضاء، أخذ عنه العلم جماعة منهم: محمد اليدالي ابن المختار بن محمد سعيد، ومتالي بن محمذن بن بلة الديماني، والأمين بن الماح بن الحسن اندويك، وبايدين بن اتفغ الأمين، والمختار بن أيوب الجكني جد يحظيه بن عبد الودود، وعبد الله بن محم بن رازكة العلوي، ومحمد عبد الكريم بن الفاضل بن الكوري، وغيرهم خلق كثير، عاش مئة سنة قال فيه تلميذه محمد اليدالي ما نصه: "كان أقضى القضاة وسيد الهداة، سيد الحكام خاتمة الأعلام يرجع إليه الناس عند التباس الأوهام بركة الزمان ماحل به..."[3]وقال عنه محمد فال بن بابه العلوي: "إن السلطان المغربي المولى إسماعيل سأل عبد الله بن رازكة عن أعلم أهل زمانه فقال أما في المغرب الإمام الحراق وفي القبلة فشيخنا مينحن "،له من الآثار مشاعرة مع عبد الله بن محم العلوي (ابن رازكة)إضافة إلى فتاويه[4] في قضية زكاة المال المتنازع بين الذابين والمستظلين (فإنه كان يرى فيه مالا مزلزلاً لملك فلا تجب زكاته)،وفتوى عدم جواز صرف الزكاة عمن كانت تعطى له حتى يستغنى عنها

[1] - ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ،ج2،مرجع سابق ،ص102.

[2]- البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص

[3]-ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق ،ص ص 119-120.،حياة موريتانيا ،الجزء الثقافي ،مرجع سابق ،ص330.

[4] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ،ج2،مرجع سابق ،ص30.

استغناء بينا، وفتوى في أن كل من لايعرف العشرين صفة الواجبة في حق الله عند أهل السنة من الاشاعرة ليس بمؤمناً ولا تنبرم عقوده، توفي سنة 1151هـ ودفن بتنفتج من ايكيدي في بلاد شنقيط.

6- القاضي المختار بن محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت1155هـ/1742م) [1]:فقيه وعالم من قبيلة إيداوعلي (العور) من أهل شنقيط تولى القضاء في شنقيط لفترة قصيرة، إلى جانب التدريس [2]،من شيوخه محمد بن خير بن الأمين الشنقيطي، إضافة إلى والده أحمد، توفي سنة 1155هله من الآثار فتاوى فقهية.

7- القاضي محمد بن عبد الرحمن اتفغ عبيد بن عبد الله بن محمد بن حبيب (ت بعد 1169هـ/ 1756م)[3]: فقيه من فقهاء شنقيط من قبيلة إيداوعلي (الكحل)، تولى التدريس والقضاء بها، حيث تتلمذ على يد أحمد بن أحمد بن محمد بن حبيب العلوي وهو من معاصري ابن رازكة،له من الآثار فتاوى وأحكام فقهية، توفي بعد سنة 1169هـ.

8- القاضي اتفغ بن محم بن القاضي (ت بعد 1170هـ/1756م)[4]: فقيه متميز ومدرس من قبيلة إيداوعلي (أهل محم بن القاضي) أخذ عن أبيه في شنقيط وهاجر إلى منطقة القبلة في قبيلة تندغة وأسس محضرة هناك كثر روادها، اشتغل بالتدريس والقضاء إلى جانب الفتوى له من الآثار أجوبته الفقهية ،توفي بعد سنة 1170هـ.

9- القاضي أحمد بن الخليفة العلوي الشنقيطي (ت1188هـ/1775م)[5]: فقيه وعالم جليل محدث نحوي وقارئ بالقراءات السبع من قبيلة اكد الحاج الايداوعلية، نشأ في شنقيط حيث درَسَ بها ودرَّسَ لمدة خمسين سنة، تتلمذ على يديه خلق كثير منهم: مالك بن الحاج المختار الذي أخذ عليه

[1] -التنبكتي أحمد بابا: إزالة الريب والشك ،مصدر سابق ،ص 143،البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص56.

[2] -ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق ،ص ص 134-135.

[3] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ،ج2،مرجع سابق ،ص220.

[4] -المرجع السابق، ص29.

[5] -البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص ص 56-57.،ابن طوير الجنة: مصدر سابق ،ص78.

صحيح البخاري وكتاب الشفا للقاضي عياض، وأخذ عنه كذلك حرمة بن عبد الجليل بن محمد بن القاضي العلوي، وسيد المختار بن الطالب الوافي الغلاوي، وعمار بن محمد بن الإمام العلوي، توفي سنة 1188هـ[1].

10- القاضي أحمد بن الحاج حمى الله بن أحمد بن الحاج (ت1193هـ/1779م)[2]: فقيه لغوي من قبيلة الأغلال الساكنة بشنقيط فرع أولاد أحمد، اشتغل بالقضاء والتدريس والفتوى، حيث أخذ على عدة شيوخ منهم عمه أحمد بن خليفة بن الطالب أحمد الغلاوي، وأحمد بن الشيخ أحمد بن الوافي الغلاوي، وعبد الله بن محم بن القاضي العلوي، ومحمد بن مولود الغلاوي، ومحمد بن أحمد بن محمد بن الحاج مصطفى، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الغلاوي الموساوي[3]،كان من الحفاظ حاضر البديهة سريع الحفظ قوي الذاكرة له عدة تآليف[4]منها: ميمية في المنطق في الموضوع والمحمول، وكتاب تشابه القرآن وفوائد الإتقان، وكتاب في الصلاة على النبي، إضافة إلى نوازل مجموعة، توفي في رجب سنة 1193هـ.

11- **القاضي محمد بن أحمد بن دخنان (ت ق12هـ/18م)**[5]: فقيه من قبيلة إيداوعلي (فرع الدخنانين) من أهل شنقيط، اشتهر بالفقه والقضاء من آثاره مجموعة من الأحكام القضائية.

12- **القاضي محمد أحمد بن أحمد الحاج (ت ق12هـ/18م)**[1]: فقيه من إيداوعلي من أهل شنقيط، اشتهر بالعلم والقضاء ودرس على يد محمد بن أحمد بن محمد بن حبيب العلوي، له من الآثار مجموعة من الأحكام القضائية.

---

[1] -ابن حامد المختار: حياة موريتانيا ،الجزء الثقافي ،مرجع سابق ،ص205، حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص ص 193-194.

[2] -البرتلي: مصدر سابق ،ص ص 57-58.،ابن طوير الجنة: مصدر سابق ،ص79.

[3]-ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص202، حياة موريتانيا ،الجزء الثقافي ،مرجع سابق ،ص206.

[4]-النحوي خليل: المنارة والرباط، مرجع سابق ،ص540.

[5] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ،ج2،مرجع سابق ،ص 176.

13– القاضي محمد بن أحمد بن حبيب العلوي الشنقيطي (ت ق12هـ/18م)[2]: هو من قبيلة إيداوعلي القاطنين بشنقيط وهو ابن أخ القاضي عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي المعروف بقاضي البراكنة،درس على يد محمد بن المختار بن الأعمش العلوي، كما أخذ عنه محمد أحمد بن أحمد بن الحاج العلوي،من آثاره مجموعة الأحكام القضائية والفقهية توفي في شنقيط خلال القرن الثاني عشر الهجري.

14– القاضي عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي الشنقيطي (ت 1209هـ/1775م)[3]: من قبيلة الأغلال الساكنة بشنقيط وهو عالم أديب وفقيه عارف بأصول العلم ،وقعت بينه وبين الكصري بن محمد بن المختار الإدليبي خلافات في مسائل فقهية فغلبه الكصري فقال مثلي كمن عنده أنواع عديدة ممايستطاب ،ومثله كمن ليس عنده إلانوع واحد وكان له في كل فن أعلى منزلة [4]،أخذ عن المختار بن بونا الجكني، ومالك بن المختار الغلاوي، وعن خاله عبد الله بن الفاضل الشمشوي اليعقوبي، أما من أخذ عنه فلانجد إلا ابن أخته النابغة الغلاوي، له عدة تآليف[5] فاقت الخمسين تأليف منها: نظمه المشهور على رسالة ابن ابي زيد القيرواني وشرحه ، ونظم على الأخضري وشرحه، وشرح العاصمية، وتآليف في الزكاة وشرح خليل، وتآليف في جامع الإيمان، ونظم في الرخص، ونظم في ذم البحث، ونظم نوازل ابن الأعمش، توفي بشنقيط سنة 1209هـ.

---

[1] –المرجع نفسه .

[2] –المرجع نفسه.

[3] – البرتلي: مصدر سابق ،ص ص 170الى 173.،المحجوبي الولاتي مصطفى بن أبي بكر: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور ،تحقيق وتعليق محمد الأمين بن حمادي ،الوكالة الفرنسية للبحث العلمي ،باريس ،2011،ص62.

[4] – النحوي خليل: المنارة والرباط ،مرجع سابق ،ص ص 580-582.

[5] – ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص241، حياة موريتانيا ،الجزء الثقافي ،مرجع سابق ،ص206.

15- القاضي عبد الله بن إبراهيم بن الإمام عبد الرحمن العلوي (ت1233هـ/1818م)[1]:

كان عالما فقيها قاضيا أصوليا مفتيا مدرسا يقتصر في فتواه على محل الحاجة ولايطيلها، درس على عدة شيوخ منهم المختار بن بونة الجكني، وعبد الله بن الفاضل رحل إلى الحج والتقى عدة علماء مشارقة أخذ عليهم، ثم رحل إلى فاس واستفتى من علمائها وزار الملك المغربي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي لطلبه الكتب فاختبره في العلم فأعجب به وعظمه وأعطاه خزانة كتب نفيسة جدا، رجع إلى بلاده شنقيط فنال الحظوة عند أمراء إيد اوعيش حيث كان المستشار لأميرها محمد بن محمد شين [2]،جرت له خصومة مع أبناء عمومته فاضطر إلى الخروج من بلدته، كان من العلماء الذين أفتوا بالعقوبة بالمال (اي التغريم) وأمر بتنفيذها وقال أنه جرى العمل بها من الأمراء والقضاة بالغرب وإفريقية [3]، له عدة آثار من بينها مؤلفات في علم الحديث منها :غرة الصباح في اصطلاح البخاري، ونظم في مختصر علم الحديث، وفي الأصول له نظم سماه مراقي السعود وشرحه، وطردالصنوال والهمل في الركوع في حياض العمل، وله نظم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وآخر في مكفرات الذنوب وشرحه، وله نظم شرحه سماه رشد الغافل طالبا من الله تعالى تيسير المحاصل، من أهم تلامذته[4] ابن طوير الجنة الوداني، والطالب بن حنكوش، توفي رحمه الله سنة 1233هـ.

قضاة منطقة القبلة (بلاد الترارزة والبراكنة):

1-القاضي أتفغ الأمين بن سيدي الفالي بن محنض بن ديمان بن يعقوب(ت 1101هـ-1689م)[5]: فقيه ومدرس من قبيلة أولاد ديمان فرع أولاد سيد الفالي، اضطلع بمهمة القضاء والإفتاء

---

[1]- الزركلي: الأعلام،، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان ،1989، ج،4ص65.،البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق ،ص173،المحجوبي: منح الرب الغفور ،مصدر سابق ،ص95.،ابن الأمين الشنقيطي: الوسيط ،مصدر سابق ،ص37.

[2] -ابن طوير الجنة: مصدر سابق ،ص93.

[3] -ابن حامد المختار: حوادث السنين ،مرجع سابق ،ص ص 120-327.،

[4]-ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية ،مرجع سابق ،ص184،النحوي الخليل: المنارة والرباط ،مرجع سابق ،ص ص 491-513.

5 - ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى الشاملة للفتاويج1 مرجع سابق، ص28

والإفتاء في محضرة والده[1] الذي كان عنده كثير من التلاميذ فلم توفي أرادوا المسير الى أهاليهم أو الى من يقرئهم فقال لهم انتظروني ثلاثة ايام فعكف على خزانة أبيه فلما تم الأجل قال لهم تعالوا إقرؤوا ماشئتم فوجدوا الأمر على ماكان عليه فبقوا يدرسون عنده[2]، فوجدوا الحفظ والفهم، قيل عنه لكثرة شغفه بالعلم أنه اشترى مكتبة من ودان بقيمة مئة ناقة وجعل هذه المكتبة وقفاً لطلاب العلم ، إشتهر كذلك بقربه من الإمام الناصر الذي أسس إمارة في ارض القبلة، وقد استعملة على خطة القضاء بل كان عضو مجلس القضاء في بلاط الأمير الناصر[3]، تخرج عليه الكثير من أهل العلم منهم ابنائه الأمين، الفالي بن الفالي، الى جانب غيرهم مثل مسكه بن باركله، أتفغ مينحن بن مودي مالك، من اهم أثاره فتاوى فقهية، ونظم في الشعر[4].توفي سنة الف ومئة وواحد هجرية.

2-**القاضي محمد بن حبيب الله الألفعي الشمشوي المدعو (منيرة)** (ت 1165هـ-1743م)[5]: فقيه ولغوي، نحوي وشاعر، من منطقة القبلة، استقضاه الإمام ناصر الدين في إمارته وقلده رئاسة مجلس القضاء، بعد وفاة الإمام ناصر الدين[6]، هاجر الى ولاته لنشر العلم ثم رجع الى أرض القبلة التي توفي بها ساهم في الحياة العلمية بمجموعات في الفقه مثل" النوازل"، وفي النحو شرح لألفية بن مالك يسمى "الدلاصة على الخلاصة"، إضافة الى ديوان شعري نظمه أثناء غربته في ولاته[7].

1- ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء مرجع سابق، ص65.

2 - اليدالي: شيم الزوايا نصوص من التاريخ الموريتاني، تحقيق محمدن ولد باباه، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص164.

3 - ولد السعد محمد المختار: مرجع سابق، ص 65.

4 - ولد البراء يحي: مرجع سابق، ص29.

5 - البرتلي: مصدر سابق، ص77-93-126.

6 - النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص532.

7 - ولد المصطفى محمد عبد الله: من ابرز علماء شنقيط، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، موريتانيا،د.د.ط، د.ت.ط، ص06.

3-القاضي محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي (ت1166هـ-1744م)[1]: فقيه وشاعر من قبيلة أولاد ديمان في منطقة القبلة، له إسهامات علمية الى جانب القضاء منها تفسيره للقرآن الكريم "الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز"، وله كتاب" خاتمة التصوف"، وفي التاريخ والسير له كتاب" الحلة السراء في انساب العرب وسيرة خير الورى"[2]، إضافة الى كتاب يتكلم فيه عن أمر الوالي ناصر الدين، وكذا كتاب "شيم الزوايا" يتحدث فيه عن مكارمهم، وخصالهم، وعادتهم، وهو يخص قبائل العلم التي اجتمعت في اتحاد قبلي يعرف بالزوايا، كما له ديوان شعري أشهر قصائده المديحة "صلاة ربي"[3]، توفي سنة ستة وستون ومئة والف هجرية ببلاد الترارزة.

4-القاضي المختار بن أتفغ موسى أبيال بن عامربن أبيال (توفي بعد 1173هـ-1759م)[4] فقيه وقاضي من قبيلة إيديقب (أهل أتفغ موسى)، أخذ العلم عن علماء أجلاء منهم كالفالي بن بو الفالي الحسني، وأتفغ مينحن بن مودي مالك الديماني، كان مشتغلاً بالدرس والقضاء، وكانت تربطه علاقات علمية مع علماء عصره في داخل بلاده وحتى خارجها كشيخ المالكية بالديار المصرية محمد الخرشي (ت 1105هـ- 1693م)، من اهم تلامذته ابنه محمذن آب، يعتبر القاضي المختار من اقرباء الإمام ناصر الدين فهو ابن خالته[5]، تولى القضاء للأمير التروزي أعلي شنظورة ، من آثاره رسالة رسالة في الفتاوى.

5-القاضي المختار بن بون بن الأمين بن محمد سعيد الجكني (ت1220هـ-1805م)[6] : فقيه ولغوي وشاعر من قبيلة تجكانت (فرع الرماظين) عرف باجتهاده ومثابرته في العطاء والعلم، أخذ العلم على مجموعة من العلماء منهم المختار بن حبيب الجكني، وعن محمد بن محمد المجلسي، وعن

[1] – البرتلي: مصدر سابق، ص122.

[2] – الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط في تراجم آدباء شنقيط، مرجع سابق، ص223.

[3] – ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص155.

[4] – ولد البراء يحي: مرجع سابق، ص285.

[5] – ولد السعد محمد المختار: مرجع سابق، ص65.

[6] – البرتلي: مصدر سابق، ص141.

المختار بن باب حونن الحسني، والقاضي عبد الله بن رازكة وغيرهم كثير[1]، يعتبر من اوائل الذين أسسوا مدرسة للنحو واللغة في منطقة القبلة، الى جانب الفقه والمنطق، قال عنه صاحب الوسيط[2] "لا يوجد عالم بعده إلا وله عليه الفضل الجزيل، بما استفاد من مصنفاته، وتلقى من مسنداته، ويكفي أنه هو الذي نشر النحو بعد دفنه وكفى الناس مشقات،.... نظم لهم ماتخلف عن الألفية مما تضمنه التسهيل وألصق كل شذرة بما يناسبها وضم الى ذلك طرته المفيدة" من اشهر مؤلفاته منظومة في علم العقائد بعنوان" وسيلة السعادة"، وله "درر الأصول في علم الأصول"، وله "سلم الطالبين الى قواعد النحويين"، وله" تبصرة الأذهان في نكهة البديع من المعاني والبيان" من أهم تلامذته عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي. توفي سنة عشرون ومئتين والف هجرية[3].

[1] – ولد البراء يحي: مرجع سابق، ص287.

[2] – الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط مرجع سابق، 277.

[3] – ولد المصطفى محمد عبدالله: مرجع سابق، ص10، النحوي خليل: مرجع سابق، ص490-530.

الفصل الرابع: القضاة ومساهمتهم في الجانب العلمي والثقافي

أ- المجال العلمي (حركة التأليف)

- علوم القرآن
- علوم الحديث
- الفقه
- علم الكلام والعقيدة
- علم المنطق
- علم اللغة
- علم التاريخ والتراجم والسير

ب- الإشراف على المؤسسات الثقافية

- المدارس
- المساجد
- المكتبات

أ/مساهمة القضاة في المجال العلمي وحركة التأليف:

حرص كثير من القضاة على أن تكون مهنة التعليم الشغل الشاغل لهم،حيث كانوا مواظبين على نشره وتعليمه لاسيَّما في المراكز العلمية مثل تنبكتو ،وجني وغاو،وشنقيط، وولاته،وكانو، إذ عدت هذه المدن مراكز استقطاب للمثقفين وطلبة العلم سواء أكانوا من أهل البلاد أومن خارجها، وهذا ما أفرزته الحياة العلمية ونشاطها من خلال تلك المؤلفات العلمية وشروحها في مجالات معرفية عديدة، كالفقه،وعلوم القرآن – القراءات، التفسير– والحديث، والعقيدة، وعلم الكلام،والمنطق، واللغة العربية وآدابها،إضافة إلى علم التاريخ والسير والتراجم.

علوم القرآن: لما كان القرآن الكريم هو مصدر العقيدةوالمعرفة لدى المسلمين فقد حرصوا على الاهتمام به ودراسته، ومداومة قراءته ليلا ونهاراً، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، حتى يحفظوه ويدركوا معانيه، والقرآن الكريم هو من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه لقوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1] ولما كان للقرآن الكريم من أهمية فقد حرصوا على الاهتمام به ودراسة معانيه، لذا جاءت علوم القرآن "وهي العلوم والأبحاثالتي تهتم بالقرآن الكريم وتدور حول فهم معانيه وشرح ألفاظه وإعرابها، ومعرفة أسباب نزوله وحفظه وجمعه وترتيبه في المصاحف وتفسير، وبيان مجمله ومبهمه، ويشمل علوم القرآن فروع كثيرة أبرزها علم القراءات والتفسير ..."[2].

وتعتبر بلاد السودان الغربي من البلدان التي اهتمت بالقرآن وعلومه فأعطوه مكانة خاصة بين العلوم حتى أصبح منهلا للتنافس حفظا ودراسة.

[1] – أخرجه البخاري: صحيح البخاري، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم:5027، أبو داود: السنن،بَابٌ فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ،رقم: 1452.

[2] – محاسنة محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، مرجع سابق ،ص54.

القراءات[1]:انتشرت القراءاتبرويتي ورش[2] وقالون[3] اللتان كانتا تدرسان في هذه البلاد،ومن مشاهير رجالها وحامل لواءالقراءة بها الفقيه ابن عبد المولى الجلالي[4]،والفقيه إبراهيم الزلفي (ت929هـ)المقرئالعالم بالتجويدالشهير الذي كان أحد المدرسين في مدرسة أبي القاسم التواتي الواقعة قبالة مسجد جنكبير (الجامع)في تنبكتو قال عنه السعدي: "السيد الفاضل الصالح الخير الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه إبراهيم الزلفي وهو أستاذ والدي "[5].

ومن مشاهير القراء كذلك نجد الفقيه محمد بابا ستر بن الفقيه القاضي أندغمحمد(ت1002هـ)،وهو من جني وكان مقرئا عالما جليلا بارعا في القراءات،ومن تلاميذه الفقيه القاضي عبد الله بن أحمد بري (ت1010هـ)[6]،كما برز من القراء عبد الرحمن بن الفقيه القاضي سيد على بن عبد الرحمن الأنصاري المسناني(ت1008هـ) الذي كان فقيها مقرئا[7]، بالإضافة إلى الفقيه عبد الله بن أحمد بري بن أحمد الفقيه أندغمحمد الجد(ت1010هـ)،الذي برع في علوم شتى منها القراءات وعلم التوثيق والنحو[8]، ومن القراء الذين ذاع صيتهم في هذه البلاد الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج الذي كان يحرص

[1] – هو علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل،كما يضبط به متن كلام الله تعالى بوجوهه المختلفة النازلة عليها المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى علم القراءات السبع،ينظر بوشقيف محمد: تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان ،2010-2011،ص 128.

[2] – الإمام ورش هو عثمان بن سعيد المصري القبطي الأصل كان محققاً في علم القراءات ضليعاً في علوم اللغة ،لقبه أستاذه نافع بورش لشدة بياضه وهو من أشهر تلامذته ،توفي سنة 179هـ ،ينظر:ولد أباه محمد المختار :تاريخ القراءات في المشرق والمغرب ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، مطبعة بني إزناس، سلا المملكة المغربية ،2001،ص 63.،وانظر الباز السيد أحمد :الحياة العلمية مرجع سابق ،ص 71.

[3] – الإمام قالون هو عيسى بن مينا وردان الزرقي مولى بني زهرة قارئ أهل المدينة، تزاحم عليه القراء حلقاً، لقبه شيخه نافع بقالون لجودة قراءته وهي لفظة رومية معناها جيد ،واشتهر بقراءة القرآن وعلوم اللغة طال عمره وبعد صيته فكان ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ،أنظر:المرجع نفسه .

[4] السعدي: مصدر سابق ،ص218، البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص111، مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص237،

[5] البرتلي: مصدر سابق ،ص71،الفاجالو محمد:الحياة العلمية مرجع سابق ،ص227.

[6] السعدي: مصدر سابق ،ص212، ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية مرجع سابق ،ص334.

[7] مطير سعد غيث:مرجع سابق ،ص238.

[8] السعدي: مصدر سابق ،ص ص 240-250.،البرتلي:مصدر سابق ،ص 158،الفاجالو محمد:مرجع سابق ،ص226.

على قراءة القرآن وتلاوة المصحف يقول عنه السعدي[1]: "روى شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمدأخي الفقيه عبد الرحمن أنه قال لايحول بين الشيخ أحمد هذا ودرس المصحف إلاإقراءالعلم ..."،ومن القراء الفقيه أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب (ت1014هـ) الذي برع في كثير من العلوم والفنون منها القراءات ويعتبر من أشهر تلاميذالمقرئالشيخ عبد المولى الجلالي،وقد اخذ عنه روايتي ورش وقالون[2].

أما في بلاد شنقيط فقد اشتهر من القراء[3] الفقيه محمد المحجوب الجكني(ت1102هـ)،والفقيه القاضي عبد عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي الشنقيطي (ت1103هـ)،والقاضي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت1107هـ)،والفقيه المقرئ عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي(ت1145هـ)[4]، ومن أشهر القراء الذين اشتهروا بقراءتهم في تيشيت نجد الفقيه القاضي أحمد بن فاضل الشريف التيشيتي(ت1153هـ)،الذي كان على درجة عالية من الإتقان في رواية ورش[5]، ونجد كذلك الفقيه المقرئ الطالب أحمد بن أبي بكر بن أحمد المسلمي(ت1179هـ) الذي كان بدوره متقن لرواية ورش عن طريق نافع،والمكي والبصري[6]،ومن القراء في تيشيت القاضي محمد بن يدغور الماسني التيشيتي الذي كان قارئا بقراءة ورش عن طريق الإمام نافع[7]،كما اشتهر من الفقهاء القراء عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي (ت1209هـ) والذي عرف بقراءته وتآليفه في القراءات السبع[8].

---

[1] –السعدي: مصدر سابق ،ص83،ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية مرجع سابق ،ص353.

[2] –البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص111،الفاجالو محمد: الحياة العلمية ،مرجع سابق ،ص ص 225-226.

[3] –ولد عبد الله عبد الودود:الحركة الفكرية مرجع سابق ،ص169.

[4] –هو الفقيه المقرئ النحوي حامل لواء القراءات السبع في بلاد شنقيط أبو بكر عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي الذي رحل إلى جنوب المغرب الأقصى للأخذ عنأحمد بن الحبيب اللمطي السجلماسي،والذي أجازه في القراءات السبع ،ولما رجع إلى بلاده وجد الناس يلحنون ويصحفون الحروف فأزال اللحن والتصحيف عنهم .ينظر البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص ص208-209، وابن طوير الجنة:مصدر سابق ،ص ص 56-57،ابن حامد المختار:حوادث السنين مرجع سابق ،ص109.

[5] –البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص47.

[6] –المصدر السابق ،ص 52.،ولد ميابي حماه الله:تاريخ تيشيت مرجع سابق ،ص66.

[7] –البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص134،ابن حامد المختار:حياة موريتانيا الجزء الثقافي ،ص204.

[8] –ابن حامد المختار:حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق ،ص 41.

هذا ومن مظاهر اهتمامهم بعلم القراءات نجد أن بحوثهم وصلت إلى مناقشة مسائل اختلف فيها خاصة فيما يتعلق بضبط الصيغة الصحيحة لنطق الحروف وهو ماجاء في سؤال طرحه عبد الله بن محمد حبيب العلوي الشنقيطي (ت1103هـ) على قاضي مراكش ومفتيها أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني(ت1062هـ)[1]،حيث يذكر القاضي الشنقيطي في سؤاله، أن البلاد الشنقيطية وما حولها إذا كانوا يتلون القرآن يبدلون الضاد،حيث جاء في القرآن بلام مغلظة نحو: "غير المغضوب" "ولا الضالين"،و" الأرض "،"يضربون"مثلا، في الصلاة وغيرها وهم يقدرون على قراءتها على حقيقتها ويزعمون أنهم على الحق وغيرهم على الباطل[2]،فهل حفظكم الله قارئ هذه القراءة على الصواب كما زعم أم لا ؟وهل يسري الفساد الفساد لصلاته أم لا ؟وهل هو مسلم أم كافر؟ وإذا كان على الكفر فهل يستتاب استتابة الكافر فإن تاب وإلا قتل، وماترون رحمكم الله إن تمالأ (تمادى) عليه أهل قطر وامتنعوا عن الرجوع عنه لاعتقادهم صواب ماهم عليه فهل يقتلون على ذلك أم لا؟".ورد السكتاني متنكرا هذا التقليد لأن من يقرأ بهذه الصورة حسب رأيه "حائد في قراءته عن الصواب محرف لكلام القرآن عن مواضيعه تشبها باليهود من أهل الكتاب، فاني يكون ما ارتكبه هذا القارئ في قراءته وتحريفه بجرأته صوابا،وماعليه المسلمون من قراءة الضاد وجعله ضادا دون تغيره إلى اللام خطأ،فنظيره من يقول الإسلام خطأ والكفر صواب،ممالايخفى فساده على كل من دان بدين الإسلام، وأما قول السائل فهل يسري الفساد إلى صلاته أم لا ؟فجوابهاأن الفساد يسري إلى دينه فضلاً عن صلاته."[3]،ويحكم القاضي السكتاني بكفر من يصر على هذه القراءة ويقيسه على من يهين المصحف ولو ألقاه في مرحاض بل هو أشد منه لأنه غيَّر حقيقته بخلاف من ألقى المصحف فإنه ماغير حقيقته،ثم تغيير الحقيقة يؤدي إلى تغير المعنى وتحريفه لأن الألفاظ قوالب المعاني ."[4]ويبدو أن هذا

[1] – أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني مفتي مراكش وقاضيها وعالمها له مؤلفات مشهورة ومناقب مأثورة ،منها شرح أم البراهين للسنوسي ،من أهم تلاميذه محمد بن سعيد بن سليمان الفاسي نزيل مكة وغيره كثر .ينظر :بن مخلوف محمد بن محمد :شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ج1،المطبعة السلفية ومكتباتها ،القاهرة 1349هـ ،ص308.

[2] –ولد عبد الله عبد الودود:الحركة الفكرية ،مرجع سابق ،ص ص 166-167.

[3] –ابن حامد المختار:حياة موريتانيا ،مرجع سابق ،ص 45.

[4] –ولد البراء يحي:المجموعة الكبرى للفتاوي ج4مرجع سابق ،ص 1140.

الجواب من أكبر مرجع ديني في مراكش وباستدعاء من أكبر علماء شنقيط كان له تأثيره القوي في حمل الناس على الإقلاع عن هذه الطريقة في نطق الضاد بحيث لم يعد لها وجود في العصور اللاحقة.

وفي القرن الثاني عشر الهجري ظهر المقرئ الشهير عبد الله بن أبي بكر التنواجوي(ت1145هـ) السالف الذكر، وقد طرح من جديد هذه المسألة،وهذه المرة تخص حرف الجيم، وكان ذلك عندما رحل إلى العالم المغربي أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي وقرأ عليه القراءات السبع، وكان الناس يلحنون في القراءة ويصحفون في الحروف،فأزال اللحن والتصحيف عنهم سيما في مسألة الجيم[1]،وفي خضم هذا الصراع الذي انبثق عن اللحن في الحروف وتصحيفها خاصة حرف الجيم ألف التنواجيوي كتاب سماه مخرج الجيم وصفته داعيا إلى هجر الجيم المغربية باعتبارها متفشية بينما الجيم الفصيحة مشددة، وقد اعتبر التنواجيويأن الجيم الذي يقرأبه قومه من غير مخرجه الصحيح ووصفوه بغير صفته حيث صار ممزوجا بالشين وجعلوه من حروف التفشي،ولم يقل أحد بذلك من النحاة ولا من القراء،وقد عارض التنواجيوي القارئ محمدبن الحبيب بن ايد الجكني[2] الذي ألف رسالة في الرد على قراءة التنواجيوي وقد قرظها الفقيه القاضي محمد اليدالي(ت1166هـ) وجعلها في تقييد خاص وذكر أنالجكني في هذه الرسالة جمع بين الغث والسمين ،وسماها "الأنوارالمتوقدة في الرد على الجيم المنعقدة "،وقد برر اليدالي استدلالات الجكني فيما أتبه التنواجيوي فقال يكفي في رده أنه محدث أي انه بدعة وضلال،ثم يضيف أن القرآن الكريم أفصح ماسمع من كلام العرب فإذا كانت الفصاحة في الحروف فيكون الحرف يقصد الجيم المشددة متجنبا لثقله في السمع ولاضرورة داعية إلى تكلفه فيحل كتاب الله جل جلاله أن يتلى بذلك[3]،ويضيف إلى ذلك أن اللهجة السائدة في بلاد شنقيط بعد وصول القبائل الحسانية إلى هذا الإقليم تسمى اللغة الحسانية وهي القنطرة لأهل هذا العهد إلى العربية،بل هي لأنها ملحونة منها،وفصيحهم لايطاوعه لسانه بذلك الجيم لفصاحة سلاقته[4].

---

[1] -البرتلي :فتح الشكور مصدر سابق ،ص 208-209،ابن حامد المختار:الحياة الثقافية مرجع سابق ،ص 45.

[2] -ولد البراء يحي: مرجع سابق ،ص 1145، ولد عبد الله عبد الودود:الحركة الفكرية مرجع سابق ،ص 168.

[3] -ولد عبد الله عبد الودود:الحركة الفكرية مرجع سابق ،ص 169، ابن حامد المختار:حياة موريتانيا مرجع سابق ،ص 46.

[4] -ولد عبد الله عبد الودود:مرجع سابق ،ص 170.

التفسير:هو العلم الذي يبحث في أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى،أوعلم نزول الآيات القرآنية الكريمة من حيث أسباب نزولها وترتيبها مكية أو مدنية،ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، ومطلقها ومقيدها ،وعامها ومجملها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها،وأمرها ونهيها،وعبرها وأمثالها[1]، أو كما قال حاجي خليفة[2]: " بأنه البحث في مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وتفهم ألفاظه من حيث دلالتها على مراده "،وقال الزركشي[3]: " التفسير هو علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه ".

وقد اعتنى المسلمون بهذا العلم عبر العصور والأزمنة،بدءا بمرحلة الدعوة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم هو المفسر الوحيد للقرآن،ثم مرحلة الخلافة الراشدة مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود،إلىأن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فتعددت أنواعه وظهر عدة مفسرين انتشرت تفاسيرهم في أنحاء العالم الإسلامي[4] .

وتعتبر بلاد السودان الغربي من الجهات التي عرفت تفسير القرآن الكريم وان كان محدودا في بدايته إلاأنها عرفت تفسير الجلالين[5] نسبة إلى جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي المصري (ت911هـ)،وجلال الدين محمد بن أحمدبن محمدبن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي المصري (ت864هـ)،ويبدو أن شيوع هذا التفسير راجع لاختصاره وللمكانة التي يحتلها الإمام السيوطي في هذه البلاد.

هذا وقد ظهر علماء أجلاء من القضاة قاموا بتفسير القرآن منهم:الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ) الذي فسر فاتحة الكتاب،وله تفسير آخر يسمى البدر المنير في علوم التفسير[6]،وبرز الفقيه

---

[1] -محاسنة محمد حسين:أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين مرجع سابق،ص61.

[2] -حاجي خليفة:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج1،مكتبة المثنى، بيروت لبنان، د.وت.ط، ص427-428.

[3] -الزركشي عبد الله:البرهان في علوم القران ج2،تحقيق أحمد أبو الفضل،مطبعة الشرق،عمان الأردن، 1983،ص147.

[4] -بن طرهوني محمد بن رزق: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا،دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية،1426،ص21.

[5] -الباز أحمد السيد:الحياة العلمية والثقافية مرجع سابق،ص115.

[6] -التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق،ص 577-578 ،الفاجالو محمد: الحياة العلمية في صنغي مرجع سابق،ص 228.

القاضي أحمدبن محمد بن عثمان (ت942هـ)[1] وكان من مفسري القرآن يجلس في مسجد سنكري وله حلقات في ذلك،كما اشتهر في بلاد الهاوسا الفقيه القاضي عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري ثم السفياني(ت956هـ) الذي كان من أبرز علماء التفسير بها[2]، ومن علماء التفسير نجد محمد بن محمود بغيغ الونكري(ت1002هـ)[3]،الذي أمضى جل وقته في العلم مدرساً ومحققاً اشتهر بعلم التفسير ويعتبر شيخ وأستاذ القاضي أحمد بابا التنبكتي صاحب التصانيف العديدة منها علوم التفسير الذي كان مبرزاً فيها، وقد أخذ عنه خلقاً كثير منهم الحاج أحمد بن الحاج محمد فهدي بن أبي فهدي التواتي ثم المراكشي[4] قال عنه: "لمافتح الله تعالى علي بملاقاة عالم الدنيا ومعلمها حامل لواء الأحاديث ومفهمها، العلامة أبي العباس جعل الله أيامه للخير أسبابا وفتح به إلى العلوم أبوابا، فلازمت بابه أياماوشهوراً وأعواما،فقرأت عليه رحمة الله تعالى القرآن العظيم بتفسير الجلالين المحلي والسيوطي في عامين مرتين قراءة تحقيق وتفهم وتدقيق،وغيره من الكتب والفنون ..."، ومن مفسري تلك الفترة نجد القاضي سيد أحمد بن آك السوقي (ت1044هـ)[5]،كان بارعاً في فنون عدة منها التفسير واللغة والحديث متقنا فيها، وكان من أبرز طلاب الفقيه محمد بغيغ الونكري التنبكتي بعد العلامة أحمد بابا التنبكتي.

وفي تيشيت فقد كان من تقاليدهم أن يفسر القرآن في المسجد، وذلك بعد قراءة حزب من القرآن يقرأه قارئ فيقوم الإمام بتفسيره[6]، ومن أبرز مفسري تيشيت نجد العلامة محمد موه عبد الرحمن

---

[1] – السعدي:مصدر سابق،ص36.، البرتلي: مصدر سابق،ص39.، مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص239.

[2] – التنبكتي أحمد بابا:كفاية المحتاج، ج2مصدر سابق،ص133.

[3] – التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج، مصدر سابق،ص341.

[4] – البرتلي :مصدر سابق،ص33.

[5] – المصدر السابق:ص50.

[6] – ولد ميابي حماه الله: مدينة تيشيت مرجع سابق،ص 67.

التيشيتي(ت1135هـ)[1]، كما عَدَّ البرتلي محمد بن الحاج محمد بن عبد الرحمن بن الشغ السلمي (ت1171هـ) مفسراً للقرآن الكريم[2].

أما في شنقيط فقد ترأس التفسير بها القاضي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت1107هـ)[3]،حيث يعتبر أول شخصية علمية بارزة قامت بمحاولة جادة وقوية لتفسير القرآن الكريم، وتصدت للأصوات المناوئة الزاعمة أن تفسير القرآن لا يجوز إلا للصدر الأول وأنهم قد كتبوا فيه ما يكفي، وقد قال فيه الباحث الفرنسي افرانك لاكونت[4]: "ولما حاول مفتي شنقيط أن يفسر القرآن الكريم بادر أنداده من الفقهاء بالتكبر عليه وطالبوه بالتوقف عن ذلك ودافع عن موقعه دفاعاً شديداً "[5]،ورغم الاهتمام الاهتمام بالتفسير لم يكن في مستوى العلوم الأخرى،فقد وجد أن طريقهم في هذا العلم تقوم على الحفظ،أي حفظ كتاب من التفسير وفهم معانيه دون الاجتهاد في ذلك،واعتبروا التفسير من مشمولات ثقافة العلماء لا التلاميذ، فلا يمكن أن يشتغل بالتفسير عندهم إلامن تضلع في الفقه وأصوله، وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبلاغة،واشتهر بالورع والالتزام، فهذا هو الذي يحق له النظر في كتاب الله تعالى،أما من لم يصل هذه المرتبة فلاينبغي أن يتجرأعلى تفسير كتاب الله لأنه لم يتأهل للأخذ منه كمايقولون، واستمر هذا لسنوات إلى مجيء القاضي بن الأعمشثم انبرى العلماء من بعده لعلم التفسير فكان منهم القاضي عبد الله بن محمد العلوي الشنقيطي المعروف بابن رازكة(ت1143هـ) الذي ذكره البرتلي[6] بأنه عالما بأصول الدين والتفسير والحديث والفقه والأصول، وقد أخذ عليه الفقيه أحمد بن سيدي محمد الزيدي (ت1143هـ)[7] الذي يعتبر من أهم طلابه،ثم جاء بعده الفقيه محمد بن الطالب الخطاط (ت1165هـ)[8]

---

[1] – محمد مولاي بن محمد:التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك، موريتانيا، الإمارات العربية المتحدة، ط1،2008، ص 229.

[2] – البرتلي :مصدر سابق،ص130.

[3] –محمد مولاي بن محمد: مرجع سابق، ص 82.

[4] –فرانك لاكونت هو من الرحالة الفرنسيين الذين اشتغلوا في بلاد شنقيط انطلاقاً من مركز سان لوي في السنغال .

[5] –محمد مولاي بن محمد: مرجع سابق،ص 82.

[6] –البرتلي:مصدر سابق، ص164.

[7] –المصدر السابق، ص 46.

(ت1165هـ)[1] الذي أشارإليه صاحب فتح الشكور باشتغاله بالتفسير وله قصيدة في نقل الهمز ووصله،ثم جاء بعده القاضي محمد اليدالي(ت1166هـ)[2] الذي بلغ التفسير على يديه مبلغا لم يصل إليه غيره فألف كتابه "الذهب الابريز في تفسير كتاب الله العزيز "،ثم جاء بعد اليدالي العالم الشهير أحمد بن آكه الله الحمادي الغلاوي (ت1168هـ)[3] له كتاب "سراج المفسرين "،وكذلك العلامة القاضي الشهير أحمد بن الحاج حمى الله الغلاوي (ت1193هـ)[4]، صاحب التآليف النافعة في عدة أبواب وقد ذكره صاحب فتح الشكور قائلا: "بلغ الغاية في علم التفسير والنحو وله كتاب تشابه القرآن وفوائد الإتقان ".

وفي ولاته نجد من الذين اشتهروا بالتفسير القاضي محمد بن أبي بكر المحجوبي الولاتي(ت1137هـ)[5] والذي والذي أخذ عنه جمعاًغفيراً منهم القاضي أبوبكر بن أموه بن آك المحجوبي الولاتي(ت1172هـ)[6]، ثم القاضي محمد بن أحمد بن الشيخ المسوفي الولاتي(ت1187هـ)[7]، ومنهم العلامة الفقيه حمه بن أحمد بن الشيخ المسوفي(ت1207هـ)[8]وهو شيخ في علوم التفسير واللغة قال عنه أخوه محمد أحمدأنإمامته لاتصح لأنه لايقرأ القرآن إلا ممزوجاً بالتفسير،كما برز من المفسرين القاضي محمد بن احلوان الكلادي(ت1208هـ) الذي وصفه صاحب فتح الشكور[9] :" بأن له حظ وافر في العربية والفقه واللغة والتفسير والمنطق "،ثم الفقيه أحمد بن هك الغلادي[10] الذي كان يدرس الفقه والعربية والتفسير حتى سنة(

---

[1] -المصدر السابق، ص 127-129.

[2] - ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 150-151.

[3] - محمد مولاي بن محمد: التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ص 84.

[4] - ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة مصدر سابق، ص69. ابن حامد المختار:حوادث السنين، مرجع سابق، ص 158.

[5] - البرتلي:مصدر سابق، ص 57-58، محمد مولاي بن محمد: مرجع سابق، ص230، ابن حامد المختار:حوادث السنين، مرجع سابق، ص 220.

[6] - ابن حامد المختار:المرجع نفسه، ص 94-95.،ابن حامد المختار:حياة موريتانيا الجزء الثقافي، ص 212-317.

[7] - محمد مولاي بن محمد: مرجع سابق، ص 83.

[8] -البرتلي: مصدر سابق، ص 129.

[9] -المحجوبي الولاتي:منح الرب الغفور مصدر سابق، ص 39.، ابن حامد المختار:حوادث السنين مرجع سابق، ص 232.

[10] -البرتلي:مصدر سابق،ص140، محمد مولاي بن محمد :مرجع سابق، ص84.

1214هـ) وكان يحفظ تفسير الجلالين فقد حكى عنه صاحب فتح الشكور[1]: "فقد كان يوماًيفسر القرآن القرآن وفي يده تفسير الجلالين فقال سقط هنا شيء فقالوا له إن الكلام مستقيم لم يسقط منه شيء فأبى إلاأن يكون سقط فأخذوا نسخة أخرى فوجدوه كما قال لهم، فقال لهم إني أعرف مقعد كلمات هذا الكتاب كمعرفتي بعقد نقيراتي".

الحديث النبوي وعلومه:وهو كل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أوفعل أوصفة خلقية أوخلقية أوتقرير،فما قاله إن كان خبرا وجب تصديقه به،وان كان تشريعا إيجاباأوتحريما أوإباحة وجب إتباعه فيه[2] ،فقد دعا الله سبحانه وتعالى عباده إلىالأخذ بماجاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾[3]،وتأتي أهمية الحديث باعتباره مصدرا من مصادرالتشريع الإسلامي.

وقد عنى المسلمون بالحديث النبوي عناية بالغة، حيث وضعوا قواعد وضوابط للمشتغلين به[4]،وتعتبر بلاد السودان الغربي من البلدان التي اشتغل علماؤها بعلم الحديث سواء تدريسا أو تأليفا، فمن حيث التدريس فقد اقتصر اهتمامهم على المؤلفات المشهورة في علم الحديث كموطأ الإمام مالك وكتب الصحاح، وكتاب الشفا للقاضي عياض، فقلما نجد عالما إلا وله إجازة في إحدى هذه الكتب، إضافة إلى أنها كانت من المقررات الدراسية في معاهد ومدارس هذه البلاد،بل إن عادتهم كانت تدريس هذه الكتب في المناسبات الدينية خاصة رمضان والمولد النبوي الشريف، فقلما تجد مسجدا لايشرح فيه صحيح البخاري وشفا القاضي عياض.ومن بين الذين اشتهروا بتدريس هذه الكتب نجد القاضي أحمد بن عمر آقيت(ت991هـ)

---

[1] -المصدر السابق:ص 72.

[2] - ابن تيمية الحراني: علم الحديث ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ،1989،ص05.

[3] -سورة الحشر :الآية 07.

[4] -وذلك للتأكد من صحة الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،ونسبتها إليه بسبب الأحداث التي مرت بها الدولة الإسلامية وظهور الفرق الإسلامية ممادفع بعض المغرضين إلى الكذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ونسب الأحاديث إليه لخدمة مصالحهم وأهوائهم ،لذا صار لابد من التروي قبل الأخذ بالأحاديث لتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرهامما أوجب وضع علوم مرتبطة بعلم الحديث وخادمة له،وهي علم أسماء الرجال ،علم الجرح والتعديل ،علم الناسخ والمنسوخ ،علم غريب الحديث ،ينظر محاسنة محمد حسين:أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين مرجع سابق ،ص 76.

الذي كان بارعا في فنون عدة منها علم الحديث، ومدرسا للصحيحين في مسجد سنكري في شهر شعبان ورمضان ورجب لمدة خمسة وعشرين سنة[1]، ونجد كذلك القاضي محمد بن محمود بغيغ(ت1002هـ) الذي كان بارعا في معظم العلوم ومنها علم الحديث وقد اشتهر بقدرته على التدريس حتى نال الحظوة وتخرج على يديه ثلة من العلماء منهم أحمد بابا التنبكتي[2]، ومن القضاة الذين زاولوا تدريس علوم الحديث نجد القاضي أبا حفص عمر بن محمود آقيت(ت1003هـ) الذي اشتهر ببراعته في علوم شتى منها علم الحديث،وشقيقه عبد الله بن محمود آقيت[3] الذي عرف بتضلعه في نوازل الفقه وكتب خليل والرسالة،وقد جلس للتدريس بجوامع تنبكتو ومازال على الحالة نفسها حتى رحل إلى مراكش مع عائلته اثر الغزو المغربي لبلاد السودان،حيث توفي هناك سنة(1006هـ).

واشتهر أحمد بابا التنبكتي بتدريسه لعلم الحديث[4] وقد كان ملما به إلماما كبيرا يدرسه تدريسا وتحقيقا، ونقلا وتوجيهها،حيث كان كثيرا ما ينصح الخطباء بعدم استدلالهم بالأحاديث الموضوعة في خطبهم، وقد أكد هذه الحقيقة، تلميذه أحمد المقري عندما ترجم له بقوله: "ولصاحب الترجمة حفظه الله يد طولى في نوازل الفقه والتاريخ لا يجارى في ذلك، وكذا علم الحديث "[5].

وقد تتلمذا أحمد بابا على شيخه محمد بغيغ الذي يُشْهَدْ له بالمكانة في هذا المجال عند حديثه عنه حيث قال: "فأخذ أيضا عن ابن سعيد الفقه والحديث وقرأعليه المدونة والموطأوالمختصر وغيرها .."،كما تدل

[1] -السعدي: مصدر سابق ،ص ص 34-33، الفاجالو محمد :الحياة العلمية في دولة صنغاي، مرجع سابق ،ص ص 232-233-234.

[2] -السعدي: مصدر سابق ،ص 38 ، بللو محمد: إنفاق الميسور مصدر سابق ،ص316، الغربي محمد:بداية الحكم المغربي، مرجع سابق ،ص523، مطير سعد غيث، مرجع سابق ،ص 241،الباز أحمد السيد:الحياة العلمية مرجع سابق ،ص116.

[3] -التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص ص 341-344، البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 29 -33 ، ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية مرجع سابق ،ص207.

[4] -القادري:نشر المثاني ج1، مصدر سابق ، ص ص 254-258.

[5] -المقري أحمد:روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ،المطبعة الملكية الرباط ،المغرب ،1983،ص 314، مطير سعد غيث :مرجع سابق ،ص 242.

الإجازة التي أجاز بها أحمد المقري مايفيد تضلعه في علم الحديث حيث يقول: "وأجزته أيضا بأن يروي عني كتاب الشفا للقاضي عياض وصحيح مسلم ...."[1].

وفي بلاد الهوسا اشتهر القاضي محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي(ت 936هـ) الذي كان فقيها محدثايدرس علم الحديث في مساجد كاتسينا، وكانت له رحلات إلى المشرق أخذ من خلالها عدة إجازات، يقول عنه السعدي[2]: " إنه روى وحصل واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين "، من أهمتلامذته الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر التواتي،كما يمكن الإشارةإلى الفقيه عبد الرحمن بن علي القصري السفياني(ت956هـ) الذي ارتحل إلى المشرق هو الآخرلأخذ العلم وأسانيد الحديث فبرع فيه وحصل له روايات، حيث تصدرلإقرائه خاصة كتاب الموطأ والكتب الستة المعتمدة في علم الحديث[3].

أما من ألف في هذا المجال من الفقهاء فنجد البداية بسبق الفقيه عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يحي الزموري كان حيا سنة(888هـ)[4] الذي يعتبر من الرواد الأوائل لهذا العلم في هذه المرحلة، إذ كان فقيها عالما متفننا حافظا،تخرج على يديه مجموعة من العلماء ممن يرجع سندهم إليه عن طريق الإجازةمن أهم مؤلفاته شرحه على كتاب الشفا للقاضي عياض،حيث عني بضبط ألفاظه وتحرير لغاته وتعريف رجاله وقد سماه "إيضاح اللبس والخفا عن ألفاظ الشفا"، قال عنه أحمد بابا التنبكتي رأيته في مجلد كبير بخطه،أما الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي فقد كان من رواد هذا الفن ومدرسيه، له كتاب سماه مفتاح النظر في علم

---

[1] -المقري أحمد:المصدر السابق ،ص ص 306-312

[2] -السعدي: مصدر سابق ،ص ص 39-40، بللو محمد: إنفاق الميسور ،مصدر سابق ص74، الباز أحمد السيد:مرجع سابق ،ص ص 117-118.

[3] -أحمد بابا التنبكتي:كفاية المحتاج لمن ليس في الديباج ج1،ص284،بن شريفة محمد:مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر زيارة عبد الرحمن سقين إلى بلاد الحوس ،منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط، المغرب ،1993،ص 21، الغربي محمد : مرجع سابق، ص 51، الفاجالو محمد : الحياة العلمية مرجع سابق ،ص 235.

[4] هو العالم الفقيه المغربي عبدالله بن أحمد الزموري كان شيخاً فقيهاً له شرح على كتاب الشفا سماه إيضاح اللبس والخفا عن ألفاظ الشفا، وكان من رجال العلم المشهورين فقد وصل إلى بلاد ولاتة المتصلة ببلاد السودان وأقرأ أهلها ،ولقي هناك فقهاء فأثنى عليهم في العلم ثم رجع، كان حياً في عام(888هـ)، ينظر التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج، مصدر سابق ،ص ص234-235،أحمد مرجان سحر عنتر:فقهاء المالكية مرجع سابق ،ص 237.

الحديث،وممن ألف ودرس في علم الحديث[1] نجد العلامة أبوعبد الله محمدبابا بن محمد الأمين بن حبيب (ت981هـ)،الذي برع في مجموعة من الفنون وتصدر المجالس للإقراء خاصة مسجد سنكري،وقد أجاز في علم الحديث وأمهات مصادره،كما كان له تآليف في علم الحديث منها تكملة البخاري على اللامية، وله أيضا حاشية على البخاري[2] .

وفي تيشيت نجد القاضي الحاج الحسن بن آغيدي الزيدي (ت1122هـ) له منظومة في ضبط أسماء المشتبهين من رجال الصحيحين البخاري ومسلم[3]، كما عُدَّ الفقيه محمد بن محمد بن المختار الشواف السلمي (ت1176هـ) من قراء الحديث في مسجدها[4]، وفي شنقيط اشتهر القاضي أحمد بن الخليفة بن أحمدابن أكد الحاج العلوي الشنقيطي (ت1188هـ)أحد الفقهاء الذين يمتازون بقوة الذاكرة وحضور البديهة فحفظ الأحاديث سندا ورواية حتى تصدر السند بشنقيط،وكان يدرس الحديث إلى جانب الفقه والنحو[5]،وإلى جانبه اشتهر القاضي عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي (ت1209هـ) الذي كان من أوائل الذين اهتموا بعلم الحديث،فألفوا فيه وله تعليق على صحيح البخاري[6]،وكذا القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت1233هـ) له تآليف في الحديث منها منظومة غرة الصباح في اصطلاح البخاري،وطلعة الأنوار،وشرح هدى الأبرار[7].

---

[1] – ابن مريم:البستان مصدر سابق ،ص 254،بللو محمد: إنفاق الميسور مصدر سابق ،ص74،الفاجالو محمد:الحياة العلمية ،ص 231.

[2] –السعدي:مصدر سابق ،ص ص246–247،الغربي محمد:بداية الحكم المغربي مرجع سابق ،ص526،الفاجالو محمد:الحياة العلمية مرجع سابق ،ص233.

[3] –ولد البراء يحي:المجموعة الكبرى للفتاوى ج2مرجع سابق ،ص77.

[4] –البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص130،ولد ميابي حماه الله:مدينة تيشيت مرجع سابق ،ص67 .

[5] –المصدر السابق ،ص ص 56–57،ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة مصدر سابق ،ص78،ابن حامد المختار:حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق ،ص205.

[6] –المصدر السابق،ص ص 170–173، الولاتي المحجوبي: منح الرب الغفور مصدر سابق ،ص 62، ابن حامد المختار:حياة موريتانيا مرجع سابق ،ص 206،النحوي خليل:بلاد شنقيط مرجع سابق ،ص ص 580–582.

[7] –البرتلي: مصدر سابق، ص ص 182–184، ابن حامد المختار:حياة موريتانيا مرجع سابق، ص 211.

كما اشتهر في ولاته عمر بن بابه المحجوبي الولاتي(ت1077هـ)[1] الذي يعتبر أحد أعلام الفقه واللغة والحديث بها، حيث كان يدرس في مسجدها هذه الفنون إضافةإلى الحديث الذي أجاز فيه الإمام عمر ممو المحجوبي الولاتي وآخرون.

الفقه:هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ويشمل ذلك الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة،وهذه الأحكام مستقاة من القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع والسنة النبوية المطهرة،وما نصبه الشارع الحكيم لمعرفة الأدلة،فإذااستنبطت الأحكام من تلك المصادر قيل لها فقه[2].وقد ارتكز اهتمام علماء بلاد السودان الغربي على المؤلفات الفقهية التي تعد مصادر أساسية في الفقه المالكي مثل موطأ الإمام مالك،ومدونة الإمام سحنون،ورسالة ابن أبي زيد القيرواني،ومختصر خليل ابن إسحاق الجندي المصري،هذا الأخير نال شهرة واسعة فاقت سابقيه،ويتجلى ذلك من خلال الكم الهائل من الشروح والحواشي التي وضعت عليه حيث ناهزت المائة شرح، كما اهتم البعض بنظمه واختصاره، هذا ما أكسبه الحظوة الكبيرة وفي هذا الصدد يقول أحمد بابا التنبكتي عن المختصر: "ولقد وضع الله سبحانه وتعالى القبول على مختصره وتوضيحه من زمنه إلى الآن فعكف الناس عليهما شرقا وغرباحتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصارعلى المختصرفي هذه البلاد المغربية مراكش وفاس وغيرهما،فقلّ أن ترى أحدا يعتني بابن الحاجب فضلا عن المدونة بل قصارهم الرسالة وخليل"[3].

ومن جملة القضاة الذين اهتموا بعلم الفقه نجد الإمام المغيلي بمساهمة فقهية أهمها حاشيته على مختصر خليل سماها "إكليل مغني اللبيب" وقطعة على البيوع سماها"مفتاح الكنوز وإيضاح السبيل في بيوع آجال خليل، وله "مختصر تلخيص المفتاح وشرحه"[4]، أما القاضي محمود بن عمر آقيت فله شرح على المختصر في

[1] - المصدر السابق ،ص 173،النحوي خليل: بلاد شنقيط مرجع سابق ،ص ص491-513، ولد عبد الله عبد الودود:الحركة الفكرية في بلاد شنقيط مرجع سابق، ص 184.

[2] -ابن خلدون: المقدمة مصدر سابق، ص 563.

[3] -التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق، ص171.

[4] -التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج ج2 مصدر سابق، ص214، مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية مرجع سابق، ص243.

جزئين، ويعتبر أول من أدخل هذا الكتاب إلى حلقات الدرس بتنبكتو[1]، ومنهم القاضي محمد بن محمود بغيغ الذي يعتبر أستاذ أحمد بابا، قرأ عليه المختصر مرات عديدة له شروح وتعليقات على المختصر توجه فيها نحو الاستدراك على المؤلف فنبه فيها على ما وقع فيه من الأغلاط[2]، ولأحمد بابا التنبكتي عدة شروح وتعليقات[3] على مختصر خليل في فروع الزكاة والنكاح جاءت في سفرين وسماها " المقتصد الكفيل في تحرير مهمات الخليل" ووضع عليها حاشية سماها " مَنُّ الرب الجليل في تحرير مهمات خليل" وجاءت في سفرين كذلك، إضافة إلى مراجعات مختصرة على قضايا محددة من المختصر مثل " تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف في كراس "و "إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع" و" أنفس الأعلاق في فتح الاستغلاق من كلام خليل في درك الصداق".

وفي بلاد الهاوسا اشتهر من الفقهاء القضاة القاضي محمد بن أحمد التاذختي بشرحه لمختصر خليل[4]، وكذا القاضي الشيخ التكداوي الأنصمني له شرحين لمختصر خليل الأول في أربعة أجزاء، والثاني في سفرين[5] .

وفي بلاد السيبة نجد المؤلفات الفقهية التي اختصت بشرح خليل كثيرة منها: " كتاب موهوب الجليل في شرح مختصر خليل " الذي وضعه القاضي محمد بن أحمد بن أبي بكر الحاجي الوداني، ويعتبر أقدم مؤلف فقهي لشرح مختصر خليل في الصحراء، أثنى عليه صاحب فتح الشكور بقوله: " سمي بالمجمع وفيه نكت عجيبة ومسائل مفيدة ونقول صحيحة "[6]، ومنهم القاضي أحمد بن القاسم الحاجي الوادني بتعاليقه على مختصر خليل[7]، وللقاضي أحمد بن عبد الله المحجوبي الولاتي نظم على مختصر خليل، اعتمد فيه على

---

[1] -السعدي: تاريخ السودان مصدر سابق، ص38، مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص244.

[2]-التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق، ص 341، الفاجالو محمد: الحياة العلمية في صنغي مرجع سابق، ص245.

[3]-المصدر السابق: ص 341-342،الأرواني أحمد بن بابير: السعادة الأبدية مصدر سابق، ص30- 33.

[4] -السعدي:مصدر سابق، ص39- 40، ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية مرجع سابق، ص283.

[5] -بللو محمد: إنفاق الميسور مصدر سابق، ص37.، الباز أحمد السيد: الحياة العلمية والثقافية مرجع سابق، ص118.

[6] -البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص113.

[7]-المصدر السابق: ص40، ابن حامدالمختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي، مرجع سابق، ص 17.

الاختصار والإيجاز، كما اشتهر القاضي عبد الله بن محمد العلوي (ابن رازكة) بشروحه لمختصر خليل[1]، أما القاضي الحسن بن آغيدي الزيدي فقد كان حريصاً على ألا يشتغل إلا بخليل وشروحه، حيث يقول عنه البرتلي[2]: "كان قيماً على مختصر خليل، حسن الإقراء له وكان يقول: الأصل في الإقراء تقرير المتن، وما زاد على ذلك فضرره على المبتدئ أكثر من نفعه"، وتبعه في ذلك تلميذه القاضي محمد بن فاضل الشريف التيشيتي[3] الذي اهتم هو الآخر بمختصر خليل حيث يقول: " ما من مسألة إلا و يؤخذ حكمها من مختصر مختصر خليل، إما من منطوقه، أو مفهومه"[4]، كما ألف القاضي سنبير بن القاضي سيد الوافي الأرواني، كتابا في الاستدراك عليه سماه: " فتح الرب اللطيف في تخريج بعض ما في المختصر من الضعيف"؛ تتبع فيه ما في المختصر من الأقوال الضعيفة[5]، وقد قام أحد علماء ولاته بإضافات زاد بها على ما كتبه القاضي سنبير ضمنها في كتاب سماه "التوفير فيما أهمله القاضي سنبير "، وألف القاضي حمى الله الغلاوي منظومة على مختصر خليل وشرحها.

كما وجدت النوازل والفتاوى الفقهية[6] ذات التأصيل الفقهي من مختصر خليل وشروحه، مثل نوازل القاضي القاضي حمى الله التيشيتي[7]، ونوازل القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي[8]، إضافة إلى القاضي الكصري بن محمد بن المختار الإيدليبي[9] الذي ألف بدوره في مختصر خليل منها شرحه عليه في أربع مجلدات مجلدات سماه"فتح الجليل في شرح خليل"، ونوازله التي تضمنت فتاوى وأحكام فقهية لا تخرج على غير معهود خليل.

---

[1] -النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص489- 502، ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية مرجع سابق، ص 179.

[2] -البرتلي: مصدر سابق، ص74.

[3]-ولد ميابي حماه الله: مدينة تيشيت مرجع سابق، ص 68.

[4] -البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 125.

[5]-ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ج1 مرجع سابق، ص229.

[6]-ابن حامد المختار:حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص18.

[7] -جمعها وحققها الدكتور ولد السعد محمد المختار، دائرة القضاء، أبوظبي الإمارات العربية المتحدة، 2010.

[8] -جمعها وحققها محمد الأمين بن محمد بيب، مكتبة الفقه المالكي، موريتانيا، ط1، 2002.

[9]-اعتنى بها وجمعها أبو الفضل الديمياطي أحمد بن علي، دار إبن حزم، بيروت لبنان، ط1، 2009.

علم الكلام والعقيدة:عرف ابن خلدون علم الكلام " بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعين والمنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[1]،وهو العلم الذي يعتمد على الجدل للبحث في مسائل العقيدة الإسلامية بغرض الدفاع عنها بالحجة والإقناع،وأورد عضد الدين الإيجي(ت 756هـ)أن الكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة،ورأى بعض العلماء أن علم الكلام يساعد على نصرة الآراء الدينية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالعقل،ومن خلاله يستطيع المسلم إثبات العقائد الإيمانية إثباتا صحيحاً، وموضوع علم الكلام هو الذات الإلهية صفاتها وأفعالها،وعلاقتها بالكون والإنسان[2].

وقد انتشرت الآراء الكلامية في العالم الإسلامي خاصة فرق المعتزلة[3]، والجهمية[4]، والأشاعرة[5] هذه الأخيرة الأخيرة وجدت لها تربة خصبة في بلاد المغرب الإسلامي ومنه إلى بلاد السودان الغربي الذي تمذهب أهله على مذهب الأشاعرة في الاعتقاد،ويعزو كثير من الباحثين[6] انتشار العقيدة الأشعرية في بلاد السودان الغربي الغربي إلىالإمام الحضرمي (ت489هـ) وهو ما أورده صاحب كتاب التشوف إلى رجال التصوف[7]، بأن الحضرمي هو أول من ادخل علم الاعتقاد إلى بلاد المغرب الأقصى على مذهب الإمامالأشعري،ثم تلميذه

---

[1] – ابن خلدون عبد الرحمن: العبر ج1 مصدر سابق، ص458.

[2] –عون فيصل يدير: علم الكلام ومدارسه، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، مصر 1982، ص 48.

[3] –المعتزلة في اللغة من الاعتزالوالانزواء والتنحي، أما في الاصطلاح ففيها دلالات عديدة منها اعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري حين اشتد الجدل حول مصير مرتكب الكبيرة ..للمزيد ينظر: أبو لبابة حسين:موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ص1987، ص 109.

[4] –الجهمية: فرقة من فرق المسلمين في علم الكلام، انتحلت مذهب الجهم بن صفوان من أهل خراسان، وهي من فرق الاعتزال.ينظر:الدمشقي جمال الدين القاسمي، تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1، 1979، ص09.

[5] –الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، كان من المعتزلة ثم انتقل عن مذهبهم. للمزيد: ينظر: حربي محمد: ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، عالم الكتاب، بيروت لبنان، ط1، 1987، ص143.

[6] –الناني ولد الحسن: صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا،مرجع سابق، ص 241.

[7] –ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1997، ص106.

أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي (ت520هـ) الذي كان أخر المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية في ذلك العصر،ومن بلاد المغرب الأقصى انتشر في صحراء الملثمين، خاصة بعد استقدام الإمام الحضرمي إلى الصحراء[1] من طرف الأمير المرابطي أبو بكر بن عمر اللمتوني(ت481هـ) من أجل تدريس العلوم الفقهية، ثم ازداد انتشارالأشعرية في هذه المناطق في النصف الأول من القرن السادس الهجري مع وصول جيل من الفقهاء المعلمين منهم،الشريف عبد المؤمن مؤسس تيشيت سنة (536هـ)،والحاج عثمان أحد مؤسسي ودان سنة (536هـ)، وهما من تلامذة القاضي عياض السبتي المتوفى في مراكش سنة(544هـ)[2]،والذي كان على مذهب الأشاعرة في الاعتقاد وأحد روادها،فانتشر عنهما العلم واتسع نطاقه قرون عديدة في القريتين ومنهما إلى معظم أرجاء البلاد السودانية، وكان قبل قاصر على علوم الشرع دون آلاتها ومتمماتها،وهو ما يؤكد أنالأشعرية كانت من بين هذه العلوم التي انتشرت، ويبدو من خلال اطلاعنا على المراجع والمصادر المتاحة أن سكان هذه المنطقة لم يعرفوا الأخذ بغير المذهب الأشعري من مذاهب الاعتقاد التي عرفت في عموم العالم الإسلامي، وفي أجزاء من بلاد المغرب.

وكان الدرس في علم الكلام مقتصراًعلى المقدمة العقدية الموجودة في صدر رسالة بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)[3]، ولم تحظ هذه المقدمة العقدية بشروح، إلا أنها كانت كمقرارت دراسية تدرس لطلاب العلم العلم حفظاً مع شيء من الفهم خصوصاً وأن هذه الرسالة كانت معتمدهم في الفقه، إلاأن المرحلة التي شهدت فيها هذه البلاد الانكباب على هذا العلم هو نهاية القرن التاسع الهجري مع مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقيدة (ت895هـ)[4]، وتبعتها مقدمة الاعتقاد للإمام عبد الواحد بن عاشر المغربي (ت1040هـ)[5]،

[1] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى مج1، مرجع سابق، ص 164.

[2] -ولد السالم حماه الله : تاريخ موريتانيا مرجع سابق، ص265- 266- 269.

[3] -ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق،ص 115.

[4] -سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط1998،1، ص92.

[5] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ج1، مرجع سابق، ص169.

ثم كتاب إضاءة الدجنة للإمام المقري (ت1041هـ)[1]، ومنظومة الأوجلي المسماة دليل القائد في علم العقائد[2].

ووصلت مؤلفات السنوسي إلى تنبكتو في وقت مبكر نسبياً،إذوضع أحمد بابا ووالده شروحاً على صغرى عقائده،ووضع الفقيه محمد بن محمود بغيغ الونكري(ت1002هـ) نظماً عليها[3].

وفي النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري انتشرت المباحث في علم الكلام، وأقبل عليها العلماء يستجلبون متونها ويضعون الشروح والطرر على هوامشها ويعقدون منثورها بالنظم، ويختصرون مطولاتها،أو يضعون فيها المؤلفات ولأول مرة فيما نعلم أصبح في المنطقة علماء متكلمون اشتهروا بمباحث في هذا الفن وحدهأمثال عمر الوالي بن الشيخ محمد عبد الله المحجوبي (ت1070هـ)[4]، وعبد الله بن بو المختار الحسني (ت1103هـ) كان أول من قدم بمنظومة أحمد المقري إضاءة الدجنة في حدود سنة (1066هـ) عند رجوعه من الحج، وكان ذلك بإجازة عالية من أبي مهدي عيسى الثعالبي مفتي الحرمين الذي أخذها عن علي بن عبد الواحد السجلماسي عن المؤلف أحمد المقري،وقد طلب عبد الله بن بو المختار الحسني من مفتي وقاضي شنقيط محمد بن المختار بن الأعمش شرحها[5]، وأخذ هذه الإجازة ابن الأعمش في جملة ما أخذ، وقد تداول الطلبة شرح ابن الأعمش لإضاءة الدجنة سماه "فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة " ليأتي القاضي محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي (ت1098هـ) ويضع موجزاً لعلم العقائد انطلاقاً من شرح شيخه ابن الأعمش وقد اشتهر باسم العقيدة الغلاوية التي شرحها القاضي محمد بن أبي

---

[1] -سعد الله أبو القاسم: مرجع سابق، ص98.

[2] -مديلي إمام سليمان محي الدين: الفرق الإسلامية الكبرى في نيجيريا دراسة ميدانية ونقدية، مذكرة ماجستير في العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1994، ص 12.

[3] - ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى مرجع سابق، ص 170.

[4] -ولد عبد الله عبد الودود: مرجع سابق، ص 115.

[5] -البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 160.

بكر بن علي المحجوبي الولاتي(ت1137هـ) تحت عنوان "المنن الإلهية على العقيدة الغلاوية "[1]وألف نظما من ثلاثة مئة بيت عرف بعقيدة محمد بن علي المحجوبي.

ووضع محمد بن علي أند عبد الله الولاتي المحجوبي (ت 1172هـ)[2] شرحا سماه " إمداد الضياء في أفق عقائد الأصفياء"، كما كان للقاضي عبد الله بن الحاج حمى الله الغلاوي (ت1209هـ) شرح على إضاءة الدجنة سماه" تقرير المنة على إضاءة الدجنة "،أما من شراح منظومة الأوجلي نجد القاضي حمى الله الشريف التيشيتي(ت1169هـ) وعنوان شرحه " تحصيل البيان والإفادة فيما تضمنته كلمة الشهادة "،ليأتي بعده ابنه أحمد والصغير ويؤلف " سلم السعادة في شرح معنى كلمة الشهادة "،و" فتح المجيد في دفع وساوس التوحيد "،و" فتح الكبير المتعال في شرح توحيد الأفعال "[3] .

أما شُرَّاح عقائد السنوسي فنجد في تنبكتو القاضي أحمد بابا التنبكتيوأباه القاضي أحمدآقيتمن أوائل الذين وضعوا شروحا على صغرى السنوسي (أم البراهين)، بالإضافةإلى القاضي محمد بن محمود بغيغ الونكري الذي وضع نظماً عليها[4]،كما وضع القاضي محمد بن أبي بكر بن هاشم الغلاوي (ت1098هـ) تعليقاً في إحدى فتاويه من أنأحد علماء المنطقة المتقدمين عليه في الزمن من قبيلة أولاد دليم قد شرح صغرى السنوسي،بل أن هذا الشارح الدليمي رجح القول بتعليق السمع والبصر بالموجودات والمعدومات مخالفاً للجمهور الذي يقر بتعليقها بالموجودات لا بالمعدومات، وقد علق ابن هاشم على هذا ترجيحاً لرأي شيخه محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الذي قال بأن هذا ليس بشيء والله أعلم، كما كان لابن الأعمش شرحاً لعقيدة السنوسي الصغرى اعتمد عليه في شرحه لإضاءة الدجنة[5].

---

[1]-المصدر السابق: ص 120.

[2] -المصدر السابق: ص168، ولد عبد الله عبد الودود: مرجع سابق،ص 116.

[3] -ولد ميابي حماه الله: مدينة تيشيت، مرجع سابق، ص67- 68.

[4]-أحمد مرجان سحر عنتر: فقهاء المالكية، مرجع سابق، ص 240.

[5] -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى مرجع سابق، ص 170.

ومنهم الفقيه الكوري بن سيدي الفالي(ت1112هـ) الذي كان يدرس العقيدة الأشعرية من خلال السنوسية الكبرى[1]، وذلك الفقيه عمر الخطاط بن محمد نال البرتلي الولاتي(ت1117هـ) الذي قال لو علمت عقيدة من علم الكلام لا أعرفها وفي مصر من يعلمها لرحلت إليه حتى أتعلمها[2]، كماشرح القاضي الحاج الحسن بن آغيدي الزيدي (ت 1123هـ) لصغرى السنوسي أم البراهين[3].

ومن العلماء الذين ألفوا في العقيدة الأشعرية انطلاقاً من عقائد السنوسي وشروحهم، نجد القاضي محمد اليدالي(ت1166هـ) الذي ألف كتاب يسمى " فرائد الفوائد "[4]، وهو أول كتاب ضخم في العقيدة الأشعرية يؤلف في المنطقة وأكثر الكتب تداولاً داخلها وخارجها،وأشدها تواتراً ذكرا في فتاوى ومؤلفات العلماء اللاحقين من أبناء المنطقة منهم: الفقيه الطالب بن أحمد بن محمد راره التنواجيوي(ت1210هـ)[5] الذي اهتم بأم البراهين وأقام عليها شرحاً، مثله مثل الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي(ت 1219هـ).

علم المنطق:ويعتبر من العلوم القليل الاشتغال بها في بلاد السودان الغربي وكذا بلاد المغرب، ولم يتجرأ أحد من العلماء الخوض في مسائله،إلىأن جاء الإمامحمد بن عبد الكريم المغيلي الذي يعتبر أول من طرق هذا العلم، بل نجد له مناظرات مع الإمام السيوطي الذي اعتبر بأن الاشتغال بالمنطق من المحرمات،فأجابه الإمام المغيلي[6] وأقنعه به. فيعتبرالإمام المغيلي الأستاذالأول لعلم المنطق في بلاد السودان الغربي،وقدكانت له

---

[1]- البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 182.

[2] –شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان، دار المعارف، مصر د.ت.ط، ص 565.

[3] –ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص 67.

[4] –ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي، مرجع سابق، ص 31.

[5] –البرتلي: مصدر سابق، ص 59- 61.، المحجوبي الولاتي: منح الرب الغفور مصدر سابق، ص 19- 20، النحوي خليل: بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 519- 577.

[6] –عندما سمع الإمام المغيلي برفض الإمام السيوطي لعلم المنطق أنشد هذه الأبيات:

سمعت بأمر ماسمعت بمثله......... وكل حديث حكمه حكم أصله.

هل المنطق المعنى إلاعبارة...........عن الحق أو تحقيقه حين جهله.

فرد عليه الإمام السيوطي قائلاً:

حلقات ودروس في مدارس غاو وبلاد الهاوسا،كما اشتهر بتأليفه لثلاث مؤلفات[1] هي: مقدمة في المنطق تسمى " رجز المغيلي " ومنظومة فيه سماها " منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب "،و " شرح جمل الخونجي"، إضافة إلى شروحه عليها،وقد لقيت مؤلفات المغيلي قبولاً واستحسانا في مدارس بلاد السودان الغربي،حيث أولوها بالحفظ والشرح فظهرت محاولات جادة في هذا المجال،حيث ألف القاضي محمد بن محمود بن عمر آقيت(ت973هـ)[2] الذي تتبع مؤلفات المغيلي في المنطق وقام بتدريسها،ووضع شروح وتعاليق عليها منها:" أرجوزة على شرح منظومة المغيلي " و" شرح وتعليق على رجز المغيلي في المنطق "[3]، حيث تخرج على يديه مجموعة من الطلاب من أبرزهم الشيخ عبد الله السعدي والد الفقيه عبد الرحمن السعدي[4]،وممن اشتغلوا بعلم المنطق نجد القاضي أحمد بن عمر آقيت(ت991هـ) والد القاضي أحمد بابا التنبكتي،الذي اشتهر بإجادته لعلم المنطق وقد ألف في هذا المجال كتاب سماه "إمناح الأحباب في منح الأحباب "[5]، وهو عبارة عن شرح وضعه لكتاب المغيلي السالف الذكر " منح الوهاب في رد الفكر إلىالصواب "،وممن اشتهروا بتدريس علم المنطق القاضي محمد بغيغ الونكري أستاذ أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه انه كان يدرس عليه المنطق[6]، ومنهم القاضي أحمد معيا (ت1002هـ)[7]الذي كان أحد علماء تنبكتو البارزين ومدرسيها المشهورين ومؤلفيها المعروفين،حيث تخصص في الشرعيات وعلم الكلام والمنطق،

حمدت إله العرش شكراً لفضله..........وأهدى صلاة للنبي وأهله.

عجبت لنـظم مــا سمعت بمثله.......... أتاني مـن حبر أقـر بنبله.

تعجبت مني حين ألفت مبدعاً..........كتاباً جموعاً فيه جم بنقله.

ينظر حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني مرجع سابق،ص 117.

[1] -ابن مريم : البستان مصدر سابق، ص254- 256، الآلوري آدم عبد الله:موجز تاريخ نيجيريا مرجع سابق، ص 89.

[2] -مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص248.

[3] - التنبكتي أحمدبابا: نيل الابتهاج مصدر سابق، ص597.،الفاجالو محمد: الحياة العلمية في صنغاي مرجع سابق، ص283.

[4] -السعدي:مصدر سابق، ص 40.

[5] -الهادي مبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص 204.

[6] -التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج2مصدر سابق، ص237.

[7] -السعدي:مصدر سابق، ص211، الغربي محمد: بداية الحكم المغربي مرجع سابق، ص526،مطير سعد غيث: مرجع سابق،ص 249.

وله فيه تعليقات وشروح،أما الفقيه محمود سري بن سليمان (ت1028هـ)[1] فقد كان من مشاهير العلماء في تنبكتو وقد جاءها من جنيالتي تعلم فيها، اشتغل بالتدريس في تنبكتو ليرجع إلجني في آخر حياته،وكان رحمه الله عالما محدثاً منطقياً.

وفي بلاد الهاوسا نجد القاضي محمد بن محمد الفولاني الكشناوي(ت1154هـ) اشتغل هو الآخر بعلم المنطق تدريسا وتأليفاً، حيث ألف كتابه الشهير "إزالة العبوس عن وجه منح القدوس في المنطق "[2].

وإلى جانب مؤلفات الإمام المغيلي في المنطق وشروحها نجد مؤلف الشيخ عبد الرحمن الأخضري الذي يعرف "بالسلم المرونق"[3]،وقد وجد هو الآخر من العناية والشروح والنظم عليه مجموعة من العلماء أمثال القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي[4]، وكذا عبد الله بن الحاج حمى الله الغلاوي (ت1209هـ)[5].

علوم اللغة العربية وآدابها: وقد عرفت بلاد السودان الغربي اللغة العربية نظراً لاقترانها بانتشار الإسلام وفهم العلوم الإسلامية،وقد أَوْلَوْاهذه العلوم عناية كبيرة حتى أصبحت لغة العلم والإدارة،بل تضلع علماء من أبناء المنطقة فيها وأخذوا الإجازات والشروح والتعاليق على كثير من المصادر اللغوية والنحوية ناهيك عن الشعر وأضربه، وقد كان اعتمادهم في هذا على المصادر المشهورة في البلاد الإسلامية في النحو كمؤلفات ابن مالك الألفية،المثلث ،المقصور والممدود، وكذا مثلث قطرب، وألفية السيوطي،ومتن الآجرومية، وملحة الإعراب للحريري، بالإضافة إلى المتون النثرية الحافلة بالمفردات مثل مقامات الحريري، والهمذاني، واعتنوا

[1] -السعدي: مصدر سابق،ص 241، الفاجالو محمد: مرجع سابق، ص249.

[2] -بللو محمد: إنفاق الميسور مصدر سابق، ص 47.، الباز أحمد السيد: الحياة العلمية والثقافية مرجع السابق، ص138.

[3] -سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي مرجع سابق، ص150.

[4]-ابن طوير الجنة:تاريخ ابن طوير الجنة مرجع سابق، ص93، النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص 491-513.

[5]-ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي، مرجع سابق، ص 74.

بالشعر كداووين شعراء الجاهلية[1] مثل المعلقات السبع التي انكبوا على حفظها ووضعواعليها شروحا وتعليقات،إضافةإليإنتاجهم الوفير في هذا المجال.

أ/ **النحو**:وتعتبر بداية تدريس النحو في هذه البلاد مع دخول علوم اللغة على يد الشريف عبد المؤمن مؤسس حاضرة تيشيت، والحاج عثمان مؤسس حاضرة ودان[2] وذلك في القرن السادس الهجري، حيث انتشر من هاتين الحاضرتين إلى باقي الحواضر كشنقيط، وولاته،وتنبكتو أين ازدهر مع الحركة العلمية التي شهدتها بلاد السودان الغربي أيام دولة الآساكي وما بعدها، وقد اشتهر علماء قضاة اهتموا بعلم النحو منهم القاضي محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي ألف مقدمة في العربية تشتمل على قواعد النحو،وقد قام بتدريسها في مدارس كل من كانو من بلاد الهاوسا وغاو،ومنهم كذلك الفقيه المختار ابن عمر (ت 922هـ)[3] الذي اشتهر بالنحوي لتضلعه في النحو،ويعتبر هذا العالم مدرسة تَكَوَنَ على يديه معظم العلماء الذين اشتغلوا بالنحو خلال فترة حكم دولة صنغاي،ومنهم ابنه الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد ابن الفقيه المختار النحوي،كان عالماً ورعاً تقياً،اشتهر بتدريسه للعلوم العربية من نحو وغيرها،وكان مادحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإمام بمسجد سنكري[4]،ومن المبرزين في علم العربية نجد الفقيه القاضي الحاج أحمد بن عمر آقيت(ت 942هـ) الذي اشتهر بطول باعه في علم النحو وقد أخذه عن خاله المختار النحوي وعن جده لأمه،جلس للتدريس في مسجد سنكري فأخذ عنه جماعة منهم أخوه القاضي محمود بن عمر،وابنه القاضي أحمد بابا التنبكتي الذي وصفه بالعالم النحوي العروضي المحصل[5]، ومن أساتذة النحو الذي تخرجت تخرجت على يديه أجيال من العلماء في النحو نجد الفقيه محمود بن محمد الزغراني التنبكتي (ت1011هـ) الذي تعلم على يد الفقيه أحمد بن محمد سعيد،وعبد الله بن محمود آقيت، وقد أخذ عنهم علوم اللغة التي مهر فيها وأصبح مدرساً لها حتى أصبح يعرف بالنحوي وتصدر للإمامة والتعليم في جامع التواتيين في

---

[1]–ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص63، النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص204.

[2] –ولد ميابي حماه الله: مدينة تيشيت مرجع سابق، ص69، النحوي خليل: بلاد شنقيط مرجع سابق، ص206.

[3] –التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج ج2 مصدر سابق، ص 214، الآلوري آدم عبد الله: موجز تاريخ نيجيريا مرجع سابق، ص 89.

[4] –البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق، ص113، الأرواني أحمد بابير: السعادة الأبدية مصدر سابق، ص 27.

[5] –السعدي: مصدر سابق، ص 29.

تنبكتو[1]، وتصدر الفقيه أبي عبد الله محمد بابا ابن حبيب الله المختار الكنتي (ت1014هـ) لتدريس النحو والتأليف فيه حيث ألف كتاب سماه " المنح الحميدة في شرح الفريدة " وهو شرح لألفية السيوطي في النحو ،وله أيضا شرح على الخزرجية وقطع على مقامات الحريري[2] .

أما القاضي أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ) فقد كان له باعا كبيرا في هذا المجال بحكم تعلمه على والده القاضي أحمد بن عمر، وجده القاضي أحمد بن عمر آقيت،وعمه القاضي محمود بن عمر آقيت،إضافة إلى شيخه القاضي محمد بن محمود بغيغ الونكري، وقد اشتهر بالاشتغال بعلم النحو تدريساً وتأليفاً، فألف كتب في هذا المجال منها شرح على ألفية ابن مالك في النحو، وله تعاليق على أوائلها، وآخر سماه " النكت الوافية بشرح الألفية " وهو تكملة للشرح الأول،وشرح أخر سماه " النكت الزكية في شرح الألفية ، وهو لم يكمله،وله مؤلفات أخرى أهمها " غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة" و" التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس"[3] يريد بألفاظه في العربية في ورقات، وله تقييد في صحة تركيب قام رجل، وتكلم رجل ،وغيرها من كتب النحو واللغة.

وللفقيه القاضي محمد بن أندغ محمد بن أحمد(ت1045هـ) سليل أسرة أندغ محمد الشهيرة باع في النحو كما وصفه البرتلي[4] حيث اشتهر بمؤلفه الذائع الصيِّت المسمى" الفتوح القيومية في شرح الآجرومية في النحو".

وممن كانت لهم مساهمة في النحو واللغة نجد الفقيه محمد بنآك السوقي[5] العالم النحوي الشهير الذي له شرح شرح على ألفية ابن مالك في مجلد كبير أطلق عليه " هيبة المالك على خلاصة ابن مالك ".

---

[1] - التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق، ص 137- 138.

[2] -السعدي:مصدر سابق، ص 215، الغربي محمد: بداية الحكم المغربي مرجع سابق، ص 518- 527،الفاجالو محمد: مرجع سابق، ص252.

[3] - البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق، ص159، مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية مرجع سابق، ص251.

[4] -المصدر السابق:ص 31- 37، الغربي محمد: مرجع سابق، ص 542، الفاجالو محمد: مرجع سابق، 254.

[5] -البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق، ص39، المرجع السابق، ص 253.

وفي بلاد الهاوسا نجد الريادة في هذا العلم رجعت للقاضي محمد بن محمد القاضي الكشناوي[1] الذي ألف كتب أهمها: " بلوغ الأرب من كلام العرب " و " بهجة الآفاق وإيضاح اللبس والإغلاق في علم الحروف " وكتاب " الدرر واليواقيت في شرح الدروالدرياق لعبد الرحمن الجرجاني" .

وفي بلاد شنقيط،اشتهر في ولاته القاضي عبد الله بن سيد أحمد بن محمد بن محمد الولاتي(ت1037هـ)[2] الذي كان نحوياً بليغاً أديبا فقيهاً،له عدة مصنفات منها شرح الآجرومية شرحاً حسناً مختصراً وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ،وللقاضي محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت1107هـ)[3] شرحاً على فريدة السيوطي سماه " المنن العديدة في شرح الفريدة " وجاء بعده القاضي محمد بن علي بن الطالب أبو بكر المحجوبي الولاتي(ت1137هـ) الذي شرحها أيضا تحت عنوان " شرح الفريدة لجلال الدين السيوطي "[4]، إضافة إلى الفقيه عمر بل بابا علي الولاتي(ت1145هـ) الذي نعته صاحب فتح الشكور بالعالم المبرز في علوم اللسان نحواً وأدباً ولغةً.

وكان في تيشيت كل من القاضي محمد بن الإمام الشريف التيشيتي[5]، والقاضي سيدي محمد بن إيجل الزيدي التيشيتي قاما بشرح نظم قطر الندى وبل الصدى في النحو الذي نظمه الفقيه أبوبكر بن طفيل المسلمي التيشيتي(ت1166هـ)[6]، وللقاضي عبد الله بن الحاج حمى الله الغلاوي (ت1209هـ) شرح الكافية في النحو لمحمد بن مالك .

ب/ الشعر:تنوعت أغراض الشعر في بلاد السودان الغربي بتنوع اهتماماتهم فيه،فقد ظهر شعر الرثاء وشعر المديح خاصة في مدحه صلى الله عليه وسلم والاشتياق لزيارة قبره الشريف،وأيضا في الشوق والحنين

[1] – بللو محمد: إنفاق الميسور مصدر سابق، ص 47. الباز أحمد السيد: مرجع سابق، ص 123.
[2] – ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة مصدر سابق،47– 48.
[3] – المصدرالسابق:ص 48، ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص 65.
[4] – المرجع نفسه.
[5] – ولد ميابي حماه الله: مرجع سابق، ص 69.
[6] – شوقي ضيف:مرجع سابق، ص 565.، ابن حامدالمختار: مرجع سابق، ص 63– 65.

للأوطان،ناهيك عن الشعر المنظم في المناسبات سواءً كانت دينية أوعلمية فبعض المنظومات العلمية كانت تؤلف في شكل أشعارخاصة ماكان مشهورا في بلاد شنقيط وأحوازها.

وقد شهدت بلاد السودان الغربي هذه الأضرب من الشعر،فنجد في الرثاء القصيدة المشهورة التي رثى بها الفقيه يحي التادلسي(ت866هـ)[1]أحد فقهاء وعلماء تنبكتو وهو القاضي محمد الكابري الذي عرف بعلمه وأخلاقه حيث قال:

تذكر ففي التذكار خير فوائد.......... وفي طيه ورد على خير وارد.

الم ترى سفرالحث بالفصل حصصوا.... وسفر ذويالأفكارأحظى بزائد.

ففي لب المرء طيبة الصبا................ فيلحق فتيانا ويقوى ليساعد.

فيا عجباً هل بعده من مبين .... وياعرباً هل بعده من مجالد.

فلولا التعزي بالنبي وصحبه .... وأعلام علم الدين منه وراشد .

لحق لدمع العين سيح على الولا ....لإفناء أشباحوإطفاء واقد.

عليه من الرحمن ذي العز والعلى .... سلام باللطف عزيز الفوائد.

وصل إله العرش ربي يمنة .... على خير مبعوث وأفضل شاهد.

محمد المختار للختم رحمة .... يتمم أخلاق كرام المعاهد.

وقد تفنن الإمام المغيلي بقصائده المشهورة[2]التي ذكرها شوقاً عند زيارته لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم،وهي تعبير عن حالته العاطفية لحج بيت الله الحرام ورؤية قبره الشريف،وقد تركت هذه القصيدة أثراً وإعجابا في نفوس العلماء الذين جاءوا من بعده،كأحمد بابا التنبكتي الذي قال إن للمغيلي عدة قصائد كالميمية على وزن البردة التي نظمها في مدحه صلى الله عليه وسلم ،وله قصائد أخرى تعبر عن حالته ووضعه مع يهود توات وماترتب عنه من صراع بينه وبين بعض الفقهاء في التحذير والنصح لهؤلاءوذم اليهود .

[1] -السعدي: مصدر سابق، ص 49-217، الغربي محمد: مرجع سابق، ص 544.، الفاجالو محمد: مرجع سابق، ص 258.

[2] -ينظر: في الفصل الثالث ترجمة الإمام المغيلي.

وكان الفقيه النجيب محمد الوالي بن سليمان الفلاني (ت1009هـ)[1]أعجوبة الزمان في العلم تضلع في فنونه حتى أصبحت له شهرة واسعة في بلاد الهوسا،حيث عرف بنظمه لأشعار وقصائد أهمهاإنكاره على أهل بلده لاعتنائهم ببعض فنون العلم كعلم الأوفاق والحروف[2]، وعلم النجوم،وتركهم لعلم الكتاب والسنة رغبة في الدنيا وزخرفها، فقال ذاماً لهم:

تركوا علم الكتاب المنزل .... وحديث جابه هادي البشر.

وعلوم الشرع والفقه التي ...... تنفع المرء وتحميه الخطر.

صرفوا الهم إلى مكسبهم ......لحطام زائل لايستقر.

أثروا الدنيا على أخراهم......... لم يبالوا مايؤديهم لضر.

وعلى وفق رووه حيلة..... لاكتساب الحال والجاه المضر.

ويبدو استنكار الفلاني على قومه لما عرفته تلك البيئة الهاوسية من انتشار لهذه العلوم التي لا تغني ولا تسمن من جوع، بل إن التعلم و الاشتغال بها على حساب علوم الدين واللغة والفقه يعتبر باطل وهو ماعبر عنه فيما بعد الفقيه المصلح عثمان دان فودي وأخيه عبد الله في حركتيهما الإصلاحية في هذه المنطقة.

وهناك من الفقهاء من نظم الشعر في المدح خاصة في المولد النبوي الشريف الذي كانت تُحيا لياليه بالهمزية والبردة والقصائد الوترية في مساجد بلاد السودان الغربي،إضافة إلى المادحين الذين اشتهروا بنظمهم لقصائد يلقونها ويرددونها في هذه المناسبات،منهم الفقيه محمد بابا بن الأمين بن حبيب الله التنبكتي[3]، الذي كان مداحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اشتهر بقصيدتين الأولى في رثاء بعض أشياخه، مثل محمد

[1] -بللو محمد:إنفاق الميسور مصدر سابق، ص30.، الآلوري آدم عبد الله:مرجع سابق، ص60.، الفاجالو محمد: مرجع سابق، ص 268.

[2] -الوفق: وهو علم الحروف والأسماء أو علم الجداول، ويدخل في نطاق الروحانيات التي تستنزل بكتابات وترقيمات على نسق معلوم، يسمى جدولا، وقد اختلط هذا العلم بعلم التصوف، يجتنبه كثيرا من كبار الصوفية ينظر عبد العزيز بنعبد الله: معلمة التصوف الإسلامي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط المغرب، ط1 سنة2001م (197/1).

[3] -السعدي:مصدر سابق، ص 217، البرتلي: مصدر سابق، ص 111.

الونكري، والفقيه عبد الرحمن بن محمود آقيت،والثانية في المدح والترحيب لشيخه محمد يحي الولاتي حينما رجع من المغرب إلى تنبكتو يقول فيها :

نيل الرياح أو النجاح السرمدي .... والسير في النهج القويم السرمدي.

فازت به تنبكتو دون مغارب .... ومشارق من كل قطر أبعد.

فتباشرت أيامها وتشامخت................ أعلامها من راسيات ركد.

وبحبها من فضله أرجاؤها.................. محصول سر الوحي نور المهتدي[1].

كما ألف الفقيه المختار بن أبده قصيدة في الفقيه أحمد بابا التنبكتي عندما أرغم عن السفر إلى مراكش من طرف الغزاة السعديين إلى تنبكتو، وهي قصيدة تتكون من واحد وثلاثين بيتا يقول في مطلعها:

حسبي من آل الشيخ بابا أحمد .... الطيب الحب المحب المحمد.

الفاضل المبارك المود .... الطاهر الحلاحل الزبرجد.

الماجد السميدع المجد .... شمس الضحى المبجل المنفرد.

يا بابا جد إن أباك مرشد .... كن جلداً إنأباكجلد .

كن مسعداً إن أباكمسعد .... كن أسداإنأباك أسد.

كن مفرداً إنأباكمفرد .... إن أباك مثله لايوجد[2].

وللفقيه أحمد بابا التنبكتي قصيدة وهو في منفاه في مراكش يحن فيها إلى بلده.

أيا قاصداً كاغو فعج نحو بلدتي .... وزمزم لهم باسميوبلغ أحبتي.

سلاماً عطيراً من غريب وشائق .... إلى وطن الأحباب رهطي وجيرتي.

وعنديأقارب هناك أعزة.................... على السادة الآلي دفنت بغربة.

أبي زيدهم شيخ الفضائل والهدى............ وصنو ابن عمي وأقرب أسرتي.

وسيفي وسيف البين سل لفقدهم .... على وهل الموت ركني وعمدتي.

[1]- الغربي محمد: مرجع سابق، ص 525- 544، الفاجالو محمد: مرجع سابق، ص260.

[2]-مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص 254.

ولاتنسى عبد الله ذا المجد والندى .... فقد مدح حزني فَقَدَ قوتي وعشيرتي.[1]

وهذه القصيدة تعبر عن حالة صادقة، واشتياق كبير من أحمد بابا التنبكتي لبلاده تنبكتو ولوعة فراقها.

وفي البلاد السائبة انصب اهتمام الفقهاء على الشعر واعتبروه من فنون الأدب التي يعتبر الطلب فيها أولى من بقية العلوم،قال القاضي عبد الله بن الحاجإبراهيم العلوي: "بل علوم الأدبأولى من الطب لأنها لإصلاح الدين إذ لايفهم كلام الله تعالى وكلام رسوله إلابها..."[2]،وكان لفظ الأدب كما قلنا عندهم أطلق على الشعر لذا نجد هذه النزعة الشعرية تتكاثر ابتداءً من القرن الثاني عشر الهجري،وإن كانت قليلة مرت بتجربة شعرية بدأت بالتوسل والابتهالات الدينية والأراجيز العلمية لم ترق في بُعْدِهَا الفني إلى مقام التجارب العربية الرفيعة في ميدان القريض والإنشاد الشعري.

وتعطي لنا المنظومة الشعرية لشعراء هذه البلاد العديد من الأسماء خاصة من القضاة تفننوا في أنواع الشعر وأضربه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد بن عبد الله الشهير بابنرازكة، وكذا محمد اليدالي الديماني، والمختار بن بونة الجكني، وعبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، وقد كانت أشعارهم تتراوح بين المدح والرثاء والفخر.

القاضي عبد الله بن محمد الشهير بابنرازكة[3]وقد اشتهر بجولاته وصولاته في أرض المغرب الأقصى التي كان يسافر إليها من أجل العلم،حتى بلغ مبلغ المجالس السلطانية في عهد السلطان العلوي مولاي إسماعيل (1082هـ-1139هـ/1672م -1727م) ونشأت له صداقة مع ابنه الأمير محمد بن إسماعيل، وكان هذا ناتج عن الانبهار الذي انبهر به السلطان وابنه محمد،خاصة هذا الأخير الذي عرف عنه التضلع في العلم وحبه لمجالس العلماء، فابنرازكة كان ممن نالوا الحظوة السلطانية في المغرب الأقصى واستطاع أن يشارك

---

[1] –الإفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي مصدر سابق، ص98، زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الآسكيين مرجع سابق، ص 158.، الفاجالو محمد: مرجع سابق، ص 259.

[2] –عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي: الفتاوى مصدر سابق، ص152- 153.

[3] –الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط مرجع سابق، ص 1-24-397.، ولد أباه المختار: الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان، ط2، الرباط المغرب،2003، ص235.

في المناظرات الأدبية واللغوية،وفي المسائل البيانية ناهيك عن الفقه والكلام،وقد أعجب به الأمير العلوي محمد بن إسماعيل،حيث أغدق عليه كثيراً من الهدايا والعطايا وهو ما جعل ابن رازكة ينشد قصيدتين في مدح الأمير محمد بن إسماعيل العلوي يقول في إحداها[1]:

هو الوارث الفضل النبيء خالصاً.......... من العلم والعليا ومن طيب محتد.

ثمال اليتامى والأيامى موكل .... بتفريج غماء الشجي المتنكد.

أغر المحيا طاهر البشر طاهر .... السجايا كريم اليوم والأمس والغد.

حميد المساعي سار في الرتب العلا......... من المجد سير السابق المتفرد.

حوى شرف العلم الرفيع عماده .... إلى شرف البيت الكريم المصمد.

وله من القصائد ماتحدى به علماء فاس خاصة العالم بن زكري[2]، حيث تحداهم في علم البيان بهذه القصيدة[3].

شيوخ البيان الذائقين حلاوة .... حلاوة من العلم لم تطعم لغير ذويه.

سلام من الله السلام ورحمة .... يعمانكم من خامل ونبيه.

سؤال غريب دون شنجيط أرضه............. من البعد تيه يتصلن بتيه.

إذا شبه الهادي بها وجه مرشد .... تشابه في عينيه وجه متيهه.

قراه لديكم أهل فاس جوابه .... بنص جواب في البيان وجيه.

سما بكم علم البيان وحقه.................. إذا ماهوى ظن بمختلجيه.

---

[1] -المرجع السابق، ص 574.

[2] -أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي المولد والنشأة والوفاة، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي وعن أبي العباس أحمد بن العربي بن الحاج، وعن محمد بن أحمد المسناوي، كان عالماً صوفياً، له مؤلفات عديدة منها شرح ألفية السيوطي المسماة بالفريدة، وحاشية على توضيح ابن هشام، وشرح النصيحة الكافية للشيخ زروق، وشرح الهمزية والصلاة المشيشية، وشرح الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، وله تفسير لمواضع القرآن، توفي سنة1144هـ .ينظرولد البراء يحي: تحقيق الوسيط (شعراء العلوين)، د.م.ط.، د.ت.ط.، ص 10.

[3] -الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط مرجع سابق، ص 11.

أسائلكم ما سر إظهار ربنا .... تبارك مجداً من وعاء أخيه.

فلما يأت عنه منه أو من وعائه .... لأمر دقيق ثم يخيه.

فإن تلك أسرار المعاني خفية ....فمرآتها أفكار كل نبيه.

وأنت ابن زكري إمام محقق.................. تفردت في الدنيا بغير شبيه.

إذا غصت في بحر حصلت بدره.............. وخليت عن سغساسهوزديه.

يمدك في إتقان علم تبثه .... قياسأصولي ونص فقيه.

وقاك الذي أبداك كالنجم يتقى .... به الغي من يبغي الهدى ويعيه.

وقد أجاب عن هذا السؤال القاضي محمد اليدالي[1] بقصيدة طويلة أفردها في كتابه الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز كما سيأتي.

وله في الرثاء قصيدتين الأولى يرثي بها الفقيه أعمر كجيل بن هدي التروزي[2] .

هو الموت عضب لا تخون مضاربه............وحوض زعاق كل من عاش شاربه.

وما الناس إلا وارده فسابق.................إليه ومسبوق تخب نجائبه.

يحب الفتى إدراك ما هو راغب...............ويدركه لابد ما هو راهبه.

فكم لابس ثوب الحياة فجاءه................. على فجأة عاد من الموت سالبه.

ولم يقه فرعون عود أعده.................... .. ولا مرد نمرود حمت وأشائبه.

وهل كان أبقى بختنصر بخته...................... وأنصاره لما تحداه واجبه.

فما صان حبراً علمه وكاتبه .... ولاملكاً أعلامه وكتائبه.

ولسنا نسب الدهر فيما يصيبنا................... فلا الدهر جاليه ولاهو جاليه.

مضى مشرق الأيام حتى إذاانقضت .... ليالي أبي حفص تولت غياهبه[1].

---

[1]-ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق،ص 71.

[2] -أعمر أكجيل بن هدي بن أحمد بن دامان التروزي نسبة إلى منطقة الترارزة التي كان أميرها العادل الشهم الشجاع، قتله أولاد دليم في رمضان 1114هـ.ينظر ابن حامد المختار: حوادث السنين، مرجع سابق، ص 18- 19.

أما القصيدة الثانية[2] فقد قالها في رثاء العلامة أحمد بن يوسف البوحسني.[3]

هو الأجل الموقون لا يتخلف .... وليس يرد الفائت المتأسف.

رضينا قضاء الله جل جلاله .... وإن ضل فيه الجاهل المتعسف.

هو الحق يجزينا ثواب صنيعه .... وننفق من خيراته وهو يخلف.

إلى أن قال:

غمام بماء المزن ينهل مزنه...................... وبحر بأصداف المكارم يقذف.

تملك أطراف القضاء وفقهه...................... و ما هو إلا مالك أو مطرف.

تخاطبنا كبرى ابن يوسف عنده .... دَعُوا كثرة الآراء هذا المصنف.

درى في اللغة والنحو ماشاء في الصبا .... فشب على تحقيقيه بتفلسف.

يُجَوِّدَ آيات الكتاب فصدره لمجموع...................ذي النورين عثمان مصحف.

عواطل آذان من العلم لم يكن .... بقرطها تدريسه ويشنف.

يفسره تفسير حبر موفق .... يسني له فيض العلوم فيغرق.

ويبدو أن الفقيهين عمر أكجيل بن هدي التروزي، وأحمد بن يوسف البوحسني قد أثر موتهما في القاضي عبد الله بن محمد العلوي (ابن رازكة) لما وصفهما به من الألفاظ والتأسي على فراقهما.

القاضي محمد اليدالي الديماني[1] الذي اشتهر هو الآخر بقريحة شعرية كبيرة تعددت أغراضه فنجد مثلارده على السؤال الذي وجهه ابن رازكة لعلماء فاس وخاصة ابن زكري،فأجاب عنه اليدالي في هذه الأبيات[2]:

---

[1] -الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط مرجع سابق، ص 20-21-23.

[2] -هو أحمد بن يوسف بن بو المختار بن الفالي بن يدمهم عالم تخطفته المنية في مقتبل العمر من قبيلة إيدا شفرة(أهل الفالي) كتب عنه محمد بن الغزالي عاش عشرين سنة، وحفر عشرين بئر، كان حياً سنة 1087هـ، ينظر ولد البراء يحي: مرجع سابق، ص 21.

[3] -شوقي ضيف: مرجع سابق، ص 575.

سؤال بليغ في البيان نبيه .... أديب من أرباب الهدى وذويه.

عليه مدار العصر في العلم سيما ....علوم المعاني وهو قطب رحيه.

سوق لدى قيد الشوارد راكب............. من الفهم متيئ لاحق ووجيه.

عن السر في إتيان ربي بظاهر..............مكان ضمير في وعاء أخيه.

معمى قد أعياأهل فاس وغيرهم .... فكنا بحمد الله مفتتحيه.

وكلفني نصح البرية فكه...................فأعظم بما قد كان كلفنيه.

فقلب وبالله الصواب مجاوباً.................له بقياس في الأصول وجيه.

ولكن صعب المدارك معسر................على ضعفاء الفهم منتقصيه.

فهذا بحمد الله إيضاح لغزه.................مساو له في بحره ورويه.

فلو قال فرضاً ربنا من وعائه............... فذالكم بعد التفكر فيه.

يؤدي إلى عود الضمير ليوسف............. فيفسد معناه لمختبريه.

لأن الضمير في الصناعة عائد .... لأقرب مذكور هناك يليه.

وإن قال منه اختل أيضا لأنه............. يؤدي لعود مضمر لأخيه.

فتنزع منه الصاع لا من وعائه............... وتأنف من ذا نفس كل نزيه.

لما في انتزاع من أذى ومهانة................ ولم يرد الرحمن من ذا نبيه.

ونص على هذا السيوطي فَهَاكَهُ .... بوجه بياني ونص فقيه.

ويعرف هذا الذائقون حلاوة ال.............معاني ومن يدري الهدى ويعيه.

وفي فضلك اجمع شملنا ربنا................ كما فعلت بيعقوب النبي وبنيه.

وصل على الهادي وسلم وآله.................. وأصحابه طراً ومتبعيه.

وقائل هذا ابن السعيد محمد.................. محب النبي المصطفى وسميه.

---

[1] –ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص71- 72.

[2] –ولد اباه المختار: الشعر والشعراء في موريتانيا مرجع سابق، ص 350.

ولليدالي قصيدة يمدح فيها قبيلته أولاديمان يقول في مطلعها[1] :

ديمان في الناس تبر.................. وغيرهم كالفخار.

فيومهم يوم عيد...................... وليلهم كالنهار.

كما مدح اليدالي الفقيه أحمد بن هيبة البركني الحساني[2] يقول فيها[3] :

ورثت العلا والعز والمجد أحمد............ وبذل الندى عن هيب مفخرة العصر.

وإنك أسماهم علواورفعة .... بمنطقة الجوزاء ومنطقة البدر.

وأيامكم خضر جنينا ثمارها .... بأيدي المنى مابين أوراقها الخضر.

وقال إله العرش يا أحمد الردى .... وجنيت أنواع المكاره والضر.

وأولاك رب الناس في نفسك المنى .... وآلكوالأولاد والمال والعمر.

وللقاضي المختار بن بونة الجكني أشعار تراوحت بين المدح والمن والإفتخار بقبيلته تجكانت التي اشتهرت بعلمائها وقضاتها، وأنها من القبائل التي رفعت راية العلم في بلاد شنقيط، حيث يقول:

ونحن ركب من الأشراف منتظم.......... أجل ذا الخلق قدراً دون أدنانا.

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة................ فيها نبين دين الله تبيانا.

ومن تكن همة الأقدار نصرته................لم تقدر الناس أن توهي له شانا.

وهمة دونها هام السماء ومن.................... همته دونها هام السمادانا.

وهيبة ملئت منها القلوب فلو................نظرت شزراً الى أقصى الورى حانا[4].

ويعتبر هذا الإفتخار مبالغ فيه حيث يعتبر أن ادنى إنسان في قبيلته هو أرفع من اعظم الناس قدراً، ويقول انهم منكبون على كلام الله يتلونه كل مساء وكل يوم، وينوه بشجاعتهم وان القبائل تحذرهم

---

[1] – ولد البراء يحي: تحقيق الوسيط (شعراء بني ديمان)، ص 15.

[2] – لم أقف على ترجمته.

[3] –ولد أباه المختار: مرجع سابق، ص 237.، شوقي ضيف: مرجع سابق، ص 575.

[4] – ولد اباه المختار: الشعر والشعراء مرجع سابق، ص352 ومابعدها.

وتتوقاهم، وأن الأقدار دائماً تنصرهم على أعداءهم وأن قبيلتهم تهابها القبائل هيبة ملئت منها القلوب مخافة.

كما كان للقاضي بن بونة قصيدة في العتاب على قبيلة إيديقب اليعقوبية التي كان مدرساًبها، وكان من تلامذته الفقيه المجيدري[1] الذي عارضه فيما بعد، وصار بينهما مسجلات فكتب المختار هذه القصيدة يعاتب آل يعقوب ونكرانهم للجميل، خاصة تلميذه المجيدري وما أسد لهم من علوم في اللغة ونحوها[2].

وحين أحلى منكم كل عاطل.......... بدري وأسقي باردي كل أهيما.

فلاتنكروني آل يعقوب واذكروا......... ليالي اجلوا ماعلى الناس أظلما[3].

وكان هذا عتاب صريح لقبيلة آل يعقوب لنكراهم جميله وما قدم لهم من علم وحل لمشكلات الطلاب.

التاريخ والسير والتراجم: وتعتبر هذه العلوم من العلوم الاجتماعية والإنسانيةالتي خلدت حقائق تاريخية من خلال سير أحداثها،حيث لم تعرف الكتابات التاريخية وفن التراجم في هذه البلاد إلامع بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي،مع كل من محمود كعت (ت1002هـ) في كتابه تاريخ الفتاش،وأحمد بابا التنبكتي في كتابيه نيل الابتهاج، وكفاية المحتاج،إضافة إلى عبد الرحمن السعدي الذي أفرد هو الآخر كتابه تاريخ السودان،والذي يعتبر كاستدراك لسابقيه محمود كعت وأحمد بابا اللذان مثلا له المصادر الأولى في كتابه،كما يعد محمد اليدالي الديماني أيضا من الذين ألفوا في جزء من تاريخ هذه البلاد وهو يخص قطر من البلاد السائبة التي كانت فيها قبائل متعددة تقاسمت الثقافة واللغة الحسانية ومنها اتحاد الزوايا هذه التي كانت تمثل القبائل الرافعة لشعار العلم والمحضرة واشتهر منها عدة علماء وفقهاء من عدة

---

[1] – محمد بن حبيب الله ويسمى حب الله بن الفاضل اليعقوبي الشمشوي ،احد علماء بلاد الترارزة تضلع في العلم حتى اصبح فقيهاً لغوياً تتلمذ على يد المختار بن بونة الجكني له عدة رحلات منها الى بلاد المغرب الاقصى التي أخذ فيها عنة ادريس الحسني وذلك في مدينة فاس.ينظر: ولد عبد الودود عبد الله: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط مرجع سابق، ص181.

[2] – البرتلي : مصدر سابق، ص142- 143.

[3] – الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط مرجع سابق، ص277.

قبائل كأولاد ديمان[1]، وتجكانت[2]، وغيرهم من القبائل وهو ما جعل اليدالي يؤلف كتابه عن أخلاق وشيم هذه القبائل التي تمثل في مجموعها قبائل الزوايا،وسمى مؤلفه باسم " شيم الزوايا ".

1-**تاريخ الفتاش**: ويعتبر أول مصدر في كتابة تاريخ السودان الغربي وصل إلينا،ألفه القاضي محمود كعت الكرمني الذي كان على دراية ببلاد السودان الغربي،نظرا لقربه من البلاط الحاكم الأسكيا محمد، وهو ما أتاح له فرصة التعرف والاطلاع عن أحول هذه البلاد خاصة في فترة حكم الصنغاي، إضافة إلى المكانة العلمية التي أهلته لتولي القضاء[3] وهذا أيضاأحد العوامل المساعدة على تأليفه لهذا الكتاب ،وقد سماه: " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار "[4]،وقد بدأ بتأليف كتابه وهو في سن الخمسين[5]، حيث توقف عند سنة (1002هـ)[6] وهي السنة التي توفي فيها،وقد أكمل الكتاب بعده حفيده من بنته "ابن المختار"الذي اعتمد على مذكرات أحواله في تكملة مؤلف جده فقد قال في موضع[7]: " ورأيت بخط خالنا الفقيه يوسف كعت بن الفع محمود محمود كعت رحمهما الله أنه جاء مرسولا لأمير "ويقول في موضع آخر: " وقال القاضي إسماعيل كعت"، فهذا يدل على أن القاضي محمود كعت قد حرر أجزاء من الكتاب وترك أجزاء لم يحررها مباشرة بل تركها في أيدي أبنائه،وقام بتحريرها حفيده ابن المختار[8] الذي جمعها وأكمل الكتاب.

---

[1] - تطلق على ذرية ثلاثة من أبناء دمان وهم ساسيو عتام وزنون، وصار اسم أولاددمان علماً عليهم دون غيرهم وهم في منطقة الترارزة من "الكبلة " في موريتانيا الحالية .ينظر ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص247.

[2] -من أبرز القبائل وأوسعها انتشارا في بلاد شنقيط وتنحدر هذه القبيلة من المرابطين الذين أسسوا دولتهم في بلاد المغرب والأندلس والسودان، أقامت تجكانتب تنيكي بين شنقيط ووادان. ينظر ابن حامد المختار:حياة موريتانيا الجزء الجغرافي، ص 41-42.

[3] -محمود كعت:تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص09.

[4] -المصدر السابق،ص 11، بدري محمد فهد: أثر الإسلام في انتشار العربية في إفريقيا مرجع سابق،ص 192.

[5] -الشكري أحمد: الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن 18م (نموذج بلاد السودان)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2010،ص124.

[6] -السعدي: مصدر سابق،ص 11.

[7] -محمود كعت:مصدر سابق،ص 141،مهدي رزق الله أحمد:حركة التجارة مرجع سابق،ص 32.

[8] -محمود كعت: مصدر سابق،ص 174-175، الباز أحمد السيد:مرجع سابق،ص 134.

ويعتبر كتاب الفتاش ذخيرة مهمة في تتبع التطور الحضاري، والثقافي، والاقتصادي في عهد دولة صنغاي وما قبلها وجزء من حكم المغاربة في بلاد السودان الغربي،ومن أهم مايميز هذا الكتاب أنه استمد معلوماته من مصادر قبله تعد في عداد المصادر المفقودة منها: كتابين للشيخ الفقيه بابا كورين الحاج محمد بن الأمين[1] الذي تتبع فيهما الأحداث السياسية والحربية لدولة صنغاي منذ فترة سني علي إلى عهد حكم الآساكي وانتهائهم،وهذان المؤلفان هما: "دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان "[2]وله أيضا كتاب آخر سماه "جواهر الحسان في أخبار ملوك السودان "[3]،وهذان المؤلفان يعتبران المصدران الأوليان لكتاب الفتاش، كما اعتمد تاريخ الفتاش على مؤلفات الإمامأبي بكر سني بن عمر،حول مملكة صنغاي حيث نقل منه كعت كل مايتعلق بالأسكيا إسحاق وحروبه مع الباشاوات المغاربة ومن بين هذه النقول ماورد في تاريخ الفتاش: "ورأيت بخط الفقيه الإمامأبي بكر سني بن عمر أن القتال بين الأسكيا إسحاق وأهل مراكش في سنغي في طرف تندبي ضحى الثلاثاء سادس عشر جمادى الأولى عام تسع وتسعين وتسعمائة "[4]، وقد بدأ القاضي محمود كتابه بالبسملة والحمدلةوتلاها بخطبة الكتاب التي اعتنى بسبكها وحبكها مستشهداً بالأحاديث النبوية حتى خلص إلى غاية من تأليفه وإتباعه لسنن القرآن من ذكر الماضي للعظة والذكرى، وإنصاف الحق وتخليدا لأيام زمانه التي حكم فيها خليفة عادل وسلطان منصور وهو الأسكيا محمد، الذي أشاع العدل في زمانه فامتدت دولته (صنغي) شرقاً وغرباً،وأذعنت له الملوك طوعاً وكرهاً[5]، ويمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه عاصر الأحداثالتي تكلم فيها عن السلطان الأسكيا محمد، وقد بيَّن هدفه من هذا في مقدمة الكتاب بقوله: ".....وبعد فلما كان ذكر قصص الأنبياء والسلاطين والملوك وأكابر البلدان من عادة الحكماء والعلماء والأعيان اتخاذا بسنة القرآن وتذكيرا لما غيره من الزمان ورداً للضبي عن الحيف والهوان وعوناً للتقي على مساعدة الإخوان ومَنَّ الله علينا أن أظهر لنا في زماننا هذا الإمام المصلح والخليفة

[1] - المصدر السابق، ص44،بدري محمد فهد:أثر الإسلام مرجع سابق،ص 193.

[2]- الشكري أحمد: مرجع سابق، ص 133..

[3]- المرجع السابق:ص 136.

[4]- محمود كعت:مصدر سابق،ص 152.

[5] -بدري محمد فهد:أثر الإسلام مرجع سابق، ص 191-192.

والسلطان الغالب المنصور القائم الحاج محمد بن أبي بكر التوري.... "[1]، كما تكلم القاضي محمود كعت عن زيارته للحج مع السلطان الأسكيا محمد وعدد من العلماء،وعن إضفاء لقب الخليفة للأسكيا محمد من قبل الشريف العباسي في مكة[2]، واستغل الرواية الشفوية والأخبار السابقة ليتكلم عن الحكام السابقين الذين رحلوا إلى الحج،كسلطان دولة مالي "منسا موسى"[3]، وتكلم عن الحكام السابقين الذين دخلوا الإسلام منذ العهود الأولى لانتشاره في بلاد السودان الغربي، وعن جهاد الأسكيا محمد للقبائل الوثنية من أجل دخولها في الإسلام خاصة قبائل الموشي[4]، ثم ينتقل إلى الحديث عن تآمر أبناءالأسكيا محمد عليه وعزله في جزيرة كنكان،وقد شرح هذا الصراع الذي دار بين أبناءالأسرة على الحكم وهو ما أدىإلىإضعاف المملكة ووقوعها فريسة للتدخل الأجنبي المتمثل في الغزو المراكشي حيث قال: "وأما سبب الشر الواقع بين ابن الأسكيا محمد (الثاني)وبين ابن الأسكيا داوود وبين أخيه يلمع الصادق[كأن الكلام ناقص تأكد منه]وذلك سبب فناء سنغي،وفتح باب الشر بينهم وسبب فساد ملكهم وقطع سلك نظام دولتهم إلىأن نزلت محنة أهل مراكش بهم "[5].

كما تكلم عن الجوانب الإدارية والثقافية في دولة صنغاي،واستطرد الحديث عن ذكر الفقهاء والقضاة وعدد من المدن التي يحكمها قضاة ومركزهم فيها لا يدانيه أحد مثل تنبكتو،وكيف أن مركز القاضي فيها ذومكانة وسيادة[6]، أما الجانب الثقافي فتكلم فيه عن المكاتب التي يتعلم فيها الصبيان القراءة والكتابة،فضلاً عن قراءة بعض الكتب ودووابن الشعر،وكذا نسخ الكتب الذي كان الوسيلة المألوفة لنشرها وتيسير تداولها حتى أصبحت لهم خزائن يمتلكها السلاطين والعلماء[7]، كما تحدث عن الحفلات الدينية التي كانت تقام في بيوت بيوت العلماء لقراءة المدائح النبوية في جمع من الفقهاء والطلبة فمماورد في تاريخ الفتاش "أن الشيخ النحوي

[1] –محمود كعت:مصدر سابق، ص11.
[2] –المصدر السابق، ص 10.
[3] –المصدر السابق، ص 12–65،الفانوس عمار صليح سليم: دور الحكام السودانيين مرجع سابق، ص 236.
[4] –المصدر السابق، ص 41.
[5] –المصدر السابق: ص صص 43–44–45.
[6] –المصدر السابق، ص 83–126.
[7] –محمود كعت:مصدر سابق،ص 89–179.

أباحفص عمر كري قد اتخذ عادة قراءة المدائح في يوم الجمعة في بيته،وكان يقرأفيه عشرينيات الفزاري وتخميسها لابن مهيب "[1]،كما تكلم عن الخرافات السائدة في المجتمع السوداني من خلال دولة صنغي، إذ أنها كانت سائدة إلى جانب كرامات الأولياء،وهذا مابدا جليا في تراجم كثير من الأولياء والعلماء[2]، كل هذا جاء بلغة فصيحة في مقدمة الكتاب مستدلاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية،ثم بلغة محلية مرات ومغربية مرات أخرى[3]، وهذا مايدل على الاشتراك في تكملة هذا الكتاب من طرف حفيده ابن المختار، كما كما أظهر كعت ثقافة إسلامية واسعة وذلك بالإشارة إلى كتب بعض أهل المشرق أوبعض الشخصيات المشرقية، كإشارته إلى الحجاج بن يوسف الثقفي عندما شبه الملك سني علي[4] به،وعند إشارتهإلى التصوف ذكر معروف الكرخي، والقشيري صاحب الرسالة القشيرية[5]، والحريري صاحب المقامات،ومما يلاحظ على الكتاب أنه لم يكن مرتبا ولامبوبا بل أفكاره مشتتة في ثناياه.

2- **تاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي**: وهو من المصادر المهمة في تاريخ هذه البلاد خلال القرن الحادي عشر الهجري،ويأتي في المرتبة الثانية بعد تاريخ الفتاش الذي يعتبر أحد مصادره رغم ماصرح به السعدي من دوافع تأليفه لكتابه تاريخ السودان بقلة الاهتمام بعلم التاريخ حيث يقول[6]: "ولما رأيت انقراض ذلك العلم ودروسه وذهاب ديناره وفلوسه وأنه كبير الفوائد لما فيه من معرفة المرء بأخبار وطنه وأسلافه وطبقاتهم وتواريخهم ووفياتهم،فاستعنت بالله تعالى في كتب مارويت عن ذكر ملوك أهل صنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم،وذكر تنبكتو ونشأتها ومن ملكها من الملوك وذكر بعض العلماء والصالحين الذين توطنوا فيها[7] ".وقد كان كتابة تاريخه على فترات مختلفة دامت ثلاثة سنوات تقريبا ،حيث ختم الجزء الأول في ذي الحجة سنة (1063هـ) حيث يقول: "وهنا انتهت المجموعة بحمد الله وحسن عونه

[1]-المصدر السابق،ص 90-94-182.

[2] -المصدر السابق، ص 20-24-26-68-124، بدري محمد فهد:أثر الإسلام مرجع سابق، ص199.

[3]-المصدر السابق، ص 75-103.

[4]-المصدر السابق، ص50.

[5]-المصدر السابق، ص 78-91.

[6] -السعدي:مصدر سابق، ص 02.

[7]-المصدر السابق:ص 164.

بتاريخ نهار الثلاثاء لخمسة خلون من ذي الحجة الحرام العام الثالث والستين والألف ..."[1]،وبعد سنتين أضافإليه فصلاً يتضمن ذكريات ووقائع عاشها المؤلف وقد انتهى منها بعد سنتين تقريباً وذلك بتاريخ جمادى الأول سنة(1065هـ)،ليقوم حفيده الأمير محمد بن سودو من تنبكتو بإتمام كتاب جده عبد الرحمن السعدي (ت1066هـ)[2]، الذي أرخ فيه للفترة الأخيرة من حكم الباشاوات والولاة المغاربة الذين حكموا تنبكتو وهو على أغلب الظن الكتاب الذي يسمى تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان[3] الذي دائما ينسب إلى مؤلف مجهول.

والمتتبع لكتاب تاريخ السودان يدرك مدى أهميته في تاريخ التعليم والفكر الإسلاميين وما وصلت إليه إمبراطورية الصنغاي من الازدهار الثقافي والعلمي والتجاري في ذلك العهد، وماقام به علماء هذه البلاد من حركة علمية مباركة في جميع أنحاء السودان الغربي[4]، وقد قسم السعدي كتابه إلى ثمانية وثلاثين بابا[5]، كل باب خصصه لذكر أحداث ووقائع هذه البلاد، إلاأن ما يؤخذ عليه أنه لم يخرج عن مملكة صنغاي وحكم الباشاوات المغاربة للبلاد، ولم يتكلم عن مملكة مالي وغانة إلا بصورة مقتضبة،رغم أن عنوان الكتاب هو تاريخ السودان يعني جميع الرقعة الجغرافية التي تدخل في مشمول بلاد السودان الغربي، وقد اعتمد على مصادر شفوية وأخرى مكتوبة، منها ما أخذه عن الفقيه محمد بن أحمد بن محمود بغيغ الونكري الجنوي(ت1066هـ)[6] والذي كان له اهتمام بالتراجم لكن مؤلفه لم يصل إلينا،أوكان عبارة عن أخبار شفوية يكون قد روها عنه السعدي مشافهة باعتباره أنه من الأساتذة الذين درَّسوا السعدي[7]، كما أخذ عن عن مصدر مفقود يعد من المصادر المهمة في تاريخ بلاد السودان وهو الذي ذكره الإفراني صاحب نزهة

[1]-الأرواني:السعادة الأبدية مصدر سابق،ص83.، مطير سعد غيث،مرجع سابق، ص302.

[2]-الشكريأحمد:مرجع سابق، ص 158.

[3] -الفانوس عمار صليح سليم: مرجع سابق، ص 238.

[4] -بدري محمد فهد:أثر الإسلام مرجع سابق،ص 207.

[5]-السعدي :مصدر سابق، ص 322.

[6] -المصدر السابق، ص 40-46-47، مطير سعد غيث:آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي مرجع سابق، ص 23.

[7]-الوفراني محمد الصغير بن الحاج عبد الله النجار المراكشي:نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تعليق هوداس، مطبعة بريدن، إنجي 1888،ص 89.

الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي باسم كتاب نصيحة أهل السودان، ودعى مؤلفه باسم التكروري[1]، وأشار الإفراني أن هذا المؤلف كتب عن حج الأسكيا محمد الكبير للأراضي المقدسة ولقائه بالخليفة العباسي، والإمام جلال الدين السيوطي الذي تعاطى معه دروسا في الدين والفقه،وعن الأسكيا داوود وأفعاله الحسنة،وعن الأسكيا إسحاق والأحداث التي وقعت في عهده[2]، كما اعتمد على مصادر مكتوبة التي وردت في كتابه منها نيل الديباج لأحمد بابا التنبكتي الذي يعتبر أستاذ السعدي[3]،وهذا كتاب لانعرف عنه شيء ولم تصلنا أخباره،ومن مصادره أيضا كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لمؤلف مجهول اعتمد عليه السعدي[4] في الأخبار الخاصة ببلاد المغرب،كما أن السعدي كان شاهدا على كثير من الوقائع التاريخية التي سجلها في كتابه ولاسيما أخبار حكام صنغاي، إضافة إلى تدرجه في القضاء والكتابة والإمامةناهيك عن أسفاره ومراسلاته في أنحاء بلاد السودان الغربي،لذا جاء كتابه بلغة جيدة ومرتبة قسمه كما قلنا إلى ثمانية وثلاثين باباً على النحو الآتي:

من الباب الأول إلى الباب الرابع: خصصه للحديث عن دولة مالي حتى بداية عهد سني علي[5] .

من الباب الخامس إلى الباب السادس: تكلم فيه عن جني وعلمائها وصلحائها[6].

الباب السابع والباب التاسع: خصصه عن مدينة تنبكتو وعلمائها[7].

الباب الثامن: خصصه للحديث عن التوارق[8].

---

[1]-المصدر السابق: ص 90.

[2]- السعدي:مصدر سابق، ص 35.

[3]-السعدي:مصدر سابق، ص 25،الفانوس عمار صليح سليم:مرجع سابق، ص239.،بدري محمد فهد:مرجع سابق، ص 209.

[4]-المصدر السابق، ص 2-11.

[5]-المصدر السابق، ص 11-20.

[6]-المصدر السابق، ص 20-24.

[7]-المصدر السابق، ص 25-26.

[8]-المصدر السابق، ص 27-37-56.

الباب العاشر: عرف من خلاله بكتاب الذيل لأستاذه أحمد بابا التنبكتي[1].

الباب الحادي عشر: تحدث فيه عن أئمة المساجد خاصة المسجد الجامع بتنبكتو[2].

الباب الثاني عشر: خصصه لحياة السلطان سني علي[3].

من الباب الثالث عشر إلى الباب العشرين: تحدث فيه عن دولة صنغاي حتى مجيء الغزو المغربي لبلاد السودان[4].

من الباب الحادي والعشرين إلى الباب السابع والعشرين: تكلم فيه عن الباشاوات المغاربة الأوائل الذين حكموا بلاد السودان[5] .

الباب الثامن والعشرين والباب التاسع والعشرين: تكلم عن الدولة السعدية[6] .

الباب الثلاثون والرابع والثلاثون: ذكر فيهما الوفيات إلى عام(1063هـ)[7].

الباب الواحد والثلاثون والثالث والثلاثون والخامس والثلاثون: تكلم فيها عنالباشاوات الذين حكموا السودان من عام(1021هـ إلى1063هـ)[8].

الباب الثاني والثلاثون: تكلم فيه عن سياحته في بلاد ماسنة[9] .

[1]-المصدر السابق، ص 56-63.
[2]-المصدر السابق، ص 64-71.
[3]-المصدر السابق، ص 71-137.
[4]-المصدر السابق، ص 137-201.
[5]-المصدر السابق، ص 202-210.
[6]-المصدر السابق، ص 210-216-237-247.
[7]-المصدر السابق، ص 220-230-247-293.
[8]-المصدر السابق، ص 230-232.
[9]-المصدر السابق، ص 303-314.

الباب السادس والثلاثون والسابع والثلاثون: تكلم فيه عن حكام بلاد السودان الغربي من السودانيين من بداية السيطرة المغربية إلى سنة (1063هـ)[1].

الباب الثامن والثلاثون: خصصه لتاريخ السودان من (سنة 1063هـ إلى سنة 1065هـ)[2].

ويعتبر كتاب تاريخ السودان ذا منهج يسير وفق حكام دولة صنغاي ثم الباشاوات في العهد السعدي،وقد تناول الأحداث وفق حوادث السنين بطريقة متسلسلة،كما تناول تراجم المشهورين من علماء وصلحاء هذه البلاد،وذكر ضمن كتابه وصف سياحته التي قام بهاإلى بلاد ماسنة ،كما تكلم ضمن ثناياه عن التنظيم الإداري،وسمى الوظائف بالأسماء المحلية المعروفة[3] في البلاد،وذكر القضاة ونظام قضائهم[4]، أما في الحياة الاقتصادية ففي معرض حديثه عن حكام الولايات أشارإلى التجارة والتجار بين بلاد السودان الغربي وبقية الأقطار المجاورة، وعن مادة الملح،والذهب كعمود اقتصادي أساسي في تجارة بلاد السودان الغربي،كما تكلم عن التعامل في الأسواقوأشارإلى الودع كعملة مستعملة في المقايضة[5]، أما في الجانب الاجتماعي فتكلم فتكلم عن التنوع الإثني الذي عرفته بلاد السودان خاصة مدينة تنبكتو، وتكلم عن الطوارق والعرب،والسودانيين وورود التجار والعلماء والفقهاء إلتنبكتو،وما أحدثوه من توسع وازدهار في هذه المدينة،إضافةإلى بعض الظواهر التي كانت منتشرة في ذلك المجتمع،كالسحر والشعوذة وبعض الكرامات التي كان يؤمن بها الناس[6]، إضافةإلى العادات المتفشية عندهم من وضع التراب أثناء دخولهم على السلطان،كما تكلم عن الحياة الثقافية والفكرية في بلاد السودان خاصة في المدن الكبرى كتنبكتو وجنيوغاو، وما اشتملت عليه مساجدها، ومدارسها من حركة علمية،إضافة إلى ذكر العلماء وفضائلهم وما

[1]-المصدر السابق، ص 315-323.

[2]-المصدر السابق، ص 72-75-78-100-104-105-115-117.

[3]-المصدر السابق، ص 18-19-20.

[4]-المصدر السابق، ص 11-222-260.

[5]-المصدر السابق، ص 305.

[6]-المصدر السابق، ص 126.

اتصفوا به من علم وأدب[1].وبالتالي يعتبر تاريخ السودان من المصادر التي لابد لدارس أوباحث في تاريخ بلاد السودان من الوقف عليه، وقد عثر[2] عليه الرحالة الألماني هنري بارث عام(1270هـ/1853م) في مدينة جواند – قرب نهر النيجر– كمخطوط،وحققه المستشرق الفرنسي هوداس ونشره في باريس عام(1316هـ/1889م)، ثم أعيد طبعه عام(1384هـ/1964م) وهي الطبعة المنتشرة حالياً.

3-شيم الزوايا:وهذا الكتاب للقاضي اليدالي[3]، وهو من الكتب التي اهتمت بتاريخ قطر من أقطار بلاد السودان الغربي في جزءه الشمالي الغربي،منطقة القبلة[4] (بلاد الترارزة والبراكنة) وما تسكنه من قبائل حسَّانِية حسَّانِية أطلق عليها اسم الزوايا[5]، لكونها اشتهرت بالعلم والمعرفة عكس القبائل المحاربة[6]، وقد تجمعت هذه هذه القبائل في هذا الاتحاد (الزوايا) لتلك الخاصية العلمية والمعرفية والدينية،وقد ألف القاضي اليدالي هذا الكتاب في ذكر شيمهم وأخلاقهم وسجاياهم لما تميزوا به من حملهم للعلم ونشر دعوة الحق والدين في هذا القطر السائب،وكانت دعوتهم قائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وقد تعاقدوا وأسسوا سيرتهم وأحكموها بالشرع وتمسكوا بها حتى صارت ديدنا وطبعا لهم وكأنها فطرة فطرهم الله عليها[7]، كماعقدوا ميثاقا على ذلك سموه ميثاق تشمشق الأخلاقي،وهو يحتوي على الصبر أي صبرهم على

[1]-المصدر السابق، ص 29-31-32-33-198-239-297.

[2]-مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص305.

[3] -ولد المصطفى محمدعبد الله: من أبرز علماء شنقيط التعريف ب212 عالماً، إدارة الثقافة، والفنون وزارة الثقافة والشباب، موريتانيا، 2013، ص 07.

[4] -ويعني به المنطقة المتخامة لحوض نهر السينغال من موريتانيا الحالية، وهو في الحقيقة مصطلح فقهي وكلامي يعني به كل من يصلي إلى جهة القبلة وهو في الأصل للتفريق بين المسلمين الذين يمارسون الشعائر خاصة شعيرة الصلاة، ينظر ولد البراء يحي: الفقه والمجتمع والسلطة مرجع سابق، ص 24.

[5] -يقول فيهم المختار بن حامد: " أما الزوايا فهم في الحقيقة فخر البلاد وعمارتها، ونورها علماً وصلاحاً وديناً وثروة، فيهم أهل المدارس العامرة المفيدة، والمشايخ أهل حلق الذكر والدين والقويم، والأموال الطائلة أهل أنباط الأبار وتفجير العيون وحرث الحبوب وغرس الأشجار" حياة موريتانيا الجانب السياسي مرجع سابق، ص 94.، وينظر ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال مرجع سابق، ص 238.

[6]-القبائل المحاربة: هي قبائل بني حسان الذين يحتكرون القوة العسكرية ويمارسون السلطة السياسية.ينظر الشكري أحمد:الذاكرة الإفريقية في آفاق التدوين إلى غاية القرن 18م (نموذج بلاد السودان) مرجع سابق،ص 169.

[7]-اليدالي محمد بن سعيد: شيم الزوايا نصوص من تاريخ الموريتاني، تحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، تونس، 1991، ص 59.

مايطرأعلى البئر والمراح والمراعي مما يثقل عليها،وصبرهم على عدم تحمل الغرامة والمكوس التي كانت تفرضها عليهم القبائل المحاربة من بني حسَّان[1]، وتواطؤهم على ذلك حتى أغاروا عليهم مراراً، وصبرهم على الجفاء وما ينالهم من أذى الناس وتجاوزهم عن جفاة الطباع تخلقا بأخلاقه صلى الله عليه وسلم ،وكثرة الصبر على جور الظلمة لشهودهم أن ما جاروا به عليهم كثرة الحلم عن من جار عليهم وكظم الغيظ[2]، ومن شيمهم وسيرتهم عزوفهم عن الدنيا وعدم المناقشة فيها، وعدم الرغبة في حطامها الفاني وقلة الطمع عما فيما في أيدي الناس لاسيما الظلمة،وترك الخصومة فيما بينهم وبين غيرهم وعدم التنازع في متاع هذه الجيفة (الدنيا)، فإن ادعى أحد عليهم بشيءأعطوه، وإن كان لهم الحق على غيرهم ولم يساعدهم تركوه[3] فكان هذا دأبهم،ومن أخلاقهم كثرة التزاور والتواصل فيما بينهم،وصفاء المودة وعدم الغل والغش بينهم ومحبة بعضهم لبعض حتى كأنهم بنو أب واحد، وتوقير الصغير الكبير ورحمة الكبير بالصغير ،وحسن السيرة فيما بينهم ،والإغضاء والمسامحة فيما بينهم،وان كل واحد منهم صديق ملاطف للآخر، ويُؤْثِرُ كل واحد منهم أمر الآخر على نفسه، وكثرة وصية بعضهم البعض ونصحه له، وقبولهم النصح وشكرهم الناصح،وأنهم لايقومون بحق شكر من نصحهم ولو أحسنواإليه مدى الحياة[4]، لأن الأمور الأخروية لا تقابل بالأعراض الدنيوية، وهذا خلاف عادة الناس اليوم،ومن أخلاقهم وسيرتهم حسم مواد الفتن وعدم مخالطة الناس ورؤية محاسنهم والتعامي عن مساوئهم وعدم رضاهم عن أنفسهم وأنهم لا يعادون أحدا لحظ أنفسهم وإنما الناس هم الذين يعادونهم،ومدراتهم للناس وتسوية الرفيع والوضيع في الضيافة[5]، وعدم مقابلتهم أحدا بسوء،والتقليل من مداخلة غيرهم ما استطاعوا ولاسيما حسان، ومن تشبث بهم إلامن تحققوا انه منخرط في سلكهم أي في سيرتهم هذه المثلى فهو مثلهم فيما هم عليه ولو كان سودانياًأوصنهاجياً،وهجرهم لأحد

---

[1] –وهم بطن من بطون عرب المعقل المنحدرين من كعب بن الحارث من قبائل مذحج اليمانية، لكن نسابة المعقل يؤكدون انتسابهم لبني جعفر بن أبي طالب. ينظر ولد السالم حماه الله: تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2010، ص 163.

[2] –اليدالي محمد بن سعيد: شيم الزوايا مصدر سابق، ص60-61-63.

[3] –المصدر السابق، ص 67.

[4] –المصدر السابق، ص 68.

[5] –المصدر السابق، ص69.

منهم إن خالط حسان،وتعظيمهم حرمة المسلمين ومحبة الخير لهم،وتوقير أهل الله والعلماء ومحبة المساكين[1].

وبعدما أكمل هذه الشيم،تحدث عن بدء أمر تشمش، وكيف وقع، وعن أصل هؤلاء الذين شكلوا هذا الحلف ومكان نزولهم،ثم ذكر كل واحد من الأجداد الذين يمثلون تشمش[2]وأبناءه وفروعه إلى أن وصل إلى دورهم في مقاومة الغزو الذي كانوا يتعرضون له خاصة الحملة السعدية التي مست كثير من هذه المناطق[3] وهي في طريقها إلى تنبكتو[4]، والدور الذي أدته قبيلة العروسيين[5]وزعيمهم إبراهيم بن أحمد العروسي الذي كانت له سطوة على هذه المناطق،وما أصاب الزوايا من محن وإيذاء من العروسيين[6] .

كما تكلم عن الحرب التي وقعت بين المغافرة وقبيلة أولاد رزك، والأسبابالتي أدت إليها[7]، ثم ختم كتابه بذكر بذكر تشمش في ظل حكم المغافرة التي غلبت على المنطقة وبسطت شوكتها[8]، إضافةإلى تخلله لتراجم كثير من الشخصيات سواء علمية مثل الفقهاء والعلماء،أو قبلية مثل زعماء القبائل،إضافةإلى تعريفه بعديد القبائل وأماكنها ومضاربها،وقد جاء هذا الكتاب في حجم صغير سليم اللغة بل سهلة وبسيطة، اللهم

[1]-المصدر نفسه.

[2] -وهو حلف بين خمسة رجال الذين يشكلون خمسة قبائل وهي من أمهات الزواياوهم: بنوديمان، إداشفغ، إديقب، إدكبهني، إدوداي، ينظرولد السالم حماه الله: بلاد شنكيطي مرجع سابق، ص427.

[3] -مرت هذه الحملة سنة 999هـ-1590م،إذ على إثرها تضررت تجارة الصحراء، مما اضطر القبائل الحسانية والصنهاجية بالعبث بكل قافلة أوقبيلة لم تدفع لهم المغرم، وهذا ماجعل السعديين أن يتركوا حاميات مسلحة في تيشيت، وتامشكط، واركيز، وتنيكي، لضمان أمن قوافل المغرب من وإلى بلاد السودان الغربي.ينظر بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، دار الفكر، أنواكشوط موريتانيا، 2010، ص 167.

[4]-اليدالي محمد بن سعيد: شيم الزوايا مصدر سابق، ص 88-93.

[5]-العروسيين: قبيلة من قبائل الشرفاء الحسنين تنحدر من جدها الجامع الشريف الشيخ أحمد بن عمر العروسي (ت1002هـ) العابد الزاهد المعروف، خرج مغاضباً للسلطان السعدي محمد الشيخ، واتجه الى الساقية الحمراء، حيث حل ببلدة الطبيلة سنة(958هـ) فانثال الناس عنه من كل صوب وكان لذريته دور سياسي مهم في تاريخ موريتانيا لاسيما في القرن الحادي عشر هجري-17م. ينظر: حماه الله ولد السالم : تاريخ موريتانيا مرجع سابق، ص 325.

[6]-اليدالي محمد بن سعيد: شيم الزوايا مصدر سابق، ص 94.

[7]-اليدالي محمد بن سعيد:مصدر سابق، ص94.

[8]-المصدر السابق: ص صص 96-97-98.

بعض المصطلحات الحسانية،وهو مرتب في شكل فصول،وقد حقق هذا الكتاب الباحث الموريتاني محمذن ولد باباه.

التراجم: ويتمثل مساهمة بلاد السودان الغربي في هذا المجال فيما أنتجه القاضي أحمد بابا التنبكتي بكتابين الأول: " نيل الابتهاج بتطريز الديباج " والثاني "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج "، وهو عبارة عن استدراك لما غفل عنه من التراجم في كتابه النيل.

1-**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**:وهو معجم لعلماء السودان الغربي وبلاد المغرب من فقهاء المالكية،وضعه كحاشية أوتكميل لمؤلف ابن فرحون المالكي المسمى: " الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب " وقد أرّخأحمد بابا لسير هؤلاء العلماء المترجم لهم، وذلك بعد أن قدم الكتاب بمقدمة ذكر فيها أهمية تاريخ العلماء أسوة بمن تقدم من العلماء مثل القاضي عياض (ت544هـ) صاحب كتاب" المدارك "،وابن فرحون (ت799هـ) الذي فاته كثير من تراجم أعيان المالكية،وهو الدافع الذي جعل أحمد بابا يقدم على تأليف هذا الكتاب،إذ يقول: "وحسبنا في صعوبة الحال أني لم أجدأحدا تعرض لجمع ذلك بعد ابن فرحون أو تصدى لذلك في جد أو مجون،إلارجلا واحدا من أهل العصر ذكر في مجموع نحو ثلاثمائة رجل .....ولاذكر من حالهم كثيرا ولا قليلا....ولولافضل المولى ذي الفضل والإحسانما جمعت في هذه الكراريس ما تيسر لي من ذلك ممن ليس في ديباج ابن فرحون، وزدت في تراجم من ذكره من أوصافه المشكورة فجاء بحمد الله فوق مارأيت وزائد على ما نويت وقصدت، وسميته نيل الابتهاج بتطريز الديباج "[1]،وقد بدأفي كتابته في تنبكتو قبل الغزو المغربي وانتهى منه سنة(1005هـ)[2] في مدينة مراكش التي نقل إليها أسيرا.

وقد جاءت أهمية كتاب نيل الابتهاج فيما بثه من تراجم أعطت فوائد تاريخية، وبينت الحالة الفكرية والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية لهذه الفئة، حيث وأكبت أحداث العصر لاسيما في الساحة المغربية والأندلسية، إذ لم يقتصر على علماء بلاد السودان الغربي وحدهم بل ترجم لمغاربة وتونسيين وجزائريين،

[1]- التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق، ص 19- 20.

[2]-المصدر السابق: ص 641.

وطرابلسيين، إضافة إلى علماء من الأندلس[1]، مبينا من خلال هذه التراجم رحلاتهم العلمية بين المدن والأمصار الإسلامية، ويعتبر كتاب نيل الابتهاج بحق من المصادر الأساسية لكثير من المؤرخين،سواء في البلاد الإسلامية اوفي بلاد السودان[2]، التي اعتمدت عليه مثل محمود كعت في تكملة تاريخ الفتاش من طرف حفيده ابن المختار،أو السعدي في كتابه تاريخ السودان .

أما المصادر التي اعتمد عليها أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج، نجد أول مصدر هو للفقيه أحمد بن عمر آقيتالذي كان مهتما بالتاريخ والتراجم، بل قيل أنه ألف كتاب في تراجم الرجال ربما هو في طي المفقودين ولا نعرف عنه شيء،وقد استفاد أحمد بابا من جده من خلال ماكتبه من تراجم إذ يقول: "وهكذا لخصت هذه الترجمة من خط جدي الفقيه أحمد بن عمر ...."[3]، أما مصادره الأخرى فهي متنوعة وأكثرها من بلاد المغرب والأندلس، منها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي[4]، وكتاب الذيل والتكملة لابن الأبار القضاعي، وكتاب الصلة لابن بشكوال، ورحلة العبدري، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب المسلماني،وتاريخ ابن خلدون ،ورحلة ابن الخطيب القسنطيني (ابن قنفد) ووفياته، وفهرس الشيخ ابن غازي،والروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون،والمعيار المعرب للونشريسي، والنجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب للتلمساني[5]، وتأليف الملالي في مناقب السنوسي،وفهرس الشيخ المنجور[6]، وبهذه المصادر الكثيرة التي اعتمد عليها فقد زاد عن تراجم ابن فرحون التي كانت ستة مئة ونيف وثلاثون،فيما أصبحت في النيل ثمانمائة وثلاثين رجلاً مترجما له، وقد التزم في تراجمه الترتيب الأبجدي المعجمي (على الحروف)، إضافةإلى الترتيب الزمني لوفيات المترجمين داخل الحرف الواحد، حيث يقدم

---

[1]-المصدر السابق:ص 39- 40- 65 – 68- 78- 83 – 90- 91- 140- 150- 158- 160- 179- 185- 195- 197- 232- 234.

[2]- التميمي عبد الجليل: مساهمة أحمد بابا التنبكتي في الحضارةالعربية الإسلامية من خلال كتابه نيل الابتهاج، ندوة العلماء الأفارقة، بغداد، 1991، ص 229-240.

[3]-الفاجالو محمد: الحياة العلمية في صنعاي مرجع سابق، ص227- 228.

[4] -التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج مصدر سابق، ص32.

[5]-بدري محمد فهد:أثر الإسلام، مرجع سابق، ص 201- 202.

[6]-الذيابات آمنة محمود عودة: أحمد بابا التنبكتي ومنهجه في كتابه نيل الابتهاج،مرجع سابق، ص 431.

معلومات عن كل ترجمة بذكر مشائخ المترجم له،ومؤلفاته إن وجدت،ورحلاته ووفاته[1]، وقد نشر كتاب نيل الابتهاج عدة مرات الأولى في فاس(1317هـ/1898م)، والثانية في القاهرة سنة (1329هـ/1911م)،ثم جاءت طبعة المعاهد في القاهرة كذلك سنة(1335هـ/1917م)، وفي سنة (1351هـ) قام بنشره الأستاذ عبد السلام شقرون،كما ترجم هذا الكتاب إلى الاسبانية سنة(1865م)مع بقاء الأصل العربي[2]،أما تحقيقه فقد حققه اول مرة الباحث الليبي عبد الله الهرامة في شكل متفرق على طلاب كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس ليبيا مع وضعهم لهوامشه وكان ذلك سنة(1989م)[3]، ثم أعيد طبعه مرة أخرى سنة(1998م).

2 –**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**: وهو كذلك لأحمد بابا التنبكتي،وقد وضعه كاستدراك لمؤلف السابق نيل الابتهاج، أو مختصرا له ،اقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمةوالفقهاء المشهورين بالتأليف دون غيرهم[4]، وقد رتبه نفس ترتيب نيل الابتهاج، ويمتاز هذا الكتاب بترجمة شخصية أحمد بابا التنبكتي تصدرت عدد كبير من صفحاته (65صفحة)، ثم جاءت بعدها أخبار مؤلفي العصر السعدي[5]، إضافةإلى لائحة مفصلة للمصادر التي اعتمد عليها، وقد ألف هذا الكتاب في منفاه بمراكش سنة (1012هـ)[6]، وقد قام الأستاذ محمد مطيع[7] بتحقيقه ،وطبعه سنة(2000م) في مطابع فضالة في مدينة المحمدية بالمغرب الأقصى.

ب/الإشراف على المؤسسات الثقافية :

أشرف القضاة على أماكن التعليم في بلاد السودان الغربي سواء كانت مدارس كتلك التي أسسها فقهاء وعلماء، أو تلك التي كانت ملحقة بالمساجد واعتبرت تابعة لها، وقد أدت هذه الأماكن دورا كبيرا في الحركة

---

[1] –السعدي: مصدر سابق، ص 191- 218.، المرجع السابق، ص 437.

[2] – بدري محمد فهد: أثر الإسلام مرجع سابق، ص 203.

[3]– مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية مرجع سابق، ص 294.

[4] – السعدي:مصدر سابق، ص 238- 322.

[5] – حجي محمد: الحركة الفكرية في عهد السعديين مرجع سابق، ص 01- 20- 21.

[6] – التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج، ج2، مصدر سابق، ص 67.

[7]– مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص292.

العلمية من خلال الإشراف عليها ومتابعة نشاطها، بل أكثر القضاة كانوا يباشرون التعليم بأنفسهم سواء في المدارس التي أسسوها، أو في المساجد التي اعتبرت كأماكن عليا للتدريس مثل المعاهد والجامعات وسنورد جملة من هذا.

المدارس: والمدرسة هي المؤسسة التعليمية ذات المستوى العالي التي يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية معينة ذات مستوى معين على أيدي أساتذة مخصوصين[1].

وقد اختلف المؤرخون في مبدأ ظهور المدارس فمنهم من جعلها ظهرت في القرن الثالث الهجري، ومنهم من أعاد ظهورها إلى القرن الرابع الهجري، ومنهم من اعتبر مدارس نظام الملك التي تعود الى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري هي أول المدارس.

وبالعودة إلى المصادر نجد أقدم ذكر للمدارس هي المدرسة الحفصية التي يعود تاريخها إلى أوائل القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، أنشأها الإمامأبو حفص الفقيه البخاري (ت 217هـ). في مدينة بخارى وبقيت تعمل وتستقبل التلاميذ حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[2].

وبعد إنشاء هذه المدرسة نشطتحركة إنشاء المدارس في بخارى وبلاد المشرق الإسلامي خاصة في العهد الساماني في كل من بخارى، وبلخ، ونيسابور وغيرها، ومنها المدرسة التي أقامها العالم أبو حاتم محمد بن حبان(ت 354هـ)،بنيسابور عندما حول داره إلى مدرسة وحول إليها كتبه التي أوقفها على أهل العلم، ثم انتشرت هذه المدارس في باقي أنحاء البلاد الإسلامية، حيث أنشأ أبو علي بن سوار الكاتب (ت 372هـ) دارا للكتب في مدينة البصرة كان ينفق على من يقصدها للقراءة والنسخ، وفي دمشق أقام الإمام حمد بن عبد الله الدمشقي (ت 400هـ). مدرسة تسمى (دويرة حمد) لتعليم القراءات، وكان الإمام حمد نفسه معلماً فيها، كما عرفت مدارس نظامية بناها الوزير السلجوقي نظام الملك[3]، فأقام مدرسة في بغداد، وأخرى

---

[1]-محاسنة محمد حسين: أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ،العين الإمارات العربية المتحدة ،2001-2002،ص145.

[2]-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)ج2،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 1998،ص379.

[3]-هو قوام الدين أبوعلي الحسين بن علي بن إسحاق الطوسي الوزير السلجوقي نظام الملك ،وزر لألب أرسلان وولده من بعده أربعين سنة وكان حسن السيرة في العلماء فقد بنى لهم المدارس وأنفق عليهم نفقات لا تحصى وكان هو نفسه محباً للعلم فقيهاً شافعياً ساعياً في

وأخرى في بلخ، ومدرسة في نيسابور، ومدرسة بالموصل، وأصبهان، ومدرسة بهراة، ومدرسة بالبصرة، ومدرسة بمرو. وسار على نهجه من جاءوا بعده مثل نور الدين زنكي الذي أنشأ في بلاد الشام مدارس وقرب إليه العلماء وأحسنإليهم، ومن هذه المدارس المدرسة النورية الكبرى في دمشق (563هـ)[1]، وكذا المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي في بغداد في القرن السابع الهجري وهي من أحسن المدارس في العالم الإسلامي جعل فيها إيوانا لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة[2]، في القاهرة بنى صلاح الدين الأيوبي مدارس تدرس الفقه على المذاهب الأربعة وكذا في بلاد الشام[3]،حتى أنه بلغ في بغداد في القرن السادس الهجري ثلاثون مدرسة[4]، ثم انتشرت المدارس في بلاد المغرب والأندلس خاصة في عهد المرنيين والزيانيين[5] والحفصيين، وبني الأحمر،ومن هذهالبلاد عرفت الانتشار إلى بلاد السودان الغربي والتي وجدت لها بدايات أولى منذ القرن التاسع الهجري تتمثل في مدرسة أبو القاسم التواتي الذي بنا له مدرسة قرب المسجد، وكان يدرس فيها الصبيان، ثم انتشرت عدة مدارس منها:

مدرسة القاضي محمود بنعمر(ت 955هـ)[6]: وقد أسس هذه المدرسة في تنبكتو واشتهرت بنشاطها العلمي، حيث تخرج منها معظم مشاهير علماء تنبكتو، كالقاضي أحمد بن أحمد بن عمر آقيت، وأبناء

نصرة مذهبه وكانت وفاته سنة(485هـ) .ينظر :ابن خلكان أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج2، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ،بيروت لبنان ،1989،ص 129.،وانظر :شاهين أيمن سلام: المدارس الإسلامية في مصر في العصر المملوكي والأيوبي ودورها في نشر المذهب السني ،أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ،جامعة طنطا ،مصر ،1999،ص 42.

[1]-ابن الأثير علي بن محمد عز الدين: الكامل في التاريخ ج8،دار الفكر، بيروت لبنان ،1978.،ص162.

[2]-محاسنة محمد حسين: مرجع سابق ،ص 148.

[3]-شاهين أيمن سلام: مرجع سابق ،ص 75.

[4]-المقريزي تقي الدين: المواعظ والاعتبار ج4 مصدر سابق ،ص 199.

[5]-اهتم المرينيون ببناء المدارس في بلاد المغرب الأقصى ،ثم باقي بلاد المغرب خاصة الأوسط عندما استولوا على تلمسان ،فبنى السلطان أبو الحسن المريني مدرسة العباد سنة(748هـ) وجلب إليها الأساتذة وأجرى على طلابها الأرزاق والمنح ،واقتدى به ابنه أبو عنان في تشيد المدارس والمؤسسات العلمية ،فأضاف إلى مدينة تلمسان مدرسة أخرى بناها بجانب مسجد وضريح الوالي الصالح أبي عبد الله الحلوي سنة (754هـ)، ينظر فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية ،عمرانية ،اجتماعية ،ثقافية ،ج2،موفم للنشر ،الجزائر ،2011،ص324.

[6]-التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ج2،ص 343، الفاجالو محمد: الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة(842هـ-1000هـ/1424م-1591م)،رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى مكة المكرمة،المملكة العربية السعودية،

القاضي محمود، القاضي العاقب بن محمود، ومحمد بن محمود آقيت،إضافةإلى الفقيه القاضي محمد بن محمود بغيغ (ت 1002هـ)، وقد اشتهرت بتعليمها الفقه والتفسير.

مدرسة كلسخ[1]: وتقع كذلك في تنبكتو، وقد بنيت بأمر من القاضي محمود بن عمر آقيت (ت 955هـ)، وكان يدرس فيها التفسير وعلومه،والأحاديث النبوية،إضافةإلىأنها اتخذت كمكان للاجتماعات، وقراءة أشعار المديح في المناسبات خاصة في المناسبات الدينية كليلة القدر، والمولد النبوي الشريف، وليالي الأعياد.

مدرسة الفقيه أبو بكر بن أحمد آقيت (ت 991هـ)[2]: وقد اشتهرت هذه المدرسة بتخصصها في النحو واللغة وقد اشتهرت هذه المدرسة وتخرج منها الكثير من العلماء مثل أحمد بابا التنبكتي، والقاضي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 1017هـ)، والقاضي محمد بن أندغمحمد (ت 1020هـ)، والقاضي محمد الأمين بن القاضي محمد (ت 1020هـ).

مدرسة القاضي مودب بكر الكابري[3]: وقد أسسها هذا القاضي بتنبكتو في حي سنكري قرب مسجد سنكري، ويعتبر القاضي مودب بكر الكابري من الشيوخ الأوائل الذين قاموابتأسيس المدارس في تنبكتو، حيث بلغت شهرته الآفاق وقصده الطلاب من كل جهات بلاد السودان الغربي، منهم الفقيه يحي التادلسي الذي رثى شيخه مودب بكر الكابري بأبيات، والفقيه عمر بن أحمد آقيت، والفقيه أبي بكر بن محمد آقيت السالف الذكر، وقد اشتهرت هذه المدرسة بتخصصها في الفقه واللغويات، وكذا التفسير وعلوم الحديث.

1993،ص171، ميغا محمد محمد كنان: مظاهر الثقافة الإسلامية في تنبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي، مجلة قراءات ، العدد3ديسمبر 2008، دار المنظومة المملكة العربية السعودية ،ص31.

[1]-وتعني منبع العلم ولا يزال معظم علماء تنبكتو ينتسبون إلى هذا المكان وهو يقع في قلب تنبكتو. ينظر الفاجالو محمد: مرجع سابق ،ص 172.

[2]-التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج ج2،مصدر سابق ،ص ص 102 -165-175، وكفاية المحتاج :مصدر سابق ،ص 74، ميقا محمد كنان: مظاهر الثقافة الإسلامية مرجع سابق ،ص 31.

[3]-السعدي: مصدر سابق ،ص27-48، مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام مرجع سابق ،ص345،الباز أحمد السيد :الحياة العلمية والثقافية مرجع سابق ،ص122.

مدرسة ألفع محمود بن الحاج المتوكل الجد[1]: تأسست في تنبكتو وكانت رائدة في دراسة السير والتراجم والتاريخ، وقد تخرج من هذه المدرسة القاضي محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش والذي أصبح مشرفاً عليها، وكذلك الفقيه باباكور بن الحاج محمد بن الأمين صاحب كتابين في تاريخ السودان هما درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان، والجواهر الحسان، وقد اعتمد عليه محمود كعت في نقل أخبار عن هذه البلاد وخاصة في عهد سني علي ودولة مالي، وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من العلماء منهم ابني القاضي محمود كعت، الفقيه إسماعيل كعت، والفقيه يوسف كعت، إضافة إلى حفيده ابن ابنته الفقيه ابن المختار الذي أكمل كتابه بعده اعتماداً على روايات خاليه إسماعيل ويوسف.

مدرسة المختار بن عمر النحوي[2]: وهذه من المدارس التي تخصصت في النحو وقد أسسها الشيخ المختار لتضلعه في علم النحو، حتى أنه أصبح اسماً لصيقاً به، وقد تخرج منها فطاحلة العلماء في تنبكتو وبلاد السودان الغربي منهم: أخوه عبد الرحمن بن عمر الذي كان من الفقهاء والنحاةالمتخصصين،إضافةإلى ابنه الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد بن المختار النحوي الذي تقلد منصب إمام مسجد سنكري، وصفه السعدي بالورع والتقوى، تضلع في علوم اللغة وكثرة مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم, وهو الذي كان يسرد كتاب الشفا للقاضي عياض في شهر رمضان بمسجد سنكري، ثم ابنيه أبو عبد الله محمد بن أندغ محمد بن المختار النحوي والذي كان على خطى أبيه في إمامة مسجد سنكري وسرد كتاب الشفا في رمضان، إضافة إلى كثرة مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتضلعه في اللغويات، ثم أخيه المختار بن أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي، تضلع في اللغة العربية وكثرة مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويروى أنه أنفق ماله على المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما زار المدينة بعد حجته وهو الذي حمل رسالة العالم المصري محمد البكري (ت 1557م) إلى الأسكيا نوح بن الأسكيا داوود (ت 1595م).

---

[1] -محمود كعت: تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص 48-78-142-175، السعدي: مصدر سابق ،ص ص 137-138.، الفانوس عمار صلاح سليم: دور حكام السودان مرجع سابق ،ص 250، الفاجالو محمد: الحياة العلمية مرجع سابق ،ص ص 173-174،مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام مرجع سابق ،ص 352، ميغا محمد محمد كنان: مظاهر الثقافة مرجع سابق ،ص 31.

[2] -السعدي: مصدر سابق ،ص صص 26-27-28،البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق ،ص27، مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص 250.

معهد جني: ويعتبر من المدارس التي بنيت قرب المسجد الجامع في مدينة جني وقد اختلف في سنة بنائه هل بني مع المسجد الذي يقول السعدي [1] إنه بني في (القرن 06هـ)،أم أن المسجد بني في (القرن 08هـ) لكن باتخاذ القرائن نجدأن الحركة العلمية نشطت في عهد دولة مالي في عهد السلطانمناموسى وابنه سليمان أي في (القرن 08هـ) مما يرجح فرضية بنائه في هذه الفترة، وقد ازدهر هذا المعهد في عهد دولة صنغي، أين نشطت الحركة العلمية أكثر فأكثر[2]، ومن بين العلماء أو القضاة الذين درسوا فيه نجد محمد ساقو الونكري (ت ق 10هـ)، عباس كب (ت 949هـ)، ومحمود بغيغ (ت 959 هـ)، ويعتبر هؤلاء امتدادا لمناهج القاضي مورمغ كنكي الذي يعتبر أول المدرسين فيه زمن دولة مالي، وقد اشتهر بتدريس الفقه والشرعيات واللغويات[3].

معهد كانو: وقد بني هذا المعهد في عهد السلطان محمد رمفا(ت 904هـ)[4] أثناء زيارة كلا من الشيخ المغيلي (ت 909هـ)، والشيخ عبد الرحمن السيوطي(ت 911 هـ)، وقد بني قرب المسجد الجامع ليكون منارة للعلم تغذي ربوع هذه المنطقة، وقد تخرج منه عدة علماء اشتهروا بالقضاء والفقه منهم: مخلوف بن صالح البلبالي(ت 940هـ)، والقاضي عبد الرحمن سقين(ت 956 هـ)[5].

مدرسة غورون بوغاشي[6]: وهي إحدى المدارس التي بنيت في كانو في عهد السلطان محمد كيبوكي(ت972هـ)، عند زيارة وفد من العلماء إلى كانو منهم شيخ الإفتاء في تونس الشيخ ابن عبد السلام، وقد اشتغل فيها علماء خاصة الإخوة الذين جاءوا من برنو أمثال العالم الشيخ كوسكي والشيخ

---

[1]-السعدي: مصدر سابق ،ص صص 16-17-18.

[2]-الفانوس عمار صلاح سليم: مرجع سابق ،ص243، الفاجالو محمد: مرجع سابق ،ص175،ميغا محمد محمد: مظاهر الثقافة مرجع سابق ،ص32.

[3]-مهدي رزق الله أحمد: مرجع سابق ،ص ص 371-375، وانظر :جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطورية إفريقيا السوداء ،ترجمة مختار السويفي ،دار الكتاب المصري ،اللبناني ،القاهرة 1974،ص 84، زبادية عبد القادر: مملكة الآسكيين مرجع سابق ،ص ص 106-108.

[4]-الآلوري آدم عبد الله: موجز تاريخ نيجيريا ،مرجع سابق ،ص ص 80-81.

[5]-الفاجالو محمد: الحياة العلمية مرجع سابق ،ص176،كاني أحمد: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا مرجع سابق ،ص ص 33-36.

[6]-مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام مرجع سابق ،ص ص 397-398-399.

مغموي، والشيخ كابي، هؤلاء الإخوة تأثرواْ بفكر الإمام المغيلي فجلسواْ للتدريس في هذه المدرسة، من أهم تلامذتها ابن السلطان محمد رمفا(ت 973 هـ)وأبناؤه من بعده.

مدرسة بوغاشي كسكي[1]: وهي امتداد للمدرسة الأولى أو فرع منها اشتهرت بتعليم القرآن وعلومه، بناها السلطان بابن محمد كوكونا(ت 1081هـ)، وقد جل اهتمامها بتحفيظ القرآن وتدريس علومه، من أشهر العلماء الذين درسوا بها، نحد العالم القاضي عبد الله سك الفلاني البغاوي الذي أكرمه حاكم كانو وأغدق عليه العطايا.

مدرسةكاتسينا: وقد بنيت في عهد حاكمها محمد كواور(720 هـ – 753هـ)[2]، بعد ما زار وفد من الونغارة إلى هذه المنطقة وكان فيه علماء أسس للحياة العلمية فيها، ثم ازدادت هذه الحركية بعد زيارة كل من الإمام المغيلي و الإمام السيوطي،إضافةإلى العالم عمر بن محمد بن عتيق التنبكتي الذي جلس للتدريس بها أثناء خلافه مع سني علي، فقام بمجهودات علمية كالتي قام بها السيوطي والمغيلي، وقد أثمرت هذه المدرسة بتخريج أجيال من العلماء الذين أصبحوا أساتذة فيها فيما بعد أمثال التاذختي(ت 936هـ) ومحمد الكشناوي الشهير بابن الصباغ (ت 1006هـ)، والقاضي محمد حمي بن مسني (ت 1078هـ)، وغيرهم من العلماء[3].

أما في بلاد السيبة فقد اشتهرتالعديد من المدارس والتي أشرف عليها قضاة وفقهاء من الذين دَرسوا فيها ثم درسوا بعد ذلك، ومنهم من أسس مدرسته الخاصة به بعد أن أخذ الإذن من شيخه, ويعتبر هذا النوع من المدارس هو امتداد أو فرع من أصل المدرسة التي درس فيها الشيخ المؤسس.

---

[1]-المرجع السابق ،ص 400.

[2]-الفاجالو محمد: الحياة العلمية مرجع سابق ،ص175، برايما باري عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي مرجع سابق ،ص 91.

[3]-بللو محمد :إنفاق الميسور مصدر سابق ،ص 57.

مدرسة ولاته: وقد تأسست في صدر القرن الثامن الهجري على يد يحي الكامل جد قبيلة المحاجيب ثم انبعث نشاطها مع القاضي محمد التنبكتي (ت 1050هـ)[1]، واشتهرت هذه المدرسة بالفتوى والفقه والنحو. من أهم تلامذتها الفقيه عمر بن علي بن أند عبد الله بن سيد أحمد بن محمد الولاتي الفقيه النحوي اللغوي العروضي، ومحمد بن الحاج أحمد بن أند عبد الله (ت 1070هـ)، وعمر الوالي ابن الشيخ محمد عبد الله بن عبد الله المحجوب ابن محمد الفقيه عثمان (ت 1070هـ)، فقيه وواعظ محدث صوفي له مكاتبات مع الشاب الشاطر يقول فيه أبيات[2]:

وبعد يا ابن ولد المحجوبلازلت تعطي صفوة القلوب

كما إلى الوعظ يميل ميلافي زمن صـــار النهار ليـــلاً

ومن تلاميذها الفقيه القاضي سيدي أحمد المحجوبي (ت 1095هـ) قاضي ولاته وإمامها قارئ فقيه نحوي لغوي أديب ورع، تتلمذ على يديه القاضي التيشيتي الحاج الحسن بن آغبدي الزيدي(ت 1123هـ)، والفقيه عثمان بن أعمر الوالي المحجوبي، كما تتلمذ في هذه المدرسة، القاضي محمد بن أبي بكر بن هاشم الفلاوي ت 1098هـ)، ومن الذين درسوا في مدرسة ولاته الفقيه محمد بن موسى بن إيجل الزيدي التيشيتي(ت 1117هـ)، فقيه نحوي وأصولي من تيشيت[3]، وابنه أحمد بن محمد بن موسى الزيدي التيشيتي(ت 1136هـ)، ومن تلاميذها الفقيه الطالب أعمر بن أحمد بن محمد بوه (ت 1152هـ)، الفقيه المحدث النحوي اللغوي الشاعر القارئ بالبيع أخذ القراءات عن سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي، والنحو عن عمر بن بابا المحجوبي الولاتي، ومن تلاميذها أيضاً الفقيه الطالب البشير بن الحاج الهادي (ت1197هـ)، عالم التكرور وفقيهها ومدرسها ومفتيها، كان يقضي ليله في المطالعة ونهاره في التدريس، ومنهم كذلك القاضي الكصري (ت 1235 هـ) صاحب النوازل[4].

[1] -البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 98.

[2]- ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص211.

[3] - النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص 207.

[4] -ابن حامدالمختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 62- 80-121، حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص 221.

مدرسة ودان: وتعتبر هذه المدرسة من أقدم المدارس في بلاد شنقيط، تميزت بتخصصها في الفقه والشرعيات واللغويات والمنطق[1]، مؤسسها الفقيه القاضي محمد بن أبي بكر بن الحاج كانحيا سنة(933هـ)، وهو أول من شرح مختصر خليل، سماه " موهوب الجليل " من تلاميذها القاضي أحمد الفزاري (ت 1086هـ)[2]، وهوأولمن ادخل شرح الحطاب لمختصر خليل إلى ودان متصلا بالسند المسلسلإلى الحطاب[3]عن أحمدالمسك والد أحمد بابا التنبكتي، والقاضي أحمد بن أبي القاسم الحاجي الوداني (ت 1086هـ)، شيخ مشايخ ودان في زمانه وقد تتلمذ عليه كل من[4] القاضي عبد الله بن محمد العلوي الشهير بابن رازكة (ت 1143 هـ)، والقاضي الطالب المختار بن الأعمش الشنقيطي (ت 1107هـ)، وكذلك القاضي محمد بابا اليعقوبي الحاجي الوداني(ت1215هـ)، وهو فقيه نحوي لغوي قارئ ضليع في النحو والبيان والمنطق.

مدرسة تيشيت: وهي كذلك أقدم المدارس في هذه البلاد، أسسها شرفاء بني عبد المومن بن صالح، تخصصت في الفقه والنحو وعلوم اللسان والقراءات[5] من تلاميذها القاضي أبوبكر بن أحمد بن الشغ (ت 1039هـ)،والفقيه محمد بن فاضل الشريف (ت 1106هـ) العلامة الفقيه النحوي المفتي، ومن الآخذ ينعنه أخوه القاضي أحمد بن فاضل الشريف (ت 1153هـ)، الذي تضلع كذلك في الفقه والنحو واللغة، ومنهم الشريف حمالله(ت1169هـ) العلامة الفقيه القاضي المفتي، ومن تلاميذها الفقيه محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشغ (ت 1171هـ) فقيه نحوي قارئ مفسر، ومنهم الطالب أحمد بن محمد بن الفقيه أبي بكر بن

[1] -ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص 190.

[2] -البرتلي: مصدر سابق، ص 40- 112-113.

[3] -النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص 210.

[4] -البرتلي: فتح الشكور مصدر سابق، ص 48، ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق،ص ص 199-200.

[5] -النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص ص69- 70، ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص 06، ولد ميابي حماه الله: مدينة تيشيت مرجع سابق، ص 11.

أحمد الشغ فقيه نحوي قارئ بنافع والبصري والمكي المحدث (ت 1179هـ) الفقيه القاضي محمد بن بدغور الماسني(ت 1188هـ)[1].

مدرسة شنقيط: وتعتبر حديثة عهد مقارنة بسابقيها من المدارس، وقد أسسها القاضي عبد الله بن محمد الحبيب الشهير بقاضي البراكنة (ت1101هـ)[2]، أخذ عنه القاضي أحمد بن القاسم الحاجي الوداني(ت 1086هـ) وكانبين هذه المدرسة ومدرسة ودان بعثات علمية متبادلة، حيث أن شيخ مشايخ ودان درس في مدرسة شنقيط، ومن درسوا في مدرسة ودان سيقومون بتنشيط الحركة العلمية فيها، خاصة في مجال اللغويات والشرعيات، ناهيك عن الفقه وأصوله،منهم[3] القاضي المختار بن الأعمشالعلوي(ت 1107هـ)، وتلميذه محمد بن أبي بكر بن هاشم العلوي (ت 1098هـ)، وكذا القاضي عبد الله بن رازكة (ت 1143هـ)، ومن تلامذتهم الفقيه أحمد بن المختار بن الأعمش العلوي(ت 1155هـ)، والفقيهان عبد الجليل وعمار ابني محمد ابن الإمام العلويان(ت 1188هـ)، إضافة إلى الفقيه القاضي أحمد بن الحاج حماهاللهالأحمدي العلوي الشنقيطي (ت 1193هـ)،المفتي والمحدث الذي تضلع في الفقه والنحو واللغة،وممن تتلمذوا في هذه المدرسة الفقيه عبد الله بن أحمد بن الحاج حماهالله الأحمدي الشنقيطي العالمالمتبحر المؤلف في كل فن (ت 1209هـ)، ومنهم العلامة القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي (ت 1233هـ) المحدث الفقيه الأصولي صاحب النوازل وهو أحد الأربعة الذين يقال عنهم أنهمأعلم أهل القطر وهم: محمد اليدالي الديماني، وعبد الله ابن محمد بن القاضي العلوي الشهير بابن رزاكة، والمجيدري اليعقوبي[4].

---

[1] -البرتلي: مصدر سابق، ص 41-47- 51- 71، ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 72- 162- 166- 194، حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص 18-201-202- 221.

[2] -ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي، ص 198- 205.

[3] -ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة مصدر سابق، ص 48- 56- 93، ابن حامد المختار: حوادث السنين مرجع سابق، ص 68- 134.

[4] -المحجوبي الولاتي: منح الرب الغفور مصدر سابق، ص 95، النحوي خليل: مرجع سابق، ص 502- 504- 527، ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ج2 مرجع سابق، 176.، ولد عبد الله عبد الودود: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط مرجع سابق، ص 177- 179.

مدرسة تشمشة في بلاد الكبلة: وقد تخصصت في الشرعيات واللغويات[1]، تأسست على يد الفقيه الفالي بن محنض الديماني(ت 1045هـ)، ثم ابنه أتفغ الأمين بن سيد الفالي(ت1101هـ)[2]، وقد درس في هذه المدرسة القاضي عبد الله بن محمد العلوي الشهير بابن رازكة ت 1143هـ)، من أهم تلامذتها: القاضي مح-مد سعيد اليدالي(ت1166هـ)، والقاضي بن أعلي ميم بن درميم(ت ق 12هـ)، والقاضي المختار بن محمد ابن أحمد شاءالله(ت ق 12هـ)[3].

مدرسة المختار بنبونا الجكني (ت 1220هـ)[4]: وهي مدرسة تخصصت في النحو والبلاغة، أسسها القاضي المختار بن بونا في بلاد الترارزة من أرض القبلة، ومن أهم تلامذتها الفقيه حرمة بن عبد الجليل (ت 1243هـ)[5]، والفقيه بلال بن الفاضل (ت 1272هـ)، والفقيه الحسني بن زين (ت 1315هـ)، والفقيه عالي بن سيدي بن ساعد (ت 1310هـ).

المساجد: وقد اهتم القضاة ببناء المساجد والإشراف عليها من خلال تعيين المؤذنين والأئمة والخطباء،وأحيانا يقوم القاضي بنفسه بالإمامة والخطابةفي المسجد وهو مااجتمع في القاضي محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909 هـ)،والقاضي محمود بن عمر آقيت (ت955هـ)،والقاضي محمود بغيغ الونكري، وابنه محمد بن محمود بغيغ، وفي ولاته نجد القاضي أحمد الوالي المحجوبي الولاتي (ت1095هـ)،والقاضي عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاتي (ت 1122هـ).

ونظرا لكثرة المساجد وانتشارها في بلاد السودان الغربي سنقتصر على ذكر أمثلة من المساجد المشهورةوالتي أدت رسالة علميةمنها من أصبح بمثابة جامعة يقصدها طلاب العلم من جميع إنحاء البلاد السودانية ومن خارجها، كمسجدسنكري في تنبكتو الذي أصبحت شهرته تنافس جامع الأزهر في مصر ،وجامعة القرويين في فاس.

---

1 -ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء الثقافي مرجع سابق، ص ص329- 330.

2 -ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى للفتاوى ج2 مرجع سابق، ص28.وج2، ص 194.

3 -المرجع السابق ج1، ص 196- 297.

4 - النحوي خليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص 209.

5 -البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق، ص193،الشنقيطي ابن الأمين: الوسيط مرجع سابق، ص 24.

المسجد الجامع بتنبكتو:ويسمى جنغري بير[1]، يقع في غرب تنبكتو،وقد بني في عهد السلطان منسا موسى (ت726هـ) ملك دولة مالي،عندما أمر المهندس الغرناطي أبو إسحاق الساحلي[2] بتشييده، ويعد من أكبر المساجد في تنبكتو له خمسة أبواب مختلفة الأحجام، ثلاثة من الجهة الجنوبية؛ وبابان من الجهة الشمالية[3]،ثم أعيد بناؤه في زمن دولة صنغاي في عهد الأسكيا داوود الذي كلف القاضي العاقب بن محمود آقيت بإعادة بنائه سنة(977هـ) وتوسيعه حيث دفع جزء من نفقة البناء مع أربعة آلاف قطعة من الخشب وأمر عدد من مواليه بالإسهام في عملية البناء ونسج حصيره وفرشه،وقد تولى الإمامة بهذا المسجد مجموعة من الأئمة والخطباء عينهم القضاة على فترات مختلفة.وأول من صلى بالناس فيه على عهد دولة صنغاي نجد الإمام عبد الله البلبالي الذي يقول فيه السعدي[4]: "بأنه أول البيضان صلى بالناس في المسجد الجامع في أواخر عهد دولة الطوارق وبداية صنغاي أثناء حكم سني علي ولم يتعرض له بأذى لكونه كان زاهدا لايأكل إلا من عمل يديه وأنه لم يحشر نفسه في السياسة وانقطع لعبادة الله "،ثم جاء بعدوفاته الإمام أبو القاسم التواتي الذي سكن بجوار المسجد وأسس محضرة –كُتَّاب- لتعليم الصبيان[5] قرب المسجدوقد عينه القاضي أحمد بن عمر آقيت(ت942هـ) بأمر من الأسكيا محمد، وظل أبو القاسم في إمامة المسجد إلى وفاته سنة(935هـ)،وهو أول من ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قصائد مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الأسكيا محمد يحضر للصلاة خلفه ويطلب دعاءه،وقد حبس تابوتا فيه ستين جزء من المصحف الشريف،ثم تولى الإمامة بعده تلميذه الفقيه منصورالزلفى ثم المقرئ عالم التجويد إبراهيم الزلفى[6]،كما تولى بعده الإمامة الفقيه أحمد والدنا سرك وبعد شهرين من ولايته جاء ابن أبي القاسم القاسم التواتي من توات فطلب الناس من القاضي محمود بن عمر آقيت توليته بدلا من الفقيه أحمد والدنا

---

[1] –تعني في لغة الهوسا المسجد الكبير.

[2] –السعدي:تاريخ السودان، مصدر سابق ،ص21، ابن خلدون:العبر ،مصدر سابق ج6،ص201،محمود مبروك فاطمة:العمائر الإسلامية مرجع سابق ،ص ص 98-99.

[3] –محمود كعت:تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص121.

[4] – السعدي: مصدرسابق ،ص57.

[5] الشيخي حسن علي إبراهيم: تأثير الإسلام وثقافته،مرجع سابق، ص284.

[6] السعدي: مصدر سابق ،ص ص 58-59.

سرك لكنه رفض ذلك فبقي في الإمامة إلى أن توفي سنة(936هـ)، ثم عين القاضي محمود بن عمر الفقيه سيدي علي الجزولي[1] للإمامة، وبعد وفاته ولى القاضي محمود بن عمرالإمام صديق بن محمد تعلي الذي مكث فيها أربعة وعشرين سنة، ثم تولى الإمامة مكرها نائبه عثمان بن الحسن بن الحاج التيشيتي[2] من طرف القاضي العاقب بن محمود بن عمر (ت991هـ)،وقد بقي فيها إلى وفاته سنة(977هـ)،ثم عين القاضي العاقب بعد التزكيةالفقيه محمد بن أبي بكر بن آكداد الفلاني بعد وفاة الإمام عثمان، وقد مكث في الإمامة إحدى عشرة سنة إلى وفاته سنة (989هـ)،وعين بعده القاضي العاقب الإمام أحمد بن الإمام صديق الذي مكث فيها خمسة عشرةسنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وهو آخر الأئمة في هذا الجامع زمن مملكةصنغاي[3]،أما في عهد حكم المراكشيين المغاربة فقد تولى الإمامة رجال من الصالحين منهم محمود بن صديق شقيق الإمام أحمد سالف الذكر تولاها بعد وفاة أخيه أحمد سنة(1025هـ) ولاه القاضي محمدبن أحمد بن القاضي عبد الرحمن (ت1027هـ)وذلك بعد استشارة الباشا المغربي ومكث فيها خمسة سنوات إلى وفاته سنة(1030هـ)[4]،ثم تولى الإمامة الفقيه عبد السلام بن محمد الفلاني (ت1035هـ) ومكث فيها أربعة سنين وبضعة أشهر وقدولاه القاضي أحمد بن أندغمحمد(ت1045هـ)،كما ولى القاضي أحمد بن انداغمحمدالإمامةللفقيه سيدي علي بن عبد الله سر وقد ظل فيها إلى وفاته سنة(1052هـ) ليعين بعده الفقيه محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام كداد الفلاني وقد ولاه القاضي محمد بن محمد كرد الشهير بكري(ت 1062هـ)[5].

وقد كان بهذا المسجد إلى جانب الصلوات تؤدى رسائل علمية في شكل شروحات للفقه والسيرة والقراءات إلى جانب التفسير واللغة العربية، أدى فيها هؤلاء الفقهاء حركية فقهية وعلمية إلى جانب القضاة ممن

---

[1] ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية ،مرجع سابق ،ص ص 281-332.

[2] السعدي: مصدر سابق ،ص109، مطير سعد غيث:الثقافة العربية الإسلامية وآثارها في مجتمع السودان الغربي مرجع سابق ،ص 192.

[3] السعدي:مصدر سابق ،ص60.

[4] السعدي:مصدر سابق ، ص241، مطير سعد غيث: مرجع سابق ،ص193.

[5] السعدي: ص 243-298-309،الشيخي حسن علي إبراهيم:مرجع سابق ،ص275.

كانت لهم كراسي علمية ثابتة كالقاضي محمود بن عمر، وابنه القاضي العاقب،والقاضي أحمد بن أحمدآقيت وغيرهم.

مسجد سنكري: ويعتبر هذا المسجد من أهم المساجد في بلاد السودان الغربي، حيث أقيم بجانبه معهدا تابعا له عرف بإقبال الطلبة عليه من كل مكان وتزايدحلقات الدروس وأمكنة التدريس مماأعطاه ميزة التعليم العالي الذي لا يكون إلا للمراحل المتقدمة من الدراسة، وقد بني هذا المسجد في وقت متقدم من طرف امرأة من قبيلة الأغلال تدعى فاطمة بنت أحمد الأغلالي، إلا أننا لا نعرف تاريخ بناءه بالضبط،لكن حسب النصوص المحلية (السعدي ،كعت)[1]والتي ترجع تاريخ بنائه إلى فترة حكم صنغاي وبالضبط في عهد القاضي العاقب بن محمود الذي جدد بناءه فقط بعد عودته من الحج سنة(988هـ)،ويقع هذا المسجدفي الشمال الشرقي من تنبكتو في حي سنكريأحد الأحياء الشهيرة[2] بها،ويحتوي على ثلاثة أبواب اثنين من الجهة الجنوبية وواحد من الجهة الشمالية، وتصطف حول هذا المسجد حوانيت الورّاقين الذين ينسخون الكتب للطلبة[3]، وقد تولى الإمامة بهذا المسجد القاضي محمود بن عمر آقيت، إضافةإلى حلقة التدريس التي كان يشتغل فيها طول وقته إلى جانب القضاء، وقد عينه القاضي حبيب بن عبد الرحمن التميمي (ت904هـ)، وظل القاضي محمود بن عمر[4]في إمامة مسجد سنكري خطيبا وإماما ومدرسا، إلى أن تولى القضاء بأمر من الأسكيا عين في الإمامة الفقيه أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي الذي اشتهر عنه تضلعه في علم النحو، وكانت له حلقة يشرح فيها كتاب الشفا للقاضي عياض إضافةإلى دروسه في النحو ومدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم[5] ،وبعد وفاته عين القاضي محمد بن القاضي محمود (ت973هـ) الفقيه أحمد فاعتذر بحجة التبول فطلب منه الدليل فشهد له القاضي العاقب بن محمود فأقاله القاضي محمد وكلف شاهده بها فتولاها أي القاضي العاقب الذي تولاها،وبعد وفاة أخيه القاضي محمد بن

---

[1] –محمود كعت: مصدر سابق ،ص ص 121–122،السعدي:مصدر سابق ،ص62.

[2] –ماهر عطية شعبان:جامعة سنكري ودورها الحضاري في غرب إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ، العدد 24،2002،ص09.

[3] –الغربي محمد:بداية الحكم المغربي، مرجع سابق ،ص521.

[4] –مطير سعد غيث:مرجع سابق ،ص 196.

[5] –السعدي: مصدر سابق ،ص 63،البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص107.

محمود كلفه الأسكيا داوود بالقضاء والإمامة، ويعد القاضي العاقب ممن له إسهامات كبيرة في مسجد سنكري إلى جانب الإمامة والتدريس فقد حافظ على تتبع مشاريع التوسعة لهذا المسجد، وبقي في هذا إلىوفاته أين تعطلت الصلاة لأيام ثم عينت الجماعة الفقيه أبو بكر بن أحمد بير[1] والذي لم يدوم فيها طويلا وتخلى عنها،ثم عين الإمام عبد الرحمن بن الفقيه أحمد بير أخ الفقيه أبو بكر عينه القاضي العاقب ثم تولى الإمامة الفقيه محمد بن محمد كري[2] وقد عينه الباشا المغربي محمود بن زرقون بعدما قبض على أسرة آل آقيت وظل في إمامة مسجد سنكري إلى وفاته سنة (1029هـ)،وتولى بعده القاضي سنتاعون بن الهادي الوداني[3] وقد عينه القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا (ت 1108هـ)[4] وظل فيها إلى وفاته خلال القرن الحادي عشر، ثم ولي بعده الإمام أحمد بن محمود بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي[5] من أهل حي سنكريالذي كان عالما،وقد ولاه القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا، فإلى جانب قيامه بأعباء الإمامةكان يلقي الدروس في التفسير، واللغة، والنحو، وعلوم الأدب، والشعر،إلى أن آلت الإمامة للفقيه القاضي والكاتب عبدالرحمن السعدي[6] والذي استمر في هذا المنصب إلى حين وفاته سنة (1066هـ)، وقد وقد ولاه القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا،ويعتبر السعدي من القلائل الذين مارسوا الإمامةإلى جانب القضاء والكتابة ثم التدريس في مسجدسنكري،حيث كان له كرسي خاص بالسيرة والتاريخ والتراجم، إضافةإلى الفقيه محمد بغيغ بن محمود (ت1002هـ) وتلميذه أحمد بابا التنبكتي.

وقد كانت الدراسة في هذا المسجد تعتمد على التعليم العالي المتخصص الذي يقوم على نظام الحلقات وكل حلقة يختص بها شيخ من الشيوخ يشرح فيها متن من المتون، إضافةإلى نظام الإجازات الذي اشتهربه

---

[1]-الشيخي حسن علي إبراهيم :مرجع سابق ،ص288.

[2] -السعدي:مصدر سابق ،ص 63.

[3] -ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية مرجع سابق ،ص363.

[4]-المرجع السابق:ص 327.

[5]-البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص 39.

[6]- السعدي:مصدر سابق ،ص ص34-214، البرتلي: مصدر سابق ،ص176، ميقا عبد الرحمن :مرجع سابق ،ص277،الغربي محمد:مرجع سابق ،ص ص 533-536.

هذا المسجد وهو ماشَكَّلَ همزة وصل بين بلاد السودان الغربي وكثير من الأقطار الإسلامية خاصة بلاد المغرب ومصر.

مسجد سيدي يحيى التادلسي: ويعتبر من المساجد المهمة في تنبكتويقع في وسطها،وقد بني في القرن الخامس الهجري أيام حكم الطوارق، بناه الملك محمد نض[1]وعين فيه الشيخ يحي التادلسي للتدريس والإمامة حتى اشتهر المسجد باسمه،ثم تعرض المسجد للخراب أين تمت توسعته في عهد القاضي العاقب بن محمود آقيت سنة(976هـ)،ويعتبر هذا المسجد من المساجد التي ساهمت في الحركة العلمية بتنبكتو[2]،وقد تولى الإمامة إلى جانب التدريس العديد من الشخصيات منهم: الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي الشهير ببغيغ(ت1002هـ)والذي كانت له حلقة علم في النحو[3]،ثم خلفه بعد وفاته الإمام محمود بن محمد الونكري(ت1018هـ) وكان إماما مقرئا حسن الصوت ولاه القاضي عمربن محمود آقيت(ت1003هـ)،ثم تولى الإمامة من بعده الفقيه أحمد بن سعيد (ت1040هـ)[4] وقد ولاه القاضي محمد الأمين بن القاضي محمد (ت1020هـ)، كما تولى الإمامة بعده الفقيه محمد بن أحمد (ت1060هـ)[5] ولاه القاضي أحمد بن أندغ محمد(ت1045هـ)،ثم جاءت فترة حكم المراكشيين وقد تولى الإمامة كل من الفقيه إبراهيم بن عبد الله (ت1162هـ)[6] الذي عينه القاضيأحمد بن الفقيه إبراهيم كان حيا ستة (1144هـ) وظل في الإمامةإلى وفاته،ثم جاء بعده الفقيه إبراهيم بن أحمد الذي توفي (1178هـ)[7]، وقد ولاه القاضي باب المختار(ت1163هـ)، ثم جاء بعده الإمام صالح بن

---

[1]-السعدي :مصدر سابق ،ص ص 23-50، غربي الحواس :السيادة السعدية بالبلاد السودانية 1591-1660م،مرجع سابق،ص101.

[2]-محمود كعت :تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص122،سلطان محمد عبلة :العناصر المغربية في السودان الغربي ،مرجع سابق ،ص161.

[3]-السعدي :مصدر السابق ،ص ص 45-46.،الشيخي حسن علي إبراهيم ،تأثير الإسلام مرجع سابق ،ص 288.

[4] -مطير سعد غيث :مرجع سابق ،ص198.

[5]-الشيخي حسن علي إبراهيم :مرجع سابق ،ص289.

[6] -ميقا عبد الرحمن:الحركة الفقهية ورجالها مرجع سابق ،ص305.

[7]-المرجع نفسه.

محمد(ت1181هـ)[1] وقد ولاه القاضي محمود بن القاضي أحمد(ت1179هـ). ويعتبر مسجد سيدي يحي أقل من سابقيه من حيث العطاء العلمي إلا أنه قدم خدمة للحركة العلمية لاتنكر .

كما توجد مساجد أخرى في تنبكتو تفاوتت حسب أقدميتها ومكانتها منها مسجد سوق تنبكتو الذي يعتبر آخر منجزات القاضي العاقب بن محمود بن عمر، إضافةإلى مسجد التواتيين الذي بني في حيهم[2] وقد تولى الإمامة فيه الفقيه محمود بن محمد الزغراني[3]،كما وجد مسجد صغير يسمى مسجد خالد[4]،ومسجد القصبة[5]التي اتخذها المغاربة حصنا لهم وقد جددورمم في عهد الباشا جودر الذي كلف الفقيه سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني بالإمامة فيه سنة(999هـ)، إضافةإلى مسجد الهنا[6] الذي بناه المراكشيون في تنبكتو سنة (1030هـ)،ومسجدين صغيرين على أطراف مدينة تنبكتو وهما مسجد كبر[7] ومسجد تندرم[8].

تندرم[8].

المسجد الجامع بغاو[9]: ويعتبر من أهم مساجد بلاد السودان الغربي،بني في عهد سلطان مالي منسا موسى بعد عودته من الحج[10]،حيث كانت تعقد فيه المجالس العلميةإلى جانب الصلاة واستمر هذا إلى عهد دولة الآساكي أين كان يحضر هذه المجالس الأسكيا بنفسه،وقد توافد على هذا المسجد كثير من العلماء منهم الأمام المغيلي الذي مارس فيه القضاء والخطابة إلى جانب التدريس[11]،ثم القاضي محمد جغيت الذي

---

[1] -المرجع السابق ،ص 364.

[2] - مهدي رزق الله أحمد:حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا ،مرجع سابق ،ص323.

[3] - السعدي:مصدر سابق ،ص215.

[4] -محمود كعت :مصدر سابق ،ص156.

[5] -السعدي:مصدر سابق ،ص146.

[6] -غربي الحواس:مرجع سابق ،ص101.

[7] -السعدي:مصدر سابق ،ص ص 91-186.

[8] -مهدي رزق الله أحمد :مرجع سابق ،ص323.

[9] -محمود كعت:مصدر سابق ،ص108.

[10] -السعدي:مصدر سابق ،ص07، الوزان الحسن:وصف إفريقيا ج2، مصدر سابق ،ص 170.

[11] -التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج بتطريز الديباج مصدر سابق ،ص331،محمود كعت :مصدر سابق ،ص 23-57-104،زمان عبيد وناس:مدينة غاو مرجع سابق ،ص183.

مارس هو الأخر تولى الخطابة والقضاء إلى جانب حلقة تدريس يشرح فيها متون الفقه والنحو،ومنهم الفقيه صالح محمداندي عمر المعروف بالشيخ العمري[1]كانت له حلقة خاصة يشرح فيها مختصر خليل،ثم جاء بعده الفقيه محمد تل،الذي عينه القاضي محمد جغيث[2]كامام في هذا المسجد ثم ابنه يوسف بن محمد تل ،ثم الفقيه ألفع بكر لينار[3]، ثم القاضي محمود كعت الذي كانت له حلقة في السيرة والتاريخ وابنيه يوسف كعت وإسماعيل كعت[4]، ثم الفقيه بكر بن ألفع بكر لينار الذي كان من الفقهاء المقربين عند الأسكيا وقد عينه على إمامة المسجد الجامع، وبعد وفاته في القرن الحادي عشر هجري عين الفقيه كاع زكريا بن أحمد وبعده الفقيه محمودبن محمد تولى الإمامة في عهد الأسكيا داوود[5]،على أن العديد من العلماء والفقهاء اتصفوا بكثرة حلقاتهم وتعليمهم في المسجد الكبير منهم الفقيهين محمد هوكار وصالح جور[6].

وعلى الرغم من أن مدينة غاو كانت عاصمة الحكم إلاأن الحركة التعليمية فيها لم تكن بمستوى تنبكتو وجني وإنما كان التعليم بها على مستوى متوسط عكس معهد جني أو جامعة سنكري اللذان عرفا مستوى التعليم العالي.

المكتبات: يرجع ظهور المكتبات في الحضارة الإسلاميةإلى اهتمام المسلمين بالكتابة،حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابهأن يكتبوا عنه القرآن،ثم جاء عصر الخلفاء الراشدين أين أمر الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بكتابة القرآن الذي جمع في مصحف واحد،ثم أعيد جمعه ونسخه في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث نسخ منه عدة نسخ وأرسل بها إلى الأمصار[7]، وبعد القرآن انتشر تدوين الحديث النبوي الذي يعتبر أحد مصادر التشريع الإسلامي،ومن هذا العهد ظهر نُسَّاخٌ يهتمون

[1] -السعدي: مصدر سابق ،ص 36،الوزان:مصدر سابق ،ص167.

[2] -ميقا عبد الرحمن: الحركة الفقهية مرجع سابق ،ص372.

[3] - المرجع السابق ،ص374.

[4] -الغربي محمد:بداية الحكم المغربي مرجع سابق ،ص531.

[5] -زمان عبيد وناس:مدينة غاو مرجع سابق ،ص ص 184-185.،ميقا عبد الرحمن :الحركة الفقهية مرجع سابق ،ص372.

[6] -محمود كعت:تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص32.،زمان عبيد وناس:مرجع سابق ،ص185.،ميقا عبد الرحمن:مرجع سابق ،ص 364.

[7] -فروخ عمر وآخرون:تاريخ العلوم عند العرب ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،1990،ص34.

بنسخ الكتب القرآنية والنبوية،ومع امتداد رقعة الدولة الإسلامية واختلاطها بحضارات قديمة كالفارسية واليونانية والرومانية شجع خلفاء بني أمية على اقتناء الكتب وجمعها ثم ترجمتها إلى التراث الإسلامي[1]،وقد صاحب هذا ظهور حرفة الوراقة التي تطورت جنبا إلى جنب مع حركة الترجمة والنسخ خاصة في العهد العباسي،حيث وجد بيت الحكمة[2] الذي ترجمت فيه كثير من كتب الطب والفلسفة من التراث الإغريقي اليوناني،نسخت هذه الكتب المترجمة إلى عدة نسخ جعلت في أماكن خاصة عرفت بحوانيت الورّاقين، ثم بدأ الاهتمام بجمع الكتب المترجمة وغير المترجمة واصطفافهافي أدراج خاصة تطورت فيما بعد وأصبح لها وجود في قصور السلاطين، والأمراء، ومنازل العلماء، والمدارس، ومن لهم اهتمام بشأن الكتاب،فعرفت انتشارا واسعا في كل من بغداد، والقاهرة، وبلاد المغرب كالقيروان، وفاس، وتلمسان،والأندلس كقرطبة[3].

وتعتبر بلاد السودان الغربي من بين مواطن الحضارة الإسلامية التي تأثرت بسابقتها مثل بلاد المغرب ومصر في الاهتمام بالكتب وظهور المكتبات،فكان لسلاطين هذه البلاد بالغ الاهتمام في هذا المجال،فالسلطان منسا موسى صاحب مالي أثناء رجوعه من رحلته الحجية سنة(724هـ) اشترى مجموعة كبيرة من الكتب من مصر وبلاد الحرمين ووضعها في مكتبة خاصة في القصر السلطاني في مالي،وكذا فعل السلطان الأسكيا محمد الكبير في رجوعه من رحلته الحجية سنة(902هـ).أضف إلى ذلك تشجيعهم لهجرة واستقبال العلماء الذين كانوايجلبون معهم كثير من أمهات الكتب، ورواج تجارة الكتب في هذه البلاد كل هذا أدى إلى الاهتمام بالكتب ونسخها وشرائها وترتيبها في مكتبات خاصة وفي أماكن التعليم[4]،حيث يشير بول مارتي

---

[1] -أول من سجلت له عناية بالترجمة العملية هو حكيم بني أمية خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت85هـ)وكان خالد يسعى لخلافة أبيه يزيد فلما غلب عليه مروان بن الحكم تحول اهتمامه إلى العلم فترجم الكتب اليونانية إلى العربية خاصة كتب الكيمياء ،وبذلك كون مكتبة كبيرة من التراث المترجم .انظر حبيش محمد:المسلمون علوم وحضارة ،دار المعرفة ،دمشق سوريا ،1992،ص 20.

[2] -محاسنة محمد حسين:أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،مرجع سابق ،ص 157.

[3] -ربحي مصطفى عليان:المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ،1999،ص ص 145-154-157ومابعدها.

[4] - dubois f trubcto the nisterious ، translated by dion white landan 1982. Op cit p 287.

إلى كثرة الكتب في تنبكتو بقوله: "مع أن الطباعة لم تصل إلى تنبكتو بعد، إلا أن الكتب لم تنقص لأن تجار بلاد المغرب كانوا ينقلون المخطوطات إلى السودان وكانت تباع أكثر من أي بضاعة أخرى "[1].

انتشرت المكتبات في مدينة تنبكتو،وكانت مملؤة بالكتب القيمة والغالية الثمن والعظيمة الفائدة،وكان أهل تنبكتو يُقْبِلُونَ عليها ويجمعونها في تلك المكتبات التي كانت تشبه في كبرها واتساعها حوانيت التجار الكبار الذين يعرضونها للتجارة والبيع،وقد درت عليهم تلك التجارة الأموال الطائلة، فكانت تجارة الكتبهي أربح تجارة.وقد اهتم الحكام والعلماء بالكتب من حيث الترتيب والنسخ ووضعها في أماكن خاصة قصد الاستفادة منها وتعميم النفع والفائدة[2] فهذا الأسكيا داوود الذي يعد أول من اتخذ خزائنا للكتب واعتمد في ذلك على نساخ ينسخون له قال عنه كعت[3]: " أنه أول من اتخذ خزائنا للكتب وله نساخ ينسخونها وربما يهادي بها العلماء "،وقد حذا حذوه الفقهاء والعلماء والناس وأصبح بعضهم يقتني الأعداد الوفيرة من مختلف الكتب حتى أن أحدهم صار لديه ما يقرب من سبعة آلاف كتاب مابين منسوخ ومشترى في خزانة، وقد بيع في عهد الأسكيا داوود نسخة من كتاب القاموس المحيط للفيروز آبادي بثمنين مثقال ذهب[4]، وهذا يرجع إلى رواج هذه الحرفة وتجارتها وكذا وفرة الورق الذي كان يجلب من مصر وبلاد المغرب الإسلامي.

أما عن المكتبات في بلاد السودان الغربي فنجد إلى جانب مكتبات السلاطين والحكام،كانت مكتبات يملكها علماء وقضاة مثل المكتبة التي تمتلكها أسرة آل آقيت وعلى رأسهم القاضي أحمد بن أحمد بن عمر،فقد اهتم بجمع الكتب الثمينة والنفيسة وكذا استنساخها حتى تكونت لديه ثروة ضخمة من الكتب زاخرة بأمهات الكتب لجأ إليها طلبة العلم للنهل من معينها[5]، وقد عرف مؤسسها بالخدمة العلمية المتواصلة

---

[1]- marty paule etudes sur lislam est les tribus du soudan t.2 la region de toumbouctou(islans ongais.paris leraux 1921.op cit p n126.

[2]- الطوخي وداد نصر محمد السيد:مدينة تنبكتو منذ نشأتها حتى دخول السعديين ،مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،1986،ص ص 187-189-190.

[3]-محمود كعت:تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص135.

[4] -السعدي:تاريخ السودان مصدر سابق ،ص297.

[5]-أحمد مرجان سحر عنتر:فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي مرجع سابق ،ص254.

لطلبة العلم في مجال البحث والدراسة، إذ يقال أنه كان وافر الخزانة العلمية سموحا بإعارتها وكانت له مكتبة كبيرة ترك فيها أكثر من سبعة مئة مجلد ورثها أبناؤه[1] من بعده، كما كانت لابنه القاضي عمر بن أحمد بن عمر مكتبة غنية بأمهات الكتب المتداولة والمشهورة في شتى صنوف المعرفة،وعرف عنه الاعتناء بطلبته، ويقال أنه ورث الجزء الهام منها من جده لأمه الفقيه أندغ محمد، ومن خاله الفقيه المختار النحوي،كما قام بنسخ كتبه وكتب بخطه عدة دوواين وعددا من الكتب[2].

كما تعتبر مكتبة القاضي أحمد بابا التنبكتي من أشهر المكتبات في بلاد السودان الغربي نظرا لنسخه للعديد من الكتب وشرائه للبعض الآخر[3] إضافة إلى تآليفه الكثيرة، خاصة وأنه أولى اهتماما بالعلوم الشرعية وإقبالا عظيما على جمع الكتب والمخطوطات، فأنشأ بذلك مكتبة عريقة ندرك أهميتها من خلال كلامه الذي أورده في الحسرة والأسى عند حديثه عن النكبة والمحنة الشديدة التي أنزلها القائد محمود بن زرقون بعلماء تنبكتو وضياع كثير من الكتب حيث فقد هو الكثير منها رغم تصريحه بأنه أقل عشيرته امتلاكا لها: "أنا أقل عشيرتي كتبا وقد نهبت لي ستة عشر مائة مجلد"[4].

أما أسرة آل بغيغ فنجد القاضي محمود بن أبي بكر له مكتبة عظيمة وغنية بأمهات الكتب ورثها عنه ابنيه الفقيه أحمد والقاضي محمد،هذا الأخير الذي عدت مكتبته من بين المكتبات الخاصة في تنبكتو وقد جمع فيها معظم أمهات الكتب النفيسة والنادرة التي كانت مشهورة في عصره،وكان يسمح بإعارة الكتب حبا في نشر العلم[5]، وقد علق أحمد بابا عن ضخامة هذه المكتبة وما تحتويه من نفائس الكتب: "جئت يوما أطلب أطلب منه كتب النحو،ففتش في داره فأعطاني كل ماظفر به منها "[6].

---

[1] -التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص13.

[2] -بنت محمد الطالب البارة:الإسلام وأثره في التحولات السياسية والثقافية مرجع سابق ،ص 68.

[3] -الفانوس عمار سليم صليح :دور الحكام السودانيين ،مرجع سابق ،ص186.

[4] -الوفراني محمد الصغير:نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي عشر ،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ،1998،ص171،وانظر أحمد مرجان عنتر سحر:فقهاء المالكية مرجع سابق ،ص258.

[5] -سعد غيث مطير:آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11هـ-16-17م،مجلة جامعة الزيتونة ،ليبيا،العدد 11 ،2011 ،ص ص 23-24.

[6] -التنبكتي أحمد بابا:نيل الابتهاج مصدر سابق ،ص 600.

أما أسرة كعت فإنها توارثت مكتبة جدها ألفع كعت الجد الذي توفي وترك مكتبة غنية بأمهات الكتب نهل منها كل من محمود كعت صاحب الفتاش،وابنيه يوسف، وإسماعيلإضافةإلى أحفادهمنهم ابن المختارالذي أكمل كتابه تاريخ الفتاش، وقد مثلت هذه المكتبة ثروة علمية لكثير من طلبة العلم وحتى الفقهاء[1] .

وفي زمن الوجود المغربي لم تتأثر الحركة العلمية والثقافية كثيرا بل زادت في بعض النواحي حتى أن العلامة المختار السوسي صاحب المعسول عند حديثه عن الحركة العلمية في عهد السعديين قدرأى مخطوطا لمحمد الحضيكي صاحب الطبقات يتضمن معلومات عن خزائن السعديين في الجنوب المغربي وبلاد السودان الغربي[2] ونقل عنه القول: "بأن السعديين بعد أن تسلموا مقاليد المغرب والصحراء والسودان صرفوا عنايتهم لجمع الكتب العلمية من أقاصي السودان إلى أقاصي المشرق،وصانعوا علماء مصر والحرمين وأمرائها على إرسال الخزائن العلمية،كماصانعوا نصارى اسبانيالذلك أيضا"[3]، خاصة في أيام المنصور الذهبي الذي عرفت أيامه تطور في الدولة السعدية شمل جميع مناحي الحياة،ورغم أن هذا الاهتمام السعدي بالكتب والحركة العلمية الذيمس عاصمة الحكم مراكش بصفة خاصة وباقي المناطق التابعة لها بصفة عامة، ومنها بلاد السودان الغربي التي وجدت فيها الوصاية السعدية بجميع أشكالهاوقد يتأثر بهذا حتى التجارة العابرة للصحراء على الخط الرابط بين مراكش وتنبكتو مرورا ببلاد السيبة مثل شنقيط وتيشيت وولاته التي كان لها وارد وصادر في تجارة الكتب،حيث يحدثنا السوسي عن تاجر اسمه إبراهيم البصير،كان يتاجر إلى بلاد السودان ووجد في طريقه قرية من عدة أكواخ عثر فيها على كتب كثيرة وتدعى تلك القرية شمامة[4] .

كما وجدت مكتبات في كل من تيشيت وودان وولاته وشنقيط،حيث أولوا عناية بنسخ الكتب واستيرادها، فنسخت بتيشيت كتابان مهمان يعتبران من أوائل الكتب التي نسخت في تيشيت وهما كتاب تهذيب مسائل المدونة للإمام البراذعي وقد نسخ بتاريخ تسعة عشر رمضان (876هـ) ،وكتاب شرح ابن عبادى

[1] –أبوبكر إسماعيل ميقا:أشهر علماء تنبكتو وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي ،مجلة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية،العدد 11 ،1994 ،دار المنظومة ،المملكة العربية السعودية ، ص ص 235-236.

[2] – الغربي محمد:بداية الحكم المغربي مصدر سابق ،ص ص 556-557.

[3] – السوسي المختار:المعسول ج3،المطبعة الملكية الرباط ،1996،ص 336.

[4] –المرجع السابق ج12،ص112،الغربي محمد ،مرجع سابق ،ص558.

لحكم ابن عطاء الله السكندري وقد نسخ بتاريخ اربعة عشر ذي القعدة(963هـ).كما وجدت النسخ النادرة لبعض المؤلفات[1] المحلية ككتاب تدبير الإمارة للامام الحضرمي المرادي[2] الفقيه المرابطي وقاضي مدينة آزوكي أيام دولة المرابطين وحكمهم في المنطقة،وقد عدَّه بعض الباحثين أنه أول مُؤَلَفْ معروف في المنطقة، وكذلك النسخة الوحيدة من كتاب موهوب الجليل لشرح مختصر خليل لمحمد بن أبي بكر الوداني (ت953هـ) وهو ثاني مُؤَلَفْ محلي معلوم بعد شرح الآجرومية للفقيه القاضي اند عبد الله بن سيدي أحمدالولاتي (ت 926هـ) ،كما وجدت نسخة من كتاب أسماء الضعفاء والمتروكين ممن حمل عنهم الحديث،وقد وجدت هذه الكتب المخطوطة في مكتبات تيشيت الأولى كمكتبة الفقيه أبا بكر بن الأمين المسلمي التيشيتي (ت ق11هـ)[3] الذي خلَّف مكتبة كبيرة كما أن ابنته عائشة اشترت شرح ابن حجر العسقلاني لصحيح البخاري بقيمة سبعين حقا من الإبل ذهبا وأوقفتها على مكتبة أبيها،وهو أمر يشير بقوة إلى مدى الرواج الذي عرفته بيوت المعرفة والعلم في تيشيت ونسبة الثراء الذي عاشه سكانها.

كما يفيد البرتلي بأن القاضي الحاج حسن بن آغيدي الزيدي (ت1123هـ)[4] كانت له مكتبة نفيسة وكبيرة مشتملة على عدة فنون،بالاستكتاب وبخط يديه،وتوجد مكتبة آل فاضل الشريف التيشيتي من أقدم مكتبات تيشيتالتي ترجع الرواية المحلية في تأسيسها للفقيه القاضي محمد بن فاضل الشريف التيشيتي(ت 1156هـ)[5] ،كما أن مكتبة آل حمى الله الشريف التيشيتي من أقدم وأغنى هذه المكتبات وتسمى عند أهل تيشيت بمكتبة الأوقاف لأن مؤسسها حمى الله الشريف التيشيتي (ت 1153هـ) جعلها وقفا لأهل العلم والمعرفة وهو ماتؤكده الوثيقة التي كتبها بخط يديه بقوله "وبعد فان كتبنا موقوفة لايجوز لأحد من عقبنا أن يتوجه لها إلابالتعلم منها بلانقلها ولا تعرى ولو لجار."[6].

---

[1] -ولد ميابي حماه الله:مدينة تيشيت مرجع سابق ،ص ص 69-70.

[2] -ينظر ترجمته في الفصل التمهيدي.

[3] -ولد ميابي حماه الله:مرجع سابق ،ص 70.

[4] -البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق ،ص88.

[5] -ولد ميابي حماه الله:مرجع سابق ،ص71.

[6] -المرجع نفسه.

وفي شنقيط اهتم أهلها بشراء الكتب وتكوين مكتبات غنية بذخائر التراث حافلة بمراجع علوم الدين واللغة العربية وغيرها من المعارف السائدة،ومن هذه المكتبات مكتبة القاضي عبد الله بن محمد العلوي الشنقيطي الشهير بابن رازكة الذي أهداه معظم كتبها[1] الأمير محمد بن إسماعيل العلوي أحد أمراء الدولة العلوية بالمغرب الأقصى، حيث كان له اهتمام بالكتب وشرائها هو وأبوه إسماعيل،وقد بلغ من شغفهم بالعلم والاهتمام بالمخطوطات وجمعها أنهم في إحدى حروبهم مع النصارى الأسبان وقع في أسرهم خمسين نصرانيا واشترطوا على الأسبان لإطلاق سراحهم فدية من المخطوطات حيث طلبوا عن كل أسير ما مقداره مائة مخطوط من المخطوطات المحفوظة في مكتبات وخزائن الغرب،أي مامجموعه خمسة آلاف مخطوط[2]،وهي واقعة تذكرنا بفداء أسرى بدر الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتبة منهم الافتداء بتعليم عدد من الصحابة نظير إطلاق سراحه.

وقد أهدي للقاضي ابن رازكة جزء من هذه المخطوطات في ضمن ما أهداه له ابن السلطان العلوي الأمير محمد بن إسماعيل من المكتبة الضخمة التي جاء بها إلى بلاد شنقيط، وقد اعتبرت أكبر مكتبة في شنقيط انتفع بها طلاب العلم والمعرفة[3]،كما أن من الكتب التي جلبها إليها ماجاء به من مصر عندما مرَّ بها وزار ملكها وأكرمه وأهداه فرسا عتيقة من أجود أنواع الخيول تسمى الكحيلات فسئل عنها القاضي عبد الله ابن رازكة فقال جعلتها حطابا أي انه اشترى بها كتاب مواهب الجليل بشرح مختصر خليل للشيخ الحطاب[4]، الحطاب[4]، وبعض الكتب الأخرى،كما توجد بشنقيط مكتبات أخرى هي لعائلات تتوارثها أجيالها لكن ليس محصور نفعها عليهم فحسب بل على رواد العلم خاصة طلبة المحاضر والفقهاء، ومن بين هذه المكتبات نجد مكتبة أهل حِبَّت وأهل أحمد عبد العزيز، ومكتبة محمد المختار بن الديدي، ومكتبة أهل عبدي وأهل الشيخ ابن حميني وأحمد محمود،ومكتبة أهل الحرشي وأهل الشيخ وأهل الإمام،ومكتبة أهل

[1] -النحوي خليل:بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق ،ص151.
[2] - النحوي خليل:مرجع سابق ،ص151.
[3] - النحوي خليل: مرجع سابق ،ص 489،ولد عبد الله عبد الودود ،الحركة الفكرية في بلاد شنقيط ،مرجع سابق ،ص 179.
[4] -المرجع السابق ،ص ص 154-156.

الحسن ومحمد عبد الله ابن فال،وتعتبر مكتبة أهل حِبَّت من أعظم هذه المكتبات حيث توجد بها مخطوطات نفيسة ونادرة .

أما في ولاته فتوجد أكثر من عشرين مكتبة زاخرة بأمهات الكتب منها: مكتبة أهل سيدي عثمان من فرع المحاجيب، حيث ورثوها عن جدهم عثمان، وقد أشرف عليها القاضي أحمد الوالي المحجوبي الولاتي(ت1095هـ)،ثم القاضي عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ المحجوبي الولاتي (ت1121هـ)، وقد استمرت في عقبهم،وهناك مكتبة أهل عابدين ومكتبة الطالب بابكر المحجوبي الولاتيالتي تعتبر جزء من تراث مكتبة المحاجيب الأولى، وقد أشرف عليها القاضي أنبويه بن محمد بوبه المحجوبي الولاتي (ت1221هـ)[1]، إضافة إلى مكتبة آل الطالب البرتلي التي نسخ معظم كتبها القاضي الحسن بن الطالب أحمد بن علي البرتلي الولاتي (ت1173هـ)،اعتمد عليها الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي صاحب كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (ت1209هـ).

وفي ودان وجدت مكتبة القاضي محمد بن أبي بكر الوداني (ت953هـ)[2] الذي ألف أول كتاب لشرح على مختصر خليل سماه موهوب الجليل لشرح مختصر خليل، وقد اهتم بنسخ الكتب منها مؤلفه السالف الذكر، وكذا اهتم بشراء الكتب فكون بذلك ثروة معرفية شملت مجالات النحو، والعقيدة، والفقه، إضافة إلى السير والتاريخ، وتعتبر من المكتبات القليلة في ودان.

[1] -الولاتي أبي بكر بن أحمد المصطفى :منح الرب الغفور فيما أهمل صاحب فتح الشكور مصدر سابق ،ص16،ابن حامد المختار:حوادث السنين مصدر سابق ،ص 291.

[2] -البرتلي: فتح الشكور ،مصدر سابق ،ص ص 112-113.،ولد البراء يحي:المجموعة الكبرى للفتاوي ج2مرجع سابق ،ص 173.

الفصل الخامس: القضاة ودورهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية

أ- دورهم في الحياة الاجتماعية

1- موقفهم من الظواهر الاجتماعية

-التبرج والاختلاط بين الجنسين

- التبغ

- السحر والشعودة

2- الأدوار الاجتماعية الأخرى

3 – الاحتفالات بالأعياد الدينية

ب- دورهم في الحياة السياسية والإدارية

- الجانب السياسي

- الجانب الإداري

كان لطبقة العلماء في مجتمع السودان الغربي دور كبير في توجيه المجتمع وإصلاحه، وقد اضطلعت بهذه المهمة فئة القضاة نظراً لما لها من مكانة في نفوس العامة والخاصة، وما تميزوا به من أدوار تنوعت بحسب مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهنا سنورد الحديث على بعض الظواهر التي شغلت بال العلماء ومن القضاة في هذا العصر.

1-ظاهرة التبرج والاختلاط بين الجنسين:وتعتبر هذه من الظواهر المخالفة للشرع والتي وقع فيها مجتمع السودان الغربي ،حيث لم تلتزم النساء بالعفة وستر العورة ،وعدم مخالطة الرجال في الأسواق والطرقات ،وعدم احتجاب بعض النساء عن الرجال، فكانت عادتهم عدم الحياء عند اجتماعهم بالنساء وخلوتهم بهن وكشف زينتهن[1]،وقد كان لهذه الظواهر امتداد قديم في المجتمع السوداني منذ العهد الوثني الذي كان لا يعرف حجاباً بين الذكر والأنثى بل يختلط الفتيا والفتيات والرجال مع النساء بدون اي حدود ويساهمون في كثير من وجوه النشاط الاجتماعي الذي تنطوي عليه حياتهم اليومية[2] ،وقد استمر هذا حتى بعد دخولهم الإسلام مع شيء من التقليص، وهو ما نقلته لنا كتب الرحالة كإبن بطوطة الذي مكث في هذه البلاد فترة من الزمن فرأى من هذه العادات ما جعله يعبر عنها في كثير من المواقف مثل حالة سكان ولاته من مسوفة التي يقول فيهم "وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يتحجبن مع مواظبتهن على الصلوات ...والنساء هنالك لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الأجانب وكذالك للرجال صواحب من النساء الأجنبيات ،ويدخل احدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلاينكر ذلك ... [3]،وكما يروي في موقف أخر يدخل في هذا النطاق من أهل مسوفة عند زيارته لصديق له فيقول "إن شأنهم عجيب وأمرهم غريب وأن رجالهم لاغيرة لديهم ...فقد دخلت يوماً على أبي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعداً على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد ،وهما يتحدثان فقلت له من

---

[1]- السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر:الحاوي للفتاوي ،دار الفكر لبنان ،2004،ص 338.

[2]- زناتي محمود سلام : مرجع سابق ،ص ص 15.

[3]- ابن بطوطة : الرحلة ،مصدر سابق ،ص677-678.

هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها ؟فقال صاحبها فقلت له أترضى بهذا وأنت سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع فقال لي مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لاتهمة فيها ولسن كنساء بلادكم فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم أعد إليه بعدها واستدعاني مرات فلم اجبه "[1]وعزز كلام ابن بطوطة كل من الرحالة حسن الوزان [2]،وابن عمر التونسي الذي وصف هو الأخر هذه الظاهرة فيقول "ومن عوائدهم ان النساء لا يحجبن عن الرجال حتى إن الرجل يدخل فيجد امرأته مختلية مع أحد آخر فلا يكترث ولايغتم إلا إذا وجده عليها ..."[3]

ومن خلال هذه النماذج المقدمة يتضح إن هذه الظواهر تستوجب فهم الذهنية السودانية التي تقوم على العمل المشترك بين الجنسين واختلاطهما بل كانت امتداد لظواهر أكثر شناعة مثل العري والتي تلاشت باعتناق هذه القبائل الإسلام الذي ألزم المرأة بالعفة والحجاب ،فإنها ظلت من الرواسب التي بقيت في هذا المجتمع وهو ما استوجب جهود العلماء والفقهاء ومنهم القضاة في وضع حد لهذه الظواهر ،حيث أفتى الشيخ المغيلي للأسكيا محمد من خلال تلك النماذج من الأسئلة التي طرحها عليه ومنها قضايا العري[4] والاختلاط[5] ،فكان رد الإمام المغيلي بضرورة اتباع السلوك الأخلاقي في ستر المرأة وعدم اختلاطها بالرجال إلاّ في حدود الشرع بل ألح على ضرورة فرض النظام الصارم على المجتمع في هذه المسائل من خلال رجال الحسبة الذين يطوفون في الشوارع خاصة في الليل لردع كل مخالف لهذا النظام وبالتالي فهو تحميل المسؤولية من الإمام المغيلي للاسكيا محمد باعتباره سلطاناً من

---

[1]- المصدر نفسه .

[2]- حسن الوزان، وصف إفريقيا ج1، مصدر سابق ،ص69.

[3]- التونسي محمد بن عمر تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ،تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد سعد ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ،الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ،1965،ص245.

[4]- وهي من العادات والتقاليد التي تصدى لها الإسلام واحدث فيها نوعا من التغير ولو بشكل نسبي، فقد كان العري عندهم من عادة اجتماعية شأنها شأن غيرها من العادات الأخرى التي لها جذورها في تقاليد بعض الأفارقة ،وقد تراوح بين عري كامل وعري تستر فيه العورة ويكشف عما عداها وقد تكلمت المصادر الجغرافية والرحالة عن هذه الظاهرة مثل الإدريسي والقزويني، أنظر الشيخي حسن علي إبراهيم ، تأثير الإسلام وثقافته، مرجع سابق، ص ص 179-180.

[5]- المغيلي محمد بن عبد الكريم، أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص67.

اجل فرض الآداب العامة وأخلاق الإسلام في هذا المجتمع[1]،وقد بلغ من صرامة الاسكيا محمد في مراقبة هذا السلوك في عهده أن رجال الشرطة كانوا لا يترددون في إلقاء القبض على أي رجل يشاهد بصحبة امرأة أجنبية عنه أوفي حديث معها حيث يوضع في السجن وتسلط عليه أقصى العقوبات ،كما أن نصائح المغيلي تعتبر جوابا ضمنياً ومسؤولية للرجال بعدم سماحهم دخول الغرباء إلى بيوتهم وليست تخص الآداب العامة في الشوارع فقط ،ورغم الحد من هذه الظاهرة إلا أنها بقيت كحالات مستمرة في المجتمع تثير استغراب الفقهاء والقضاة مثل الفقيه اللمتوني صاحب الأسئلة الموجهة إلى الإمام السيوطي بخصوص هذه الظواهر[2] ،وكان رد السيوطي موافقاً لما دعى إليه الإمام المغيلي،كما أَلّف القاضي محمد اليدالي رسالة في هذا المجال تسمى رسالة النصيحة وهي في شكل نصائح قدمها لمجتمعه لما رأي من حالات التبرج واختلاء الرجال بالنساء[3]،ويذكر محقق هذه الرسالة أنها عام أريد به خاص كتبها اليدالي في معرض خاص به وأن بعض شباب قبيلته اقتحموا حريمه،حيث توجه اليدالي إلى قومه في هذه الرسالة آمراً "كفوا النساء عن التبرج والتمرد على أزواجهن والخروج بغير إذن وتارك زوجته كذالك هو المسمى في الحديث بالديوث،واردعوا شبابكم وحضوهم على إتباع سيرة سلفهم وكفوهم عن الجولان وعما هم عليه من الطرق القبيحة التي ظنوا أنها فرصة اقترحوها وأنهم يغبطون عليها وهي لاتليق بعامي وكيف بزاوي "[4].

[1]- المصدر السابق ،ص68.

[2]- السيوطي جلال الدين ،الحاوي للفتاوى ،مصدر سابق ،ص291.

[3]- ولد عبد الله عبد الودود ،الحركة الفكرية ،مرجع سابق ،ص156.

[4]- يقصد بالزاوي اي انه من قبائل الزوايا التي اشتهرت بالعلم والخطط الدينية كالامامة والقضاء والفتيا وبالوظائف التعليمية من تعليم وتدريس اضافة الى الشؤون الاقتصادية من حفر الابار وتربية المواشي وتسير القوافل التجارية مع ملكية الجميع وتسمى قبائل الطلبة اختصاراً وهي لاتحمل السلاح ،بل مسالمة وهي عكس القبائل المحاربة (الغارمة)للمزيد انظر ، ولد السالم حماه الله ،تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 2017 –ص238.

ومن جهود العلماء لمنع هذه الظواهر أن دعا بعضهم الى منع التزاور في أيام الأعياد بحجة إن الكثير من الشباب الطائشين يستغلونها كفرصة للوصول إلى مآربهم وبالتالي منع التزاور وسد للذريعة وفي هذا يقول الفقيه احمد بن مولود الغلاوي الولاتي ت1179هـ[1].

يا طالباً بالوصل نيل الأجر....... ليس بوصل العيد غير الوزر.

أما دخول الدور يوم الفطر .... فليس ممدوحاً بهذا القطر .

لأنه يوم تبرج النساء .... فمن يبيحه للورى فقد أسا.

إلا لمن غض عن المحارم .... طرفاً ولم يصغ لقول آثم .

فكم نساء قد رأيتم ورجال .... يبغون بالعيدين ممنوع الوصال .

وليس ذا يحتاج للشهود .... لأنه من أوضح المعهود .

كفى من الحجة قوله علا .... لاتدخلوا بيوتاً غير فاعقلا.

فقد منعن من زيارة القبور ...... خوف افتتانهن في عصر البدور .

ولايبيح عارف الحقوق .... زيارة العيد لذي الفسوق .

لأن ما أدى الى الحرام .... يحرم في قواعد الإسلام .

نظمتها سداً لهذا الباب ...... لست مبالياً بذي عتاب .[2]

---

[1]- سيدي أحمد بن عثمان بن مولود الغلاوي عالم فقيه كثير المطالعة كثير النقل حسن الخط، أخذ عن منيرة بن حبيب الله الالفعي الشمشوي وعن طالب محمد بن الحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوي وجمع كمايقول البرتلي من مسائل مابين جواب ونظم ما لو جمع ورتب على أبواب الفقه لكان تأليفاً مستقلاً توفي سنة 1179هـ، أنظر البرتلي فتح الشكور، مصدر سابق، ص52، ابن حامد المختار، حوادث السنين، ص 180، ابن حامد حياة موريتانيا، الجزء الثقافي، ص ص 18 -201.

[2]- البرتلي، مصدر سابق، ص52-53.

ويأتي الشيخ المختار الكبير الكنتي بمؤلفه رسالة في أمر النساء[1] ينصح فيها النساء مستعملاً في ذلك أسلوب التودد،وقد كانت نصائحه ليست خاصة بمكان معلوم وإنما هي عامة لجميع نساء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يقول فيها "إلى كل جيداء عروب بيضاء طلعة تصطاد القلوب أوجبه اليهن حسن الظن بهن "،وهذا حتى لايطعن في النساء وكرامتهن،بل هو ينطلق من توصيف لحال وقصد بنصحه العموم منطلقاً من الخصوص ليعود إلى بيئته الصحراوية وينصح المرأة هناك،مستنكراً عليها تقديم الطعام والشراب للضيوف الواردين إلى منزلهم قائلاً "إن كنتن تردن بالإحسان وجه الله تعالى فقد بقي عليكن أعظمه "وهو ماكان شائع في هذا المجتمع أي أن المرأة تختلط مع الضيوف الرجال وربما تدخلهم إلى بيتها من غير حضور لزوجها [2].

غير أنه يعتبر أكبر محرك للنساء هو التودد إلى الرجال ولذالك ينصحهن فيقول "...وإن كنتن تردن بالإحسان المحبة في قلوب الرجال فقد ذهبت عليكن الحرفة الجيدة والمكيدة المصيدة فوالله ماحجبت هجينة خشنة إلا تولعت لها قلوب الرجال لأن أحب شيء إلى الإنسان ما منع...."

ثم يتجه بلائمته على الرجال الذين وصفهم بالمسلمين فيقول "الملامة تقع علينا معشر المسلمين حيث لم يكن هذا عاراً ولا شناراً أن ترى الرجل المميز يرى السفيه جالساً بين نسائه هاتكاً لحريمه ولاينتطح فيها عنزان فإن نهره أوزجره كانت المظلمة على الزاجر..."[3] وعلى العموم فإن هذا المجتمع عان من هذه الظاهرة التي انتقدها جميع الفقهاء محاولين إصلاحه ما أمكن لفرض نظام أخلاقي يليق بقيم المجتمع الإسلامي[4] ،وقد أثمرت هذه الجهود في اندثار هذه الظاهرة تدريجياً مع مرور السنين .

---

[1]- ولد عبد الله عبد الودود ،مرجع سابق ،ص 157.

[2]- المختار الكبير الكنتي، رسالة في أمر النساء، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي بنواكشوط موريتانيا، تحت رقم 2955 نقلا عن ولد عبد الله عبد الودود، مرجع سابق، ص 157.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- المرجع نفسه.

2- **التبغ**: وقد انتشر في بلاد السودان الغربي عادة تعاطي التبغ وشرب الدخان وتعود أولى الإشارات لهذه الظاهرة ما ذكره الباحث المغربي محمد حجي في كتابه الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين،من أن وصولها إلى هذه البلاد يعود إلى حركة الكشوفات الجغرافية حيث يذكر أنأول من تحدث عن تدخين التبغ هو كريستوف كولومبس في الرحلة التي اكتشف فيها أمريكا أواخر القرن الخامس عشر...وربما كان الانجليز أول من شربوا دخان التبغ على نطاق واسع بعد أن جلبوه من أمريكا في النصف الثاني من القرن السادس عشر[1] وتفننوا في صنعه،وأورد أن عادة تدخين التبغ دخلت إلى افريقيا السوداء الوثنية عن طريق الأوربيين ووصلت إلى تنبكتو في مستهل القرن الحادي عشر هجري أواخر القرن السادس عشر ميلادي ،وهو ما أكدته البحوث الأثرية التي اثبتت وجود أنابيب وقطع التبغ بين الرمال في منطقة تنبكتو،كما وجدت أجزاء من أنابيب التبغ في منطقة القصبة المغربية بجوار مسجد سنكري يرجع تاريخها إلى سنة 100هـ 1591م[2] وقد انتشر تعاطيه بصورة واسعة منذ القرن الحادي عشر هجري في تنبكتو ومنها إلى باقي أنحاء الصحراء وبلاد المغرب الأقصى سنة 1011هـ -1593م فانتشر في كل من مراكش ودرعة وذلك بعد حملة المنصور الذهبي على بلاد السودان الغربي لأن أهل السودان الذين قدموا بالفيلة يسوسونها إلى بلاد المغرب كانوا يشربونها ويزعمون أن فيها منافع كثيرة[3].

---

[1]-حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج1،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص246.

[2]-

DemeMariamKamateTHeRaleAndFumctionofTHeSupermaturalinTHeAFricanE pp315-317،2004،Temple umversitypressgraduatebaard،Pic

[3]-وقد عزز هذا الرأي محمد الصغير الوفراني إذ يقول "وفي عام واحد وألف أتى بالفيلة من بلاد السودان للمنصور وكان يوم مراكش يوماً مشهوداً برز فيه كل من في المدينة لرؤيتها من رجال ونساء وصبية وشيوخ ثم في رمضان عام سبعة وألف حملت لفاس أيضاً وبسبب دخول هذه الفيلة للمغرب ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة تبغة لأن السودان الذين قدموا يسوقون الفيلة قدموا يشربونها ويزعمون ان فيها منافع فشاعت عنهم في درعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب وتعارضت فيها فتوى العلماء رضوان

ويعزز هذا الكلام ما أورده اليدالي في كتابه شيم الزوايا[1]أثناء حديثه عن الحرب التي وقعت بين المغافرة وأولاد رزق وهما مجموعتان من بني حسان أن أولاد بوعلي أغاروا عليهم الكتيبات وهما مجموعتان من أولاد رزق فغضب أولاد بوعلي ورئيسهم محمد بن عيسى حتى ألجأهم الغضب إلى أن مالوا المغافرة على الكتيبات فأرسل محمد بن عيسى إلى المغافرة بذلك وأهدى لهم كثير من الزرع الخالص وجيد اللباس وطبغ (تبغ)كبل وهو نوع منها جيد، مما يدلّ على شيوع استعمالها وقيمتها بدليل أنها أصبحت تدخل في المهادنة وإطفاء نار الحروب بل وفرضت كمغارم على اتباع بني حسان يدفعونها بكميات محدودة وهو ماعزز من ارتفاع أسعارها بل وأصبحت من السلع الغالية الأثمان توزن بالذهب كالبخور والحرير[2] وفي هذا يورد البرتلي قصة إحدى قطاع الطرق الذي سرق شاتين وذبحهما أتى بهما لرفقائه ثم جاء صاحب الشاتين يسأل عنهما فقيل له قد صارتا لحماً يمكن أن تأخذهما فاسترضياه بجفنة من التبغ ففرح بهما وقال والله إنها عندي خير من الشاتين وهما لكما [3]،أي أنه رضي بثمن الشاتين بجفنة من التبغ وهذا دليل على رواجها وقيمتها لدى سكان هذه المناطق.

وكان تعاطيها يتم بعدة طرق تسحق وتوضع تحت اللسان أو بين الشفا واللثة أو على شكل دخان في أنبوب وهو ما لاحظه الرحالة الفرنسي فليكس ديبو[4]أثناء زيارته لتنبكتو، قرب نهر النيجر عندما يحل الظلام يحضر الناس الغليون ومواد النشوق ويبدءون في تعاطيها،كما يذكر محمد الخليفة الكنتي

الله عليهم من لدن ظهورها،فمن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ومتوقف والعلم فيها عند الله تعالى "الوفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مصدر سابق ،ص 162.

[1]– اليداليمحمد:شيم الزوايا، مصدر سابق، ص95، ولد عبد الله عبد الودود: الحركةالفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص158.

[2]–المصدر السابق ،ص ص 83-85،المرجع نفسه.

[3]–البرتلي:فتح الشكور مصدر سابق،ص100.

[4]–جعفري مبارك:الحياة الاجتماعية والاقتصاديةفي منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ-19م،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر،2013-2014،ص240.

[1]صاحب الطرائف والتلائد أن جده كان يتعاطى التبغ وكان يضعها مع الزناد وحجر في مصرة تعلق في عمود من أعمدة الخيمة أو البيت.[2]

وقد اختلف رأي الفقهاء[3] في حكم التبغ فنجد قاضي تنبكتو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن قد حرم استعمال التبغ والدخان واعتبرهما من المضار المضيعة للصحة والمتلفة للمال وأن متعاطيها لا يجني فائدة من ورائها،بينما يرى القاضي أحمد بابا التنبكتي خلافاً لذلك فقد اعتبرها حلالاً ودعى إلى شربها مستنداً إلى أقوال العلماء المحللين لها[4] من جملتهم أبي الحسن علي الأجهوري المصري الذي ألف كتاباً سماه "غاية البيان لحل شرب مالا يغيب العقل من الدخان " وقد وجد أحمد بابا التنبكتي معارضة في قوله بتحليلها ونقضه لرأي قاضي تنبكتو محمد بن أحمد بن عبد الرحمن خاصة عندما ألف كتابه "اللمغ في الإشارة إلى حكم التبغ "وقد كان ذالك في بلاد المغرب الأقصى فوجد معارضة

[1]-فليكس ديبو:تمبكتو العجيبة،ترجمة عبد الله عبد الرزاق،مراجعة شوقي عطاء الله الجمل،ط1،المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2003،ص46.

[2]-جعفري مبارك:مرجع سابق،ص240.

[3]-ومن الذين أفتوا بتحريمه نجد إمام المالكية بمصر الشيخ سالم السنهوري،وكذا مفتي فاس محمد بن قاسم القصار، والفقيه المغربي أحمد بن سحنون وقد استندوا في تحريمه إلى أنه مسكر ومفتر انطلاقاً من حديث رسول الله صل الله عليه وسلم عن أبي سلمة "نهى رسول الله صل الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر "ينظر :المعاشي مراد: دور الفقهاء في التصدي لبعض المستحدثات خلال العهد السعدي التبغ نموذجاً ،مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الانسانية، العدد 21 فبراير 2018، ص 47.

[4]- ومن الفقهاء المغاربة الذين أباحوا شرب الدخان نجد قاضي درعة (ق 11هـ) أحمد بن محمد البوسعيدي ،حيث كان من المدمنين على شربه وقد استند إلى نصوص القرآن الكريم لتحليل التبغ بإيراده للآية الكريمة "وهو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً"وبما أن التبغ نبتة من نباتات الأرض فهي حلال هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد حرم أكله وحلل شربه حيث يقول" وكذلك الحرمل أكله مدقوقاً قتال ومع ذلك أمر النبي صل الله عليه وسلم بالتبخير بالحرمل لأن دخانه لا ضرر فيه وفيه منفعة،والتبغ بهذا السبيل أكلها حرام لأنه قتال ودخانها فيه منافع ظاهرة بدليل العيان ليبدأ بعد هذا بعد منافع التبغ حسب زعمه تشافي من سموم ولسعات العقارب والحيات،ومنها كذالك شفاء مرض الترويحة ويقصد بها نزلة البرد،كما نفى البوسعيدي أن يكون التبغ مسكراً أو مفتراً وهاجم القائلين بذالك حيث يقول "وأما انتفاء وصف السكر والفساد والرقاد عنه فأمر ضروري لايمتري فيه عاقل ومن أنكره فهو سفسطائي ومكالمته لاتفيد "كما قام البوسعيدي بتصحيح فتوى سالم السنهوري التي اعتبر فيها أن التبغ يغيب العقل وبنى حكمه على السؤال الذي وجه إليه حيث أن السائل أخبره بأنه يغيب العقل :ينظر حجي محمد :الحركة الفكرية بالمغرب ،مرجع سابق ،ص ص 249-250.، وانظر المعاشي مراد :مرجع سابق ،ص48.

شرسة من علماء المغرب خاصة الزاوية الناصرية بدرعة[1] التي تصادف وجوده بها وتعرضه لنقاش في هذه المسألة واستدلالهم برأي قاضي تنبكتو محمد بن أحمد، وبين مد وجزر في مسألة حكم التبغ فيعتبر أحمد بابا التنبكتي بفتواه بإباحة شرب الدخان قد أرسى تقليداً غير معهود فنجد خلال القرن الحادي عشر نوعاً من الإجماع الضمني على ذالك وهو ما ذهب إليه فيما بعد كل من ابن الأعمش(ت1107هـ) في فتواه التي يرى فيها بحليته[2]،وبينما يرى الفقهاء المغاربة خاصة الصوفية منهم بحرمتها[3] وتبعهم في ذلك فقيه صوفي يسمى الشاب الشاطر[4]وهو شخصية غامضة يذكر أنه قدم من فاس في النصف الأول من القرن الثاني عشر،ومنهم الفقيه محمد أحوزي الهشتوكي ت1127هـ[5] تلميذ محمد بن ناصر الدرعي[6]وقد وقعت له مساجلات مع القاضي عبد الله بن رازكة رازكة العلوي،عارضه فيها بمنع شرب الدخان والتبغ [7]،كما أن القاضي أبا بكر بن عيسى بن أبي

---

[1]-الزاوية الناصرية نسبة إلى الشيخ أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري ت983هـ-1575-76م-وهي تقع في تامكروت على ضفاف وادي درعة وراء الأطلس الكبير بالمغرب الأقصى تبعد عن مركز زاكورة بنحو 22كلم في جنوبها الشرقي،وقد استقر بها بعد وفاة شيخها حفيده الصالح بن إبراهيم الأنصاري مع شيخه عبد الله بن حسين الرقي،ينظر محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي،المطبعة الوطنية الرباط،المغرب 1964،ص57.

[2]- ولد عبد الله عبد الودود،الحركة الفكرية في بلاد شنقيط،مرجع سابق،ص 159.

[3]-وقد أجمع فقهاء فاس في هذه الفترة بحرمتها وذلك نظراً لتفشيها في المجتمع خاصة في ظل الأوضاع الغير مستقرة في الدولة السعدية وما تبعها من انتشار كبير لهذه الظاهرة،فتصدى لها الفقهاء بوصفهم حماة الدين داخل المجتمع وذالك عبر أديب الفقهاء علي بن أحمد الشامي الذي وجه سؤالاً إلى قاضي فاس أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني،ومفتي فاس أحمد المقري وقد استنكروا هذه الظاهرة وتفشيها داخل المدينة (فاس)كما جمعوا فتاوى سبعة عشرة فقيهاً تحرم الدخان وجمعوها في كتاب حمل عنوان "فتاوى علماء فاس في الدخان "ينظر :حجي محمد: مرجع سابق ،ص ص 259-260-261.، المعاشي مراد،مرجع سابق،ص 49.

[4]-البرتلي ،مصدر سابق ،ص214.

[5]-المصدر نفسه.

[6]- محمد بن ناصر الدرعي يتصل نسبه إلى جعفر بن أبي طالب هاجر أجداده إلى درعة ثم انتقل إلى تامكروت وعمره سبعة وعشرون سنة وآلت إليه زاويتها بعد وفاة الشيخين الراقي والأنصاري حيث نسبة إليه فعرفت بالزاوية الناصرية.ينظر محمد حجي الزاوية الدلائية،مرجع سابق،ص 57.

[7]-ولد عبد الله عبد الودود،مرجع سابق،ص162.

هريرة الغلاوي كان من المؤيدين لشرب الدخان فقد صاحب في سفرية الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي[1]،فأخذ عنه الورد الناصري وكان يشرب تبغاً فأمره بتركها ولم يذعن لذلك .

أما في القرن الثاني عشر فقد تزعم تحريم التبغ قاضي شنقيط[2] عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي،حيث تأثر برحلته العلمية التي قادته إلى الحجاز وفاس وما وجده في هذه الحاضرة من إنكار عن المدخنين ورده لأقوال علي الأجهوري، وابن الأعمش في حليته التدخين ويحتج بأغلب الحجج التقليدية لمعارضي التدخين مثل إتلاف المال في غير طائل وكون التبغ مفتر واحتوائه على نسبة من الرماد والرماد يحرم أكله ولو كان رماد الخبز، وقد بنى ابن الحاج رأيه على إجماع كافة المتصوفة على تحريم التبغ وحثهم على اجتنابه وقد جاء في فتواه حول التبغ التي ضمنت في مجموعة فتاواه مايلي:[3] "هذا وإني لما عمت البلوى بنوعي تبغة من مشروب ومشموم ولم يلتفت متعاطيها لغشاوة بصيرته إلى أهل النصح من أهل الفتوى قد ندبني بعض الإخوان إلى تحذير أهل الهوى وأن أوضح الصحة فيها من الخوى مستعيناً بالله شديد القوى سائلاً له تعالى ألا أكون ممن ضل وغوى واضعاً فيها رسالة مطية النجح لسامع النصح: إعلم أن غبار الورقة الذي يجعله السفلة في أنوفهم وتسميه بلاد المغافرة[4] الشم الشم وأهل المغرب النيف بفتح النون وبعدها ياء ساكنة ففاء أخت القاف هو غبار تبغة لأن الورقة هي تبغة نفسها إلا أن تبغة أنواع متنوعة فإذا علمت أن للشم ما للدخان وعليه ماعليه إلا ما في

---

[1]– أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي: هو أبو العباس صاحب الكرامات العديدة والمناقب الشهيرة أخذ عن أبيه وعن أبي سالم العياشي ورث سرّ أبيه بعد وفاته فجلس للتدريس في زاويتهم بتامكروت وقد تتلمذ عليه عدّة علماء منهم عبد الله السوسي ومحمد بن عبد السلام بناني والشيخ عبد الحفيظ وألف في حجته الأخيرة 1121هـ رحلة نقل فيها عن شيخه العياشي وله كتاب الأجوبة وتأليف في الصلاة على النبي صلى اله عليه وسلم، ت 1129هـ، أنظر: الأكراري محمد بن أحمد، روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين تخطيط ما فيها من عجيب البنيان، تحقيق: حميدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن الأزهر،أكادير، المغرب، ط1، 1998، ص 325، وانظر: عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي، الفتاوى، تحقيق: محمد بن محمد بن الحبيب، مصدر سابق، ص 564.

[2]– ولد عبد الودود، مرجع سابق، ص 164.

[3]– عبد الله بن الحاج إبراهيم، الفتاوى، مصدر سابق، ص 564، 565.

[4]– بلاد المغافرة: يقصد بها بلاد شنقيط أي الجزء الشمالي الغربي من بلاد السودان الغربي وهو ما يطلق عليه بلاد السيبة.

الدخان من استفاف المحروق والكلام في هذه العشبة المشؤومة كثير وخلاصة ما ذكره القطب سيدي أحمد بن ناصر الدرعي من الخلاف في جواز استعمالها من المذاهب الأربعة هو أن أهل الباطن كلهم على تحريمها وأن أهل الظاهر إذا اختلفوا ترجح ما وافقه أهل الباطن لأخذهم العلم بعين اليقين، فظهر لك أن قول من قال الأكثرون على تحريمها والمحققون على تحليلها كلام رمي به جزافاً بل الأكثرون والمحققون على تحريمها "ومن خلال هذه الفتاوى في تحريم التبغ وشرب الدخان نجد أن القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي له نزعة صوفية في التحريم.

غير أن الفقهاء المتصوفة لم يكونوا كلهم على درجة من التشدد في تحريم التدخين فنجد الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي[1] يحاول أن يأخذ مسلكاً وسطاً حيث يستطرد في مؤلفه البرد الموشى في قطع المطامع والرشا حول ظاهرة التبغ فيقول "وأما العشبة المسماة بطبغ فلا نطيل الكلام بذكرها فإنما غايتها الشبهة إذ حقيقة الشبهة ماتجاذبته أدلة الحل والتحريم من غير ترجيح لأحد الجانبين ولو رجح جانب الحلية لكان وجهاً لخلوها عن الوصف الناقل لها عن أصلية العشب وهو السكر "[2]وقد اعتبر بأن القول فيها هي شبهة تتأرجح بين التحريم والتحليل،وقد استند إلى كثير من الأدلة حيث يرى أن الأروع تحريمها لأن الشيء إذا تعارض فيه أصلان مبيح ومحرم اعتبر جانب السلامة كما في الخمر والميسير[3] لأن الله تعالى يقول "ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما "[4]،وبما أن هذه العشبة (التبغ) تشارك الميسر في إتلاف المال بغير فائدة ولا عائدة ومعلوم أن إضافة المال حرام وكل ما جر إلى الحرام فهو حرام،وإنما تشغل عن ذكر الله وكل ما شغل عن ذكر الله فهو مذموم[5] غير أنه ما ينتهي من حجج المحرمين حتى يصل إلى حجج المحللين ذاكراً

---

[1]–ولد عبد الله عبد الودود، مرجع سابق، ص 164.

[2]– المختار الكبير الكنتي، البرد الموشي، مخطوط خ ع، المكتبة الوطنية، المغرب ، رقم 2450، ص 453.

[3]– الكنتي، الجرعة الصافية والنفخة الكافية خ ع، الرباط، المغرب، رقم 360د، ص 80، نقلا عن ولد عبد الله عبد الودود، الحركة الفكرية، مرجع سابق، ص 164.

[4]–سورة البقرة، آية 219.

[5]– عبد الله بن عبد الودود، المرجع السابق، ص 165.

منها أن التبغ من الأب الذي قال الله في إباحته "وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم "[1]،ولم تتصف بصفة من الصفات الثلاث اللاتي تنقلن الأعشاب عن أصل الحل إلى فرعية التحريم من إفساد أو إسكار أو إرقاد وزعم المنتصر لها أن لها منافع كثيرة طيبة وأنها تفرج الهموم عن متعاطيها حالة تحسيها.وبعد هذه المراوحة بين التحليل والتحريم يعود الشيخ الكنتي إلى موقعه الأصلي الذي يراه عين الصواب،فأعدل المذاهب حسب رأيه هو القول بأنها شبهة أما أشنع الأقوال وأبعدها عن الصواب والسداد هو القول بتكفير شاربها ومحللها لخرقة الإجماع أي إجماع أهل السنة على أن المسلم لايكفر بارتكاب كبيرة ولابتحليل ما لم تعلم حرمته من الدين ضرورة.وعلى العموم فإن الشيخ المختار الكبير الكنتي وقف موقف وسطي وأعتبرها أنها شبهة وجب تركها[2] ولا يكفر فاعلها وقد تكلم عن أراء الشيخ في التبغ وحالته في أهل الصحراء الوريكي الغيغائي صاحب الرحلة الحجازية،عند حديثه عن الدخان وحكمه فقال[3] "تكلم عليها المتأخرون كثيراً سيما أهل الصحراء منهم العارف القطب السيد المختار الكنتي رحمه الله إلا أن كلامه عليها دل على كراهيتها وإباحتها وجعل فيها تفصيلاً لأجل أهلها وقال من استعملها من أجل الدواء أوهو في بلد كان يستعملونها وإن تركها يتضرر فله استعمالها وهذا كله من أجل الضرورة وجعلها من سفاسف الأمور فلا يتعاطها إلا ضعاف العقول "

---

[1]-سورة النازعات، آية 33.

[2]- الكنتي، الجرعة الصافية، مصدر سابق، ص 80.

[3]-الوريكي، رحلة حجازية، مخطوط، خ ع، المكتبة الوطنية، المغرب، ج8، ص 164، نقلا عن الصادقي حسن، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، بالمغرب، 2012، ص ص 17، 18.

3-السحر والشعوذة والخرافة: وتعتبر هذه من الظواهر الموجودة في المجتمعات الإفريقية منذ العهود القديمة،وقد تحدث عنها الرحالة الجغرافيين في وصفهم للمجتمعات القبلية الوثنية في بلاد السودان الغربي مثل مملكة غانة التي ذكرها البكري[1] واصفاً مملكتها ومدينتها بقوله "وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم ،وفيها دكاكينهم وقبور ملوكهم ".

وإذا كان السحر مرتبط بجانب اعتقادي في العهد الوثني فإنه ظل قائم في العهد الإسلامي باعتقاد الناس في السحرة بإلحاق الضرر أو النفع في صورهم المختلفة بمن يريدون بواسطة ما يستطيعون تحريكه من قوى غير مرئية،[2] لذا كان السحر عندهم نوعان سحر ضار وسحر نافع ،فالضار هو الذي يستخدمه الساحر لإلحاق الضرر بالآخرين مثل قتل شخص أو إصابته بمرض معين إلى غير ذالك من أنواع الأضرار وصاحب هذا النوع من السحر يكون محل ازدراء من الآخرين وقد يؤدي ذالك إلى قتله بمجرد انكشافه، أما النوع الثاني فهو السحر النافع وهو الذي يستخدمه الساحر لفائدة بني جنسه لجلب المطر لهم أو إبعاد الوباء عنهم ونصر المحاربين ونحوه ،وصاحب هذا النوع يجعل له مكانة مرموقة بين قومه مادياً ومعنوياً.[3]

وكان السحرة يستعملون بعض الأدوات تكون في جلد ماعز مثل قرون الحيوانات وريش النعام وخيوط وجذور نباتات وغيرها ثم يضعها على الأرض ويبدأ في تقديم عروضه وخدماته لطالبيها ثم يبدأ بكتابة الطلاسم والتعاويذ لاستحضار البركة وإبعاد الشرور وجلب الحظ خاصة لمن فاتها الزواج أو لمن

[1]- البكري، المصدر السابق، ج2، ص872.

[2]- زناتي محمود إسلام، الإسلام والتقاليد القبلية، مرجع سابق، ص 211.

[3]- الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، مرجع سابق، ص77.

تعطلت أعماله أو يئس من الإنجاب ،وكذا لمعالجة الأمراض البدنية والنفسية والعكس بالنسبة لأعمال الشر.[1]

كما ظهر في المجتمع السوداني من يدعي الغيب باستخدام خط الرمل[2] لمعرفة الحاضر أو المستقبل وله ستة عشر حالة وأسماء بعضها يرمز لهم بالخير والبعض الأخر بالشر ومن يريد استعماله يأتي بتراب نظيف ويبسطه على الأرض ثم ينقط فيه بالأصابع الوسطى أربعة أسطر من غير عدد بالحذف زوجاً فزوجاً إلى أن ينتهي إلى الأخر وإذا كان زوجاً أو فرداً أثبته ثم يثبت ما تبقى من السطر الأول أولا ومن السطر الثاني بعده إلى أن ينتهي من الأربعة اسطر فيتكون منها شكل عددي يستخلص من خلاله الحال والطلب.[3]

ومنهم من يترصد مواقع النجوم ويترجم وضعها في ذالك المكان إلى حوادث معينة ستحدث،والبعض الآخر يستعمل استحضار الجن ويترجم أصوات الطيور وفهم حركاتها.[4]

كما وجدت العرافة[5]: وهم من يختصون بكشف الأمور الغيبية التي تستعمل في بعض الأمراض،واتخاذ الطلاسم،فقد كانت من العادات المتوارثة فيما يتعلق بالمريض أنه إذا أراد أهله أن يعلموا إن كان سيشفى أو سيموت،كانوا يكسرون البيض فوق رأسه،كما كانوا يقومون بنحر الذبائح تحت قدميه،[6] أما الشعوذة فقد وجدت لها صور وهي مرتبطة بالسحر كذالك وقد استعملت فيها آيات قرآنية

---

[1]- نعيم قداح، مرجع سابق، ص40، جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 234، فرح سعد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، 2016/2015، ص 101.

[2]- المغيلي، أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، مصدر سابق، ص 62.

[3]- الهادي مبروك الدالي، مرجع سابق، ص ص 76، 77.

[4]- محمد بن عمر التونسي، مصدر سابق، ص 210.

[5]- وهم أناس مختصون بكشف الأمور الغيبية وكان قبائل الهنتون يستخدمون هؤلاء العرافة في الكشف عن السارق أو القاتل الغير معروف، أنظر: زناتي محمود إسلام، مرجع سابق، ص 212.

[6]- السيوطي جلال الدين، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، ص 341.

وأسماء الله الحسنى في غير المباح وذالك للتفريق بين المرء وزوجه،إضافة إلى زعم بعضهم أنهم يعرفون لماذا كرهت البهيمة أولادها وسبب ذلك،حيث يأخذون شعيرات من أولادها ويبخرونها على رأس البهيمة فيوافق مرة ومرة لا،[1]أما الخرافات والأساطير فقد انتشرت بصفة كبيرة خاصة وأنها اختلطت بكرامات الأولياء التي دخلها نوع من التهويل إلى درجة وصولها إلى الخوارق،مثل ما كان شائع من حكاية الجرادة المتكلمة وحكاية آكلي البشر[2] والتماسيح والحمام في جني لا يجوز المساس بهم[3] والغابة المقدسة التي ينبع منها نهر تمبي أحد فروع نهر النيجر وأي شخص ينطق بكلمة عند الاقتراب منها يموت في الحال،كما انتشر في تنبكتو سنة 1152هـ خبر وصدقه الناس مفاده أن لصوص هاجموا المدينة المنورة في عشرين ألف وأرسل الله عليهم مطراً فماتوا جميعاً.[4] وقد أنكر الفقهاء ومنهم القضاة هذه السلوكات واعتبروها مخالفة للدين وحاولوا إصلاحها بل وقاموا بثورة على هؤلاء خاصة السحرة محاولين إقناعهم عن العدول عن هذا فإذا فشلوا في ذالك لجئوا إلى تحريض الحكام عليهم مطالبين بقتلهم،وهو ماورد في جواب الإمام المغيلي عن أسئلة الاسكيا محمد بعد أن عرض عليه السحر وأحوال السحرة في بلاده فأمره بدعوتهم[5] للتوبة والإنابة ولو تحت الإكراه والسيف،وإلا فإنهم يقتلون كفراً ولا يغسلون ولا يكفنون ولا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين.

ومن المظاهر الاجتماعية الأخرى التي انتشرت في بلاد السودان الغربي ما كان شائع من اعتقاد الناس بما يفعلونه في اليوم السابع للميت من إطعام الطعام والذبح واعتبروه أنه من حق الميت على أوليائه أن يذبحوا له عند قبره ،وقد كانت هذه من المسائل التي سئل عنها الفقيه عثمان بن عبد الله الولاتي عام 1130هـ وكان جوابه أنها من البدع المحرمة وهي من أمور الجاهلية.[6]

[1]- أحمد مرجان سحر عنتر، فقهاء المالكية، مرجع سابق، ص 214.
[2]- ابن بطوطة، مصدر سابق، ج2، 672.
[3]- فيليكس ديبو، مرجع سابق، ص ص 52، 154.
[4]- جعفري مبارك، مرجع سابق، ص 237.
[5]- المغيلي، مصدر سابق، ص 64.
[6]- بطل شعبان، العامة في دولة صنغاي، مرجع سابق، ص 200.

كما كان من الظواهر الأخرى التي انتشرت بينهم النميمة والتجسس والبخل والجبن والظلم وقطع صلة الرحم وشهادة الزور والحلف بالآباء والأمهات والتكبر وأكل الحرام،[1] إضافة إلى حالات الغش في الأسواق والتطفيف في المكاييل والموازين بالزيادة أو النقصان، كما كان بعضهم يخلط اللبن بالماء ويبيع اللحم مع الشحم،ومنهم من ينفخ في اللحم لكي يزداد وزنه،[2] ومنهم إذا اشترى سلعة حازها وذهب بها قبل أن يدفع لصاحبها ثمنها فإذا ندم أو لم يبيعها بربح وطلب منه صاحبها ثمنها قال له خذ سلعتك أو أصبر حتى نبيعها،ومنهم من يغش الذهب والفضة بالنحاس أو يأبى أن ينزف التبر من التراب،[3] وقد قام الفقهاء بمواقف الإصلاح من هذه الظواهر لأنهم يمثلون الطبقة المثقفة في المجتمع وهم موضع نظر لدى الحكام والعامة على السواء يسترشدون برأيهم وينتظرون جهودهم الإصلاحية[4] الإصلاحية[4] ومن ثم فإن عبئ الإصلاحات الاجتماعية قد وقع على عاتق هؤلاء الفقهاء الذين وصفهم أحمد بابا التنبكتي[5] بأنهم خلقوا لمصالح العباد ومنافعهم لأنهم يبينون للعامة ما يحل وما يحرم ويوصون بالإحسان والنهي عن الفتن وإن انشغالهم بذالك إنما هو من باب شكر الله على نعمته عليهم بالعلم ،لذالك حارب بعض القضاة البدع والمنكرات التي ظهرت في المجتمع وقاموا بدور كبير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخويف العامة بما يحملهم على ترك المعاصي.[6]

---

[1]- السيوطي جلال الدين، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، ص 338، أحمد مرجان سحر عنتر، فقهاء المالكية، مرجع سابق، ص 217.

[2]- المغيلي، مصدر سابق، ص 62.

[3]- المصدر نفسه، ص 63، 64، 65، 66.

[4]- بطل شعبان، مرجع سابق، ص 203.

[5]- التنبكتي أحمد بابا، كفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تح: سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، 1992، ص 54.

[6]- الشاذلي بهيجة، الأوضاع الاجتماعية في السودان الغربي في النصف الأخير من القرن الخامس عشر من خلال رسائل جلال الدين السيوطي، أعمال الندوة المنعقدة بتنبكتو حول الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء قرب إفريقيا نموذجا، تقديم عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1997، ص 55.

أما دور القضاة في المجالات الاجتماعية الأخرى: فقد قاموا بدور كبير في حياة المجتمع السوداني فهم الذين يقيمون الجماعات والجمعات، ويشرفون على دور الصدقات والأوقاف، والسهر على راحة طلاب العلم من مأكل ومشرب وملبس،كما كانوا يكلفون بجمع الزكاة[1] وتوزيعها على مستحقيها خاصة فئة المساكين والمحتاجين وذلك من خلال حث الأغنياء والمياسير على الصدقة وكثرة العطايا لهؤلاء الفقراء،وإشرافهم على جمع التبرعات وضمان وصولها إليهم،فقد كان القاضي محمود بن عمر حريصاً على زيادة هذه الصدقات حتى بلغ ما أعطوه لهذا القاضي في احد الأعوام سبعمائة مثقال من الذهب وزعها على الفقراء والمحتاجين[2]،وكذالك فعل ابنه القاضي العاقب بن محمود الذي تلقى الصدقات التي كان يرسلها إليه الاسكيا داوود كل عام ويقوم بتوزيعها على مستحقيها ومنها أربعة الآفصنية من الأرز قسمها على الفقراء الموجودين في مكان يسمى جنان المساكين[3]، أما القاضي محمود بن أبي بكر الونكري فقد جمع التبرعات من المياسير والأغنياء في مدرسة الفقيه القاضي مودب الكابري وذالك في المجاعة التي أصابت تنبكتو في عهد الاسكيا داوود(956هـ-991هـ)وقام بتوزيع مامقداره ألف مثقال ذهبي على يد الشيخ القاضي مودب محمد الكابري[4] .

[1]-شكلت مسألة الزكاة في هذه المجتمعات أهم نقاش فقهي دار بين الفقهاء خاصة فيما يتعلق بإخراجها ومستحقيها ،وهو ما كان مشاع بمسألة القرابة،إذ تعتبر هي الدافع إلى إثارته ،ورغم ورودها في نصوص الفقه التقليدية ،إلا أن وجود أغلب أهل الماشية في أماكن ليست بالضرورة أماكن أهليهم بحيث تضطرهم حياة الظعن والترحال إلى الغياب والبعد عن أهليهم ومجالات قبائلهم ،وعن الحواضر والأحياء،لذا حين تلزمهم الزكاة يحرصون على البدء بأقاربهم أويرسلوها إليهم،وهكذا تكون مسألة نقل الزكاة عن فقراء محل وجوبها إلى آخرين ليس في ذات المحل وليسوا بالضرورة أضعف ولا أمس حاجة ،وهذا داعياً قبلياً بارز للعيان وموقفاً فقهياً وسياسياً يطرح أكثر من إشكال .للمزيد ينظر ولد البراء يحي،الفقه والمجتمع والسلطة دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه الموريتاني بين مشمول أهل القبلة وأسرة أبناء القبيلة ،منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي،أنواكشوط، موريتانيا،1994،ص ص 112-113.

[2]- سوزي أباظة ،القضاء في صنغاي مرجع سابق ،ص360،فرياني بطل شعبان ،العامة في صنغي مرجع سابق ،ص151.

[3]- كعت ،تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص115.

[4]- أحمد مرجان سحر عنتر ،فقهاء المالكية وآثارهم مرجع سابق ،ص210.

وفي إرساء أسس التكافل الاجتماعي نجد أن بعض القضاة يحثون في فتواهم على عدم تأخير الزكاة[1]، وأفتى بعضهم بأنه لايجوز تأخيرها أكثر من يومين،بل هناك مسألة عرضت على القاضي أحمد بن أحمد بن الحاج آقيت،بأن البعض كان يزكي بزكاة ماله للمساكين وأحياناً يحاول نزعها من بعضهم فأفتى بأنه لايجوزذلك لأنها صارت ملكاً لهؤلاء المساكين[2]، كما أجاب القاضي محمود بن عمر عمن ليس له شيء إلا ثوبان فهل تجب عليه زكاة الفطر أم لا ؟بأنها توجب عليه بأن يبيع أحد الثوبين ويخرج من ثمنه زكاة الفطر ،كما أفتى القاضي محمود بن عمر لبعض المعدمين من العوام الذين لايملكونإلاّ قوت يومهم بإعفاءهم من الزكاة وأفتى لآخرين بتأخير الزكاة لحين الميسرة[3].

كما كان للقضاة دور في توجيه الشباب بتعلم أصول حرفة من الحرف،ونجد في كتاب الفتاش حديثاً عن مراكز التكوين التي كان يشرف عليها القضاة ،فقد كان هناك ستة وعشرون دار تحتوي على مؤسسات للخياطة تسمى (تندي) وكان على رأس كل دار معلم يشرف على حوالي خمسين متعلماً[4]، إضافة إلى بقيت الحرف الأخرى التي اشتهر بها مجتمع السوداني الغربي مثل حرفة الزراعة وفلاحيها سادة الأرض الذين كانوا يعملون بالزراعة والفلاحة حتى يجئ وقت الحصاد ثم ينتقلون للعمل خارج مكان الزراعة ويتعلمون حرفاً أخرى تدر عليهم الأموال التي كانت تساعدهم على الزواج وعلى تكوين أسرة لهم[5]، وقد وجدت أيضا حرفة الصيد البري والرعي وتربية الماشية ،وهذه الفئة تهتم بالثروة الرعوية الخاصة بها،وكذا تنمية موارد البلاد منها ما يباع ومنها ما يذبح ويباع لحماً في الأسواق ،وقامت عليها الجزارة التي تمتلك بيع هذه اللحوم في الأسواق لحماً مذبوحاً ،وقد قامت على

[1] – أفتى القاضي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي بعدم جواز تأخير الزكاة لمن يتمكن من إخراجها في وقتها وعند الوقت الواجب الذي هو الحول [بأكثر من يومين بناءً على أن إمكان الأخراج شرط وجوب فلاتجب مالم يتمكن من أدائها ،أو شرط أداء فتجب بحلول الحول ولو لم يتمكن ويدل على عدم جوازتأخيرها قول خليل "وقدم ليصل عند الحول "ينظر:ولد البراء يحي،المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوى مج6 مرجع سابق ،ص 2072.

[2] –الغلاوي،العمل المشكور مصدر سابق ،ورقة 146.

[3] – فرياني بطل شعبان ،العامة في صنغي ،مرجع سابق ،ص 152

[4] –كعت محمود ،تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص180،ولد الحاج سالم ،الحضارة الاسلامية في مالي مرجع سابق ،ص211.

[5] – المصدر السابق، ص172.

هذه الحرفة صباغة الجلود ودباغتها التي تستعمل في صناعة النعال والمحافظ ،وأدوات الزينة[1]، والقرب التي تستعمل في تبريد الماء ،والملابس وسروج الخيل والجمال ،إضافة إلى بعض الخيام وسقوف المنازل،كما وجدت حرفة الصيد النهري والبحري في الأنهار الموجودة في بلاد السودان الغربي كنهري السنغال والنيجر ناهيك عن البحر المتخام لبعض أجزاء بلاد السودان الغربي ،وقد امتهن كثير من الصيادين[2] هذه الحرفة لاستخراج السمك الذي كان يباع في أسواق بلاد السودان الغربي سواء كان طازج أومجفف بعدما يدخر ثم يباع ،وقد اعتاد هؤلاء الصيادين أن يدفعوا ضرائبهم السنوية من خلال هذه الثروة السمكية المجففة فتذهب إلى السلطان في شكل حزم كل حسب مايفرض له على ألايزيد على العشر[3]، كما وجدت ببلاد السودان الغربي حرفة صناعة الحلي التي تعتمد على الذهب والفضة وهما من المعادن النفيسة التي كانت تستخرج من المناجم[4] الموجودة ببلاد السودان الغربي،إضافةإلى حرفة صناعة الخزف والفخار اللتان تعتمدان على الطين المستخرج من أماكن قرب نهر النيجر وكانت تصنع منها أواني الطعام والماء والقدور ،وتزخرف بها الجدران في المنازل والمساجد والقصور

---

[1]-الطوخي وداد نصر محمد السيد ،الصناعات والحرف في السودان الغربي في الفترة من 712هـ –الى 100هـ-1312م-1591م،أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية،معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة،2013،ص ص 135-136،فرياني بطل شعبان،مرجع سابق،ص112.

[2]-إمتهنت قبيلة السوركو الصيد وأطلق عليها سادة النهر مثل ما أطلق على قبائل الجبايتي سادة الأرض لإمتهانهم الزراعة وقد كان ينشب صراع بين هاتين القبيلتين فيغزو كل واحد الأخر وتضيع الغلال والمحاصيل .ينظر فرياني بطل شعبان ،مرجع سابق ،ص 102،وكذا

BOVILL.E.W.THE NIGERAMDTHE SONGHAY
(N،VOL25،THEJOURNLOFTHE RAYAL AFRICAN SOCIETY،EMPIRE
JAN 1926)OP.CIT.67.،98

[3]-كعت محمود ،تاريخ الفتاش مصدر سابق ،ص57،السعدي ،تاريخ السودان مصدر سابق ،ص95،فرناني بطل شعبان ،مرجع سابق،ص103،الطوخي وداد نصر ،مرجع سابق،ص136.

[4]-أشهر هذه المناجم كانت تقع بمنطقة الونقارة في الجنوب الغربي من دولة صنغاي وهي أربعة:بامبوك ،وبوري،وفاليمي،ولوبي وقد كان اغلب المشتغلين في هاته المناجم من قبائل الماندي، ينظر:فرناني بطل شعبان،مرجع سابق،ص107،وكذا الصاوي كرم باز،تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب،ندوة التواصل العربي الإفريقي،معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة،ماي 2003،ص 10.

السلطانية[1]، كما وجدت حرفة البناءين[2] الذين يشتغلون في البناء وأشكال العمارة .وقد أشرف القضاة على هؤلاء الحرفين من خلال تنظيم كل حرفة في شارع أوحي وإقامة الأسواق وتنظيمها ومراقبتها عن طريق أعوان مخصصين لذالك[3]وكذا تسهيل عملية جمع الضرائب وإحصاء عدد الحرفيين كما كان لهم دور في الاحتفالات والمناسبات الدينية نوردها في الشكل الآتي:

1-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[4]: وتعتبر هذه من المناسبات الدنية التي كان يوليها أهل السودان الغربي أهمية كبيرة لكونها تتعلق بذكرى ميلاد سيد الأنام محمد صل الله عليه وسلم ،حيث كان من عوائدهم قبل هذه المناسبة منذ رؤية هلال شهر صفر يأتي الشيوخ والعلماء من أهل الفضل الى دار القاضي كل عشية فيقرؤون ربعاً من ميمية البوصيري (البردة) وهذا إلى غاية ظهور شهر ربيع الأول[5] الذي تكتسي فيه مدن بلاد السودان الغربي طابعاً مميزاً،حيث تمتلأ فيه الساحات والمساجد طيلة هذه الأيام من 12 ربيع الأول إلى غاية 18من نفس الشهر، بإلقاء المحاضرات والمدائح الدينية كالبردة والهمزية[6]، وتحميس عشرينيات الفزازي[7]، وقد اشتهر كثير من المداحين الذين كانوا يمدحون

---

[1]-الطوخي وداد نصر،مرجع سابق ،ص138.

[2]-كعت محمود،تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص180،الطوخي وداد نصر،مرجع سابق،ص 137.

[3]-كعت محمود،تاريخ الفتاش مصدر سابق،ص41.

[4]- تذكر المصادر التاريخية أن أبا القاسم التواتي أول من أدخل الاحتفال بالمولد النبوي الشريف إلى بلاد السودان الغربي، وكان مادحاً لرسول الله صل الله عليه وسلم ، خاصة في مدينة تنبكتو التي كان يجمع بها المداحين في بيته ويطعم الطعام من أجل ذلك، ثم توسع الأمر إلى المسجد الذي كان قرابة بيته، وهكذا شاعت هذه العادات في تنبكتو ومنها الى باقي أنحاء بلاد السودان وأصبحت من الاحتفالات الرسمية : ينظر السعدي، مصدر سابق، ص 59، البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، ص69.،مطير سعد غيث، مرجع سابق، ص 380.

[5]- فرح سعد، الحياة الاجتماعية، مرجع سابق، ص92.

[6]- مطير سعد غيث، مرجع سابق، ص380.

[7]- أبو زيد عبد الرحمن بن أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفزازي نسبة إلى جبل فازاز بقبلي مكناسة الزيتون بالمغرب وإليه وإليه ينتمي أصله ونسب أسرته إلى يخبش أو يخفش، ولد بقرطبة سنة 550ه وارتحل الى تلمسان التي تعلم بها على يد عبد الله التجيبي المتوفى سنة 610ه ، ثم انتقل منها إلى فاس وأخذ عن شيخه على بن عتيق المتوفى سنة 598ه ثم إلى مراكش التي توفي بها في شهر ذي القعدة سنة 694ه ، ترك آثار أدبية أغلبها في الزهد والمدائح والمواعظ والشفاعات، أهمها ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي صل الله عليه وسلم وهي القصائد العشرينية التي ألفها في حاضرة قرطبة سنة 604ه وقد خمسها الشيخ أبوبكر بن

هذه القصائد طيلة ليالي هذه الأيام منهم القاضي أحمد بن أحمد بن عمر آقيت[1] والد القاضي أحمد بابا التنبكتي ت991هـ، وكان له شرح على عشرينيات الفزاري، ومن المداحين كذلك نجد القاضي عمر بن محمود آقيت[2] ت1003هـ الذي وصفه السعدي[3] بأنه المادح لرسول الله صل الله عليه وسلم صباحاً ومساءً، ونجد كذلك القاضي المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي[4] (من أهل القرن العاشر هجري) مادحاً لرسول الله صل الله عليه وسلم منفقاً على المداحين في المولد النبوي الشريف، ويطرب لذلك غاية الطرب ويبذل جهده فيه، ومنهم الفقيه بابا بن محمد الأمين بن حبيب التنبكتي[5] ت1044هـ الذي كان ينشئ قصيدة في مدح النبي صل الله عليه وسلم كل ذكرى مولد نبوي وذلك قبل وفاته بخمس سنين، وفي بلاد الهوسا نجد القاضي محمد بن مسنة[6] ت1078هـ من الذين اشتهروا بمدحهم لرسول الله صل الله عليه وسلم وله شرح على عشرينية الفزاري يسمى بالنفحة العنبرية في حل الألفاظ العشرينية .

وقد اشتهرت عدّة أحياء تعرف بفرق المداحين[7] خاصة في مدينة تنبكتو، الذين يحيون هذه الليالي بالمديح وفي ليلة 12ربيع الأول يخرجون إلى الشوارع وهم يمدحون رسول الله صل الله عليه وسلم

مهيب ت645هـ ينظر: كارل بروكلمان ،تاريخ الأدب العربي ج5،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة مصر، د،ت،ط، ص ص 231-232.

[1]-السعدي، مصدر سابق، ص 33.

[2]- التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج مصدر سابق، ص340.

[3]-السعدي، مصدر سابق، ص 34.

[4]- البرتلي، مصدر سابق، ص69.

[5]- مطير سعد غيث، الثقافة العربية الإسلامية مرجع سابق ،ص 378.

[6]- الآلوري عبد الله آدم، موجز تاريخ نيجيري مرجع سابق ،ص 62.

[7]- هناك عدة فرق خاصة في تنبكتو اشتهرت بمدحها للرسول صل الله عليه وسلم وشكلت مجالس لها حسب الأحياء التي تسكن فيها، فنجد مجلس أهل جنكري بير ويعتبرون المؤسسين الأوائل لهذه المجالس باعتبار أن الشيخ أبا القاسم التواتي يسكن في هذه الحارة قرب المسجد، وهو أول من بدأ هذا كما أسلفنا، ومجلس أهل سنكري نسبة الى حي سنكري ومسجدها العتيق،ونجد مجلس أهل باجندي وهو في حارة أشياخ القاضي أحمد بابا التنبكتي ،مجلس الرقاقدة وهو في موضع يسمى تكبند قرب زاوية الشيخ أحمد بن عمر الرقادي (ت في ق 11هـ-17م)، إضافة إلى مجلس أهل الشيخ سيد المختار الكنتي، مجلس أهل أروان، مجلس أهل

ويضربون الطبول ومعهم الناس رجالاً ونساءً، وتزين المساجد وتقدم الوجبات والأطعمة للمداحين ،وتستمر هذه الاحتفالات طيلة هذه الأيام إلى يوم 18ربيع الأول وهو يوم عقيقته[1] صل الله عليه وسلم، أين يتوجه الناس إلى المساجد لحضور ختمة هذه الاحتفالات والتي لا تؤدي إلاّ بحضور الحكام والقضاة والأئمة والعلماء، حيث تتلى فيها أجزاء من القرءان الكريم ودعاء الختم، وبعدها يقوم القضاة بمنح الهدايا والأجور للمداحين نظير عملهم وجهدهم في المديح[2]، ثم يتوجه الناس لتناول وجبة الغذاء التي كانت تعد من طرف المحسنين وأهل الفضل ،وتجتمع تلك الأطعمة في مكان واحد وتوزع على الحضور ممن حضروا ختم الاحتفال وكان بإشراف القضاة وتنظيمهم،كما كان القضاة يحثون طيلة هذا الشهر التجار والصناع بترخيص الأسعار على الناس كيفما كانت ومهما بلغت ترخص بثمن خمسين بالمئة ،وهذا الترخيص يعتبر بمثابة الضريبة التي كانت تؤخذ عليهم[3]،كما كان بعض الصناع يقدم هدايا للقضاة والأئمة والمداحين مثل ما فعلت بعض الأسر التي كانت تقوم بالأسكفة فقد أهدت نعالاً مصنوعة من الجلود[4].

أما النساء فكن يقومن في هذه المناسبة بإعداد الأطعمة والأشربة مثل ما كان يصنع من الشراس[5] الخارج من الأشجار ويمزج بالسكر والفلفل ويضاف اليه بعض المحليات توضع في أكواب وتوزع على القراء والمداحين ،ومنها حلاوة (جمنت) التي تصنع من الفول السوداني وتضاف إليه بعض المعسلات

الساحل والذين كانوا يمدحون من قبل مع الأروانين ثم انفصلوا فيما بعد وشكلوا مجلس خاص بهم وكان بموضع قرب مسجد سيدي يحي التادلسي من جهة الغرب، مجلس أهل كبر وهذا المجلس في حارة قرب مدينة تنبكتو تسمى كبر. أنظر: التنبكتي الأرواني محمود محمد ددب، من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو، الرباط المملكة المغربية، 2011،ص162الى 164.

[1]– فرياني بطل شعبان ،العامة في صنغي، مرجع سابق، ص145.

[2]–كعت، تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص 124، زمان عبيد وناس، مدينة غاو مرجع سابق، ص174–175.

[3] – السعدي، مصدر سابق، ص 59، زمان عبيد وناس، مرجع سابق ص 175.

[4]– الطوخي وداد نصر، الصناعات والحرف في السودان الغربي، مرجع سابق، ص135.

[5]– لعلها ذلك الشراب الذي يصنع من طحين يخرج من شجر العرعار يسمى "تاجموخت" وقد شربته في موريتانيا في ماي 2016.

والتوابل[1]، ومنها كذلك (الكور) وهو من الفواكه ،وبعض الأشربة التي كانت تصنع من الحليب والذرة والعسل (الدغنو) وتضاف إليه بعض التوابل والماء البارد وينقع في قدر كبير ليبرد، ومنها ليمون هري وهو شراب مصنوع من الليمون ،وكانت تقدم للقراء والمداحين طيلة أيام الاحتفال[2]. إضافة إلى البخور والعطور المحلية الصنع والتي كانت تعطر بها مجالس المديح والمساجد في هذه المناسبة.

2-الاحتفال بقدوم شهر رمضان: وعادة تبدأ هذه الاحتفال باجتماع لجنة الأهلة المكونة من العدول والأئمة برئاسة القاضي لمراقبة هلال رمضان[3]، فما إن تثبت رؤيته حتى يتم الإعلان عن ذلك للناس وتزف لهم بشارة ثبوت رؤية هلال رمضان ،وقد كانت العامة في بلاد السودان الغربي يستعدون لهذا الشهر الفضيل بشتى أصناف الأطعمة[4] والحلوى[5]، ويكثرون من قراءة القرآن والتردد على المساجد من أجل صلاة التراويح والسماع لشروحات كتاب الشفا للتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي، وكذا شرح صحيح البخاري، وكانت هذه الحلقات يحضرها القضاة وكبار الدولة[6]، بل أن القاضي هو من يكافئ هؤلاء الشراح في آخر أيام رمضان من خلال تلك العطايا والمنح التي كان يمنحها لهم ،وتستمر هذه الاحتفالات طيلة ليالي رمضان الى ليلة القدر التي تنطبع

---

[1]- التنبكتي الأرواني محمود محمد ددب، من تراث تنبكتو والساحل، مرجع سابق، ص166.

[2]-المرجع السابق ، ص 167.

[3]- الغربي محمد، بداية الحكم المغربي مرجع سابق، ص 620.

[4] – من هاته الأطعمة: (الكوبيبي) وهو عبارة عن رقائق من عجين القمح يصنع على شكل أوراق بسمكها تنشف بالنار الخفيفة ثم تحشى باللوز واللحم وتغلف بأوراق أخرى حتى تصبح على هيئة رغيف الخبز وعندها تقلى بالزبدة ويوضع عليها دقيق السكر أو بعض العسل، وهناك (فيتاتي) وهو عجين مقطع مع الزبدة بعد نضجه ويؤكل مع العسل، (الكاتية) وهي عجين يدخل في تحضيره القمح والزبدة والبيض ويقلى في الزبدة ويغطس في العسل ويكون ذلك بعد نضجه، (القطيفة) وهي عبارة عن عجين مقلى بالبيض والعسل والسمسم، (الطاوسا) وهي سميد من القمح أو الذرة أو الأرز ينضج على النار بدون مرق ويتناول باللبن، وكانت هاته الأطعمة يكثر استعمالها في شهر رمضان. ينظر: الغربي محمد، مرجع سابق، ص ص 614-615.

[5]– مثل الحلوى الشعبية المعروفة (بديميتا) وهي ذات شكل مستدير، تحضر من الفول السوداني ودقيق الأرز والتوابل والعسل. ينظر ينظر : المرجع السابق ،ص 615.

[6]–السعدي، مصدر سابق، ص ص 34-43، غرياني بطل شعبان، مرجع سابق، ص 143.

باحتفال خاص يطبخ فيه الطعام[1] ويأتى به إلى المساجد وتحي هذه الليلة حتى مطلع الفجر[2] يكثر فيها الناس من قراءة القرآن والدعاء والتضرع لله سبحانه وتعالى. قال كعت "إذا كانت ليلة يأمر بعض كبار الناس بطبخ الطعام، ثم يحمل المطبوخ في المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادى قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها والقدح على رأسه وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيماً له "[3].إضافة إلى كثرة التزاور والتكافل فيما بين أهل السودان الغربي .

3-الاحتفال بعيد الفطر والأضحى: فتتم بمجرد رؤية هلال شوال التي لا تؤكد إلاّ عن طريق القاضي بعد أن يجتمع مع العدول ويعلنون ذلك، فتهتز المدن السودانية خاصة تنبكتو بالتهليل والتكبير وزغاريد النساء تعبيراً عن فرحهم بالعيد، وفي صباح يوم العيد ينطلق الرجال الى المساجد ليؤدوا صلاة العيد والتصافح فيما بينهم[4]، وكان القضاة والأساكي من أوائل المهنيئين بعيد الفطر.

أما عيد الأضحى فكانت المدافع تطلق من أبراج قصبة تنبكتو[5]، ويخرج السلطان والقاضي إلى المسجد حيث لا تنحر أي أضحية قبل أضحية السلطان والقاضي ثم بعد ذلك يشرع العامة في نحر أضاحيهم، وعادة تستمر الاحتفالات بالعيدين طيلة سبعة أيام تقام خلالها ألعاب الفروسية وتصدح الموسيقى في الطرقات[6] ويكثر التغافر والتزاور والتكافل في هذه الأيام.

---

[1]- من أهمّ الأطعمة التي تعد خصيصاً لهذه الليلة خبز يصنع ويحلى بالعسل أو السكر مذاقه حلو ،ويسمى (شوبال) يصنع خصيصاً لهذه الليلة ،حيث يطرق الشباب أبواب الديار وهم يرددون "يالله يارحمان صل على محمدنا ياجولوبي ،ياهوروبي صل على محمدنا ،سكرتو بيمدرتوبي صل على محمدنا ..."ومعنى ذلك في الفلانية هو يا من يصومون ويصلون، صلوا على محمدنا، ويامن يزكون بنوعيها زكاة الفطر وزكاة المال ،صلوا على محمدنا ،فتخرج النساء من منازلهن ليتصدقن بالخبز الذي صنعنه ويقدمنه للشباب "ينظر :الشيخي حسن على إبراهيم ، تأثير الإسلام وثقافته، مرجع سابق، ص 380.

[2]-الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء مرجع سابق، ص 83.

[3]- كعت محمود، تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص 180.

[4]- السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان مصدر سابق، ص 213.

[5] - الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري مرجع سابق، ص83.

[6] - الغربي محمد، بداية الحكم المغربي مرجع سابق ، ص620-621.

4-الاحتفال بالأعراس: كان أهل السودان الغربي يحتفلون بالأعراس بداية من الخطبة التي تتم في منزل والد الفتاة المخطوبة، وتكون على نفقة الخاطب الذي يرسل كميات من ثمار الكولا والحلوى لتوزيعها على الأصدقاء والأهل والجيران وبعض العلماء والقضاة ممن يعتبر وجودهم في هذه المناسبات من باب احترامهم وتقديرهم،كما يقوم الخاطب بإهداء الفتاة المخطوبة كميات من الثياب والروائح والعطور[1]، ثم تقام وليمة صغيرة للحضور تقرأ فيها الفاتحة ودعاء الختم في هذا الجمع وهذا دليل على قبول الخطوبة والاستعداد للزواج .

أما في عقد الزواج فيتم احضار الشهود والقاضي وكذا الزوج والزوجة ووليها، ويطلب من الزوج المهر المتفق عليه والذي يشهد عليه القاضي والشهود، وعادة كانت هذه المهور غير محددة بل تترك على حسب استطاعة العريس[2] واتفاقه مع ولي العروس، وهي في العادة تختلف من جماعة لأخرى على حسب المركز المالي والاجتماعي لكل من المرأة والرجل، لكن المهم ليس في المهر بل في الهدايا المختلفة التي كانت تشكل ظاهرة بارزة فهناك هدية العيدين، ونقود التحية، ونقود الدعاء، ونقود تحديد يوم العقد والصداق، وبعد ذلك يحدد مبلغ آخر لعقد القران[3]، ويشمل هذا المبلغ قيمة ثمن جوز الكولا الذي يقدم في الحفل للضيوف والأقارب، كما يدفع العريس مبلغاً من المال للشيخ الذي يعقد القران وعادة يكون القاضي هو من يعقد الزواج ويوثقه مع الشهود، ثم تقرأ فاتحة الكتاب ويختم المجلس بدعاء يتلوه القاضي يبارك فيه للزوجين ويهنئهما[4]، ثم بعد ذلك تبدأ احتفالات الزواج والمتمثلة بليلة الحناء وهذه العادة انتقلت إلى بلاد السودان من بلاد المغرب، ثم تقام وليمة يدعى لها جمعاً غفيراً من

---

[1]-الشيخي حسن علي إبراهيم، مرجع سابق ،ص373.

[2]-السيوطي عبد الرحمن، الحاوي للفتاوي، مصدر سابق، ص 379، الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري مرجع سابق، ص 49.

[3]-الشيخي حسن علي إبراهيم، مرجع سابق، ص 373.

[4]- زمان عبيد وناس، مدينة كاو مرجع سابق، ص ص 173-174، وانظر ولد الناتي محمد الأمين، الثقافة الشنقيطية مقاربة نسقية، مرجع سابق، ص 320.

المدعوين[1] ثم تزف العروس إلى بيت عريسها في جو من الأفراح والأبهة، وتستمر هذه الاحتفالات من ثلاثة أيام إلى أسبوع .

وقد صورت لنا بعض المصادر توثيق لعقود الزواج في مدينة تنبكتو سنة 1077هـ وهي ترجمة للنظام المتبع في عقود الزواج ونصهما كالآتي :

-العقد الأول :"الحمد لله وحده ولا يبقى إلاّ وجهه والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فليعلم كل من وقف على هذا الكتاب من القضاة والفقهاء والطلبة وغيرهم من جماعة المسلمين أن عائشة بنت محمد الشكاط قد تأهلت ابنتها من الحسن بن محمد بن أحمد سداسة بمحضر الشهود فهم حير بن عيسى بن المختار ومحمد البكري بن مومات والمبارك بن محمد بن جابر ومومن بن عبد الله وقع هذا وثبت بتاريخ المكمل مائة وسبع وسبعين بعد الألف 1077هـ من الهجرة ."[2]

أما العقد الثاني فنصه: "فليعلم كل من وقف على هذا الكتاب من قاض وفقيه وطالب أن مسعودة بنت عمر قد أشهدت جماعة منهم خير بن عيسى ولبيت بن أحمد ومحمد بن جابر وشظيف بن محمد بن سليمان السوقي ومحمد برمنك بن واحتم،أنها قد أعطت بنتها عائشة بنت محمد الشكاط ثمانية خواتم فضة والعوض وقع هذا وتثبت بتاريخ عام المكمل مائة وسبع وسبعين بعد الألف"[3] ويستخلص من هذا العقدان أن حرص الناس على توثيق عقود الزواج كانت من الأمور الشائعة في هذه البلاد خاصة في المدن الكبرى كتنبكتو عكس بعض المناطق الأخرى مثل أجزاء من بلاد السيبة التي كان العقد لا يوثق بل يكون شفاهة وهذا ما قد يعرض إلى ضياع حقوق الزوجين خاصة الزوجة في حال الطلاق بل أن هذه العقود تكفل هذه الحقوق ،وكان الناس يقومون بهذا العقد عند القاضي

---

[1]- TRMINGHMM.J.S.IHEINFLUENCEOFISLAMUPOM AFRICA LANDAN.1968.PPP.72-73.

[2]- عائشة الشكاط بنت الحسن بن محمد ،وثيقة عقد زواج ابنتها، مخطوطة في مكتبة جبريل وكوري بتنبكتو ،بدون تصنيف،ورقة (1) ، نقلاً عن الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، مرجع سابق، ص 56.

[3]- المرجع السابق، ص 57.

لثقتهم به ولمكانته التي تبوأها في هرمية المجتمع،ثم أن هذا التوثيق يوضح لنا التنظيم القضائي في هذه البلاد في مسائل الزواج وعقودها،خاصة في تلك المدن التي بلغت أشواطاً متقدمة في جوانب من الحضارة عكس بعض المناطق التي لم تعرف هذا.

5-الاحتفال بخروج وعودة ركب الحجيج: وهي من المناسبات التي لها أثر في نفوس أهل المنطقة لما لها من شوق ورغبة في حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه محمد صل الله عليه وسلم، وقد خصت لها مراسيم احتفائية تبدأ باجتماع ركب الحجيج في ضيافة أحد الأعيان وتقام لهم الولائم لمدة ثلاثة أيام وفي اليوم الأخير يحضر السلطان والقاضي والعلماء لتوديعهم إضافة إلى عامة الناس[1] في جو يملأه الفرح والتهليل والمدائح بعد أن يحرجوا من المسجد الذي كانوا فيه لتوديع الناس، وعادة أن هذه الرحلة أو الركب يترأسه شيخ يسمى شيخ الركب[2]، إضافة إلى قاضي مما يضفي على هذه الرحلة أهمية كبرى لما قد يتعرضون له من نوازل وأحكام وأحداث أثناء السير إلى الحج، فكان القاضي هو من يفصل فيها،كما كان للقضاة دور كبير في مساعدة الغير قادرين على الحج وحملهم معهم لأداء هذه الفريضة[3]، وبعد أداء هذه الرحلة المقدسة وفي طريق عودتهم اعتاد هؤلاء الحجاج أن ينزلوا خارج المدينة ولا يدخلوها إلا بعد أن يأتيهم الأسكيا بنفسه ويلاقيهم ويصافحهم ويقدم لهم الهدايا ويقبل أيديهم إجلال ألهم ،وتقام الحفلات وتقرأ القصائد في التهنئة والرجوع من الحج التماسا للبركة من الحجاج[4] .

---

[1]- السعدي، مصدر سابق، ص 293.

[2]- كانت في بلاد السودان الغربي عدة ركاب منها ركب الحج التكروري الذي كان ينطلق من تنبكتو، وقد أسس هذا الركب منذ زمن دولة مالي في عهد السلطان منسا موسى واستمر حتى عهد الاساكي في صنغاي إلى أن تعطل في عهد الباشوات المغاربة ولم يعود كعهوده السابقة، أما في البلاد السائبة فقد عرفت بدورها ركاب الحجيج ابتداءً من القرن الثاني عشر هجري (18م ، كركب الحجيج الشنقيطي، وركب الحجيج الولاتي، وركب الحجيج الوداني، للمزيد من المعلومات ينظر كلا من ،الشامي ابراهيم علي يوسف، الحج وأثره في دولتي مالي وصنغي مرجع سابق، ص ص 97- 107، وينظر: ولد السالم حماه الله، مدن القوافل في موريتانيا ودورها الحضاري من خلال الخطط الدينية وركب الحج مرجع سابق، ص 35إلى 41.

[3]- أحمد مرجان سحر عنتر، فقهاء المالكية مرجع سابق، ص 225.

[4]- كعت محمود، تاريخ الفتاش، مصدر سابق، ص ص 111-112.

القضاة ودورهم في الجانب السياسي والإداري:

نظراً للمكانة التي تمتع بها القضاة في بلاد السودان الغربي، والمستمدة من ثقة الحكام بأحكامهم واحترام الناس لأوامرهم، فقدكانت لهم أدوار توجيهية في الجانب السياسي، خاصة بعد تولي الأسكيا محمد الكبير الحكم بعد نهاية سني علي، حيث حرص على تقريبه العلماءومنهم القضاة، وإكرامهم، والاستنصاح بعلمهم والاستشارة بأفكارهم، كما فعل أيضا سلطان كانمحمد بن يعقوب رمفا(ت904هـ/1499م)، وقد اتصلا بالإمام المغيلي وطلبا منه أن يوضع لهما الطريقة الصحيحة في الحكم والقواعد التي يمكن لهما أن يسيرا عليها في بناء الإمارات السياسية، وهو ماتجلى في رسائله التي تخص فقه السياسة الشرعية لتسير شؤونها.

-1- **رسالة الإمام المغيلي للأمير كانو**:بقي الإمام المغيلي سنوات في ممالك بلاد الهوسا، متنقلاً بين تكدا، وأقدز، إلى كاتسيناومنها إلى كانو، يحث الناس إلى دين الحق ويأمرهم بالالتزام بطاعة الرب، ونشر العلم، وقد اجتمع بأمير كانو محمد بن يعقوب رمفا الذي طلب منه أن يوضع له الطريقة الصحيحة في الحكم والقواعد التي يمكن أن يسير عليها في نظام الحكم، وهذه الرسالة التي وضعها المغيلي لأمير كانو، تعدّ بمثابة قانون مرجعي لتسير شؤون المملكة لما احتوته من نصائح مثلت في جوهرها المبادئ والركائز التي يشتد بها عود الحاكم وتقوى سلطته[1]،وقد استفاد سلطان كانو من الإمام المغيلي حيث اتخذه مستشاراً له، وولاه القضاء والإفتاء بكانو في الفترة التي قضاها بها، وكتب له هذه الرسالة في الإمارة وشروطها والتي وصلتنا اليوم في كتاب يسمى"تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين"[2]يحضه فيها على اتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جاءت هذه الرسالة في ثمانية أبواب كل باب يتضمن فصل من فصول الإمارة.

[1]- الآلوري آدم عبد الله: الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، دار الحلبي، القاهرة مصر، 1974، ص 39- 40، شترة خير الدين: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي ج2، دار إبن طفيل الجزائر، 2012، ص 440.

[2]- حقق هذا المخطوط محمد خير رمضان يوسف، دار إبن حزم للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1994.

"أما بعد وفقك الله للتقوى وعصمك من نزغ الهوى، فإن الإمارة خلافة من الله، ونيابة عن رسول الله صل الله عليه وسلم، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى، وعليك بتقوى الله[1] "كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما لحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور"[2].

الباب الأول: فيما يجب على الأمير من حسن النية في الإمارة التي هي بلوة بين الهوى والتقوى، فعل كل ذي عقل وأمانة أن يبتعد عنها إلا إذا لم يكن له بد منها، التوكل على الله والإستعانة به في الأمور كلها، أن يكون عملك كله لله، وأن يكون طمعك كله لله، وخوفك كله من الله وهمك كله في خدمة مصالح خلق الله، لأنالله ماولاك عليهم لتكون سيدهم ومولاهم وإنما ولاك عليكم لتصلح لهم دينهم ودنياهم، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[3].

الباب الثاني: فيما يجب على الأمير من حسن الهيئة، وذلك أن يرتدي في رداء الهيبة في الحضرة والغيبة، إظهار حب الخير وأهله، وإبغاض الشر وأهله، زين جسمك وطيب ريحك، وحسن ثوبك بمباح من زينة الرجال غير مشبه بالنساء ولامفسد لبيت مال، ولا تتزين بذهب ولا فضة ولا حرير[4]،وفي الجلوس أن يجلس بالوقار من غير عبث ولاقهقهة مع غض البصر وكف السمع عن أقوال الوشاة[5]، وخفض الصوت[6]، وحفظ اللسان عن كل حرام، وبالأحرى الكذب وخلف الوعد، وأقبح القبائح كذب السلطان وكبر الفقيه، عدم الغفلة عن الأمور التي أمرت بها حتى تبلغ المقصد المرجو منه، عدم تقصير خطوتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك، وفي دائرته يجب

[1]- المغيلي: تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين مصدر سابق، ص15- 16.

[2]- سورة آل عمران : الآية 185.

[3]- المغيلي: تاج الدين مصدر سابق، ص 17- 18.

[4]- المصدر السابق: ص 19.

[5]- المصدر السابق: ص20.

[6]- المصدر السابق: ص21.

عليه أن يقرب منه الأخيار من العلماء الذين عرفوا بالصلاح والتقوى، ويبتعد عن الأشرار الجهال الفجار، وفي جانب بيت المال أن يؤثر الرعية عن نفسه، فلا يكن عبد توب ولا حصان ولا عبد سباط ولا مكان، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[1].

الباب الثالث: فيما يجب على الأمير من ترتيب مملكته، فيجب عليه أن يرتب نظام مملكته على صلاح رعيته لأنه راع فيهم وهو مسؤول عن رعايتهم و ليقوم بذلك لابد له من الآتي:

عقلاء يشيرون، وخدام بالحضرة يتصرفون، وأمناء يقبضون ويصرفون، وكتاب وحساب يحفظون، ورسل وجساس، وحفظة وعساس[2]، علماء ثقات يرشدون، وأئمة فضل يجمعون، وعدول يشهدون، محتسبون يكشفون ويصلحون، وأرباب شرطة يزجرون، وشفعاء يشفعون، وقضاة ثقات يفصلون، ورجال معظمون لوجه الله، وعمال يجبون حق الله، ووزراء لا يخشون إلا الله، حصن حصين مكفي بالخزائن[3]، وخيل خديدة[4]، وظهور شديدة[5]، ورجال شجعان، وعداد كثيرة، وأطباء أمناء يطبون الناس لئلا يحتاجون إلى الخروج إلى غير البلدة، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[6].

الباب الرابع: فيما يجب على الأمير من الحذر بالحضر والسفر، يجب على الأمير إظهار القوة، الزهد في الصاحبة والولد[7]، الرغبة في الإبطال والعدد، لا يقرب من طعامك وشرابك وفراشك وثيابك إلا أقرب أحبابك، لا تفارق الدرع والسلاح، لا يقرب منك إلاّ أهل الأمانة والصلاح، لا تنم بغير

---

[1]- المصدر السابق: ص 22-23-24.

[2]- المصدر السابق: ص 25.

[3]- المصدرالسابق:ص 26.

[4]- وهي الخيول القوية والسريعة التي تحبس خصيصاً للجهاد وتكون قد اشترت من بيت المال، ينظر :الآلوري آدم عبد الله: الإمام الإمام المغيلي مرجع سابق، ص 51.

[5]- ظهور شديدة يقصد بها الإبل التي تحمل الطعام والزاد للفقراء، ينظر: الآلوري آدم عبد الله: نفس المرجع.

[6]- المغيلي:تاج الدين مصدر سابق، ص 27- 28.

[7]-المصدر السابق: ص 29.

مكان آمن، غير مرقدك في كل حين، أترك زيك المعروف في كل مكان مخوف[1]، ثق برجال عساس شجعان، ورماة، وفرسان، وليس وقت الخوف كوقت الآمان، أكتم سرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك، خذ حذرك من النمامين ولو كانوا أكثر من سبعين، لاتغتر بظواهر الرجال، كن كيساً فطناً في كل حال، أزل كل حصن لاتقدر عليه لئلا تستند أعداؤك إليه فتنقسم الرعية وتعظم البلية، خف من الحبل لئلا تلسعك الحية، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[2].

الباب الخامس: فيما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور، فيجب عليه كشف الأمور التي يجهل في رعيته بالعدول والأمناء[3]، كأمور المسجونين واليتامى والسفهاء، وبأمر يرفعه إليه ليتولى أمرهم أمرهم بنفسه، ثم يسأل عن الإرث فيما يخص اليتامى وضعفاء البنين الذين يتوفى آباءهم، ويسأل عن بيت المال وأرزاق العمال[4]، ويتفقد أحوال عماله ويختبر أحوالهم، ويحصي قبل الولاية أموالهم، ويتفقد في كل حين أعمالهم، فيزجر من ظهر تقصيره، وكل من خشي منه ظلم عزله، وكل من تكررت فيه الشكوى من غير بيان أبدله إن وجد بدله، وأن يكشف عمن قوية فيه تهمة الفساد إن شهد بوجود علاماته كشف الأمير عن بينة فإن وجده فيه نكله وكسره وإلا توعده وزجره، إقامة الحدود على شاربي الخمر والزناة مع التعزير والزجر في حالة الشك، أن يكشف عن أخبار الأعداء بالجساس الأمناء في كل أوان من فتنة وأمان حتى لايخفى عليهم بشيء من حركاتهم وسكناتهم في كل زمان[5]، أن يكشف عن ذم النمامين ومدح المداحين فكم قربوا من بعيد وكم بعدوا من قريب، وكم حبسوا من عدو، وكم كرهوا من حبيب، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[6].

---

[1]-المصدر السابق: ص 31

[2]- المصدر السابق: ص 32- 33.

[3]- المصدر السابق: ص 34.

[4]- المصدر السابق: ص 35.

[5]-المصدر السابق: ص 36- 37- 38.

[6]- المصدر السابق: ص 40.

الباب السادس:فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام، فيجب عليه العدل، فالعدل: أن يوفي كل ذي حق من حقه من نفسه ومن غيره.

الإحسان: أن يتفضل من نفسه لامن غيره.

فمن العدل أن يسوي بين الخصمين في دخولهما، وجلوسهما، والنظر إليهما، والكلام معهما وغير ذلك من شأنهما[1]، لايقبل من الشهود إلا عدلاً، لا يعدل إلا بمشهور مذهب إمامه[2]، إقامة العقوبات حسب الجريمة، كالحبس، الجلد، التعزير، التهديد، التغريم، كل ذلك بالتقوى لابالهوى ليس كل الناس سواء، لابد للأمير أن يجلس كل يوم للناس بحيث يصله النساء والأطفال، ولايكفيه مانصبه من القضاة وغيرهم من العمال لأن شكوى الرعية قد تكون منهم، فواجب عليه أن يزجرهم عنهم، وإلا فهو كسلم الدار لأربابها أو ماسك قرون البقر لحلابها، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[3].

الباب السابع:في مجبي الأموال من وجوه الحلال، فيجب على الأمير ألا يجبي الأموال إلا من حيث أباح الله له[4] قال تعالى" ومن يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً "[5]، وبقاء السلطنة هو كفها عن أموال الناس بأن لايطلب منها شيئاً وألا يطمع فيها، تبين الأمور التي أحل الله للأمراء قبضها وصرفها، زكاة العين والحرث والماشية، وزكاة المعدن، وزكاة الفطر،

---

[1]-المصدر السابق: ص 41.

[2]- المصدرالسابق:ص 43.

[3]- المصدرالسابق:ص 46- 47.

[4]- المصدر السابق: ص 48.

[5]- سورة الطلاق: الآية 01.

وخمس الركاز[1] والمعادن، وخمس الغنيمة، وأموال الجزية والصلح، وما يؤخذ من تجار أهلها، وتركة لاوارث لها، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلاحرب[2].

ومن الأموال التي حرم الله على الأمراء أخذها كظلم ومنها، ما يأخذه الأمير على ولاية القضاء أو غيره وهو حرام بإجماع المسلمين وذريعة لإفساد الدين وفتح لأبواب الرشوة وقهر المساكين[3]، ومن الظلم كذلك المكس[4] فهو حرام بالإجماع، ومن الظلم أخذ العشر من أرباب الحقوق والتركات، ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية[5].

الباب الثامن: في مصاريف أموال الله، يجب على كل من بيده شيء من مال الله ألا يصرفه إلافي المصارف التي شرع الله قال تعالى"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"[6] وقوله "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[7]، وأن يصرفها بالكرم لا البخل والتبذير، والكرم بذل مايحتاج إليه عند الحاجة المستحقة بقدر الطاقة، فمن خرج عن هذا الحد فقد تعدى وظلم ولاحظ له من الكرم، وهو إما بخيل أو مبذر في أرزاق بيت المال، وكل منهما خراب للمملكة[8] على كل حال، ثم بين أن مال الله قسمان:

---

[1]- هو الكنز الذي يوجد مدفوناً، يكون فيه الخمس ويصرف مصرف الزكاة، وقد إختلف الفقهاء فيه من حيث وجوده هل وجد في دار إسلام أم في دار كفر، وهل وجد في أرض موات أم في أرض مملوكة ينظر: الماوردي:الأحكام السلطانية مصدر سابق، ص120.

[2]- المغيلي: تاج الدين مصدر سابق، ص 49.

[3]- المصدر السابق: ص 50- 51.

[4]- هو الضريبة التي تفرضها الدولة على شعبها كل حسب وظائفهوأعماله، وكان يطلق عليها كذلك إسم (الكنابية)ينظر: السعدي : ص224.

[5]- المغيلي : المصدر السابق، ص52.

[6]- سورةالمائدة:الآية 45.

[7]-سورة الشعراء: الآية 227.

[8]- المغيلي: تاج الدين مصدر سابق، ص54.

الأول: زكاة العين والحرث والماشية، وزكاة المعدن، وزكاة الفطر، ومحل صرف هذه الأصناف باستثناء زكاة الفطر[1] فهي في الأصناف الثمانية التي ذكرت في القرآن الكريم قال تعالى "إنما الصدقات للفقرآء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"[2]، ويجب صرفها محل الوجوب ناجزاً إن وجد به مستحق وإلا نقلت لأقرب مكان فيه مستحق ويقدم الأهم فالأهم، الأحوج فالأحوج، ويفضل بعضهم على بعض بقدر الحاجة، أما زكاة الفطر فتصرف للصنفان الأوليان(الفقراء والمساكين) فقط وتصرف في محل وجوبها[3].

الثاني: وهو الفيئ، كخمس الركاز، والمعادن، وخمس الغنيمة، ومايؤخذ من أهل الذمة، وأهل الصلح، ومايؤخذ من تجارهما، وخراج الأرضين، وتركة لاوارث لها، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلاحرب، وحكم ذلك كله للإمام يصرفه بالتقوى لا الهوى على الأهم فالأهم من مصالح المسلمين وهو واحد منهم، من أجور العمال، وشراء سلاح، وتحصين حصون وغيره من أوجه الإنفاق العام[4].

-2- **أجوبة المغيلي على أسئلة الأسكيا محمد الكبير**: بعد ما قضى الإمام المغيلي مدة بلاد الهوسا عند أمير كانو، إتجه إلى مملكة صنغاي التي كان يحكمها الأسكيا محمد الكبير، بعدما طلب منه هذا الأخير القدوم إليه وتقديم النصح والاستشارة في شؤون الإمارة وتنظيمها في سلمها وحربها.وكان هذا النصح في شكل ممارستي لعملية القضاء والإفتاء في مدينة غاو، وكذا في شكل توجيهي استرشادي من خلال أسئلة الأسكيا وإجابات الإمام المغيلي عليها، وتعتبر هذه الأسئلة مهمة من حيث السياق التاريخي كونها تتعلق بمسألة الحكم، ثم أنها مثلت أرضية عولجت من خلالها أوضاع السودان الغربي، خاصة مملكة صنغاي وماكانت تعيشه في زمن الملك سني علي في مجالات

[1]- المصدر السابق: ص 55.

[2]- سورة التوبة: الآية 60.

[3]- المصدر السابق: ص 55.

[4]- المصدر السابق: ص 56- 57- 58.

عدة منها السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية، وقد جاءت هذه الأسئلة على النحو التالي:

الأسكيا محمد: يسأل الإمام المغيلي[1]: "مذ من الله علينا بالإسلام أصابتنا مصيبة في هذا البلد لعدم الأمانة، فيمن ينسب إليه من العلم من قراء بلادنا، ومن صفتهم أنهم عجم لا يفقهون من كلام العربية إلاّ قليلاً من كلام عرب بلادهم، على تصحيف وتحريف وعجمة عظيمة، بحيث لايعرفون مقاصد العلماء ولا موضع التصحيف والتحريف، ومع ذلك لهم كتب يدرسونها وحكايات وأخبار، ومفسرون يتكلمون في دين الله، ويزعمون أنهم من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وأنه وجب علينا الاقتداء بهم، وأنا أطلب من الله ثم منك أن تفتي لي بما علمك الله في هؤلاء القراء، هل يجوز لي أن أعمل بقولهم في دين الله ويخلصني تقليدهم عند الله أولا يحل لي ذلك، ويجب علي البحث عمن نوليه الحكم ونقلده في أمور الدين؟، وبين لنا صفة من يصلح لذلك شرعاً؟، ثم أطلب منك أيضاً أن تشفي غليلي بترتيب الأجوبة عن هذه الأسئلة بزيادة ما تيسر لكم من النصيحة أيضاً.

وقد جاءت **إجابة المغيلي**[2]للأسكيا محمد بأن ذكره بعدة أشياء أهمها:

أن الملك لله وحده وأنك مملوك لا مالك، ونبهه بأن يتذكر أن الله رفعه على كثير من عباده بأن منحك هذا الملك لكن في نفس الوقت لاتتكبر عليهم وتكون سيداً عليهم، وإنما وجب عليك أن تصلح من حالهم في أمور الدين والدنيا، لأنك راع والراعي مسئول عن رعيته، وقدم الإمام المغيلي جملة من الأحاديث النبوية التي تدعو الى إقامة العدل وإحقاقه بين الناس، وتحث على البعد عن الشر والظلم، ويذكر المغيلي الأسكيا محمد بأمرين هما:البعد عن أهل الشر، والتقرب من أهل الخير[3] لأنهم يستأنسونك بخيرهم، وتميل إلى طبعهم، لأنك إذا قربتهم منك فقد مكنتهم من أذنك، ومن

[1]- المغيلي: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي مصدر سابق، ص 22.

[2]-المصدر السابق، ص23

[3]- المغيلي: مصدر سابق، ص24.

مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك لأن الأذن زمام القلب، واستشهد بمقولة مالك بن أنس" لأتمكن زائغ القلب من أذنك"، وقال بعض الحكماء:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه............. فكل قرين بالمقارن يقتدي.

ثم أنشد المغيلي هذه الأبيات للتعبير عن هذا[1].

إذا قرب السلطان أشرار قومه....... وأعرض عن أخبارهم فهو طالح.

وإن قرب السلطان أخيار قومه..... وأعرض عن أشرارهم فهو صالح.

وكل امرئ ينبئك عن قرينه......... وذلك أمر في البرية واضح.

ثم يوجه المغيلي الأسكيا إلى ضرورة أن يسأل أهل الذكر عن كل مالايعلم حكمه في تصرفاته ليحكم بما أنزل الله واستشهد بقوله تعالى" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"[2]، وقوله تعالى" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"[3]، وقوله تعالى" فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"[4]، وقد خصص الإمام المغيلي أهل الذكر بالتقوى والعلم وهما منبعا الصلاح والرشد وبهما يتميزان عن الغي الذي يستوجب النهي عنه، ونبهه إلى ضرورة حفظ الدين من العلماء المفسدين، ولا تتيح الفرصة للتحدث في دين الله إلا لمن ثبت صلاحه وتقواه قبل علمه ونصحه من العلماء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله[5] مصداقاً لقوله تعالى" يا أيها الذين آمنوا إن كثير من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله "[6]لأن بسبب هؤلاء العلماء يشاع الفساد في جميع البلاد، لذا وجب محاربتهم والتحذير منهم ومن أنصارهم وهذا يدخل

[1]- المصدر السابق: ص25.

[2]- سورة المائدة : الآية 44.

[3]- سورة المائدة : الآية 45.

[4]- سورة النحل: الآية 47.

[5]- المصدر السابق: ص25.

[6]- سورة الأنبياء: الآية 07.

في حفظ الدين الذي هو من أعظم المقاصد، ثم **يسأل الأسكيا**[1]: إن كثيرا من علماء هذه ليسوا من أهل الذكر إنما هم علماء السوء الضالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، ولكن كثير منهم يقرأ القرآن والحديث ويسرد كثير من نصوص الكتاب، ويزعم أنه من أهل الذكر، وينكر أنه من علماء السوء فبأي شيء نفرق بين أهل الذكر وعلماء السوء، وكيف يفعل من ولى شيئاً من هذا الأمر ولم يجد في بلده أحد من أهل الذكر، **فيجيبه المغيلي**[2]: بأنه يلتبس حال أهل الذكر بحال علماء السوء أصلاً لا قولاً و لا فعلاًبل لابد أن يجعل الله لكل هاد من أهل الذكر أنواراً في كل عصر من العصور هداية لسهم الجنة وحجة على سهم النار، وبيان ذلك أن من حكمة الله تعالى أن لايعذب قوماً حتى يبين لهم مايتقون وتلك سنة الله في الأولين والآخرين لئلا يقولوا يوم القيامةإن كنا عن هذا غافلين، ومن حكمته جل وعلا أن جعل ذلك البيان على لسان البشر من الأنبياء في الآخرين، وأهل الذكر في الآخرين وجعل لكل هاد منهم عدو من المجرمين، وهم شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، فلابد إذن من نور واضح يعلم به صدق الهادين وكذب الشياطين، واستدل بذلك بفعل الأنبياء والمرسلين الذين أيدهم الله بخوارق العادات، بينما أهل الذكر بالأعمال الصالحات من أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإصلاح أمور الناس والعدل بينهم ونصر الحق على الباطل والمظلوم على الظالم، بخلاف علماء السوء وبالتالي يكون علماء أهل الذكر غرباء بينهم لإنفرادهم بصفاء أحوالهم وقلة أمثالهم، ومن هنا يتبين أنهم من الصالحين وأن من خالفهم وشقاقهم ليصرفوا الناس عنهم، إنما هم من المفسدين، واستدل بحديث رسول الله صل الله عليه وسلم"بدء الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يارسول الله؟ قال الذين يصلحون عند فساد الزمن"[3] وذلك من أبين علامات علماء أهل الذكر الذين يحدد الله للناس بهم دينهم، ثم يسترسل المغيلي منبهاً الأسكيا محمد عن كيفية اختيار من

---

[1]- المغيلي: مصدر سابق، ص 26- 27- 28.

[2]- المصدر السابق: ص29- 30- 31- 32- 33.

[3]- الحديث أخرجه مسلم في صحيحيه باب أن الإسلام جاء غريباً، والترميذي في باب الإيمان، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول ج1، ص275-276.

يقصدهم بالسؤال في قوله (فمن تبين لك أنه عالم تقي فهو من أهل الذكر فسأله عن دينه، وقلده نجيتك، ويكفيك كالخبير الذي ظهر لك علمه وأمانته، وأما من تبين لك أنه ليس بعالم، وأنه ليس بتقي، فليس هو من أهل الذكر، فلا تقلده في شيء من دينك، ولا تسأله عنه، مثل مدعي الخبرة الذي يتبين لك أنه يعرف وأنه غير أمين، وأما من لم يتبين لك حاله، أهو عالم تقي أم لا.فقف عنه كذلك لاتقلده في شيء من دينك ولاتسأله مهما كانت فصاحته العربية، أو كان يحفظ جميع مافي بطون الكتب إلى أن يتبين لك بصورة واضحة لاشك فيها أنه عالم ووجب عليك أن تطلب عالماً من أهل الذكر، فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم والسعي إليهم وإن بعدوا، ثم أخبره بضرورة التعجيل في الاستفتاء عن أهل الذكر لأن التأخير هو تضييع لكثير من الأمور يستوجب عليه إصلاحها عاجلاً، ويتضح من هذا السؤال أن الأسكيا محمد كان حريصاً في سياسة بلاده على انتهاج النهج القويم الذي يعتمد على إرساء قواعد الإمارة التي تقتضي إقامة الشريعة الإسلامية في سياسة الملك، ولا يتأتى هذا إلّ من خلال مشورة العلماء وأي علماء، ليس المتطفلين على الدين والذين أصبح يشك في علومهم وفتاويهم، وإنما العلماء أصحاب القلوب السليمة والإيمان الراسخ، الذين يعملون بخوف من الله وصفاء السريرة والقلب، وهو ما أوضحه الإمام المغيلي من خلال تبين طريقة الحكم المبنية على الشورى، ونشر العدل والمساواة، واختبار العلماء المخلصين المشهود لهم بالعلم والصلاح.

المسألة الثانية[1]: وتتضمن حالة أهل البلاد لما كانوا عليه قبل الإسلام، ثم بدخول ملوكهم الإسلام وتأثرهم بمورثهم وعاداتهم الوثنية، خاصة الملك سني علي الذي كان من أظلم الملوك، ولم يكن إسلامه إلا شكلي نظراً لتأثره بتربية أخواله، وهم الوثنين مما أثر على شخصيته وسلوكه، فبالرغم من اعتناقه الإسلام إلا أن سلوكاته لم تمد للإسلام بشيء[2]، فكان يمارس السحر والشعوذة، وأهان العلماء وخرب المساجد، ولم يرى في جامع، ولم يصلي صلاة مكتوبة في وقتها، ولايستطيع رجاله الصلاة

[1]- المغيلي: المصدر السابق، ص34.

[2]- المصدر السابق: ص 35.

خوفاً منه، ولم يلتزم بشروط النكاح في تزويج النساء، فكان يجمع بين البنت وأمها، وينزع المرأة من زوجها، ويحلل دماء المسلمين وأموالهم.، ثم جاء الأسكيا محمد بعد حكم سني علي وملك البلاد وردها عن الشرك والفساد، فمالحكم في سني على وجميع أعوانه من الظلمة الذين كانوا يعملون بعمله في ذلك ولامال لهم إلا من ماله، وهل هم كفار أم لا؟وهل تسترق أولادهم من بعدهم وتباع أمهات أولادهم أم لا؟ و هل يرد ما وجد لأن من تلك الأموال التي نهبوها من المسلمين أوهي كالأموال التي نهبت بين المسلمين والكفار وهل البينة علينا أو على من وجدناه بأيديهم مستعبداً فادعى أنه حرا، وأنهم استعبدوه ظلماً ؟ وهل البينة علينا على من أدعى من خدامهم وأتباعهم فيما بيده من المال أنه ليس لسني علي، وإنما هو ماله اكتسبه من جهة أخرى أو البينة في ذلك علينا مع كونهم تحت يده أو يد أعوانه وهم من خدامهم ومعروف أن أعوانه وخدامه ما يملكون شيئاً مما في أيديهم؟ وهل تلك الأرض التي كانت للكفار ثم فتحها أجدادنا عنوة وحازوها واقتسموها، وكانوا يرعون فيها خلفاً عن سلفهم من ذلك الزمان إلى الآن؟ وهل يجب على المسلمين الكائنين ببلاد هذا الأمير أن يعينوه بقدر طاقتهم على مايراه باجتهاده إذا أراد جهاد الكفار أوغيرهم من أهل الفساد وإرسال الرسل في أمر المسلمين أو ليس عليهم شيء من ذلك[1]؟ فكان **جواب الإمام المغيلي**[2]:أن سني علي وجميع أعوانه وأتباعه وأنصاره لاشك أنهم من أظلم الظالمين الفاسقين الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، وبالتالي وجب الجهاد فيهم من طرف الاسكيا محمد وأخذ السلطنة منهم وهذا من أفضل الجهاد، أما التكفير فلا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة إنما يكون التكفير بأحد الأمور الثلاثة، **الأول**: أن يكون نفس اعتقاده كفراً، كإنكار الصانع أو صفة من صفاته، أو جحد النبوة، **الثاني**: صدور ما لا يقع إلا من كافر، وإن لم يكن كفراً نفسه، مثل استحلال شرب الخمر وغصب الأموال، وترك فرائض الدين والقتل والزنى وعبادة الأوثان والاستخفاف بالرسل وجحد شيء من القرآن، فهذا لأن الإجماع على من ثبت عليه واحد منهما حكمنا بكفره، **الثالث**:أن يقول قولاً يعلم

[1]- المغيلي: المصدر السابق، ص36- 37- 38.

[2]- المصدر السابق: ص 39.

انه لا يصدق إلا ممن لا يعلم الله، وإن كان قائله يزعم أنه يعرف الله، وهذا مختلف فيه بين العلماء هل يكفر به أولا، وهو ما يسقط على سني علي الذي يعتبر كافراً بلاشك وكل من عمل بمثله، أما استرقاق أولادهم فلا أراه وإن ثبت عليهم موجب الحكم بالتكفير، لأن الكفار ثلاثة أصناف[1] **الأول**: من هو كافر صريح بالأصالة كالنصارى واليهود والمجوس ونحوهم، ممن ورث الكفر الصريح عن آبائه، **الثاني**: من كان مسلماً ثم ارتد ارتداداً ظاهرياً، فصرح أنه خرج عن دين الإسلام ودخل في دين غيره من أديان الكفر، **الثالث**: من يزعم أنه مسلم وحكمنا بكفره لأنه صدر منه مالايقع في الظاهر إلاّ من كافر كما ذكرتم في سني علي، فالكفار بأصالة الكفر تسبى ذراريهم ونساؤهم وتقسم أموالهم، ولا خلاف في ذلك بين العلماء، أمّا المرتدين عن دين الإسلام إلى الكفر فلا تسبى ذراريهم ونساؤهم وأما أموالهم فهي في فئ المسلمين، وإذا علمتم ذلك فكل من فعل شيئاً من تلك الأفعال الموجبة للتكفير يستتاب فإن تاب ترك، وإن لم يتب قتل بالسيف كفراً ولاتسترق أولادهم إنما يجبرون على الإسلام[2]، ثم تحدث عن الأموال التي وجدت من نهبهم للمسلمين ووضعيتها ثم أنه وضح الفرق بين نهب الكافر ونهب المسلمين، ثم أجاب عمن وجد مستعبداً وزعم أنه حر فالقول قوله، والبينة عليه فيما زعم، إذا كان الأمر كما ذكرتم، أما الأرض فإن ثبت ما ذكرتم من أن أجدادكم فتحوه عنوة وحازوها، واقتسموها فسكنوها، وكانوا يرعون مراعي بحرها دون غيرهم من المسلمين، فلا أرى عليكم في منعهم ولافي بيع بعض مراعيها لبعضهم، وإن كانت لمن فتحها من المسلمين من غيركم فليس للإمام ولا غيره أن يحجر على المسلمين مياهها وطرقها ولامراعيها ونحوه من مصالح المسلمين، ودعاه إلى ضرورة الرفق والشفقة على المسلمين وتسير أمورهم، وهذا ما يدخل في واجب التعاون على البر والتقوى، لأن المقصد منه درء الفساد وجلب المصالح بحسب الإمكان في كل زمان ومكان[3].

[1]- المصدر السابق: ص 40.

[2]- المصدر السابق: ص 41.

[3]- المصدر السابق: ص 42.

المسألة الثالثة[1]: في حكم الأموال والخدام التي استوليت عليها في البلاد التي كانت تحت حكم سني علي، حيث تركت كل من ادعى أنه حر مسلم، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صل الله عليه وسلم، ومع ذلك يعتقدون بأن هناك من ينفعهم ويضرهم من غير الله جل وعلا ولهم أصنام، وأنا اليوم بينت لهم أن يتركوا ماهم عليه فإن لم يتركوا ماذا أفعل بهم؟

الجواب[2]: إن الملك كله لله والحكم لله من قبل ومن بعد، فاشكر نعمة الله عليك وأتقيه فيما ولاك وقلدك من أمور، وأعلم أن سني علي حمل عليه حمله، على عنقه، واكتسب في حمله حتى انقض أجله فترك ذلك الحمل بينكم، فحملته أنت فاكتسب لنفسك في حمله ما ترجى لك بركته وتحمد لك عاقبته في الدنيا والآخرة، ثم حثه على تثبيت الخير الذي فعله غيره وإزاحة الشر الذي فعله كذلك، ثم ذكره بأنه عبد الله وجب عليه أن يصلح كل ما وصل إليك، ثم أقره على فعله في إعطاء حرية من ادعى أنه مسلم حر، وضرورة إرجاع أموال المسلمين، أما الأموال التي اختلطت وجهل أربابها فهي فئ لبيت مال المسلمين فاصرفها فيما أراك الله من مصالح المسلمين، أما القوم الذين وصفت أحوالهم فهم مشركون بلا شك لأن التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقل من ذلك، فلاشك أن الجهاد فيهم أولى وأفضل من الكفار الذين لا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، لأن هؤلاء الذين وصفت لبسوا الحق بالباطل، فوجب عليك الجهاد فيهم بقتل رجالهم وسبي نساؤهم ذراريهم ونهب أموالهم، فإن صمموا على شركتهم فحرق سدنة بيوتهم لكفرهم، آلهتم بالنار، أما من تركته منهم لزعمه أنه حر مسلم تبين لك أنه كان كافراً فاردده إلى الرق وخذ ماله، إلا إذا تابوا حسن إسلامه فاتركه كما فعلت أول مرة.

المسألة الرابعة: وتتعلق بحكم المسلمين في بلد فيه سلطان ظالم، أو كبيرهم يأخذ أموالهم ظلماً وعدواناً، فهل لي أن أرد عنهم ذلك الظلم، ولو أدى ذلك إلى قتل الظالم أملا؟ وكذلك السلطان

[1]- المصدر السابق: ص43.

[2]- المصدر السابق: ص 44- 45- 46.

الذي يأخذ المكس من الرعية ولا يردع المفسدين، هل لي أن أمنعه بالقتال والقتل أم لا؟، وإذا كان في بلاد المسلمين سلاطين أو كبراء، كلهم أو جلهم يظلمون ويفسدون ولا يصلحون ولا يردعون المحاربين ونحوهم، فيطلب مني بعضهم أن نعينه على الإصلاح وقطع الفساد عن المسلمين، فهل يجوز لي أن نعينه أم لا؟، وهل الجهاد في هؤلاء الكفار الذين هم بقربنا ولكن لا يغزون بلداً من بلاد المسلمين ولا مضرة منهم عليهم، أم أن الجهاد في هؤلاء الكفار أفضل وهم جهال لا يعرفون خالقهم جل وعلا[1]؟، وأيضاً بعض المسلمين في شرقنا وغربنا سمعوا بي وطلبوا أن يدخلوا تحت طاعتي فهل لي أن أجيبهم إلى ذلك، أو نقف على حكم بلادنا التي أورثنا الله عن سني علي، ومالحكم في سلطان ظالم يستولي على بضائع المسلمين ويأخذ أموال اليتامى ظلماً، ويتعرض للقوافل التجارية التي تتردد على بلاده بالتعدي، ويعاونه في ذلك فقهاء محللون لتبرير أعماله الظالمة، فهل يعد مثل هذا السلطان مجرد ظالم أو كافر لأجل تحليل ماحرم الله؟، وما لحكم في أولئك الفقهاء، أيجب تأديبهم بالضرب والسجن الطويل أو أنهم يقتلون وتصادر أموالهم؟، وما لحكم في عمال هؤلاء هذا السلطان الذين يقيمون له بضائع المسلمين ويستولون على بعضها؟، وما لحكم فيمن يشتري هذا المال ونحوه من أموال ويخلطه بماله بحيث لا يعرف أصل ماله مما أشتراه من أموال الناس بالطريقة المذكورة فهل يضم جميع ماله لبيت المال؟، وإذا كان الأمر كذلك فما لحكم فيما أثبت عليه رجل اشترى من ماله المغصوب شيئاً معلوماً قدره ولم يوجد بعينه فهل يعطى هذا الرجل قيمة هذا الشيء من ذلك المال[2]؟.

الجواب: إعلم أن البلاد ثلاثة، **الأولى**[3]: بلاد سائبة ليس لهم أمير، بل مهملون، فهؤلاء أجبهم إلى مبايعتك والدخول تحت طاعتك فإن أبو فأجبرهم على ذلك، **الثانية**[4]: ببلادهم أمير يرعاهم في

[1]- المصدر السابق: ص 47.

[2]- المصدر السابق: ص 48- 49.

[3]- المصدر السابق: ص 49.

[4]- المصدر السابق: ص 50.

مصالح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان في هذا الزمان، وهؤلاء لا يحل لأحد أن ينزع يداً من طاعته، ولايحل لأحد أن ينازعه في رعيته، **الثالثة**[1]: بلاد لهم أمير من هؤلاء الأمراء الذين وصفت يأخذ المكس بالظلم وبالفساد وعدم الإصلاح، فإن استطعت أن تزيل ظلمه عن المسلمين من غير مضرة عليهم حتى تقيم أميراً عادلاً فافعل وإن أدى ذلك إلى القتل وقتل كثير من أعوانك لأن من قتل من قتل منهم شر قتيل، ومن قتيل منكم خير شهيد، أما من ثبت عليه أنه حلل المكس ونحوه من أكل أموال الناس بالباطل وجب الحكم بكفره، وكذلك من أنكر الحق المبين ولبسه بالباطل، وأما علماء السوء وصفتهم بإعانة ذلك الظالم فهم أشر منه جريمة، وعليهم من العقوبة ما يردع أمثالهم، بحسب اجتهاد الحاكم، وكذلك يعاقب كل من كان من عماله في تقويم السلع وغيره، و أما من اشترى من الغاصب عالماً بغصبه فهو كالغاصب فإن كثر ذلك منه حتى استغرق ماله كانت لبيت المال، ولا يعطى المدعى عليه قيمة شيئه الذي غرق منه في ذلك المال إلا إذا عرف ما يستحقه منه بين أرباب الحقوق[2].

المسألة الخامسة[3]: يسأل الأسكيا محمد عن جواز ضرب خراج على أرض البلاد التي جعلها الله تحت يده والتي لم يسبق لأهلها قط أن سمعوا بنداء الله ورسوله من قبل الأسكيا، وهل يجوز له أن يعين عليها عالماً أميناً يتولى جمع الزكاة ويفرقها على مستحقيها باجتهاده؟، وإن جاز له ونصب مثل هذا العالم لما ذكر.فهل له أن يعاقب من يمتنع عن أدائها؟، وإذا جازت عقوبته فما هذه العقوبة؟، وهل تجوز شهادة السلطان الذي لا يمكس ولا حفظ عليه ظلم في هذا الزمان، أم لاتجوز شهادته ولا شهادة أحد من دائرته وأعوانه، وإن عرفوا بالخير والصدق وعدم الظلم وحمية الجاهلية؟

[1]- المصدر السابق: ص 51.
[2]- المصدر السابق: ص 53.
[3]- المصدر نفسه.

الجواب[1]: أن للإمام العادل أن ينصب عاملاً أو عمالاً لجمع زكاة الحرث، والماشية وصرفها في مصارفها التي ذكرها الله تعالى من الأصناف الثمانية باجتهاده على ما يراه الأصلح بعد استشارة أهل المعرفة والأمانة، وليس له أن ينقل زكاة بلد إلى غيره إلا على وجه النظر بالأصلح فيفرق في أهل بلدها ما اضطروا إليه وينقل لغيرهم ما اضطروا إليه، ثم أمره أن يصرف أموال الزكاة بالتقوى والعدل لابالهوى، وأن يأخذها الإمام كرهاً ممن أبى أن يدفعها وإن نصب القتال دونها قوتل، وإن مات أو قتل أخذت من ماله، وعقوبة من أبى أو صمم على منعها بما يراه الإمام ردعاً لمثله من ضرب أو حبس أو غيره، وأمره أن يجعل للخراج على تلك البلاد ما فيه مصلحة المسلمين وعمارة تلك الأرض من غير تضييق، ثم ختم جوابه بتحذير الأسكيا من علماء السوء الذين يضلون بتزيين الطمع حتى تنس الورع، أما السلطان الذي لا يمكس ولا حفظ عليه ظلم في هذا الزمان وشهادته مقبولة في منافعه الدنيوية.

أما بقية المسائل فقد جاءت متعلقة بالجوانب الاجتماعية التي تخص مجتمع السودان الغربي، وقد تحدثنا عن بعضها في بعض جوانب هذا الفصل (الظواهر الاجتماعية)، وفي الفصل الثاني (مسائل الزواج والطلاق، والميراث).

ونستنتج من خلال هاته الرسائل التي قدمها الإمام المغيلي للسلطانين محمد رمفا، والأسكيا محمد الكبير، أنها شكلت المصدر الأساسي لقواعد فقه السياسة الشرعية في هذه البلاد،كما أنها أعطت صورة مثالية عن حرص الحاكم بالأخذ برأي العلماء والقضاة في مسائل الحكم والإدارة وكل ما يشتمل التنظيم السياسي، وقد قعدت لهذا التقليد السياسي في فترات لاحقة من حكم المنطقة ، بل تعتبر هذه الرسائل كوثائق حضارية تستوجب على كل حاكم مسلم أن يرجع إليها.

ومن خلال هذين النموذجين أدرك الحكام في السودان الغربي، أن الثقة بينهم وبين الرعية لاتتم إلا من خلال تطبيق الشريعة الإسلامية، ونشر العدل بينهم، ولا يتأتى هذا إلا بإعطاء القيمة الحقيقة

---

[1]- المصدر السابق: ص54- 55- 56.

للسلطة القضائية المتمثلة في سلطة الفقهاء والعلماء التي شاركت في المجالس الملكية كهيئات استشارية، خاصة لدى ملوك الصنغي (الأساكي) والذي كان أغلبهم لا يبرم أمراً إلا بمشورة ومباركة القاضي، ومرد ذلك إلى معرفة القضاة بأحكام الشريعة الإسلامية، وثقة واحترام الشعب لهم ، وأيضاً لإعطاء الصبغة الشرعية للقرارات التي يتخذونها، وتنفيذ الرعية لتلك القرارات[1].

كما أن مراسيم قسم الولاء التي يؤديها الأسكيا الجديد قبل أن ينصب في الحكم، تجري أمام القاضي والعلماء، فيجلس الأسكيا أمام القاضي ويضع يده على المصحف ويتلو القسم وراء القاضي، وهذا فيه دلالة على شهادة القاضي على الأسكيا ومدى إلتزامه بما قسم به[2].ومن أهم القضاة الذين أخذ الأسكيا محمد الكبير بمشورتهم وكان من المقربين منه، القاضي محمود بن عمر آقيت، الذي لجأ إليه الأسكيا في كثير من المرات طالباً النصح والإرشاد حتى ينأ عن الوقوع في الزلل، وينجو من غضب الله وطلب منه أن يشرح له كل قواعد التشريع الإسلامي[3]، وأن يبني معه مشروعه الديني والسياسي، ممايدل على مكانة هذا القاضي ومدى حاجة الأسكيا إليه، فقد وعظه بأن يتلقب بلقب أمير المؤمنين، ويأخذ البيعة من الخليفة العباسي في مصر[4]، عند ذهابه في رحلة الحج سنة 902هـ.

---

[1]- كعت محمود: تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص149-152، ميقا أبوبكر إسماعيل:الحركة العلمية والثقافية مرجع سابق، 256- 257، العمراوي محمد السنوسي: نظام الحكم والإدارة بمملكة صنغي مرجع سابق، ص164.

[2]- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسكيين مرجع سابق، ص63، محمد سلطان عبلة: العناصر المغربية في السودان الغربي مرجع سابق، 76.

[3]- مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية مرجع سابق، ص311.

[4]- تورد مصادر السودان المحلية (كعت والسعدي) خبر تقليد الأسكيا محمد للخلافة من عند شريف مكة وانه ألبسه القلنسوة الخضراء والعمامة البيضاء، وأعطاه سيفاً، وأشهد الجماعة بأنه خليفة المسلمين بأرض التكرور، وأن كل من خالفه في تلك الأرض فقد خالف الله ورسوله، وهذا بعدما بقي في الخلوة ثلاثة أيام ثم خرج يوم الجمعة ونادى عليه وقلده ذلك أمام الحاضرين، كما أنهم أفردوا أمر لقاءه بالخليفة العباسي بالقاهرة المتوكل علي بن يعقوب بن المتوكل(884هـ-903هـ/1473م-1497م) الذي التقاه بواسطة الشيخ عبد الرحمن السيوطي وبشره بأنه الخليفة في أرض التكرور، واعتبروه تقليدا بالخلافة وهذان الأمران لايعدوا أن يكونان اعتراف من شريف مكة وحتى الخليفة العباسي في مصر بشرعية سلطة الأسكيا محمد الكبير على بلاد السودان الغربي، لأن شريف مكة لايملك أمر هذا التقليد، كما ان الخليفة العباسي لايمكن أن يقلد هذا الأمر لشخص غيره.ينظرالسعدي:ص 73،

ومن مظاهر احترام السلطة السياسية للقضاة، أنهم لم يكونوا يسمحوا بمصافحة أحد لهم إلا القضاة، إضافة إلى مظاهر التقدير والاحترام التي أولوها لهم خاصة في المناسبات فقد كان الأساكي يستقبلون القضاة عند ذهابهم ورجوعهم من الحج ومن أمثلة ذلك الاحتفال الذي أقامه الأسكيا محمد للقاضي محمود بن عمر عندما حج سنة915هـ[1]، فخرج في موكب شبيه بموكب الملوك وحضر الأسكيا لهذا التوديع، في يوم مشهود وعمت الأفراح سائر مملكة صنغاي، بل أن كثير من القضاة صاحبوا الأساكي في رحلاتهم للحج، مثل القاضي محمود كعت الذي صاحب الأسكيا محمد في رحلته الحجية[2] سنة902هـ، مع عدد من كبير من الفقهاء والعلماء منهم الشيخ محمد تل، وألفا صالح جور، وكاغ زكرياء، وغيرهم .

أما المواقف التي تدل على صارمة القضاة في أحكامهم على عامة الناس وخاصتهم ولو كان الأساكي أنفسهم ما أوردته المصادر من مظاهر كثيرة ومواقف للقضاة مع الأساكي والحكام.

موقف القاضي محمود بن عمر الذي طرد رسل الأسكيا محمد من تنبكتو عندما تعدوا على الحدود بظلمهم لأهل تنبكتو[3]، الأمر الذي أعتبره الأسكيا محمد بأنه إهانة له، فاستدعى قاضي محمود بن عمر ولما مثل أمامه، حكى له المراحل التي مرت بهات نبكتو والحكام الذين حكموها، وموقف القضاة من حكامها، فسمعه الأسكيا محمد وصدق حديثه، غيرأن القاضي ذكره قائلاً " هل نسيت أم تناسيت يوم جئتني في داري، وأخذت برجلي، وثيابي، فقلت لي جئت أدخل في حرمتك، استودعك نفسي أن تحول بيني وبين جهنم، فانصرني وأمسك بيدي حتى لا أقع في جهنم وأنا وديعتك، فهذا سبب طردي لرسلك ورد أمرك، وعندئذ فقط قال الأسكيا نسيت ذلك والله ولكن

كعت: 12-86، الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق، ص 131-132، الفانوس عمار صليح سليم: دور الحكام السودانين مرجع سابق، ص111.

[1]- ميقا أبوبكر إسماعيل: مرجع سابق، ص282.

[2]- كعت محمود: تاريخ الفتاش مصدر سابق، ص16، السعدي: تاريخ السودان مصدر سابق، ص65.

[3]- الأحمر أسماء أحمد: الدين والدولة في مملكة سنغاي مرجع سابق، ص112.

ذكرته الآن،صدقت والله، جزيت وكفيت شراً أطال الله إقامتك بيني وبين النار وغضب الجبار، فأنا أستغفر الله وأتوب إليه "[1].

الثانية ماحدث للقاضي محمود بن عمر مع الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد، عندما خلع[2] والده واستولى على الحكم، ففي إحدى زياراته لمدينة تنبكتو لم يقابله القاضي محمود، وكان من عادة الأساكي إذا ارادوا أن يقوم بأمر ما لابد من زيارة مدينة تنبكتو، ويذهبون الى بيت القاضي احتراما له، فلايدخلون حتى يؤذن لهم[3]، ففي هذه المرة لم يستقبل القاضي محمودبن عمر الأسكيا موسى، ولم يعطيه وجهاً بل قال له لا أستقبل وجهاً خلع أمير المؤمنين الأسكيا محمد واغتصب الحكم، فرد عليه الأسكيا موسى مافعلت ذلك إلا خوفاً على نفسي، ثم اتسمح القاضي وقبل رأسه[4].

والثالثة ما حدث للقاضي محمود كعت عندما خرج مع الأسكيا داوود لاستقبال الحجيج وتقديم الهدايا لهم بعد عودتهم من رحلة الحج، حيث قام الأسكيا داوود تعظيماً لهم وقبل أيديهم، وأقبل على رجل من عبيده يسمى (الكنتوي) يقبل يديه وهو لايعرفه، فأشار له أحد رجال الدولة المسمى(وندع) بأنه من العبيد[5]، وثار الأسكيا داوود، وهناك من حلف بقطع يد هذا العبد لتجرئه على مصافحة الاسكيا، فاستنكر القاضي محمود كعت مافعله وندع، ودافع قدر استطاعته عن هذا الحاج، عندما وجه إليه الأسكيا داوود السؤال مستفسراً هل يجوز قطع يده؟ فأجاب مستنكراً "

---

[1]- كعت محمود: مصدر سابق، ص60- 61.

[2] - كان من بين الأسباب التي جعلت الأسكيا موسى يقوم بعزل أبيه الأسكيا محمد الكبير هو تعينه لأحد عبيده المدعو (علي فلن) ليكن مستشاراً له الأمر الذي جعل أحد الباحثين يدافع عن سلوك الأسكيا موسى مع أبيه، إذ يرى أن إخلاص (علي فلن) للأسكيا محمد لم يكن كافياً ولامبرراً لتقديمه على الأبناء في الوقت الذي ضعف فيه بصرأ بيهم ، فلايمكن أن يكون (علي فلن) أكثر إخلاصاً من أبنائه الذين بلغوا مبلغ الرجال، وكانوا أهل علم وثقافة إسلامية واسعة، وكان أغلبهم من كبار رجال الدولة، حيث كان موسى والياً على كوكيا (عاصمة صنغاي قبل جاو) ينظر : إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي مرجع سابق، ص243.

[3]- كعت محمود: مصدر سابق، ص 83.

[4]- السعدي مصدر سابق، ص86.

[5]- كعت محمود: مصدر سابق، ص 112، سحر عنتر احمد مرجان:فقهاء المالكية مرجع سابق، ص206.

كيف لا يجوز قطع يد من وقف وطاف بالكعبة ووضعها على الحجر الأسود، ثم وضعها على الركن، ورمى بها الجمرتين، ثم زار الرسول ووضعها على مقعد الرسول من منبره الشريف، ثم دخل الروضة الشريفة ووضعها على شبكته، ووضعها على قبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم لم يكتفي بهذا المزايا والفضائل والمحامد كلها حتى أتاك يصافحك بها لتعطيه عرضاً قليلاً من أعراض الدنيا، بل حق لهذه اليد أن يصن صاحبها بها، ويحفظها من النجاسة ولا يرضى أن يصافحك بها "[1]، وتألم الأسكيا داوود لماسمعه من القاضي محمود كعت، وقبل يد الحاج الكنتوي، وأعطاه مئة ألف مثقال ذهب، وأمر بوندع ونزعت عمامته من على رأسه ولطموه وسجن ثم عزل عن مكانه نظير ماصنع[2]، عندها قال الأسكيا داوود مقولته المشهورة " لولا العلماء لكنا من الهالكين"[3].

ولم تقتصر قوة نفوذ القضاة على مدينة تنبكتو فقط بل كان لقضاة المدن الأخرى مواقف تدل على قوةسلطتهم وتحديهم لسلطة الأساكي[4]، فهذا قاضي **يندبع** الذي كان له ابن أخت ينقل الكلام الى أهل يندبع من عند أهل تنبكتو، وعندما عاتبه الأسكيا محمد في ذلك غضب القاضي من تصرفات الأسكيا وقال له أنت النمام وتركه ولم يستجب له[5]، أما قاضي **جني** محمود بن أبي بكر بغيغ فقد كان له موقف مع الأسكيا إسحاق عندما جاء إلى المدينة وطلب عقد اجتماع في المسجد الكبير مدعياً أنه يريد إصلاح البلاد ومراعاة مصالح الرعية، بغرض أن يظهر بمظهر الحاكم المصلح، وأشاع أنه يريد أن يعلم من يؤذي المسلمين ويظلم الناس، لكن القاضي محمودبن أبي بكر بغيغ لم يتركه فتصدى له وحاسبه فقال" ماعرفنا هنا أظلم منك أنت أبو كل ظالم وسببه ولا يغصب غاصب هنا مغصوباً إلا لك وبأمرك وبقوتك وإن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك وبادر به وهذا المال الذي يجلبه إليك من هنا وتثري إليك أو لك هنا عبيد يحرثون لك أو مال يتاجر به لك، ولما سمع الأسكيا ذلك

---

[1]- المصدر السابق: ص 113.

[2]- الشامي إبراهيم علي يوسف: الحج وأثره الحضاري في دولة مالي وصنغي مرجع سابق، ص205- 251.

[3]- كعت محمود: مصدر سابق، ص 113.

[4]- سوزي أباظة: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي مرجع سابق، ص 369- 370.

[5]- السعدي: مصدر سابق، ص 28.

راجع نفسه وأظهر الخشوع وتاب إلى الله."[1]، كما أن الأسكيا داوود لم يستطيع الدخول على القاضي العاقب بن محمود عندما وشى إليه بعض الوشاة بأنه يريد أن يضع أحد الأمراء على عرش صنغاي بدلاً عن الأسكيا داوود[2] الذي كان في غزوة لبلاد مالي فحين سمع هذا النبأ أوقف حملاته وقفل راجعاً إلى تنبكتو لمقابلة القاضي العاقب بن محمود، وقصد بيته، فلم يسمح له بالدخول فاضطر الى أن يستشفع ببعض علماء المدينة وأكابرها، فقبل القاضي شفاعتهم ودخل الأسكيا داوود متواضعاً يسترضيه حتى رضي عنه[3]، وهناك واقعة حدثت في عهد الرجلين، وهي أن الأسكيا داوود قتل عن طريق الخطأ أحد أعوان القاضي وكان يسمى محمد الشريف بن مزوار، فعرض الأسكيا النازلة عن القاضي العاقب ففرض عليه صوم الدهر وإعطاء عائلة المغدور ثلاثين عبداً[4].

ولاشك أن هذه المواقف توضح صرامة القاضي العاقب بن محمود وهذا ليس بغريب فهو نجل القاضي محمود بن عمر الذي سبقت الإشارة إلى صلابته وصرامته، وقد وصف السعدي صرامة القاضي العاقب بقوله"كان رحمه الله مسدداً في أحكامه ثبتاً في الحق لاتأخذه في الله لومة لائم قوي القلب مقداماً في الأمور العظام التي يتوقف فيها، جسوراً على السلطان فمن دونه وقع له معهم وقائع وكانوا يخضعون له ويهابونه ويطاوعونه فيما يريد وإذا رأى ما يكره عزل نفسه وسد بابه فيلاطفونه حتى يرجع"[5].، وما يؤكد ما ذهبنا إليه من سمو مكانة القاضي العاقب بن محمود لدى سلاطين صنغاي، أن الأسكيا محمد الثالث إبن الأسكيا داوود قدتعرض لمؤامرة من قبل شقيقه محمد بنكن، وقد آزر القاضي العاقب محمد بنكن في مؤامرته، فالأسكيا محمد الثالث عاقب أخوه بالقتل وعفى

---

[1]- كعت محمود: مصدر سابق، ص88- 89.

[2]- المصدر السابق: ص 109.

[3]- التنبكتي أحمد بابا: نيل الإبتهاج مصدر سابق، ص218، ميقا أبوبكر إسماعيل: الحركة العلمية والثقافية مرجع سابق، ص281- 282.

[4]- كعت محمود: مصدر سابق، ص109، الغربي محمد:مرجع سابق، ص392.

[5]- السعدي: مصدر سابق، ص 40.

عن القاضي العاقب، بل وعندما توفي الأخير سنة 991هـ ذهب الأسكيا محمد الثالث لتقديم واجب العزاء فيه[1].

وفي إطار المكانة التي احتلها القضاة لدى الأساكي نجد أن بعض القضاة قاموا بدور كبير في سبيل تحقيق الهدوء والاستقرار في المملكة، حيث سعوا في حل النزاعات والصراعات بين أفراد الأسرة الحاكمة، فقد عمل القاضي محمود بن عمر جاهداً للتوصل لعقد اتفاق بين الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد الكبير، وإخوته على إثر انقلابه على والده[2]، فسعى القاضي محمود لتجنب المملكة ويلات الانشقاق والفتن التي قد تؤدي الى ضعف وانهيار الدولة، كما نجد قاضي غاو الذي لجأ إليه محمد بنكن أخ الأسكيا محمد الثالث، وطلب منه أن يكتب للأسكيا محمد الثالث بأنه يريد أن يمكث في تنبكتو لطلب العلم وأنه لا يريد أن يدخل في صراع، فكتب القاضي للأسكيا بذلك[3] وقبل شفاعته ولكن وشاية الواشين جعلت الأسكيا يصدر أمراً بالقبض عليه وسجنه في مدينة تنبكتو.

كما كان القضاة يشفعون للخارجين عن القانون وعن طوع السلطان أحياناً، وكان منزل القاضي مقدساً ومحرماً، يلجأ إليه الفارون من السجون ومن جور الحكام ويقصده الخائفون من المتابعة السلطانية وغيرها[4]، واعتبر منزله مكاناً آمناً لا يجوز للسلطة الوصول إليه، فكان القاضي ينظر في قضايا هؤلاء المستجيرين به[5] فيشفع فيمن رأى أنه يستحق ذلك، ويعزر ويزجر من رأى فيه غير ذلك، وقد استمر دور القضاة في الجانب السياسي في عهد السيادة المغربية، رغم تقليص بعض

[1]- التنبكتي احمد بابا: نيل الإبتهاج مصدر سابق، ص 218-219، مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص341.

[2]- السعدي: مصدر سابق، ص86.، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص165.

[3]- سوزي أباظة: مرجع سابق، ص371.

[4] - زبادية عبد القادر: مرجع سابق، ص77.

[5]- الهادي مبروك الدالي : التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق، ص135.

الصلاحيات، فقد حظي القضاة في بداية الحكم المغربي للبلاد من اهتمام ما أوضحه جون هانويك[1] من أن جودر باشا قائد الجيوش المغربية التي احتلت بلاد السودان الغربي عام 1000هـ-1591م، وعند بحثه عن مأوى لجنوده في مدينة تنبكتو، طرق باب منزل القاضي أبا حفص عمر بن محمود آقيت، ولم يذهب إلى منزل نائب السلطان، وذلك للمكانة التي حظي بها القاضي عمر[2]،كما كان الباشا محمود بن زرقون باشا السودان يلجأ إلى القضاة فيما تعلق بشؤون المدينة وسكانها[3]، ومن الأدلة على إحساس المغاربة بسلطة القاضي ودوره المؤثر، مافعله السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي بعث برسالة إلى القاضي عمر بن محمود، الذي كان يومها قاضي القضاة في المنطقة[4]، فقد حرص المنصور على الاتصال به وتأكيد له بقاءه في منصبه، وقد تضمنت هذه الرسالة ثلاثة نقاط أساسية وهي:الدخول في طاعة السعديين ، تولي إشاعة دعوتهم في أقطار السودان كلها، لأنه أولى بمعرفة قدر الخلافة وشرف آثارها وأحقيتها بقيادة المسلمين في كل جهة،كما أخبر القاضي عمر بن محمود بقرب وصول الحملة إلى بلاد السودان الغربي، فرد عليه القاضي عمر بن محمودبرسالة أخرى تتضمن جملة من النصائح التي لابد أن يتحلى بها جيش السعديين عندما يحل بالسودان الغربي[5]، وتبين هذه المراسلات مدى أهمية القاضي ومكانته، فقد أراد المنصور أن يختبر موقف القضاة اتجاه مايريد القيام

1- john h. hunwik.(Ahmed baba and moroccar Invasion of.sudan1591.journal of histarcaal.societyof.nigeria (jhsn) 1962.no.3.p.312.

2- تورد بعض المصادر المحلية أن جيش الحملة المغربية قصد تنبكتو ونزل بضواحيها في الفاتح رجب سنة999هـ/1591م ومكث نحو شهر قبل أن يعقدوا العزم على دخولها "فتلقاهم أعيان البلد بالترحيب وأطاعوه في البيعة وضيفوه... وروى أن جودر أتى إلى الفقيه القاضي عمر بن محمود ودخل عليه وقبل رأسه ورجليه، وجلس تجاهه متملقاً وقال: جئتك أطلب منك أن تستعير لنا داراً نسكن فيها، وقد قرب وقت المطر ومعنا بارود السلطان مولاي احمد الله ينصره داراً أورحبة واسعة، فنبني بها قصبتنا وندخل فيها إلىأن يأتي أمر السلطان بالرجوع إليه، فنرجع ونتركه لمواليه.فأطرق القاضي ملياً ثم قال: أني لست بملك ولا أقدر على إعطاء دار أحد، فادخل داري فأنظرها إن كان مرادك فيها فنخرج منها وتدخلون فيها كرامة وطاعة للسلطان نصره الله" ينظر :كعت محمود: مصدر سابق، ص155- 156.، زوليخة بن رمضان: المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ج2مرجع سابق، ص 577.

3- مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص342.

4- كعت محمود: مصدر سابق، ص 178.

5- الغربي محمد: بداية الحكم المغربي مرجع سابق، ص186.

به، وإلى الدور الحيوي الذي كان عليه أن يقوم به لإنجاح مهمة الحملة، وهنا لابأس أن نورد نص الرسالة التي بعثها المنصور للقاضي عمر بن محمود.

" أما بعد حمد لله الذي جعل حركة أحمد كلما انتصب حركة فتح وأمره إذا جزم أمر إقبال وعلمه بالغلبة على سائر الأعلام معرفاً عند العرب والعجم، فلذلك تتلى عند رفعه سورة الفتح قبل القتال والصلاة والسلام على نبيه الذي أرسله بالحق بشيراً ونذيراً إلى الأبيض والأسود والأحمر والأئمة الذين إن مكنوا في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وعن أصحابه الفائزين بسعادة المورد والصدر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر، ومواصلة الدعاء لهذا المقام العالي الإمامي الأحمدي المنصوري الحسني الفاطمي بنصر لاتزال عزائمه مرهوبة وغنائمه مجلوبة، فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية دار الإسلام ومقر كرسي الإمام مراكش حاطها الله وبركة هذه الدعوة النبوية الشريفة التي عمت الربى والوهاد وطبقت أنوارها الساطعة الأغوار والأنجاد تنسكب كالمطر وتنسحب على البشر وتقضي بعادة النصر والظفر[1] وسعادة الورد والصدر بحول الله وقوته والذي نوصيكم به تقوى الله العظيم والعمل بطاعته وأن توقنوا أن هذا الأمر العزيز منصور اللواء مديد بجنود الأرض والسماء موعود إن شاء الله بالظهور والاستيلاء وإنه المصيب المنصور المفتوح له لا يناوئه مناوئ أو يعانده معاند إلا قصمه الله وخذله فهذا أمر الله الذي وعد بالظهور ظهيره ولم يخف الخذلان نصيره فلا يغلب حزبه ولا يستطاع حربه ومن يتوكل على فهو حسبه والدعوة التي قضى لمن اعتصم بحبلها ولجأ إلى ظل ظليلها بالأثرة الدائمة والسعادة الأبدية ولمن تنكب عن حزبه وانتصب لحربها الأسنة السمهرية والقواضب المشرقية بحول الله وقوته وعزته وقدرته هذا وإنه وفقكم الله وسدد وأعانكم على إتباع كلمة الحق وأنجدكم[2]فمما لايخفى على كل مؤمن ومسلم موقن أن هذا الأمر الذي نيطت بجيدنا الكريم قلادته وكان لأولنا إبداؤه ولأخرنا إعادته، وهو

[1]- الفشتالي عبد العزيز أبي فارس: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية، دت.ط.، ص 131

[2]- المصدر السابق: ص 132.

أمر بغير عروتنا الوثقى لايناط وعقد بغير سلكنا المنتظم لايتم له اتساق وارتباط إذ نحن بأعبائه دون غيرنا مضطلعون والناس لنا فيه تبع المتبعون وفي الصحيحين عن رسول الله صل الله عليه وسلم انه قال الأئمة من قريش وقال عليه السلام ولايزال هذا الأمر في قريش مابقي منهم اثنان وقال عليه السلام إن هذا الأمر في قريش لايعاديهم احد إلا أكبه الله على وجهه وقال عليه السلام الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم وبهذه الأثار الشريفة وضروبها ظهر على الحق حتى درج سلفنا وعليه حتى تقوم الساعة بحول الله يمضي خلفنا ونحن له مذ ولانا الله هذه الأمانة العظمى التي قلدنا بها إمامة الجماعة وواجب لنا بها سبحانه على الخلق السمع والطاعة وصرف لإيالتنا الشريفة بها وراثة الأرض ومن عليها حتى تقوم الساعة لم نغمد سيف الحق ولا أرحنا يوما في مرابطها جيادنا المبارية للبرق وعساكرنا الهاشمية التي إذا أرعدت نيرانها ذكرت برجة السعق، نفتح البلاد المقفلة أرضاً ونقيم من أعمال الجهاد ومصالح البلاد نفلاً وفرضاً وحتى انفتح في الجنوب إلى من يليكم وأقيمت دعوتنا الكريمة في الأقطار التي تصافيكم وتناديكم[1]، وعلمنا أن التكول[2]لايسع مع القدرة وأن الله لايقبل منا في إهمال ما استرعانا من أمور العباد والبلاد سوى معذرة فتعين حينئذ استصحاب العمل وتخطي المرعى من البلاد إلى العمل حتى ينجز الله وعده الكريم في استيلاء على الأقرب والأبعد وملاك الأحمر والأسود، ونأتي بفتح الأرضين إن شاء الله على الوجه الأكمل ولما كنتم بتلك المملكة معيد بابها ومدبر أحكامها الشرعية ومدير أسبابها وإنكم بالآثار الشريفة التي سردنا والأحاديث النبوية التي أوردنا وبحقوق هذه الإمامة النبوية التي تجب طاعتها قطعاً وتحرم مخالفتها شرعاً أعرف من سواكم وأعلم بالتي هي أحسن لكم في دينكم ودنياكم خاطبناكم بهذه الرسالة الشريفة لتكونوا أول من لبى داعيها وأجاب مناديها ولترفعوا بها عقيرتكم في تلك الأقطار وتوضحوا للناس هذه الحجج الساطعة الأنوار حتى يعلموا منها ما واجب الله عليهم من طاعة هذه الإمامة الشريفة التي لا يقبل الله إلا بطاعتها الأعمال، ولايتم لمسلم نفل ولافرض إلا بداء ما افترض الله على الخلق

[1] – يقصد بها الأقطار المحادية لبلاد السودان الغربي مثل، توات، وتينكورارين، وهي إشارة منه الى أنه ضمن ولاءها له.

[2] – لعله تصحيف لمصطلح (التعوال).

من الانقياد الذي تكتمل به الفرائض وتتم به الأنفال وتشعروهم أن من كان بهذه المراشد مقتدياً ولنداء هذه الدعوة الشريفة ملبياً ولأوامرها العلية المطاعة مقتفياً، وتمسك بعصم طاعة من أوجب الله على الخلق الاستمساك بشريف طاعته والائتمام بواجب إمامته فإزاحت قداحه، وتضاعفت من أقسام السعادة متاجره وأرباحه، فإن ذلك عند ذوي الإيمان أوثق العرى والذخر النافع الذي يجده كل موفق سعيد يوم تجدكل نفس ماعملت من خير محضرا ولتقف إن شاء الله لندب الناس إلى أداء ما افترض الله عليهم من طاعتنا على قدم وتعقد مالكم في ذلك عند الله وعند خليفته الإمام عن عظيم الأجر وجزيل المغنم وتستشعروا ما قال عليه السلام لأن يهدي الله بك رجلا خير من أن يكون لك بها حمر النعم، واعتقدوا مع ذلك أن كل من امنتموه من عساكرنا الطالعة براياتها البيض على تلك الأقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر، وكتائبنا المتلاطمة تلاطم أمواج البحر فقد أمناه ومن أجرتموه فقد أجرناه إظهاراً لمزيتكم وإشعاراً بمكانتكم لدينا ورفعة وإيذاناً بجليل منصبكم عندنا وسمو رتبتكم والله تعالى يصل توفيقكم ويجعل الخير رفيقكم وحزب الهدى قرينكم والسلام .كتبت الرسالة عام 998هـ-1590م"[1].

ويتضح من خلال هذه الرسالة أن المنصور يحاول تبرير شرعيته من خلال كسب ود القاضي لما له من مكانة في هذه البلاد، وقد جاءت هذه الرسالة مدججة بكثير من الإثراء بذكر فضل العترة النبوية الطاهرة، وإنه من المنتسبين لها، ثم بذكره لعديد من الأحاديث النبوية التي ترغب في الخلافة وأنها في قريش، وأن هذا الأمر (الخلافة) الذي جاء به يدخل في هذا النسق، وأشار الى الأقطار التي تصاقب بلاد السودان الغربي قد أزعنت ولبت نداء الطاعة، وكان تركيزه على القاضي أباحفص عمر بن محمود آقيت لأخذ هذه الضمانة باعتباره أنه قاضي القضاة ولمكانته في نفوس العامة والخاصة ولانتمائه لأسرة آقيت صاحبة المجد والشرف في بلاد السودان الغربي، ويبدو أن القاضي عمر بن محمود قد تفاعل مع رسالة المنصور الذهبي بشيء من العاطفة وهو ماجعل التركيز عليه واضح، وعلى

[1]- الفشتالي: مصدر سابق، ص133.، الغربي محمد: بداية الوجود المغربي مرجع سابق، ص188- 189.

العموم أن هذه الرسالة كانت مغلفة بترغيب وترهيب ومدح ورفعة،لكن في حقيقة الأمر بعد دخول جيش السعديين لهذه البلاد كانت لغة أخرى (ممارسات)لا علاقة لها بما جاء في رسالة المنصور، مما أدى إلى رفض العلماء ومنهم القضاة لهذه التصرفات والممارسات، خاصة أسرة آل آقيت التي كانت تعارض بشدة هذا الوجود مما اضطر المغاربة إلى ممارسة العنف والتهجير ضد هؤلاء ونفيهم من تنبكت إلى مراكش، واستمرت حالة البلاد في مظاهر اللاتفاهم بين السلطة الحاكمة والقضاة مما اضطر السعديين إلى إصدار مراسيم جديدة تقضي بتعيين قضاة موالين لنظام حكمهم وفق سياسة محددة تقضي بتبعية القاضي للباشوية في السودان الغربي بطريقة مباشرة، وللسلطة السعدية في مراكش بطريقة غير مباشرة.

وفي البلاد السائبة التي عرفت النظام القبلي المشكل لكيانات قبلية تستند إلى مشيخة القبيلة كمحور أساسي في حراكها الاجتماعي والسياسي، فقد اعتمدت على هيئة الحل والعقد التي كانت بمثابة المجلس الاستشاري الذي يرجع إليه، وله كلمة الفصل في القضايا الكبرى، وهذه الهيئة كانت مشكلة من قضاة لهم الخبرة في الحياة، والكفاءة في العلم[1]، ثم جاء النظام الأميري الذي أفرز إمارات قبلية ابتداء من النصف الثاني من القرن الحادي عشر هجري، كان لها نوع من التكريس السياسي جعل منها تتبنى نظاماً على حياة القبيلة بسلطة الأمي[2]ر، وقد شكلت هذه النقلة النوعية في التوظيف السياسي مجالاً لسيرورة الحكم و العلاقات فيما بينها، سواء في المجتمع الصحراوي أو على مستوى العلاقات الخارجية، وهنا نجد أدورا لبعض القضاة في هذا المجال مثل القاضي محمد بن حبيب الله الألفعي الذي كان يرأس مجلساً قضائياً في بلاط الأمير ناصر الدين الإمامي[3]، وكان لايقدم على شيء إلاّ بعد أن يأخذ المشورة منه،والقاضي عبد الله بن رازكة العلوي الذي عينه الأمير أعلي شنظورة

[1]- ينظر: الفصل الثاني من هذا البحث (تعين القضاة).

[2]- ولد البراء يحي: الفقه والمجتمع والسلطة مرجع سابق، ص168.

[3]- ولد السعد محمد المختار: تاريخ القضاء في موريتانيا مرجع سابق، ص65.

التروزي كمستشاراً خاصاً به في العلاقات مع المغرب خاصة السلطة العلوية[1]، ومعروف أن إبن رازكة كانت له علاقة صداقة مع السلطان محمد بن إسماعيل العلوي، فاستغل الأمير التروزي هذه العلاقة بتعينه مستشارا له[2]، إضافة إلى القاضي المختار بن أتفغ موسى اليعقوبي، الذي عينه الأمير أعلي شنظورة هو الأخر قاضياً في البلاط الأميري رداً للجميل الذي ناصر به الأمير أعلي شنظورة في حله للألغاز التي بعث بها السلطان المغربي مولاي سماعيل العلوي مع محلة العروسين[3] لنصرة أحد الطرفين المتصارعين على الحكم آنذاك في منطقة القبلة،أعلي شنظورة بن هدي بن أحمد بن ديمانالتروزي من جهة، وامحمد بن هيبة بن نغماشالبركني من جهة أخرى، واشترط السلطان أن المحلة لاتعين إلا الفريق الذي استطاع علماؤه الإجابة عن تلك الأسئلة[4]، وهنا نجد معارضة لقضاة لحكم أعلي شنظورة ومساندتهم لأمحمد بن هيبة البركني ، منهم القاضي محمد بن سعيد اليدالي[5] .

2- القضاة ودورهم في التنظيم الإداري:

أعطت نصائح القضاة واستشارتهم دفعاً جديداً للحكام في تغيير نظم إدارتهم ، خاصة ماتعلق بالوظائف الحساسة في هرم السلطة والتي كانت محتكرة على أفراد البيت الحاكم، وهو ما أدى إلى صراع في كثير من الأحيان من أجل هذه المناصب، فقد رسمت توجيهات القضاة في مجال الإصلاح

[1]- ولد السعد محمد المختار: الإمارات والنظام الأميري الموريتاني النشأة والأطوار السياسيةالكبرى، أبوظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2008، ص 55.

[2]- في ظل الحرب التي كانت قائمة بين إمارة البراكنةوالترارزة، وضمان دعم السلطة المغربية لأحدهما خاصة الدعم العسكري كان لابد من استغلال كل الطرق التي تقرب إلى السلطان المغربي، فتوجه وفد من النرارزة بقيادة أعلي شنظورة إلى المغرب ومعهم القاضي ابن رازكة وذلك سنة1131هـ-1719م لطلب الدعم العسكري من السلطان المغربي ، في وقت اشتد عليه الضغط من إمارة البراكنة.ينظر: ابن حامد المختار: حياة موريتانيا الجزء السياسي مرجع سابق، ص 122.، ولد السعد : مرجع سابق، ص56.

[3]- محلة العروسين : وهي فرقة عسكرية متدربة بسلاح متطور متشكلة من قبيلة العروسين الموالية للسلطان المغربي ينظر:بن محضن الحسين :تاريخ موريتانيا مرجع سابق، ص167.

[4]- ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى ج2 مرجع سابق، ص285.

[5]- ابن طوير الجنة: تاريخ ابن طوير الجنة مصدر سابق، ص 56- 57.، النحوي الخليل: بلاد شنقيط المنارة والرباط مرجع سابق، ص502.

الإداري إلى استقرار المملكة وهو ما انعكس على الجوانب الأخرى كالجانب الاقتصادي والإداري والاجتماعي، فضلاً عن الجانب السياسي والديني، ويبرز هذا من خلال رسائل الإمام المغيلي إلى أمير كانو محمد رمفا[1]، وإلى الأسكيا محمد الكبير سلطان صنغاي[2]، حيث اعتبر هذا رسماً لخطة التنظيم الإداري في هذه البلاد من خلال تعيين وزراء، وكتاب، وجباة الضرائب، ومحتسبين، وعمال، إضافة إلى ضرورة تقسيم البلاد إلى أقاليم، وجهات حسب طبيعة كل جهة ومعرفة طريقة فتحها عنوة ام صلحاً وذلك لتقدير الضرائب والجزية عليها.

وقد باشر الأسكيا محمد الكبير هذه التنظيمات، حيث بدأ بالتنظيم السلطوي باختيار كفاءات ممن يثق فيهم وتحديد اختصاصاتهم، وقد اقتضت هذه التنظيمات الإدارية أن يحدث مناصب جديدة منها مفتش الضرائب، ومنصب مشرف على القبيلة[3]، وهذا بعد إلحاح من القاضي محمود بن عمر آقيت الذي رأى انه لابد من ضرورة لمساعدة القاضي في بعض أعماله، خاصة وان البلاد اتسعت رقعتها وازدهرت تجارتها، ناهيك عن تنوعها الإثني والقبلي، ثم أحدث مناصب أخرى منها:

1-**نواب الأسكيا**: وينقسمون الى قسمين نواب المستوى **الأول**: وهم النواب الكبار ويطلق عليهم (الباغي فار) ويعتبرون هؤلاء من المستشارين الخاصين للأسكيا ويظفون عادة من العائلة الحاكمة[4]أو موظفي البلاط ممن يثبتون كفاءة عالية، أما المستوى **الثاني**:وهم نواب الأسكيا في بعض الأقاليم البعيدة كإقليم دندي[5] وكرمن[1]، **فالأول**: ويطلق عليهم (دندي فار)[2]،وكان هؤلاء لايعينون إلا من

---

[1]- لمغيلي: تاج الدين مصدر سابق، ص 25- 26.

[2]- المغيلي: اسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي مصدرسابق، ص 24- 53- 54 -55- 56..

[3]- الأحمر أسماء أحمد: الدين والدولة مرجع سابق، ص108.

[4]- ضيفي عبد النعيم عثمان: رسوم ونظم دولة الأسكيين في سنغاي مرجع سابق، ص78.

[5]- دندي : إقليم يقع الى الجنوب الغربي من العاصمة جاو، وهو يشرف على المناطق الممتدة حتى بحيرة تشاد على ضفتي نهر النيجر، ويعتبر إقليم دندي مناطق نفوذ قبائل الزبرما، عاصمته الإقليمية مدينة جوجيا، وهو من المناطق العسكرية مهمتها الدفاع عن الحدود الشرقية للبلاد: ينظر الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا جنوب الصحراء مرجع سابق، ص116، الشامي على يوسف: الحج وأثره الحضاري مرجع سابق، ص234.

من العائلة الحاكمة ومن الأفراد الذين لهم خبرة واسعة في الإدارة والعسكرية، وقد كان لصاحب هذا المنصب صلاحيات واسعة ، وجيش قوي حسن التدريب والتجهيز، كما كان لحاكم هذا الإقليم تولي قيادة جيش المملكة في بعض الحروب، وقد تولى هذا المنصب العديد من الشخصيات منهم دندي فار محمد بنكن (ت969هـ)، ودندي فار بكر علي داوود، ودنديفاركمكن(ت987هـ)، ودندي فار بأن الذي تولى المنصب بين عامي 987هـ/990هـ، وبقي المنصب فارغاً بين عامي990هـ/992هـ، أثناء حكم الأسكيا محمد الحاج بن الأسكيا داوود[3]، وذلك نتيجة لضعف الإدارة المركزية في العاصمة غاو، إضافة أن هذا الإقليم لم يعد يمثل أهمية كبرى للدولة كما كان في السابق، ثم تولى دندي فار القائد بكر شيلي الذي كان يشغل قيادة الأسطول الصنغي (هيكي) بين عامي961هـ/992هـ/ 1554م- 1584م) وقد شغل هذا المنصب بين عامي (992هـ/996هـ)، ثم جاء بعده دندي فار المختار بين عامي (996هـ/1000هـ/1587م-11591م) ويعتبر أخر دندي فار في هذا الإقليم[4]، وقد شكل هذا المنصب خطورة في كثير من المرات على الأسكيا، خاصة الأسكيا محمد الثالث إبنالأسكيا داوود الذي عين فيه أخوه محمد بنكن الذي حاول الانقلاب عليه بمؤازرة القاضي العاقب بن محمود.

---

[1]- كرمن: يقع غرب المملكة بحدود مدينة ولاته، أطلقت عليه عدة أسماء منها كورما، كورمينيا، عاصمته مدينة تندرم التي أطلقت نسبة على أحد عبيد الأسكيا محمد يدعى (تند) وزوجته تدعى(مرم) ويعتبر من أكبر الأقاليم في مملكة صنغاي ، حيث يمتد من تنبكت شرقاً الى مالي جنوباً وحدود ولاته شمالأ ، له اهمية تجارية وعسكرية كبيرة تأسس في عهد الأسكيا محمد الكبير سنة902هـ/1496م كمركز عسكري لتأمين الطريق التجاري الذي يربط بين جني وغاو وتنبكت، ينظر: الهادي مبروك الدالي: مرجع سابق، 115.، زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي مرجع سابق، ص59، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص98-99.

[2]- كعت محمود : مصدر سابق، ص 11.

[3]- كعت محمود: مصدر سابق، ص47، السعدي: مصدر سابق، ص 100-102.، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص102.

[4]- السعدي: مصدر سابق، ص12- 151، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص103.

الثاني: ويطلق (كرمن فار)[1] ونفس الشيء لا يولي هذا المنصب إلا أحد أفراد العائلة الحاكمة، ففي عهد الأسكيا محمد الكبير تولى هذا المنصب أخوه عمر كمزاغ(908هـ-936هـ/1494م-1519م)، وبعد وفاته عين كرمن فار محمد مر بنكن بن عمر كمزاغ(936هـ-937هـ/1529م-1531م)، ثم تولى بعده أخوه كرمن فار يحي[2]، ثم بعده كرمن فار داوود بن الأسكيا الحاج محمد الكبير (949هـ-956هـ/1542م-1549م)[3] وذلك قبيل ارتقائه عرش المملكة، كما تولى كرمن فار بعده رجل يدعى الزغراني[4] وهو الوحيد الذي يعتبر خارج عائلة الأساكي وذلك لأنه كان صديق مقرب من الأسكيا داوود فخلفه في منصبه بعد اعتلاءه عرش الصنغاي ، لكن ما إن مات الأسكيا داوود حتى عاد تقليد هذه المهمة لأفراد البيت الحاكم، فشغل هذا المنصب أبناء الأسكيا داوود منهم كرمن فار محمد بنكن، وبعده كرمن فار الهادي، وبعده كرمن فار صالح[5]، ويعتبر هذان الإقليمان نقاط تماس في حدود المملكة بينها وبين المناطق الثائرة مثل قبائل الموشي الوثنية وكانت تعتبر شبه مناطق عسكرية لذا كان من يحكمهم لايكون إلا من البيت الحاكم، إضافة إلى وجود أقاليم أخرى صغيرة ليست بالأهمية كالإقليمين السابقين مثل، إقليم بالاما[6]، وإقليم بانجو[7]، إقليم

[1]- كعت محمود: مصدر سابق، ص11-83، السعدي:78.، ضيفي عثمان: مرجع سابق، ص77.

[2] - كعت محمود: المصدر السابق: ص74.

[3]- كعت محمود: مصدر سابق، ص 62-65-66، الطوخي وداد نصر محمد: مدينة تنبكت منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، معهد الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، مصر، 1986، ص53.

[4]- المصدر السابق: ص 185- 186، ضيفي عبد النعيم: مرجع سابق، ص83.

[5]- العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق: ص 100.

[6]- تقع على الحدود لبلاد الموشي في الجنوب الغربي لمملكة صنغاي بين تنبكتو وتغازة، أنشت نتيجة للصراع بين مملكة مالي ومملكة الموشي ، واستمر هذا الصراع حتى مع مملكة الصنغاي مماجعلا لأسكيا محمد الكبير يفكر في جعلها منطقة عسكرية كمقدمة لمواجهة قبائل الموشي، ينظر:الهادي مبروك الدالي: مرجع سابق، ص116.

[7]- تقع حول بحيرة ديبو أي المنطقة الواقعة بين العاصمة غاو ومدينة تنبكتو، ويعتبر هذا الإقليم من الأقاليم التجارية والعلمية بصفة أقل في مملكة صنغاي، وقد تميز حاكمه بصفة الحاكم الوحيد الذي يستطيع الدخول بفرقة تقرع الطبول إلى العاصمة غاو، ينظر: زبادية عبد القادر: مرجع سابق، ص34، الأحمر أسماء احمد: مرجع سابق، ص107.

هنبري[1]، وإقليم هاريباندا[2]، وإقليم رئاسة نهر النيجر[3]، وقد عين في هذه الأقاليم الأخرى نواب للأسكيا لكن ليست بدرجة الأوليان ماعدا إقليم رئاسة نهر النيجر الذي أسندت مهامه لقائد الأسطول البحري والذي أطلق على وظيفته الإدارية اسم (كوري)[4].

2-**الحاكم العام**[5]: ويكون هذا المنصب في المدن الكبرى مثل تنبكتو وجني، ويسمى هذا المنصب(المنصب(فار)، وكانت مهمته التعاون مع السكان من أجل حل المشاكل والاستعانة بالقضاة على ذلك، ومراقبة الأسواق والإشراف على جمع الضرائب وإرسالها إلى الأسكيا، كما كانت من مهامه التقدم في مواكب الأسكيا في الأعياد والمناسبات، وتقديم الدعم العسكري في وقت الحاجة[6].

3-**الحاكم العام الخاص بالعاصمة غاو**[7]:ويسمى(الكوار باندموند نديو) وهذا استثناء لعاصمة الدولة عن بقية المدن الأخرى نظراً لأهميتها السياسية، وعادة ما يتولى هذا المنصب أحد أمراء البيت الحاكم، ومن مهامه مساعدة القاضي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في التحكم العام في حل مشاكل العامة وقضاياهم ومتعلقاتهم الإدارية، إضافة إلى الإشراف على أحوال المدينة وترتيب أسواقها، وخدمات موظفيها، والحراسة على استتباب الأمن فيها، كما كانت له مهمة الإشراف على جمع

---

[1]- يقع في جنوبي المملكة يحده من الشمال مدينة تنبكتو، ومن الجنوب الغابات الإستوائية والقبائل الوثنية، ومن الشرق مدينة جاو، ومن الغرب إقليم كرمن، ويعتبر هذا الإقليم من أصغر الأقاليم في صنغاي مساحة وسكاناً له ميزة تجارية وعسكرية .ينظر: العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص103.

[2]- تقع على الضفة اليمنى لنهر النيجر إلى الشرق المواجهة للعاصمة غاو، وهو من أصغر الأقاليم مساحة وشعباً تميز بشاط تجاري واقتصادي، ينظر الشامي علي يوسف إبراهيم : مرجع سابق، ص 234، الهادي الدالي : مرجع سابق، ص116.

[3]- وهو إقليم قريب من العاصمة جاو يتميز بواجهته النهرية التي تشتغل على صيد الأسماك ، والتجارة النهرية، وهو إقليم حيوي للعاصمة جاو وللمملكة بصفة عامة. ينظر زبادية عبد القادر: مرجع سابق، ص 31،الشامي علي يوسف: مرجع سابق، ص 234.

[4]- الأحمر أسماء أحمد: مرجع سابق، 107.

[5]- السعدي : مصدر سابق، ص62.

[6]- ضيفي عبد النعيم : مرجع سابق، ص 78.

[7]- كعت محمود: مصدر سابق، ص22.

الضرائب ودفعها في وقتها المحدد لخزينة الدولة، وله الحق أن يأخذ ثلثها كمصروف ينفق على شؤون المدينة[1]، وله مجموعة من الموظفين يساعدونه في أداء مهامه منهم:

4-**نائب حاكم عام بالعاصمة غاو**: ويسمى (صندكي)[2] ومن مهامه الأساسية هي مساعدة الحاكم في إدارة المدينة،والإشراف على الموظفين العاملين في المدينة والحرس على دفع أجورهم ومستحقاتهم، مراقبة جباية الضرائب داخل المدينة على التجار والصناع والمزارعين والصيادين .

5- **المكريف**[3]: وهو الذي يساعد الحاكم العام في العاصمة غاو في حفظ الأمن والنظام داخل المدينة وهو بمثابة رئيس الشرطة.

وكثير من الحكام العامون لغاو تم تغيرهم من طرف الأساكي بعد استشارة رأي القاضي.

أما فيما يخص المناصب العليا في الدولة فقد استحدث الأساكي مجموعة منها، تعتبر بمثابة وزارات تفويضية مثل:

6-فارمند[4]: ويطلق هذا على من يؤدي اختصاصات وزير الداخلية في الوقت الحالي وهو عادة كان يعين من أفراد الأسرة الحاكمة، تكمن مهمته في الحفاظ على أمن المملكة والأشراف على التخابروكتابة التقارير[5]، وقد شغل هذا المنصب الكثير من الأساكي قبل ارتقائهم، منهم الأسكيا

[1]- الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق، ص 124.

[2]- زمان عبيد وناس: مدينة غاو مرجع سابق، ص78- 79.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- يرى أحد الباحثين أن هذا اللقب اعتمد عليه من المصادر السودانية وهو تاريخ الفتاش لمحمود كعت، وتاريخ السعدي تاريخ السودان، ولأنه رأى كثيرا أن هناك صياغات أخرى خاطئة كتبت بصيغة(الفاريمونوز) أو (الفاريموديو)، وقد وردت هذه عند كتابات المؤرخين العرب والأجانب أمثال زبادية عبد القادر، وسينكي مودي، فهي غير صحيحة، ومرده من الاعتماد على الكتابات الأجنبية والترجمةغيرالدقيقة، وعدم الرجوع إلى المخطوطات الأصلية، وبالتالي لابد من الرجوع إلى المصادر المحلية ككعت والسعدي، لأنهما من أبناء المنطقة وشاهدان على أحداث المنطقة، ينظر : العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، 88، إيهاب شعبان : القضاء في دولتي مالي وصنغاي مرجع سابق، ص179.

[5]- ضيفي عبد النعيم : مرجع سابق، ص82.

موسى بن الأسكيا محمد الكبير، وكذا الأسكيا داوود بن الأسكيا محمد الكبير(943هـ/1536م) وذلك أثناء حكم أخيه الأسكيا إسماعيل في نفس السنة، كما تولاها لأسكيا الحاج بن الأسكيا داوود(986هـ/1587م) أثناء حكم أبيه، أما الأسكيا إسحاق بن الأسكيا داوود فقد تولاه أيضا أثناء حكم أخيه الأسكيا محمد بان[1]، أما أبناء الأساكي الذين تولوا هذا المنصب منهم محمد بنكن بن الأسكيا داوود تولاه (956هـ-986هـ/1549- 1578م) وبعد ذلك ترقى ليصبح كرمن فار، كما تقلد هذا المنصب مصطفى بن الأسكيا داوود بين عامي(990هـ-992هـ/ 1582م-1587م)[2]، وقد تعددت اختصاصات الفارمند مابين الاهتمام بالشؤون الداخلية للدولة ومعالجة الكوارث والأمراض[3] التي تجتاح مدن وأقاليم المملكة، وكذا تقصي الحقائق وإبلاغ الأسكيا عن كل ما يجري من أجل اتخاذ الإجراءات والأحكام المناسبة تجاه أي قضية من قضايا السياسة، ومن اختصاصاته تتبع أحوال الخارجين والمناوئين لنظام الدولة والقضاء عليهم، وقد إ تخذ جواسيس وعيون تجمع له كل مايدور بين كبار رجالات الدولة من تحالفات أو القيام بثورات ويتضح ذلك من خلال الطريقة التي استطاع الأسكيا إسحاق بن الأسكيا داوود من قمع الحركة الانقلابية التي قادها أخوه بلمع محمد الصادق[4] يوم 996هـ/1588م، وتتبع أتباعه والقضاء عليهم .

---

[1]- كعت محمود: مصدر سابق، ص78- 105- 133.، السعدي : مصدر سابق،79- 80- 94- 98- 111-122، العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، 89.

[2]- السعدي: مصدر سابق، ص100-107-115-122.، المرجع نفسه.

[3] - وقعت في هذه الفترة عدة مجاعات وكوارث طبيعية منذ عهد الأسكيا محمد بنكن (937هـ943-هـ/1531م-1537م) حيث وقع طاعون في سنة (942هـ/1536م) وقد مات في هذا الطاعون خلق كثير منهم، كما انتشر طاعون في عهد الأسكيا إسماعيل(944هـ-947هـ/1537م-1540م) وفتك أيضاً بأعداد كبيرة من الناس، كما حدث وباء مروع في مدينة تندرم في عهد الأسكيا داوود(956هـ-991هـ/1549م-1583م)، وراح ضحيته خلق كثير، ثم جاء وباء أخر في مناطق نهر النيجر حول جني وتنبكت هلك ما يقارب ثلث السكان وذلك في عام (990هـ/1582م). ينظر فرياني بطل شعبان: العامة في صنغي مرجع سابق، ص155.

[4]- المصدر السابق: ص 124.، الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق، 192.

7-كلس فارم[1]: وهو بمثابة وزير المالية في وقتنا الحاضر، فقد كان يشرف على الخزينة و الشؤون المالية لمملكة صنغاي، من حيث المداخيل ومواردها، والمصاريف وأوجه إنفاقها، خاصة في بناء القصور الملكية، والأساطيل والحصون الحربية، وترميم المساجد التي كان يشرف عليها القضاة باتفاق مع كلس فارم وبأمر من الأسكيا، كما كان يشرف على رواتب كبار الموظفين في المملكة[2]، وقد تولى هذا المنصب أحد أبناء الأسكيا الحاج محمد الكبير ويدعى سليمان كند نكري وذلك أثناء حكم أبيه، وكان كلس فارم سليمان أحد الذين شهدوا على وثيقة الحرمة التي أصدرها الأسكيا الحاج محمد الكبير للشيخ مور هوكار التي أسقطت ما عليه من ضرائب ووظائف اتجاه السلطنة[3].

8-بابل فارم[4]: وهو المشرف على شؤون الزراعة في أرجاء مملكة صنغاي، من تخزين للمحاصيل والقيام بإحصاءها، ومن مهامه أيضا الإشراف على مزارع الأساكي وتنفيذ أحكامهم بتوزيع هبات على بعض القضاة والعلماء[5] من المحاصيل أو في شكل أراضي من اجل استغلالها مثل ما فعل الأسكيا محمد الكبير مع الشيخ محمد تل، وهي في شكل قرى زراعية بمسافات كبيرة، كما كان لهذا بابل فارم عدد من الأعوان والمساعدين منهم الفنافي(كبير المزارعين في المزارع السلطانية)، والمزارعين الذين كانوا يديرون الزراعة تحت إشراف رئيسهم، وقد تولى هذا المنصب أحد أبناء الأسكيا محمد الكبير يسمى(فعم)[6].

9-شاع فارم[7]: ويعني المشرف على قطاع الغابات، باعتبار أن مملكة الصنغاي تحتوي على ثروة غابية كبيرة تعد مصدر من مصادر دخل خزينة الدولة، لكثرة الطلب على الخشب واستعماله في

---

[1]- كعت محمود: مصدر سابق، ص74- 79.

[2]- السعدي : مصدر سابق، ص133.

[3]- العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص90، إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص190.

[4]- كعت محمود: مصدر سابق، ص79.

[5]- إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص190.

[6]- العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص92.

[7]- كعت محمود: مصدر سابق، ص74، السعدي: تاريخ السودان مصدر سابق، ص103.

الصناعات والحرف، وكذا في الطهي والتدفئة في فصل الشتاء، وتسقيف المنازل والمساجد وغيرها من الاستعمالات الخشبية التي تدخل في صناعة الأسلحة والمراكب الحربية، كما كلف هذا المسئول بمهمة مراقبة صيد الحيوانات البرية[1].

10-**وركي فارم**[2]: وهو الذي يتولى الإشراف على التموين بالسلع الأساسية واحتياجات الجيوش في وقت الحروب، كما يشرف على الضيافة التي تقدم للجيوش والأساكي في حالة الحرب، وذلك في المدن والقرى التي يمرون بها[3].

11-باركي فارم[4]: وهو من كبار موظفي البلاط يشرف على الشؤون التجارية خاصة القوافل التجارية الداخلة والخارجة إلى مملكة صنغاي وتنظيمها، وله علاقة مباشرة مع صاحب السوق، وجباة الضرائب، والقضاة، ومن مهامه الإشراف بالخصوص على تجارة الذهب والصادرة من مناجم المملكة، وتجارة التمور الواردة إلى المملكة، وقد تولى هذه المهنة في عهد الأسكيا محمد الكبير بكر الزغراني إبن حاكم إقليم كرمن[5].

12-كري فارم[6]: وهو المشرف على شؤون الأجانب من المغاربة والعرب والبربر المملكة، وهم إما تجار أو علماء، وقد استوجب الاهتمام بهم نظراً لما يقدمونه من خدمات للمملكة سواء في الجانب التجاري من خلال مساهمتهم في إنعاش خزينة الدولة لما يدفعونه من ضرائب، وتوفيرهم من احتياجات للسوق المحلية في بلاد السودان الغربي[7]، أو من خلال مساهمتهم في إثراء الحياة الثقافية

[1]- العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص91.، إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص189.

-[2]كعت محمود: مصدر سابق، ص188.

[3]- العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص94، إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص190.

[4]- كعت محمود: مصدر سابق، ص65.

[5]- العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، 94.

[6]- كعت محمود:مصدر سابق، ص79، السعدي: مصدر سابق، ص100- 109- 133.

[7]- زمان عبيد وناس: مدينة غاو مرجع سابق، ص78.

والعلمية، وقد تولى هذا المنصب أحد أبناء الأسكيا الحاج محمد ويدعى كري فارم مور موسى، وتولى أيضاً الأسكيا الحاج إبن الأسكيا داوود قبل أن يرتقي إلى عرش المملكة[1].

13-كار فرم[2]: وهو الذي يتولى الإشراف والنظر في القضايا المتعلقة بالنظام والسلطة وله علاقة مباشرة بالقاضي[3]، وقد تولى هذا المنصب ثلاثة من أبناء الأسكيا داوود وهم بكر وباسي، وهارون فات[4].

14-لاري فارم[5]: وهو المشرف على شؤون المياه في مملكة صنغاي، خاصة الأنهار والبحيرات والشحن النهري، والعيون المائية، كما كانت من مهامه بناء القيساريات في الأماكن العامة في المدن الكبرى كتنبكتو، وجني، وغاو[6].

15-دعي فارم[7]: وهو المسئول عن المشتريات والعتاد الذي يخص القصر، وكان يتولاها عادة أحد أبناء الأسكيا مثل أبن الأسكيا داوود سليمان زو[8].

16-ونيفرم[9]: وهو المسئول على الأملاك والعقارات الخاصة بالبلاط، وهو من كبار الموظفين الكبار في البلاط الملكي، وقد تولاها أحد أبناء الأسكيا داوود ويدعى نيفرم زكريا[10].

---

1 - العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص93، إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص190.

2 - كعت محمود:مصدر سابق، ص118.

3 - السعدي : مصدر سابق، ص136.

4 - العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص96.

5 - زمان عبيد وناس: مرجع سابق، ص78.

6 - الشامي يوسف علي: الحج وأثره الحضاري مرجع سابق، ص233.

7 - كعت محمود: مصدر سابق، ص118، السعدي: مصدر سابق، 136- 146- 150.

8 - العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص95.

9 - زمان عبيد وناس: مرجع سابق، ص78.

10 - العمراوي محمد السنوسي: مرجع سابق، ص95.

17-أرميز[1]: وهو المسئول على التعمير وكل ما يخص البناءات العمومية كالمساجد والمدارس، والساحات العمومية[2]، وكذا الإصلاحات العامة بالنسبة للقصور الملكية وبناء المدن الجديدة.

كماوجدتبعض المناصب الأخرى مثل

كوريفارم[3]: وهو المسئول عن البحرية و السفن وكل ما يخص بهما.

كارينيا[4]: وهو المشرف على خزانة السلاح والذخيرة، وكان هذه الوظيفة من الوظائف المهمة والخطيرة والخطيرة حتى أن مكان عمله يكون داخل القصر الملكي.

الهك كري[5]: وهو المسئول عن حراسة حريم السلطان، وله مكانة ووضع جيد عند الأسكيا كما يعتبر مستشاراً خاصاً له.

ومن الوظائف[6] التي ارتبطت بالقصر منصب **باريكي** وهو المسئول عن التشريفات، ومنصب **الهوكري الهوكري** وهو أمين القصر، ومنصب **غاريشغ** وهو المسؤول عن الإسطبلات والخيول، ومنصب **جيمكي** وهو المسئول عن الخدم، ومنصب **طركي** وهو الحلاق الخاص بالأساكي.

وكان على هاته الوظائف مجلس وزاري يسمى صاحبها(**بلمع)**[7] أي أمين السلطنة وهو منصب يجمع يجمع صاحبه بين القيادة العسكرية والإشراف الإداري، ويجتمع بدورات متتالية في الحالات العادية، وفي الأزمات بصفة استعجالية. وأشهر من تولوا هذا المنصب[8] (بلمع صادق) في هد الأسكيا محمد

---

[1]- كعت محمود: مصدر سابق،ص65.

[2]- إيهاب شعبان: مرجع سابق، ص191.

[3]- الشامي يوسف علي: مرجع سابق، 233.

[4]- زمان عبيد وناس: مرجع سابق، ص79.

[5]- ضيفي عثمان عبد النعيم: رسوم ونظم دولة الأسكيين مرجع سابق،45.

[6]-كعت محمود: مصدر سابق، ص 104- 126- 134.

[7]- المصدر السابق: ص126-127.

[8]- ضيفي عثمان عبد النعيم : مرجع سابق، ص47.

بان(995هـ-997هـ/1586م-1588م) الذي قام بثورة تمردية ضد الحكم بسبب فتنة اتهام أحد الأعيان أحد خدام بلمع صادق بالسرقة فقام بالتحقيق في القضية، وأثبتت التحقيقات براءة الخادم[1]، فقام صاحب الشكوى بقتل الخادم مما أثار حفيظة بلمع صادق والذي قام بدوره بقتل صاحب الشكوى انتقاما لخادمه، وبعد وصول الأنباء للأسكيا محمد بان خاف بلمع صادق وقرر القيام بثورة ضد الأسكيا وقد نجح في استقطاب بعض القبائل مما شكل خطر على المملكة واستمرت في محاربته ولم تقضي عليه إلا في عهد الأسكيا إسحاق(947هـ-956هـ/1549م-1459م) أين تم القضاء على الثورة بمقتل بلمع صادق[2].

أما الوظائف التي كانت ذا علاقة بالأسكيا فنجد أهمها ديوان الإنشاءأو الكتابة وقد كان معظم من يشتغل في هذه الديوان من العرب المغاربة نظراً لتحكمهم في اللغة العربية، إضافة إلى **الوانايفورما**[3] وهو البروتوكول الخاص بالقصر الملكي الذي يشرف على جميع رحلات وأعمال الأساكي، وقد كان يلحق به مجموعة من المناصب منها: **لوند**[4] وهو الذي يتولى صاحبه ترديد كلام الأساكي عند الحديث للناس أي كترجمان مهمته تسميع الناس وتوضيح لهم مايقوله الأسكيا، كما كانت من صلاحياته التحدث باسم السلطان[5] أي مايشبه الناطق الرسمي في وقتنا الحالي.

السوما[6]: وهم مجموعة من الناس مهمتهم التحضير والتجهيز لخروج الأسكيا وكانوا يلبسون لباس خاص وبارتداءهم للبرنوس.

---

[1]-السعدي : مصدر سابق، ص105.

[2]- كعت محمود: مصدر سابق، ص 135-136.، ضيفي عثمان عبد النعيم : مرجع سابق، ص48.

[3]- زمان عبيد وناس: مرجع سابق، ص78.

[4]- السعدي: مصدر سابق، ص101.

[5]- ضيفي عثمان عبد النعيم: مرجع سابق، ص46.

[6]- السعدي : مصدر سابق، ص116.

وندع[1]: وهو الشخص الذي كان مسئولا عن شرح الأشياء التي يصادفها الأساكي أثناء مواكبهم.

صاحب الطريق[2]: وهو الذي يرأس الخدم الذين يسيرون في موكب الأساكي.

وبعد عودة الأسكيا محمد الكبير من الحج سنة 902هـ استحدث ديوان خاص بتسجيل سيرة حياة الملوك، وكان هذا ربما من تأثيره بالنظم التي شهدها[3] في المشرق، وقد عهد بهذا إلى مستشاره القاضي محمود كعت الذي كتب عن سيرة وجهاد الحاج محمد أسكيا في كتابه تاريخ الفتاش[4].

وفي عهد الحكم المغربي استبدلت بعض التقاليد الإدارية التي كانت موجودة في عهد الأساكي لنظر لتغير الحكم، حيث أصبح نظام الباشوية كسلطة انتدابية في بلاد السودان الغربي، له سلطة تعين القائد العسكري في كل مدينة وذلك بمرسوم (ظهير)ملكي من السلطان السعدي في المغرب وباقتراح من الباشا[5]، كما عين في كل مدينة أميناً الذي احتكر كثير من السلطات وأصبحت له اختصاصات اختصاصات واسعة أهمها محاسبة العمال والجباة على الأموال والأقوات، وتحديد أوجه صرف الضريبة العينية التي تفرض على التجار، وضبط ديوان أرزاق الجنود والخراج[6]، وقد عين في تنبكتو على سبيل الأمين حسن بن الزبير، وفي جني عين الأمين نفاس الدرعي[7]، وقد كان يساعد الأمين مساعد أخر عرف باسم الكاهية[8] أي المعتمد[9] الذي كان له الإشراف على بيت المال والخزينة.

[1]- كعت محمود: مصدر سابق، ص 101، ضيفي عثمان عبد النعيم: مرجع سابق، ص46.

[2]- السعدي: مصدر سابق، ص 105، الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي مرجع سابق، ص144.

[3]- مطير سعد غيث: مرجع سابق، ص313.

[4]- كعت محمود : مصدر سابق، ص54.

[5]- الغربي محمد : بداية الحكم المغربي مرجع سابق، ص386.

[6]- السعدي: مصدر سابق، ص174.

[7]- المصدر السابق: ص 193.

[8] - لقب أطلق في الجيش الإنكشاري العثماني ودخل بلاد السودان الغربي مع الحملة السعدية وبالتالي هو مصطلح دخيل على الاثنين أي بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي ينظر : الحواس الغربي: السيادة السعدية بالبلاد السودانية مرجع سابق، ص70.

[9]- المرجع نفسه..

كما أن مقر عاصمة الحكم تغير من غاو إلى تنبكتو، التي أصبحت مقر الباشوية وبالتالي مقر الحكم أصبح يخضع مباشرة لسيادة السلطان السعدي في مراكش.

أما دور القاضي في الجانب الإداري فلم تعد له تلك السلطات الإدارية التي كان يستشيره فيها الأسكيا، بل أصبحت مهمته فقط في الأحكام والعقود، وهنا تضاعف عمل القاضي فيما استعملته السلطة من فرض ضرائب على العقارات[1]، بل أصبح لايحق لأحد أن يملك بيتاً أوبستاناً داخل المدن المدن الكبيرة إلا إذا كتب شهادة الملكية عند القاضي وأصبح له ديوان يسمى ديوان عقود الملكيات، فتحرر هذه الوثائق عند القاضي بعد الاستماع إلى البائع والمشتري والشهود، بحيث يأخذ الأمين واجبات الرسم على هذه العملية[2].

وفي الأخير نستنتج مما تعرضنا له أن دور القضاة في مملكة صنغاي كان ذو أهمية في توجيه الأساكي نحو تنظيم إداري ممنهج لتسير البلاد وكان هذا نتج الثقة التي وضعها الحكام فيهم، إلا أنه في عهد الحكم المغربي وإن كانت مكانتهم في بالغ الأهمية لأن دورهم تراجع وأصبح محصور في عملية التقاضي وبعض الأعمال الاجتماعية والثقافية ناهيك عن توجيه الباشوات للقضاة.

[1]- السعدي: مصدر سابق، ص226.

[2]- الغربي محمد: مرجع سابق، ص389.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة القضاء والقضاة في بلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر هجري (15م- 18م) وهي فترة متباينة من حيث اتساعها الجغرافي وبعدها الزمني، وقد حاولت الدراسة أن تقف على هذا من خلال خطة القضاء التي عرفت تنظيماً خاصاً لم يكن كباقي تنظيمات البلدان الإسلامية الأخرى، إضافة إلى أنه جديد على هذه المنطقة، فقد عرفت نظماً قضائية قبل فترة الدراسة محل البحث، لكن تفاوتت بتفاوت الحكام، ففي مملكة غانة ورغم أنها كانت وثنية في شقها الأول، إلا أن نظام قضاءها أعطى مجالاً واسعاً للحرية والعدل، ثم مملكة مالي التي سارت بخطى تنظيمية وإصلاحية مثلها العلماء الوافدون عليها، وسياسات المناسي، لكن الفجوة حدثت بعد مجيء سني علي وقيام دولة صنغاي، فعمل على محاربة كل ما من شأنه أن يدعو إلى تحقيق العدل والمساواة بين الرعية، فبدا ظالماً مستبداً لا يعمل ولا يحكم إلا وفق هواه ورغباته، فأقصى العلماء وطغى في الرعية، إلى أن جاء محمد بن أبي بكر التوري (الأسكيا محمد) الذي أعطى عهداً جديداً لدولة صنغاي يضيئ صفحة جديدة من صفحات الحضارة الإسلامية في هذه البلاد، فأقام الشرع وسار في الناس بالعدل والمساواة، وكل هذا بفضل العلماء الذين قربهم وجعل علمهم يفوق كل اعتبار، فسمع منهم واستشار برأيهم، وجعل من هذا التقليد منهاجاً لهذه المملكة المترامية الأطراف سار عليه كل الأساكي الذين جاءوا بعده، وهو ما ميز هذه المملكة حتى بعد سقوطها وعليه نخلص ان القضاء في بلاد السودان الغربي تميز بما يلي:

-توطيد علاقة الأساكي بالعلماء جعلت من ذلك اكتساب لشرعيتهم وتحقيق لمبدأ الشريعة الإسلامية التي أعلنوا أنها المصدر الأساسي في تطبيق الأحكام، وقد اعتمدوا على الفقه المالكي باعتباره المذهب السائد في هذه البلاد وبالتالي كان لزاماً أن يكون مصدراً للتشريع القضائي الى جانب العرف الشائع في هذه البلاد.

-سعت السلطة الحاكمة لاختيار القاضي وفق أحكام وشروط تمثلت في الكفاءة والخبرة العلمية والتمرس في الحياة وسنوات التجربة، فجعلت من هذا الأخير المثل الأعلى في مجتمعه وهو همزة وصل بين الحاكم والرعية.

-كان لجماعة الحل والعقد في البلاد السائبة سلطة تعين القاضي وفق شروط معينة منها الكفاءة العلمية والخبرة العملية.

-تميز القضاء في دولة صنغي بالاستقلالية والمكانة المتميزة التي وصل إليها فلم يكن للأساكي دخل في عمل القاضي بل اعتبرت في كثير من المرات أن سلطات القاضي تفوق سلطة الأسكيا وهو ما يوحي بفصل السلطة القضائية عن السلطة الحاكمة، لكن في العهد المغربي لم تعد للقاضي نفس السلطة والمكانة بل اعتبر موظف تابع لنظام الباشوية وأصبح يعين بمرسوم (ظهير) سلطاني يأتي من المغرب.

-شارك القضاة في جماعة الحل والعقد التي عرفت في البلاد السائبة والتي كان يجمعها رابط القبيلة، واعتبرت القبيلة التي بها علماء هي صاحبة القضاء المحكم بين القبائل.

تميزت مدينة تنبكتو عن باقي مدن بلاد السودان الغربي بالمكانة العلمية والتجارية وهو ما أهل قضاتها من حملهم صفة قاضي القضاة،رغم أنها لم تكن عاصمة الحكم في عهد الأساكي، وزاد هذا من مكانتها في العهد المغربي التي اتخذها الباشوات عاصمة لهم رغم فترات الضعف السياسي وحالة الانفلات.

-عرفت بلاد السودان الغربي التخصص في القضاء من حيث قضاء الجماعة، وقضاة الأقاليم، والقضاء المحكم، والقضاء العسكري الذي ظهر في العهد المغربي بصفة خاصة أين طبقت حالات الطوارئ والنظام العسكري.

-أوضحت الدراسة أن القضاء لم يعد مقصوراً على العلماء الوافدين إلى بلاد السودان الغربي، بل ظهرت أسراً خرجت من رحم البيئة السودانية اشتهر أفرادها بممارسة القضاء مثل أسرة آل أقيت وآل بغيغ، وآل أندغمحمد، والمحاجيب، وهذا ما يدل على تفاعل أبناء المنطقة مع الإسلام وثقافته.

-لتكن أجور ورواتب القضاة بنفس المستوى بل تفاوتت وتباينت على حسب المناطق والفترات الزمنية، فقد مثل بذل الأساكي للقضاة نموذج يعكس الوضعية المادية الميسورة للقاضي، عكس العهد المغربي الذي قلت فيه العطايا والهدايا للقاضي واختزل ذلك في راتبه الذي يمنح له، أما في البلاد السائبة فإنه طرح إشكالاً كبير لغياب بيت مال يلجأ إليه مما فتح المجال لعدة ممارسات من أجل الإسترزاق من عملية التقاضي.

-تبين أن القضايا التي عالجها القضاء في بلاد السودان الغربي لم تكن خارج مألوف القضايا المعروف في بقية البلدان الإسلامية، ومعظمها كانت في قضايا الزواج والطلاق، والغصب والتعدي، والميراث، والجنايات وغيرها من القضايا العامة.

-طرح إشكال غياب السلطة الحاكمة في بلاد السيبة إلى قلة تطبيق العقوبات، مما جعل بعض الاجتهادات القضائية تصوغ للعقوبات المالية.

-مارس القضاة إلى جانب التقاضي أعمال أخرى اجتماعية وعلمية وثقافية، مثل حركة التأليف في مجال العلوم، والإشراف على المدارس والمساجد والمكتبات،إضافة إلى الوقوف في وجه الظواهر الاجتماعية التي حلت في المجتمع وتكون مسؤوليتها على الجميع، الوقوف إلى جانب العامة في قضايا التكافل الاجتماعي ومد يد العون للفقراء والمساكين، ووقوفهم في المحن والمشاكل الأخرى كالمجاعات والكوارث الطبيعية.

-ساهم القضاة في الجانب السياسي والإداري من خلال توجيه الأساكي ورسم سياسة الدولة وتوزيع أقاليمها، كما وقفوا في وجه السلطان إن كان ظالماً، والتوسط للعامة لدى السلطان، ومواقفهم من

الصراع السياسي، إضافة إلى إشراكهم كهيئات في المجالس الملكية والأميرية التي كانت في بلاط السلطان.

وعليه كان للقضاء الدور والمكانة العليا سواء لدى العامة ام السلطة الحاكمة، نظراً لتطبيقهم لأحكام الشريعة الإسلامية ومساهمتهم الفعالة في الجوانب الأخرى سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو علمية أو ثقافية.

الملاحق

ملحق رقم 01

إيهاب شعبان - مرجع سابق ص283

قائمة بفترات حكم سلاطين

دولة صنغي الإسلامية

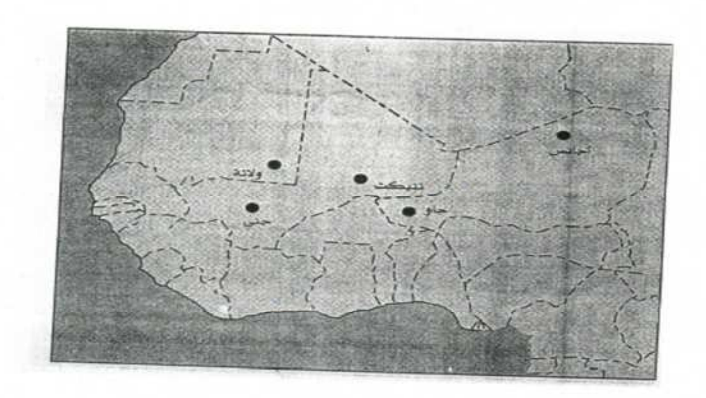
من (٨٦٩ - ١٠٠٠هـ) (١٤٦٤ - ١٥٩١م)

م	الاســـم	التاريـــخ
١	سُنى على	(٨٦٩ - ٨٩٩هـ / ١٤٦٤ - ١٤٩٣م)
٢	الأسكيا محمد الأول (الكبير)	(٨٩٩ - ٩٣٤هـ / ١٤٩٣ - ١٥٢٨م)
٣	الأسكيا موسى بن الأسكيا محمد الأول	(٩٣٤ - ٩٣٧هـ / ١٥٢٨ - ١٥٣١م)
٤	الأسكيا محمد الثاني (محمد بنكن)	(٩٣٧ - ٩٤٣هـ / ١٥٣١ - ١٥٣٧م)
٥	الأسكيا إسماعيل بن الأســكيا محمــد الأول	(٩٤٣ - ٩٤٦هـ / ١٥٣٧ - ١٥٣٩م)
٦	الأسكيا إسحاق الأول	(٩٤٦ - ٩٥٦هـ / ١٥٣٩ - ١٥٤٩م)
٧	الأسكيا داوود بن الأسكيا محمد الأول	(٩٥٦ - ٩٩١هـ / ١٥٤٩ - ١٥٨٢م)
٨	الأسكيا محمد الثالث بن الأسكيا داوود	(٩٩٠ - ٩٩٥هـ / ١٥٨٢ - ١٥٨٥م)
٩	الأسكيا محمد الرابع بن داوود	(٩٩٥ - ٩٩٦هـ / ١٥٨٦ - ١٥٨٨م)
١٠	الأسكيا إسحاق الثاني بن داوود	(٩٩٦ - ١٠٠٠هـ / ١٥٨٨ - ١٥٩١م)

ملحق رقم 02

مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 414

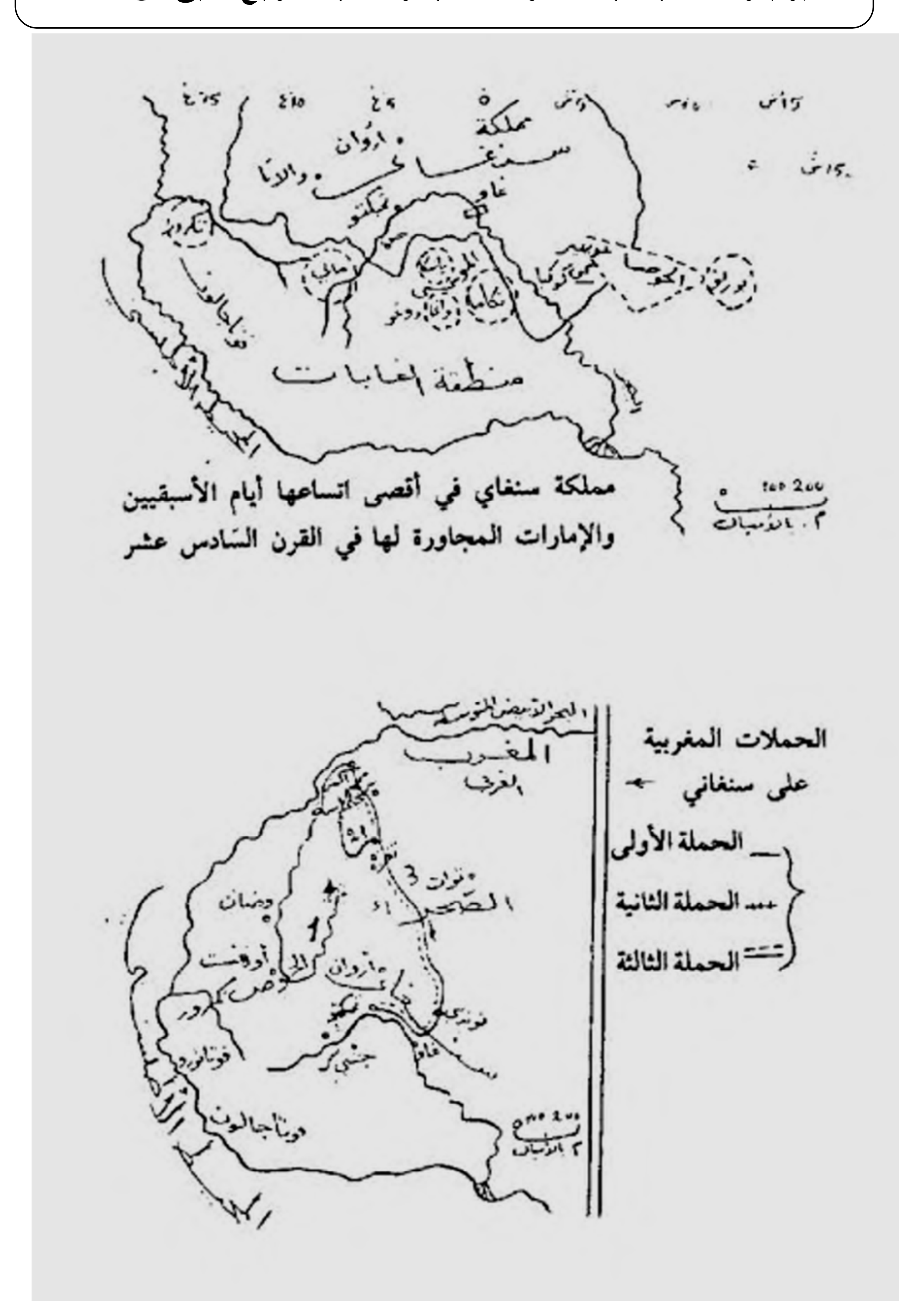
الملحق



خريطة توضح أهم المراكز الحضرية في بلاد السودان الغربي[1].

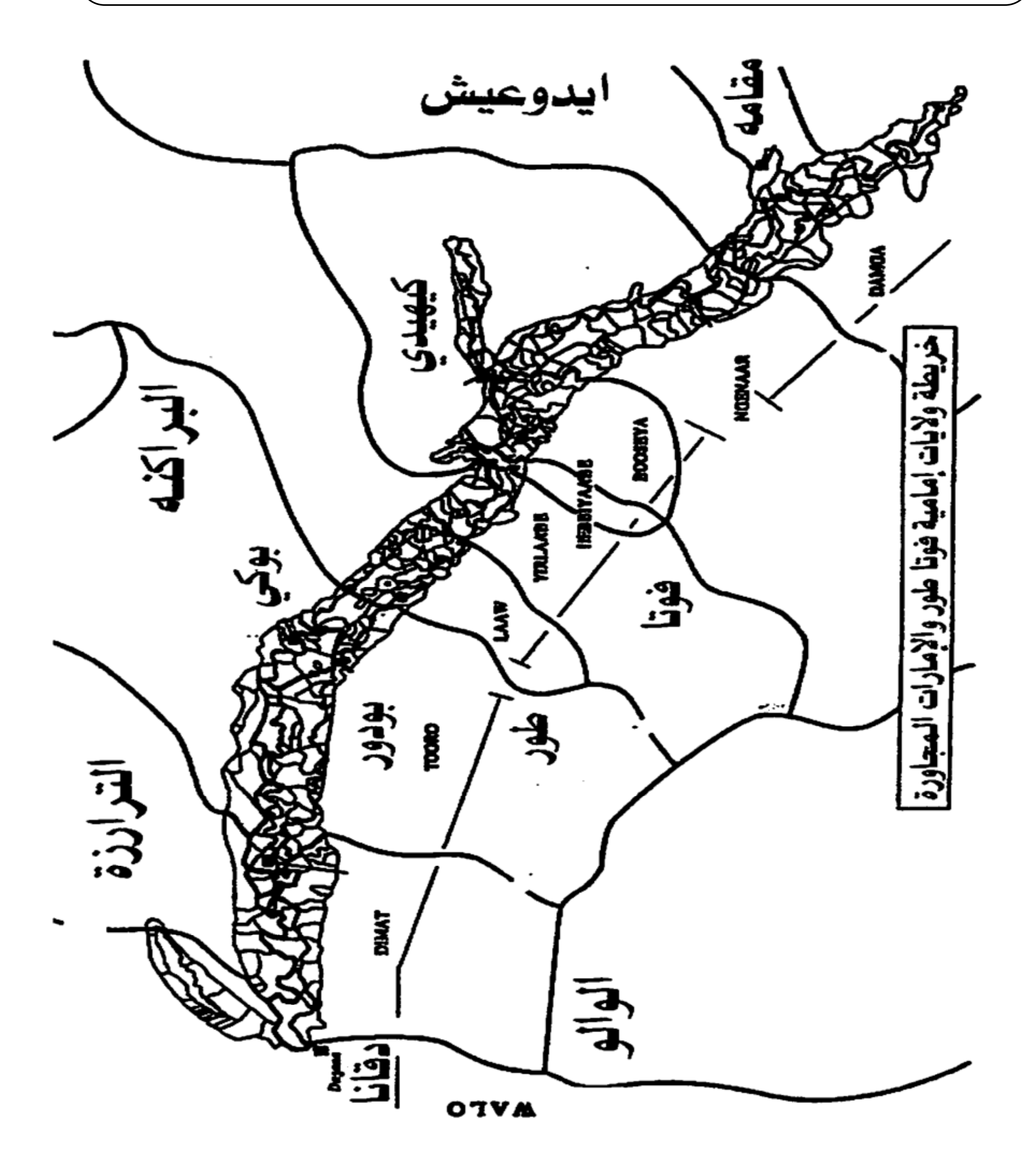
ملحق رقم 03

أبو بكر اسماعيل ميقا ـ الحركة العلمية والثقافية ـ مرجع سابق ص 304



ملحق رقم 04

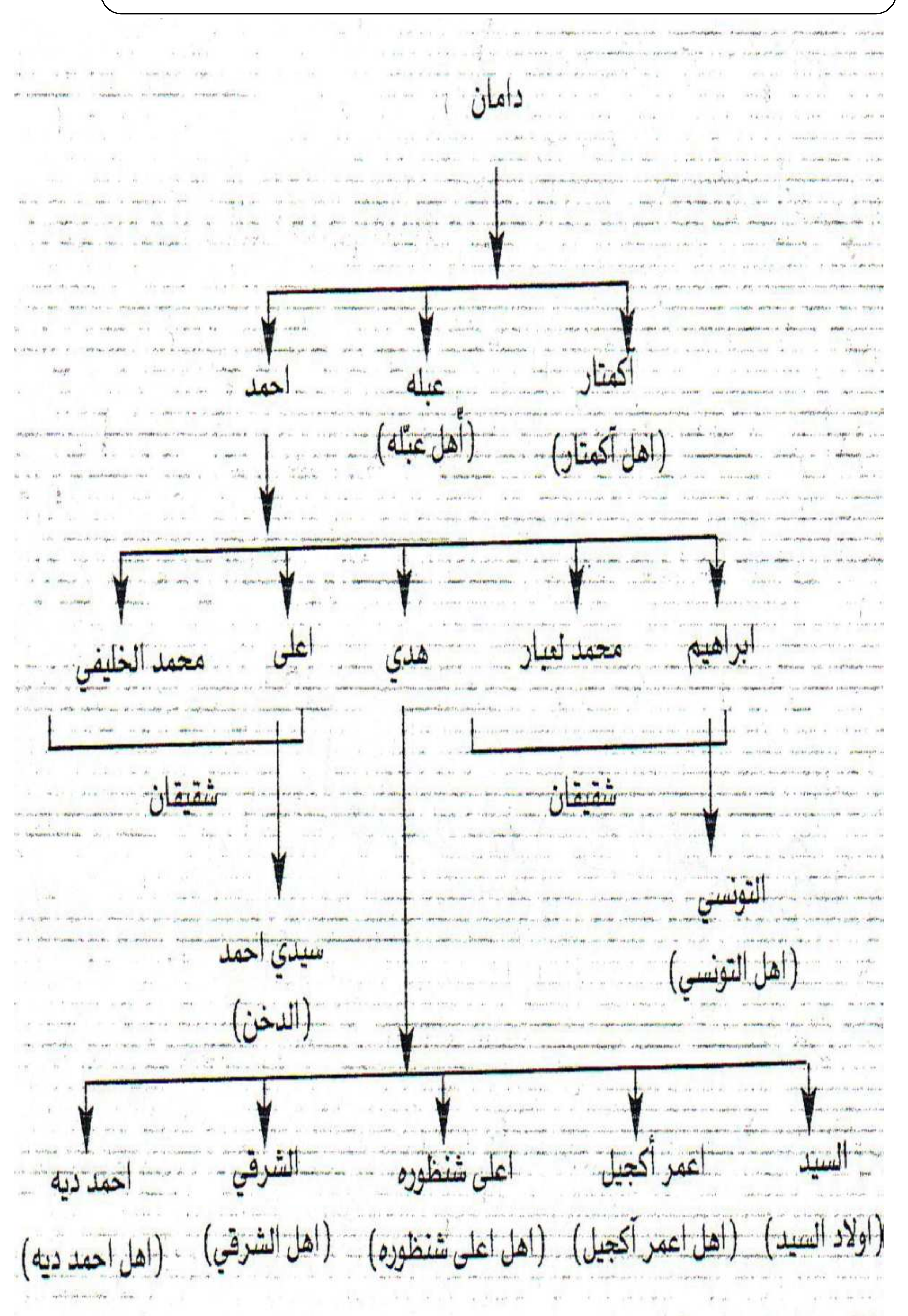
ولد بيه محمد المحجوب ـ موريتانيا ـ جذور وجسور ـ مرجع سابق ص 137

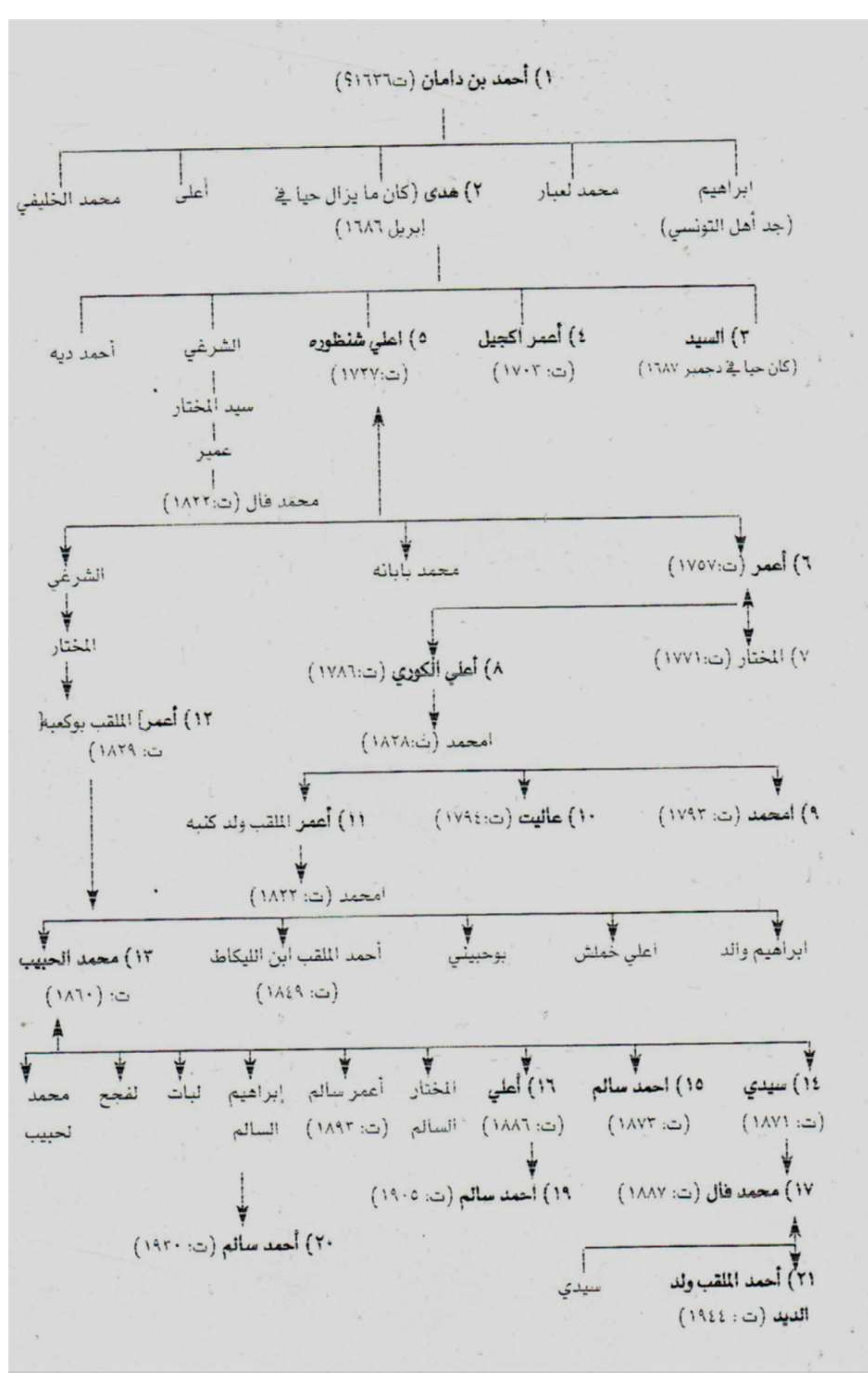


خريطة ولايات إمامية فوتا تورو والإمارات المجاورة

ملحق رقم 05

ولد السعد محمد المختار ـ الإمارات والنظام الأميري ـ مرجع سابق ص صص 44، 45، 58

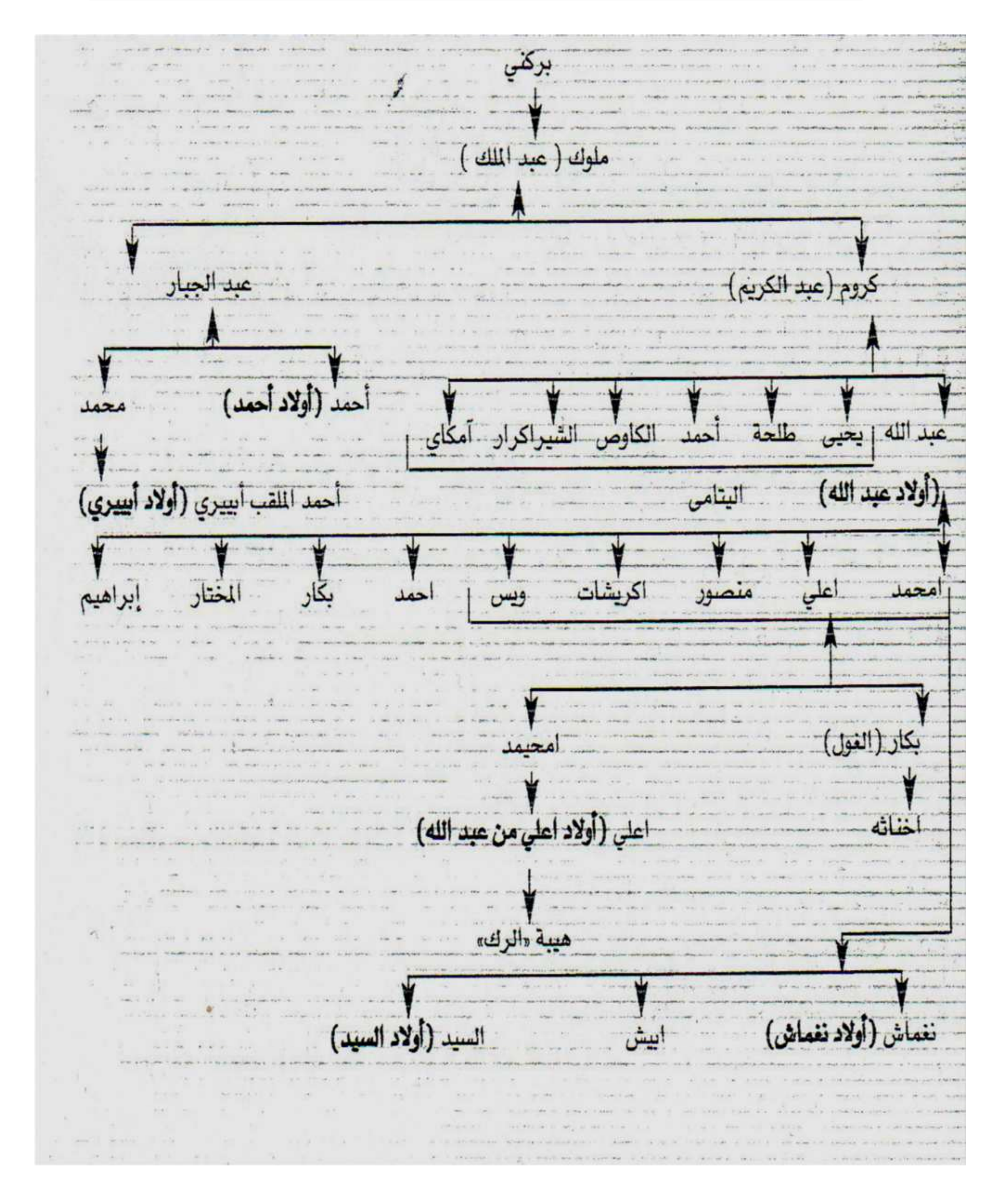




١) أحمد بن دامان (ت١٦٣٦؟)
ابراهيم (جد أهل التونسي)
محمد لعبار
٢) هدى (كان ما يزال حيا في ابريل ١٦٨٦)
أعلى
محمد الخليفي
٣) السيد (كان حيا في دجمبر ١٦٨٧)
٤) أعمر اكجيل (ت: ١٧٠٣)
٥) اعلي شنظوره (ت:١٧٢٧)
الشرغي
أحمد ديه
سيد المختار
عمير
محمد فال (ت:١٨٢٢)
٦) أعمر (ت:١٧٥٧)
محمد بابانه
الشرغي
٧) المختار (ت:١٧٧١)
٨) أعلي الكوري (ت:١٧٨٦)
المختار
١٢) أعمر الملقب بوكعبة
ت: ١٨٢٩
امحمد (ت:١٨٢٨)
٩) امحمد (ت: ١٧٩٣)
١٠) عاليت (ت:١٧٩٤)
١١) أعمر الملقب ولد كنبه
امحمد (ت: ١٨٢٢)
ابراهيم والد
أعلي خملش
بوحبيني
أحمد الملقب ابن الليكاط (ت: ١٨٤٩)
١٣) محمد الحبيب ت: (١٨٦٠)
١٤) سيدي (ت: ١٨٧١)
١٥) احمد سالم (ت: ١٨٧٣)
١٦) أعلي (ت: ١٨٨٦)
المختار السالم
أعمر سالم (ت: ١٨٩٣)
إبراهيم السالم
لبات
لفجح
محمد لحبيب
١٧) محمد فال (ت: ١٨٨٧)
١٩) أحمد سالم (ت: ١٩٠٥)
٢٠) أحمد سالم (ت: ١٩٣٠)
٢١) أحمد الملقب ولد الديد (ت: ١٩٤٤)
سيدي

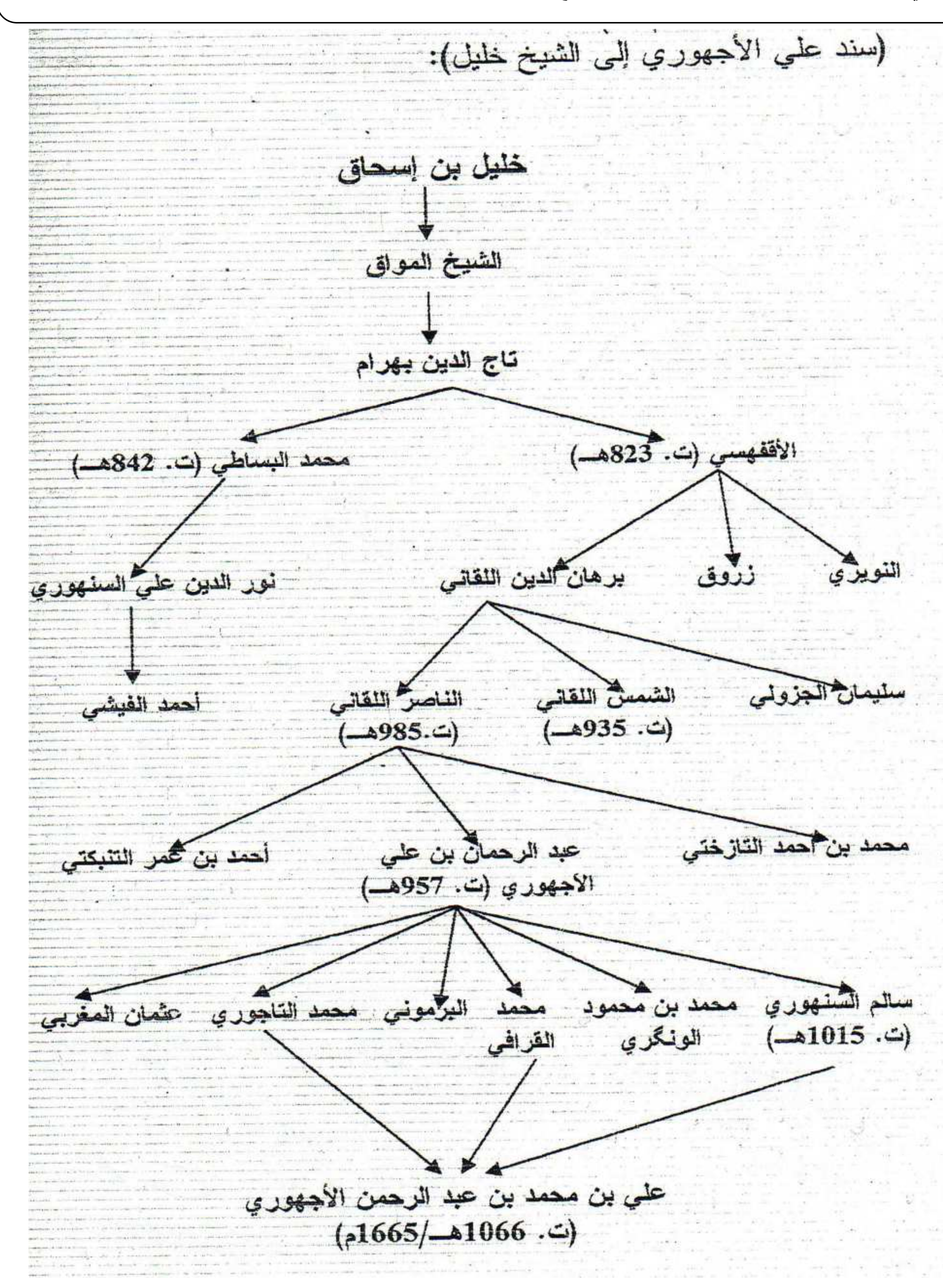
ملحق رقم 06

ولد السعد محمد المختار ـ الإمارات والنظام الأميري ـ ص 87

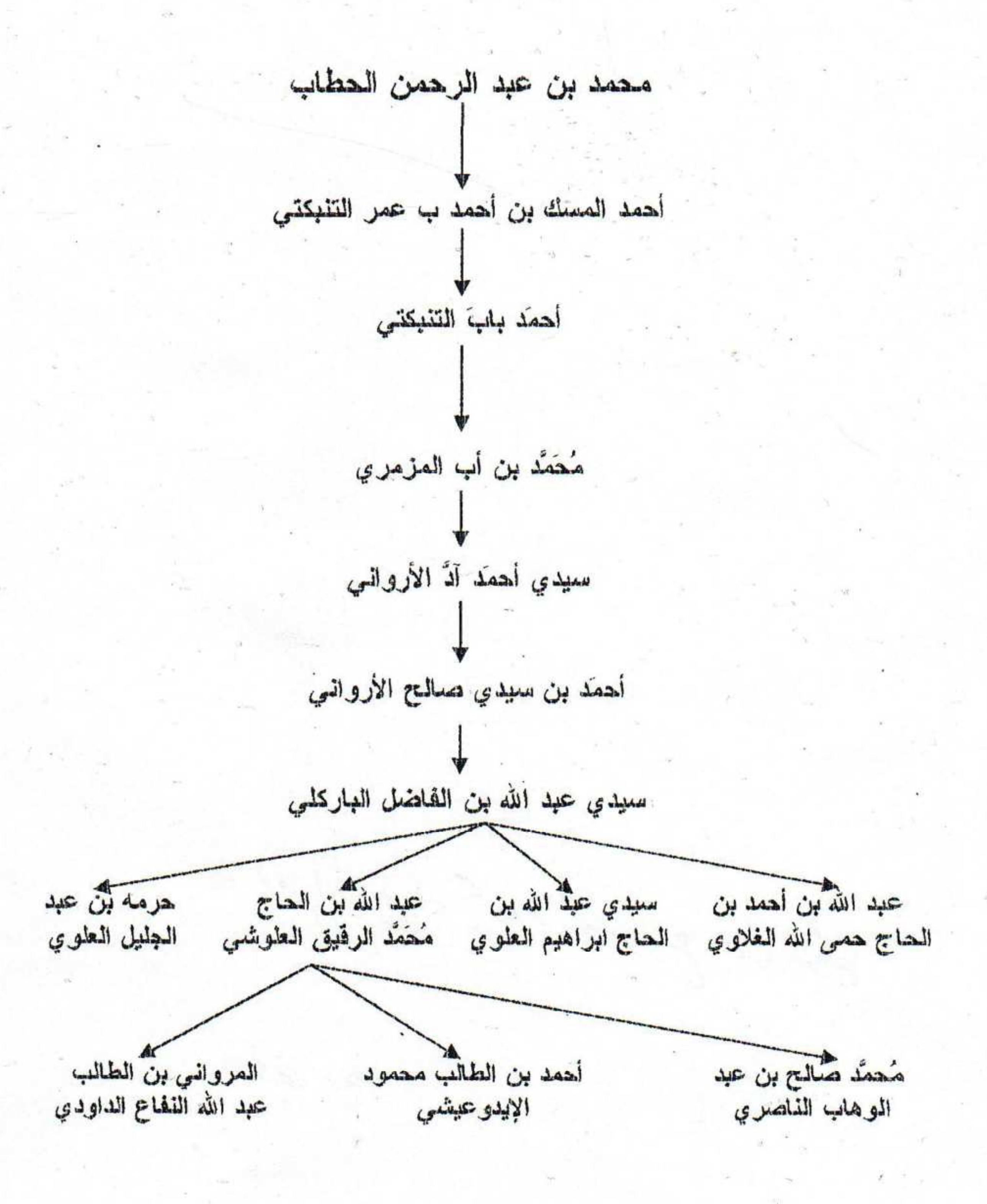


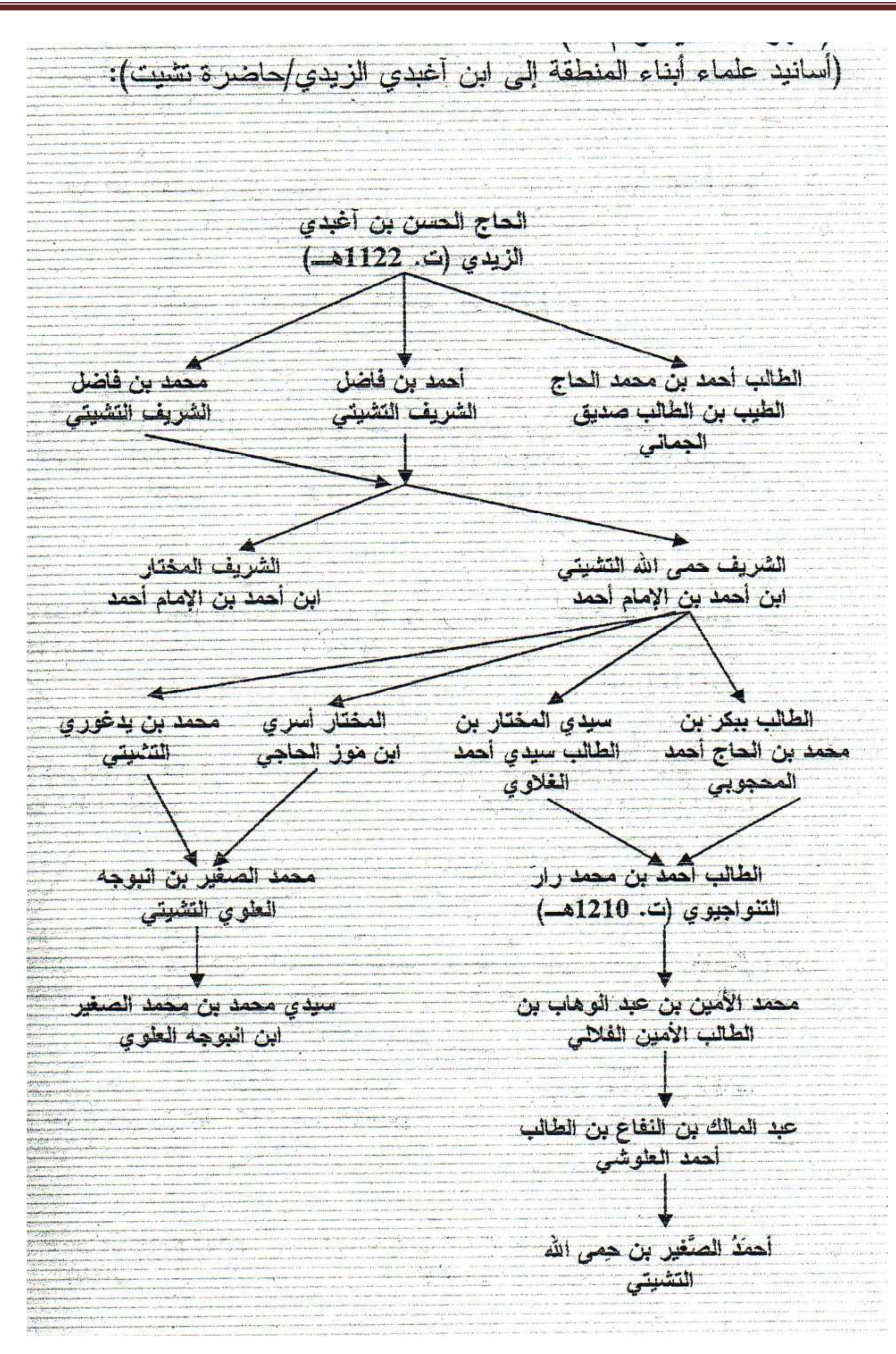
ملحق رقم 07

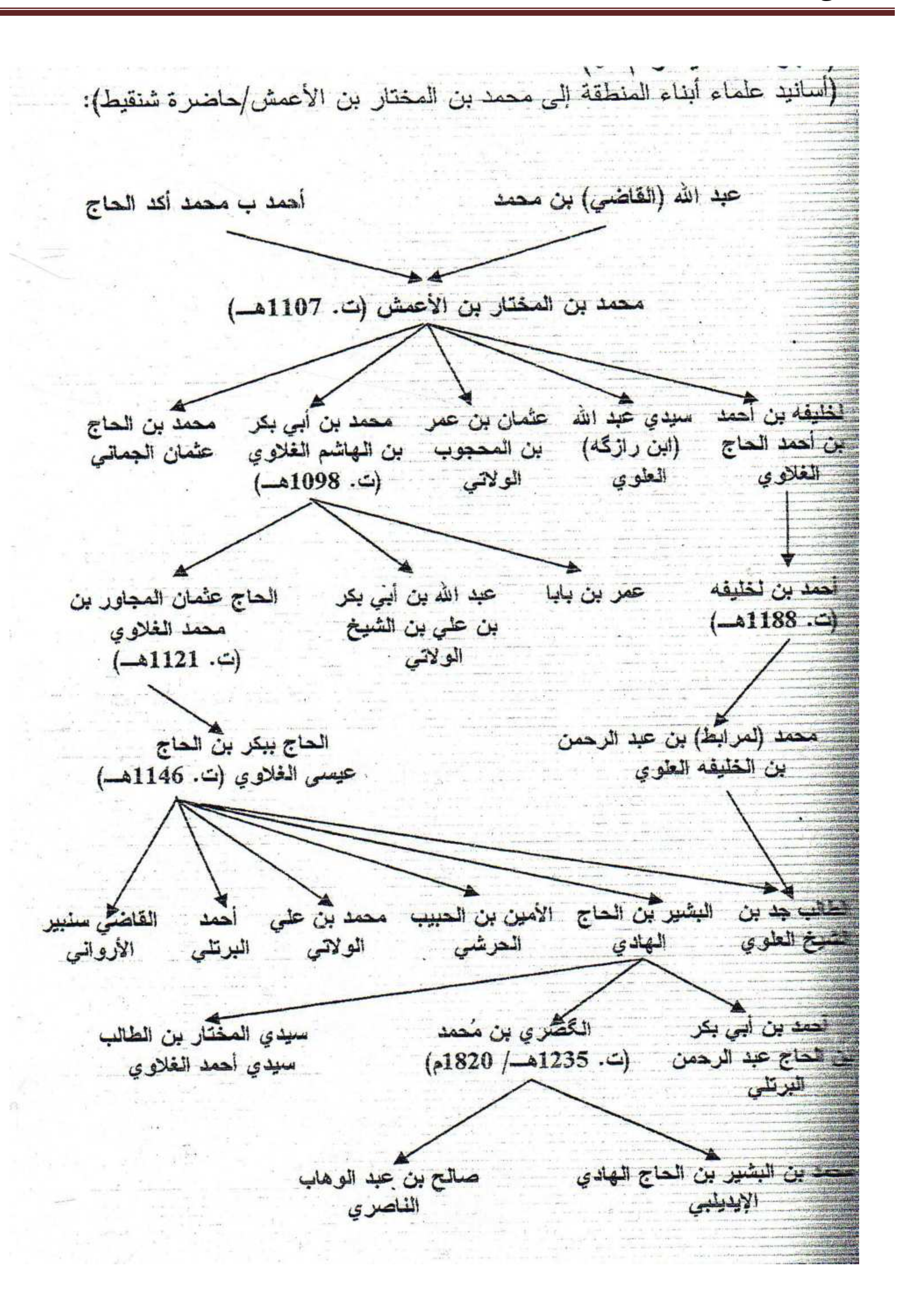
ولد البراء يحي : المجموعة الكبرى الشاملة للفتاوى ـ مرجع سابق ص صصص ص: 201، 203، 204، 205، 206

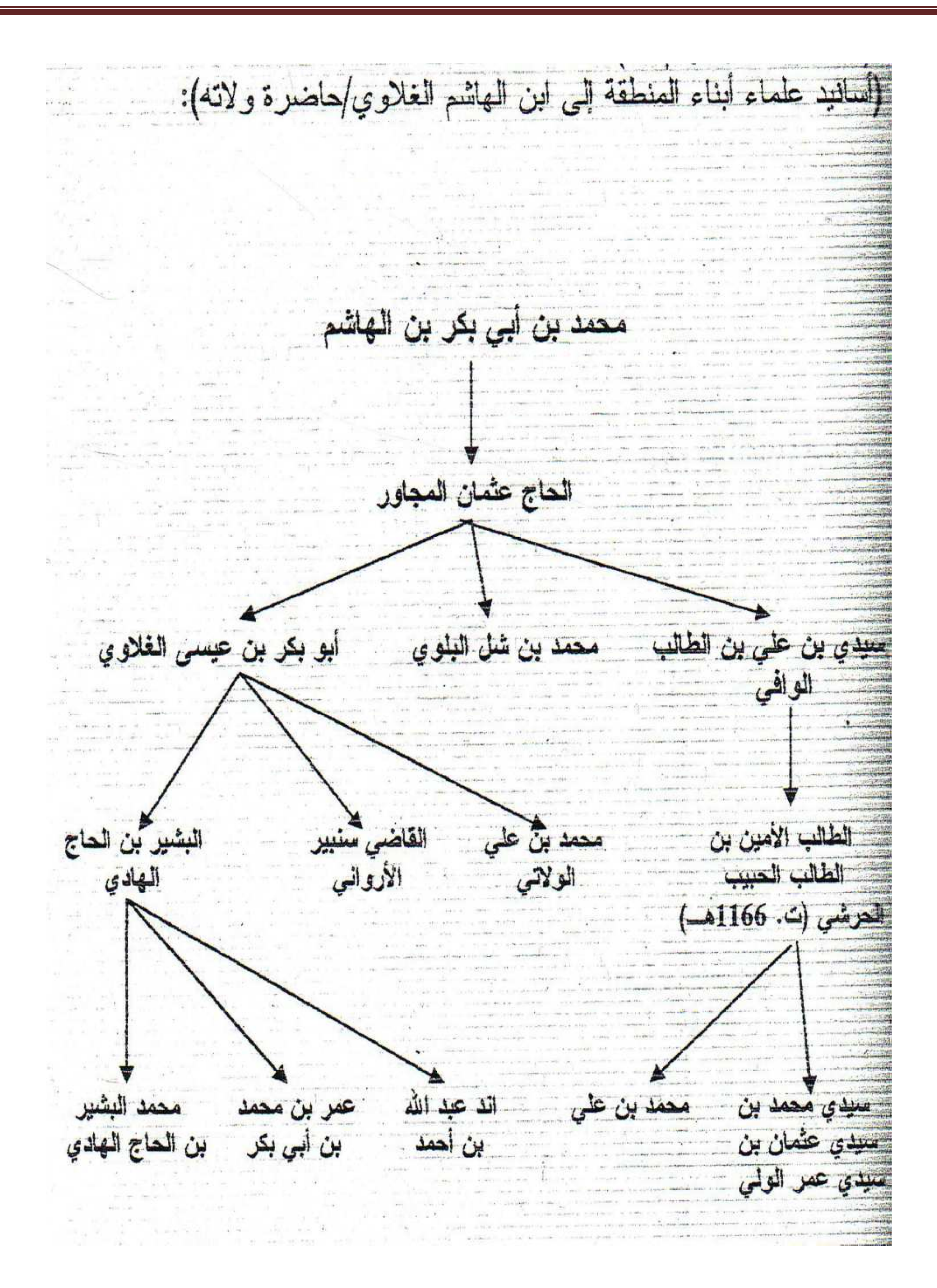


(أسانيد علماء أبناء المنطقة إلى الحطاب بواسطة أحمد بابا التنبكتي):




(أسانيد علماء أبناء المنطقة إلى ابن آغبدي الزيدي/حاضرة تشيت):
الحاج الحسن بن آغبدي
الزيدي (ت. 1122هـ)
الطالب أحمد بن محمد الحاج
الطيب بن الطالب صديق
الجماني
أحمد بن فاضل
الشريف التشيتي
محمد بن فاضل
الشريف التشيتي
الشريف حمى الله التشيتي
ابن أحمد بن الإمام أحمد
الشريف المختار
ابن أحمد بن الإمام أحمد
الطالب ببكر بن
محمد بن الحاج أحمد
المحجوبي
سيدي المختار بن
الطالب سيدي أحمد
الغلاوي
المختار أسري
ابن موز الحاجي
محمد بن يدغوري
التشيتي
الطالب أحمد بن محمد رارَ
التنواجيوي (ت. 1210هـ)
محمد الصغير بن انبوجه
العلوي التشيتي
محمد الأمين بن عبد الوهاب بن
الطالب الأمين الفلالي
سيدي محمد بن محمد الصغير
ابن انبوجه العلوي
عبد المالك بن النفاع بن الطالب
أحمد العلوشي
أحمدُ الصَّغير بن حِمى الله
التشيتي


(أسانيد علماء أبناء المنطقة إلى محمد بن المختار بن الأعمش/حاضرة شنقيط):
عبد الله (القاضي) بن محمد
أحمد ب محمد أكد الحاج
محمد بن المختار بن الأعمش (ت. 1107هـ)
لخليفه بن أحمد بن أحمد الحاج الغلاوي
سيدي عبد الله (ابن رازگه) العلوي
عثمان بن عمر بن المحجوب الولاتي
محمد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي (ت. 1098هـ)
محمد بن الحاج عثمان الجماني
أحمد بن لخليفه (ت. 1188هـ)
عمر بن بابا
عبد الله بن أبي بكر بن علي بن الشيخ الولاتي
الحاج عثمان المجاور بن محمد الغلاوي (ت. 1121هـ)
محمد (لمرابط) بن عبد الرحمن بن الخليفه العلوي
الحاج ببكر بن الحاج عيسى الغلاوي (ت. 1146هـ)
الطالب جد بن الشيخ العلوي
البشير بن الحاج الهادي
الأمين بن الحبيب الحرشي
محمد بن علي الولاتي
أحمد البرتلي
القاضي سنبير الأرواني
أحمد بن أبي بكر بن الحاج عبد الرحمن البرتلي
الكَصْري بن مُحمد (ت. 1235هـ/ 1820م)
سيدي المختار بن الطالب سيدي أحمد الغلاوي
محمد بن البشير بن الحاج الهادي الإيديلبي
صالح بن عبد الوهاب الناصري


(أسانيد علماء أبناء المنطقة إلى ابن الهاشم الغلاوي/حاضرة ولاته):
محمد بن أبي بكر بن الهاشم
الحاج عثمان المجاور
سيدي بن علي بن الطالب الوافي
محمد بن شل البلوي
أبو بكر بن عيسى الغلاوي
الطالب الأمين بن الطالب الحبيب الحرشي (ت. 1166هـ)
محمد بن علي الولاتي
القاضي سنبير الأرواني
البشير بن الحاج الهادي
سيدي محمد بن سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي
محمد بن علي
اند عبد الله بن أحمد
عمر بن محمد بن أبي بكر
محمد البشير بن الحاج الهادي

ملحق رقم 08

الألوري عبد الله آدم ـ موجز تاريخ نيجيريا ـ مرجع سابق ص ص: 134، 136

رسالة المغيلي ووصيته للقضاة ـ جامعة لأصول الاجتهاد والقياس

مأخوذ عن آدم عبدالله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا
بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ص١٣٤-١٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني إلى عبدالله محمد بن يعقوب سلطان كنو وفقه الله لما يرضاه، وأعانه على ما أولاه من أمور دينه ودنياه، بجاه سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

سلام عليكم ورحمة الله. أما بعد. فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام، فاعلم، أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، أنه لابد من ردع المفاسد الدينية والدنيوية بالمقامع الشرعية على حسب الطاقة البشرية. ولا يجوز أن يترك مفسد فساده مع إمكان ردعه عنه أو لعنه أو حبسه أو ربطه أو ضربه أو صلبه أو قتله أو نفيه أو نهب ماله أو حرق بيته أو غير ذلك من العقوبات الشرعية. لكل داء دواء ولكل مقام مقال وفعال بحسب ما يظهر الأحوال. فصن مقامات الخلافة النبوية عن الإهانة بردع العامة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال وسائر الأحوال، ولا تصبر لمن تعمد ذلك ولم ينته، لأن ردع ذلك ومثله حق الله تعالى ورسوله وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشرك وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدم وغير ذلك من المحرمات. وامنع كفار بلادك من أن يظهروا ذلك بين المسلمين في الأسواق والمنازل وغيرها من المحلات، فلو لم يتركوا إظهار شرك أو شرب خمر أو فطر في رمضان، أو زنا أو غير ذلك من المنكرات وأنواع ضلالهم، لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل

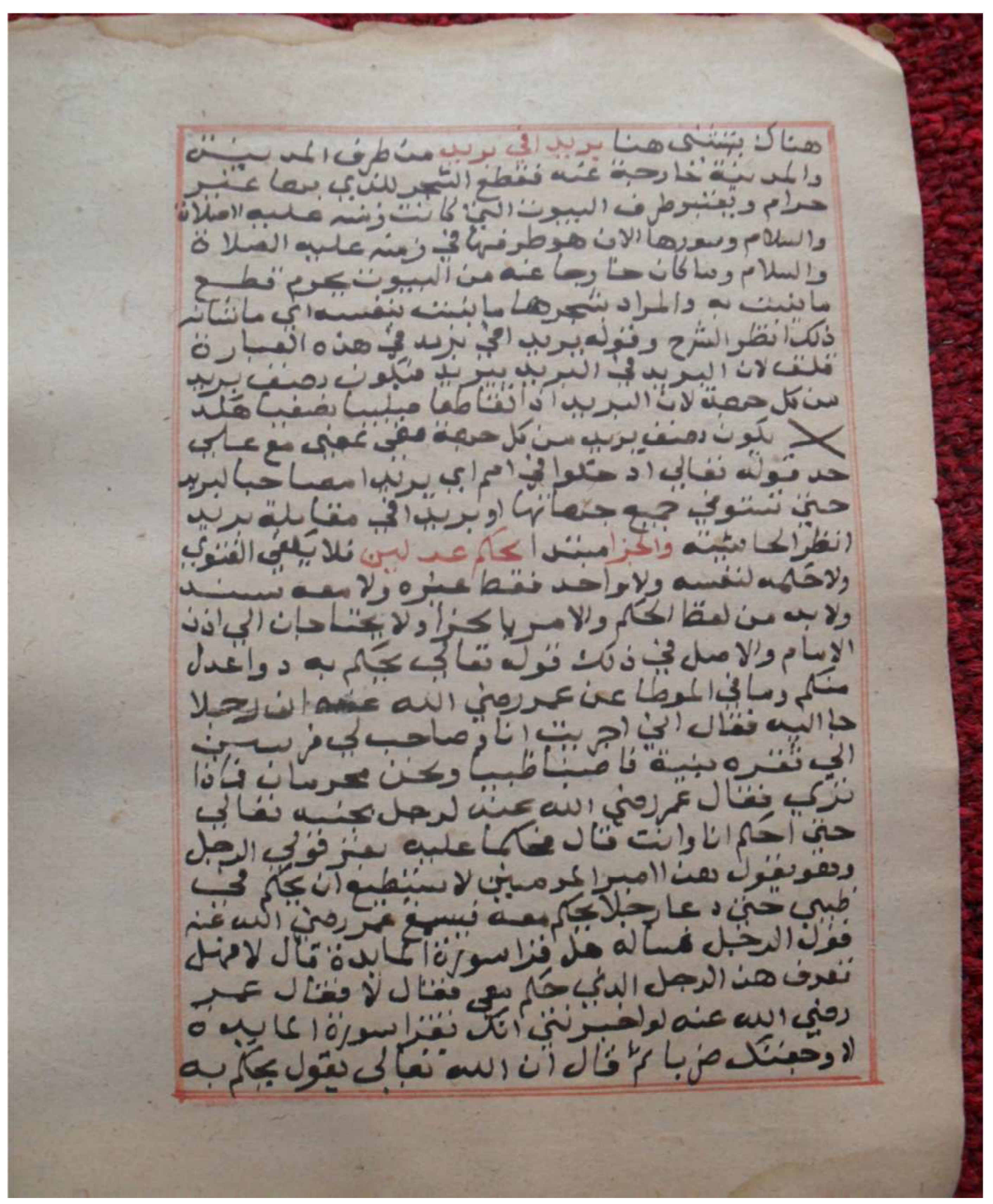
سواء، فلا تخرج من ذلك عالما ولا عـابدا ولا شريفا ولا أميراً، وأقم حق الله على جـميع عبـاد الله بالتقـوى لا بالهوى، ومن عـارضك في شيء من ذلك فعاقبه بما فيه ردع له ولمثله، وإن لم يكن إلا بقطع يده أو رجله أو أنفه أو صلبه فافـعله ولا تبال ولكن بعد ثبـوت وتثبت في ذلك كله، ومقـابلة كل واحد بما يليق به بحسب حـاله من الخير والشر والتـواضع والطغيان، فتـصرف في ذلك بالزيادة والنقصان حتى يعـتدل الميزان وليس الخبر كالعيان والله المسـتعان وعليه التكلان. وفي هذا القدر كـفاية لمن سبقت له العناية، وكل مـا نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك، وإذا نسيت شيـئا منه فلا تنس أن من غيّر حكم الله فقد كفـر، ومن تغيير حكم الله ودينه أن يكون الظالم قاضـيها لأنه يحكم بالظلم وهو يقول هذا هو الشـرع، ومن فعل ذلك فهو كافر لأنه صـير الباطل حقا والحق باطلا. فإن كان لابد من أن يجعل بـعض الظالمين حاكما فلا تجعله باسم القاضي، فإن القضاء من صـفات رسول الله لا يوصف به إلا عالم تقي لا يأخذ الرشا ولا يحكم بالهوى.

الله الله الله وهذه الوصـية هي أوكد جـميع الوصايا. أمـا يكفيك أن تظلمـوا باسم السلطنة فتكونوا مـذبذبين ترجون رحـمة الله ثم تظلمـون باسم الشرع حـتى تكونوا كفـاراً؟ والكافر لانصـيب له من رحمـة الله مطهر مـقام الشريعـة من كل خبث، لأنه مـقام رسـول الله لعل الله أن يغفـر لك ذنوبك جميعها والسـلام على من اتبع الهدى.

كتبه سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م.

ملحق رقم 09

الغلاوي: العمل المشكور في نوازل تكرور (مخطوط تضمن عدة قضايا وأحكام)



هناك يستثنى هنا بريد الى بريد من طرف المدينة
والمدينة خارجة عنه فقطع الشجر للذي بها غير
حرام وبعض طرف البيوت التي كانت زمنه عليه الصلاة
والسلام وسورها الآن هو طرفها في زمنه عليه الصلاة
والسلام وما كان خارجا عنه من البيوت يحرم قطع
ما ينبت به والمراد بشجرها ما ينبته بنفسه اي ما شأنه
ذلك انظر الشرح وقوله بريد اي بريد في هذه العبارة
قلق لان البريد في البريد بريد فيكون وصف بريد
من كل جهة لان البريد اذا تقاطعا ميلينا بنصفيا هكذا
يكون وصف بريد من كل جهة فقى نفي مع على
حد قوله تعالى اذ حلوا في امر اي بريدا مصاحبا لبريد
حتى تستوي جميع جهاتها او بريدا في مقابلة بريد
انظر الحاشية والجزاء مبتدأ بحكم عدلين ثلا يكفي الفتوى
ولا حكمه لنفسه ولا واحد فقط غيره ولا معه سند
ولا بد من لفظ الحكم والامر بالجزاء ولا يحتاجان الى اذن
الامام والاصل في ذلك قوله تعالى يحكم به ذوا عدل
منكم وما في الموطا عن عمر رضي الله عنه ان رجلا
جاء اليه فقال اني اجريت انا وصاحب لي فرسين
الى ثغرة ثنية فاصبنا ظبيا ونحن محرمان فماذا
ترى فقال عمر رضي الله عنه لرجل بجنبه تعالى
حتى احكم انا وانت قال فحكما عليه بعنز فولى الرجل
وهو يقول هذا امير المؤمنين لا يستطيع ان يحكم في
ظبي حتى دعا رجلا يحكم معه فسمع عمر رضي الله عنه
قول الرجل فسأله هل تقرأ سورة المائدة قال لا فهل
تعرف هذا الرجل الذي حكم معي فقال لا فقال عمر
رضي الله عنه لو اخبرتني انك تقرأ سورة المائدة
لاوجعتك ضربا ثم قال ان الله تعالى يقول يحكم به

بين لك الوصف الذي هو عليه من الصغر والتعليم
وغيرهما معها اي مع القيمة التي هي الجزا ويقوم لربه
بالدراهم على الحالة التي نفوه عليها فاذا كان معلما فيقوم
لربه بذلك بالدراهم ويقوم بحقه انه بالطعام فاذا كان
صغيرا قوم كالكبير وانما قال معها ردا على الشافعي
القائل بانه لاجزا عليه اذ لا يجتمع عليه جزا وقيمة
وعاكان المذهب انه لابد في الجزا من حكم حكمين
ولا يكتفى فيه بحكم من مضى من الصحابة خلافا
للشافعي رضي الله عنه في انه يكتفي فيه بحكم من مضى
بذلك الشار الى ذلك بقوله وليجتهد اي الحكمان
وان روي فيه اي في الجزا شيء عن الصحابة فلا بد
من اجتهادهما فيه في سمنه وهزاله وسنه فمنصب الحكم
النبوي الجنس ومنصب الاجتهاد الاعراض والجزئيات
اللاحقة كالسمن والهزال والصغر والكبر فيريان ان في
هذه النعامة بدنة سمينة اوهزيلة لسمن النعامة
اوهزالها مثلا اوان في هذا الفيل بدنة ذات سنامين
كذلك وهكذا وقوله اجتهدا اي وجوبا وقوله فيه
فيه لف ونشر مشوش ولو اسقط احدهما كان احسن
ويكون من باب التنازع وله اي المحكوم عليه
ان ينتقل عما حكما عليه به لغيره واحرى قبل الحكم
لغوتهما ان حكما عليه بالجزا واراد بعد حكمهما
ان يرجع الى الطعام او الصيام فحكما عليه به هما او
غيرهما من ذلك له واختلف شيوخها في نقلها
على اطلاقها سواء عرف ماحكما عليه به والتزمه
اولا وعليه الاكثر وفي تقييدها بقول ابن الكاتب
له ان ينتقل الا ان يلتزم ماحكما به ولا يكون الابعد
معرفة ما حكما عليه به فلا ينتقل عنه وصوبه

ابن

ان يحرر والظاهر ان الالتزام على القول بالا
جزاء مما يكون باللفظ فتيا وبيانا قال في الحاشية
والظاهر الثاني وينبغي انه ليس له ان ينتقل ولو التزم
وان اختلفا بعد الالتزام فكان ينبغي للمصنف القطع
به وقال في الشرح والمعتمد منهما ان له ان ينتقل
ولو التزم وان اختلف اي الحكمان في اصل الحكم
اي في قدر ما حكما به او نوعه ابتدئ الحكم ثانيا
وثالثا حتى يحصل الاتفاق على امر ولا فرق
بين ان يبتدئاه هما او غيرهما او احدهما مع غير
صاحبه ولذا اتى به بالمفعول والاولى كونهما حين
الحكم بمجلس ليطلع كل على حكم صاحبه وانجاز
امر افتيا ونقض حكمهما ان تبين الخطأ كما اذا حكما
بشاة فيما فيه بدنة وبقرة او بالعكس وذكرها
اللخمي بزيادة وان اخرج ما حكما به لم يجزه والام
ستحسان ان يجزيه في خطئهما ببقرة فيما شاة ٢
قال وحكمهما عما فيه الطعام بنعم يجزه وفي الجنين
اي ان المحرم او من في الحرم اذا ضرب ظبية فالقت
جنينا لا حركة فيه فان فيه عشر دية الام الخ الا
ان يوقن انه مات قبل ذلك بالراحة ونحوها
فلا شيء فيه وقوله وفي الجنين اي والجواب
في كل فرد من افراد الجنين كالتوامين فاكثر
والبيض اي وفي كل فرد فرد من افراد البيض اذا
كسره من يكد من اي طير كان فيه فرخ وخرج
ميتا بعد كسره اولا والمراد بالبيض غير المذر
واما المذر فانه لا شيء فيه اذا كسره واما ما ليس
بمذر لكن تحقق عدم تخلق الفرخ فيه كما اذا
اختلط صفاره ببياضه او وجد فيه نقطة دم

نفعل فيه العش وهو الظاهر لا ثم انه يجب في كل
بيضة عشر ولو اتلف اثنتين منها او اكثر في فور واحد
او في ضربة عشر دية الام اي عشر جزاء امه طعاما ما
فيما في جزاء امه الطعام وعشر قيمة جزاء امه طعاما
فيما ليس في جزاء امه الطعام كالنعامة والفيل وحمام
مكة ثم ان يتعذر الطعام في حمام مكة وما في حكمه صام
يوما لانه تقدم ان لم يجد الشاة صام يومين وان وجب
فيها احد وعشرون الى ثلاثين صام في جنينها او بيضها
ثلاثة وهكذا واما ان وجب فيها دون مد كنصف مد
وقلنا بوجوب صوم يوم في عشر ذلك النصف لوجوب
تكميل النصف فيجب في جنينها وبيضها مثل ذلك
وهو في هذين سيا ولا مد في الصوم عند تعذر
ما يجب فيه اولا وان تعذر في غير هذين سوا كان
مما يخير في امه بين الاطعام والصوم كالضب او بينهما
والعتق فانه يصوم ايضا وان تعذر فيما يتعين في امه
المثل كالنعامة فالظاهر انه يجري فيه ما جرى في
امه وقد تقدم ابو عمران لو كسر عشر بيضات فعلى كل
بيضة ولا تجزي شاة عن جملتها لان الهدي لا يتبعض
كمن قتل من اليرابيع ما يبلغ قدر شاة لا يجمع بينها
واستظهر ابن عرفة في البيض خلافه فانه بدل فرع
في العشرة شاة فقال الاظهر في البيض جمعها لانتفا
لحم الكل بخلاف اليرابيع وهي تجزي تامة بنفسها
وعشر البيض كمتاع في ولادة بعشرة اجزاء دينارا
لا وجوب الواجب دينار ولقولها من حلف بعتق
عبده فباعه ثم صار له في ارثه من عشرة
اعبد لا يتعلق به اليمين كما لو ورثه انتهى اي
انه حلف بعتق عبده انه لا يفعل كذا فباعه

وفعل

ملحق رقم 10

ولد السعد محمد المختار ـ الفتاوى والتاريخ ـ مرجع سابق ـ ص ص 146، 147

فتوى الشريف حمى الله التيشيتي بشأن النهب

«سئل [حمى الله التيشيتي] عن رجل توجه لبعض المحاربين في طلب رد أعبد أخذوهم لبعض الزواية، وأتاهم بعد ما باعوهم لبعض السودان وسلط عليهم بعض عرفائهم، فألجأهم العرفاء إلى أن ساروا إلى السودان فأخذوا أحرارا منهم وامتنعوا من ردهم إلا بالأعبد الذين باعوا منهم، فردوا لهم أربعة من الأعبد وأعطوهم بقرا وغنما وحميرا عن من فوتوا منهم، وردوا لهم أحرارهم غير حرة أمسكوها في واحد من الأعبد المفوتين. فدفعوا الجميع للعرفاء، ودفع العرفاء ذلك للرجل، ودفع له بعض المأخوذ من بقر وغنم وحمير، وأتى بالباقي ودفعه مع من رد من الأعبد لموالي الأعبد وسكت ينظر ما يعطونه فلم يعطوه ما يرضيه، فقام يطلب ماله في تعبه؛ فهل له عليهم في ذلك حق أم لا؟ وما أتى من بقر وغنم وحمير لمن يكون؟ وما الحكم في الحرة التي أمسكت في واحد من الأعبد؟ وهل يصدق الرجل في أنه أعطى للعرفاء في رد ماتوجه إليهم في رده أم لا؟ وإن أعطاه موالي العبيد دون حقه وامتنعوا من إعطائه غير ذلك وأخذه واسترعى للباقي، هل ينفعه استرعاؤه أم لا؟.

فأجاب: الرجل المذكور له فيما أتى به ممن رد بعينه وما دفع له عما فوتوه بقدر تعبه وذلك بقدر الاجتهاد لا يتحدد بالنصف ولا غيره بل ما يرى أهل الاجتهاد من أهل المعرفة كما نص عليه العلامة ابن المختار بن الأعمش في بعض أجوبته. والقضاء في ذلك بالنصف إنما كان منه رحمه الله ونفعنا به في بعض قضاياه إذ أداه اجتهاده إلى ذلك واستمر عليه العمل. وما أتى به من بقر وغنم وحمير عوضا عمن فوته السودان من الأعبد لموالي تلك الأعبد بقدر ما يلزم السودان من قيمتهم إذ كانوا سودانا مسلمين غير مستغرقي الذمم، وإن كانوا مسلمين إلا أنهم مستغرقو الذمم فذلك لبيت مال المسلمين لا

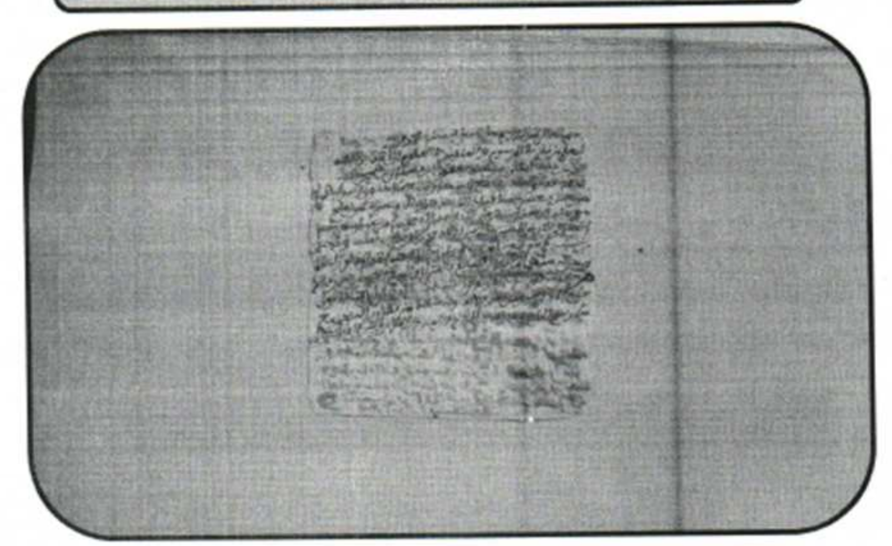
يستبد به موالي العبيد المفوتين كما نص عليه أئمتنا. وإن كانوا من السودان المحكوم لهم بالكفر فذلك لبيت المال أيضا لأنه للمحاربين الذين ألجأتهم إلى إعطائه، والمحاربون أعطوه عما لزم ذمتهم من العبيد الذين فوتوهم وهم مستغرقو الذمم، ومستغرق الذمة لا يستبد صاحب المال الفائت بما دفع له عما فوته له بل يكون لبيت المال.

وأما الحرة، فإن كانت من السودان المحكوم لهم بالكفر، فالأمة للمحاربين الآخذين لها، ومال المحاربين لبيت المال لأنهم مستغرقو الذمم، وإلا بأن كانت من سودان مسلمين فحرة لا سبيل لأحد إليها بملك. والرجل مصدق في أنه أعطى للعرفاء إذا ادعى ما يشبه إذا صدقه في ذلك شاهد العرف. فإن كان المعطى لهم من المأخوذ من بقر وغنم وحمير - كما في نص السؤال - كان لمولى الأعبد المفوتين الرجوع على موالي الأعبد المردودين بمنابهم من ذلك إن قلنا ذلك لهم، وإن قلنا إنه لبيت المال كان على موالي المردودين منابهم من ذلك لبيت المال. وكون ذلك لهم أو لبيت المال تقدم بيانه في صدر الجواب. وإن ادعى أن أعطاهم من مال نفسه وأشبه ذلك، كان له الرجوع بذلك على جميع ما أتى به أعبد وبقر وغنم وحمير. وإن أعطى دون ما يستحق في تعبه وأخذ ذلك واسترعى للباقي ينفعه استرعاؤه إن صح، والاسترعاء كما قال العلامة ابن المختار بن الأعمش قل من يحسنه من الطلبة فضلا عن غيرهم، فالصواب حسم بابه».

ملحق رقم 11

ولد أبد محمد الأمين: الرجال والكتب والوثائق من بداية التوثيق إلى نهاية القرن الثاني عشر في موريتانيا، مذكرة الماتريس فى العلوم الإنسانية جامعة شنقيط العصرية موريتانيا 2015، 2016، صص 128- 129

وثيقة بخط الحاج عبد الله بن الحاج الأمين بن احمد بن ويس الغلاوي بتاريخ عام الموفي السبعين بعد الألف هجرية " المصدر مكتبة اهل لداعه في شنقيط "





شهادة ملك بخط الفقيه محمد بن المختار بن الأعمش المتوفي1107هـ

" المصدر مكتبة أهل حامن بشنقيط"



ثلاث وثائق (الوثيقة الأولى بخط الفقيه أحمد بن الواقي الغلاوي بتاريخ 1037 هـ) والثانية والثالثة بخط القاضي عبد الله بن الفقيه محمد المتوفي 1103 هـ

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

البخاري،الصحيح، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم:5027، أبو داود: السنن،بَابٌ فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ،رقم: 1452.

مسلم، الصحيح ، باب أن الإسلام جاء غريباً، والترميذي في باب الإيمان، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول ج1

أبو داوود، السنن، في كتاب الأقضية، باب كيف يجلس الخصمان بين يدي القاضي ج3.

المخطوطات:

1-السوقي سعد الدين، الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين وما يجاورهم من السوادين، مخطوط مرقون لدى مكتبة محمد محمود ولد ودادي، نواكشوط، موريتانيا.

2-الغلاوي أحمد بن عثمان بن مولود، العمل المشكور في نوازل التكرور، مخطوط بحوزة الدكتور محمد ولد أبد، نواكشوط، موريتانيا.

3-المختار الكبير الكنتي، البرد الموشي، مخطوط خ ع، المكتبة الوطنية، المغرب ، رقم 2450.

المصادر:

4-ابن الأثير علي بن محمد عز الدين: الكامل في التاريخ ج8، دار الفكر، بيروت لبنان، 1978.

5-الأرواني محمد محمود، تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكتو وشنقيط وأروان في جميع البلدان، تحقيق الهادي مبروك الدالي، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا،2008

6**–الأكراري محمد بن أحمد**، روضة الأفنان في وفيات الأعيان وأخبار العين تخطيط ما فيها من عجيب البنيان، تحقيق: حميدي أنوش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن الأزهر، أكادير، المغرب، ط1، 1998.

7**–ابن بطوطة**، رحلة ابن بطوطة، بيروت التراث،ب.ت.ن.

8**–البكري أبو عبد الله**، المسالك والممالك، ج 2، تحقيق: أدريان فان نيؤمن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992 م.

9**–** ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، د.ت.ن.

10**–بللو محمد**، إنفاق الميسور في أخيار بلاد التكرور، تحقيق: بهجية الشاذلي، الرياض، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1، 1996.

11**–ابن تيمية الحراني**، علم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1989.

12**–التادلي ابن الزيات**: التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

13**–التنبكتي أحمد بابا**، كفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق: سعيد سامي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، المغرب، 1992.

14– : معراج الصعود في حكم مجلوب السود، أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق فاطمة الحراق ،وجون هانويك، مطبعة المعارف الجديدة الرباط المغرب، ط1، 2000.

15– كفاية المحتاج من ليس في الديباج ج2، تحقيق: محمد مطيع، المكتبة الدينية المغرب، ط200.

16**–التونسي محمد بن عمر**، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد سعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965.

17-الجبرتي عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ج1، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، عبد العظيم رمضان، دار الكتب المصرية القاهرة ،1997.

18-حجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، مكتبة المثنى، بيروت لبنان، د.وت.ط.

19-ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1979م.

20-ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1989.

21-الزركشي عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج2، تحقيق: أحمد أبو الفضل، مطبعة الشرق، عمان، الأردن،1983 .

22- ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1997.

23-الزركلي، الأعلام ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1989.

24-السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر، الحاوي للفتاوي، دار الفكر، لبنان، 2004.

25-السوسي المختار، المعسول، ج3، المطبعة الملكية، الرباط، 1996.

26-الشفشاوي محمد بن عسكر الحسني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،ط2، 1977.

27-العلوي عبد الله بن الحاج إبراهيم، الفتاوى، تحقيق: محمد الأمين بن محمد بيب، مكتبة الفقه المالكي، نواكشوط، موريتانيا، ط1، 2002.

28-العلوي بن بنانة محمد فال، كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنة والترارزة، تحقيق: أحمد ولد الحسن، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، بيت الحكمة، تونس، 1986.

29-بن عسكر أحمد الحسيني، دوحة الناشر، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي للتأليف والتراجم والنشر، لبنان، 1976.

20-الفشتالي عبد العزيز أبي فارس، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، دت.ط.

21-القزويني زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، 1960

22-القشاط محمد سعيد، أعلام من الصحراء ، دار الملتقى للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،ط1، 1997.

23- ، التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا،1989.

24-القلقشندي أبو العباس، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج 5 ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سوريا، 1983.

25-الكسري بن محمد بن مختار، النوازل، اعتنى به أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

26-الكنتي محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، تحقيق حماه الله ولد السالم، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، موريتانيا، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.

27-لوفراني محمد الصغير بن الحاج عبد الله النجار المراكشي: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تعليق هوداس، مطبعة بريدن، إنجي 1888.

28-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ج2، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، 1998.

29-الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حسين، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ،ط1 ،1989

30-مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966.

31-المسعودي علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج 2،تحقيق ،محمد محى الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1988 م.

32-المقديسي محمد بن أبي بئ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، 1959 م.

33-المقري أحمد: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية الرباط ،المغرب ،1983.

34-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية) ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1998.

35-ابن خلكان أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج2،تحقيق إحسان عباس ،دار الثقافة ،بيروت لبنان ،1989.

36-المغيلي محمد بن عبد الكريم، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، ، قام بتحقيق الباحث محمد خير رمضان يوسف طبعته دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان الطبعة الاولى سنة 1994..

37-المكناسي ابن القاضي، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط.

38-حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط2 ،1983.

39-الولاتي المحجوبي مصطفى بن أبي بكر، منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور ،تحقيق وتعليق محمد الأمين بن حمادي، الوكالة الفرنسية للبحث العلمي، باريس، 2011.

40-الوفراني محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي عشر ،تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ،1998

41-اليدالي محمد بن سعيد: شيم الزوايا نصوص من تاريخ الموريتاني، تحقيق محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، تونس، 1991.

المراجع:

42-الآلوري آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت، لبنان ، دار مكتبة، 1965 م.

43- ، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجي

44- باري محمد فاضل علي، سعيد إبراهيم كريرية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة،دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 2007

45-الباز أحمد السيد، الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغي القرن 07-10هـ-13-16م، الإفريقية الدولية للنشر والتوزيع،القاهرة ط1، 2013.

46-بدري محمد فهد، أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية في إفريقيا، حوليات جامعة الإسلامية بالنيجر، العدد04، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1998.

74-بازينة سالم عبد الله، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، دار الكتب الوطنية، بنغاري ،ليبيا ،ط 1، 2010.

48-برايما باري عثمان، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر، مصر،ط1، 2000.ريا، دار الحلبي، القاهرة، مصر،1974

49-البكري عبد الحميد، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 09 حتى 14هـ ط$_1$ دار هومة للنشر الجزائر ط$_1$ 2005.

50-بوفيل أ.ي ، المملكة الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهبترجمة زاهر رياض، القاهرة 1968.

51-بوعزيز يحيى، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001.

52-بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي ج5،نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة مصر، د،ت،ط.

53-التميمي عبد الجليل: مساهمة أحمد بابا التنبكتي في الحضارة العربية الإسلامية من خلال كتابه نيل الابتهاج، ندوة العلماء الأفارقة، بغداد، 1991.

54-التنبكتي الأرواني محمود محمد ددب، من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسسكو، الرباط المملكة المغربية، 2011.

55-التميمي عبد الجليل: مساهمة أحمد بابا التنبكتي في الحضارة العربية الإسلامية من خلال كتابه نيل الابتهاج، ندوة العلماء الأفارقة، بغداد، 1991.

56-جوان جوزيف: الإسلام في ممالك وإمبراطورية إفريقيا السوداء ،ترجمة مختار السويفي، دار الكتاب المصري ،اللبناني ،القاهرة 1974

57-جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية، مصر، 1999

58-حربي محمد، بن اتيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره، عالم الكتاب، بيروت لبنان، ط1، 1987.

59-حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ج1،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.

60-**حجي محمد،** الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية الرباط، المغرب 1964.

61-**ابن حامد المختار،** حوادث السنين، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة، 2011.

62-**حسن محمد نبيلة،** في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر 2008.

63-**حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن،** النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،مصر، دت.

64-**الحمدي أحمد،** الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الإطار المعرفي والتعامل مع المكانية، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع الجزائر ط$_1$ 2012.

65-**الدمشقي جمال الدين القاسمي،** تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط1، 1979.

66-**الدالي الهادي مبروك،** التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ليبيا، ط،1، 2002.

67- ، مملكة مالي وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م صفحات من تاريخ العلاقات العربية الإفريقية،دار الملتقى للطباعة والنشر،بيروت لبنان،ط1، 2001.

68- ، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، دار الكتب الوطنية ،بنغازي ليبيا، ط2009،3،

69-**الهام محمد علي ذهني،** جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850 – 1914،دار المريخ للنشر، الرياض ،السعودية، ط1،1988.

70-بن رمضان زوليخة، المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية مابين القرنين 05و10هـ-11و16م،ج1، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب 2015.

71-ربحي مصطفى عليان: المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن ،1999.

72-زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ودورها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى،القاهرة، المكتبة الانجلو مصرية، 1968.

73-زبادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2010.

74- ،الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

75- ،مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 – 1592، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د. ت . ن.

76-الزحيلي محمد، تاريخ القضاء في الإسلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، 1995.

77-وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته ج6، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، .1985

78-سيلا عبد القادر محمد، المسلمون في السنغال كتاب الأمة، قطر ، ط 1 ، .1995

79-سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط1998،1.

80-شترة خير الدين: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي ج2، دار إبن طفيل الجزائر، 2012.

81-بن شريفة محمد، مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر زيارة عبد الرحمن سقين إلى بلاد الحوس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط ،المغرب ،1993
.1997

82-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى

83-**شكري أحمد**: الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن 18م (نموذج بلاد السودان)، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط 2010.

84-بن شريفة محمد، من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان الأوسط ،مطبعة المعارف الجديدة الرباط ،1999.

85-الشنقيطي أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2 1958.

86-الصادقي حسن، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، بالمغرب، 2012،

87-الصاوي كرم باز، تجارة الذهب والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب، ندوة التواصل العربي الإفريقي،معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة،ماي 2003.

88-ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان، دار المعارف، مصر د.ت.ط.

89-بن طرهوني محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1426.

90-أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.

91-طرخان إبراهيم علي، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1969.

92- ، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973.

93- ، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1973.

94-عبد الظاهر حسن عيسى، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، مطبعة دار الهلال، الرياض، السعودية، 1981.

95-عبد الشافي إيهاب شعبان سالم، القضاء في دولتي مالي وصنغاي وأثره الحضاري في المجتمع 636-1000هـ-1238-1591م، الإفريقية الدولية للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة،ط1 ،2014.

96-عبد العزيز بن عبد الله: معلمة التصوف الإسلامي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط المغرب، ط1 سنة2001م (197/1).

97-عون فيصل يدير، علم الكلام ومدارسه، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، مصر 1982.

98-بن عبد الله عبد العزيز: معلمة التصوف الإسلامي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط المغرب، ط1 سنة2001م (197/1).

99-عليان ربحي مصطفى ، المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ،دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ،1999.

100-عطية ماهر شعبان: جامعة سنكري ودورها الحضاري في غرب إفريقيا، مجلة الدراسات الإفريقية،معهد البحوث والدراسات الإفريقية،جامعة القاهرة ،العدد 24،2002

101-عون فيصل يدير، علم الكلام ومدارسه، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، مصر 1982.

102-عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 403- 515 هـ-1038-1121م دار الغرب، ط1، 1988.

103-فليكس ديبو: تمبكتو العجيبة، ترجمة عبد الله عبد الرزاق،مراجعة شوقي عطاء الله الجمل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2003

104-فروخ عمر وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت لبنان ،1990،

105-فيلالي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية ،عمرانية ،اجتماعية ،ثقافية ،ج2،موفم للنشر ،الجزائر ،2011.

106-الفلاني عمر با، الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، د.د.ط، 2007.

107-فليجة أحمد نجم الدين، إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، د.ت .ط.

108-فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف مصر، ط1 ،1982.

109-قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2 ، 1975.

110–**القرطبي ابن فرج، أقضية الرسول (صلى الله عليه وسلم)، دار إحياء الكتب العربية**،القاهرة مصر،ط 2، 1982.

111–**كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي شنقارو**، الحضارة العربية والنظم، الدار المصرية اللبنانية، مصر، لبنان، المكتبة الجامعية، غريان،ليبيا، دت.

112–**أبو لبابة حسين**، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ص1987.

113–**بن محنض الحسين**: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، دار الفكر، أنواكشوط موريتانيا، 2010

114– **محاسنة محمد حسين**، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ، العين الإمارات العربية المتحدة ،2001-2002.

115–**مطير سعد غيث أحمد**: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان =الغربي خلال القرنين 10 و 11هـ 16 و17م، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، مصر. د ت ط.

116–**ميقا أبو بكر إسماعيل**: أشهر علماء تنبكتو وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي ،مجلة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد 11 ،1994، دار المنظومة ،المملكة العربية السعودية

117–**بول مارتي**، البرابيش بنو حسان، تعريب وتعليق: محمد بن ودادي، مطبعة زيد، دمشق، د.ت.

118–**المحبشي عبد القادر مصطفى**، عبد العباس فضيح الغريري، جغرافية القارة الإفريقية وجزرها،دار الجماهير للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 2000

119-بن محنض الحسين: تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، دار الفكر، أنواكشوط موريتانيا، 2010.

120- ، تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، نواكشوط موريتانيا،ط1، 2010.

121-مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي مناقبه وآثاره مج1 دار القدس العربي الجزائر، ط1،2011

122-بن محمد مولاي محمد، التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، دار يوسف بن تاشفين، مكتبة الإمام مالك، موريتانيا، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2008.

123-محاسنة محمد حسين، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين ،دار الكتاب الجامعي ،العين الإمارات العربية المتحدة ،2001-2002.

124- بن مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ج1،المطبعة السلفية ومكتباتها ،القاهرة 1349هـ ،ص308.

125-مليحي أحمد محمد، النظام القضائي في الإسلام،الدار التوفيقية النموذجية،القاهرة، مصر،ط1، 1984

126-مهدي رزق الله أحمد، التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، ط 1، 1998.

127- ،الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 08 إلى القرن 13الهجري،منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية،2011

128- ،الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ،مكتبة التوبة،الرياض، المملكة العربية السعودية،ط1، 1997.

129-**الدالي الهادي**، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، دار الكتب الوطنية بنغازي ليبيا، ط3 .2009

130-**ولد بيه محمد المحجوب**، موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 15و21، انواكشوط موريتانيا، 2016.

131-**ولد الحسن الثاني**، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى نهاية القرن 5هـ/ 11م.

132-**ولد السالم حماه الله**، تاريخ موريتانيا فبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017.

133-**ولد السعد محمد المختار**، تاريخ القضاء في موريتانيا من عهد المرابطين إلى الاستقلال، المطبعة الرسمية التونسية، تونس، 1997.

134- ،الإمارات والنظام الأميري الموريتاني، النشأة والأطوار السياسية الكبرى، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2007.

135-**ولد أيده الهلال أحمد مولود**، مدن موريطانيا العتيقة قصور ولاته ووادان وتشيت وشنقيط، دار أبيرقرلق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب،2014م.

136-**ولد البراء يحيى**، المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء مدونة من 6800فتوى ونازلة وحكم، المجلد الثاني، المكتبة الوطنية بانواكشوط الناشر مولاي الحسن بن المختار بن الحسن، ط1، 2009.

137-**ولد عبد الله عبد الودود**، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن 12هـ- 18م،دار أبي رقراق للطباعة والنشر ،الرباط ،المغرب.

138-**ولد المصطفى محمد عبد الله**، من أبرز علماء شنقيط، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، موريتانيا،د.د.ط، د.ت.ط

139-**ولد ميابي حماه الله**، مدينة تيشيت رسائل وأشعار من القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين ،د.د.ط، د.ت.

140–ولد النين مصطفى، القضاء حكمه وضوابطه، مذكرة المتريز في العلوم الإسلامية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أنواكشوط، موريتانيا،2003-2004.

141–ولد السالم حماه الله، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 2017 .

142–ولد البراء يحي، الفقه والمجتمع والسلطة دراسة في النظر الاجتماعي والسياسي للفقيه الموريتاني بين مشمول أهل القبلة وأسرة أبناء القبيلة ،منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، أنواكشوط، موريتانيا، 1994.

143–ولد السعد محمد المختار، الإمارات والنظام الأميري الموريتاني النشأة والأطوار السياسية الكبرى، أبو ظبي للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة، 2008.

144–ولد أباه محمد المختار، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، مطبعة بني إزناس،سلا المملكة المغربية ،2001،

145–ولد أباه المختار: الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان، ط2، الرباط المغرب،2003،

146– : تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)،مطبعة بني إزناس ،سلا المملكة المغربية ،2001.

147–ولد البراء يحي: تحقيق الوسيط (شعراء العلوين)، د.م.ط.، د.ت.ط.

148– ولد المصطفى محمد عبد الله: من أبرز علماء شنقيط التعريف ب212 عالماً، إدارة الثقافة، والفنون وزارة الثقافة والشباب، موريتانيا، 2013

149–ولد السالم حماه الله: تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2010.

150–ولد البراء يحي: تحقيق الوسيط (شعراء العلوين)، د.م.ط.، د.ت.ط.

151–ولد المصطفى محمدعبد الله: من أبرز علماء شنقيط التعريف ب212 عالماً، إدارة الثقافة، والفنون وزارة الثقافة والشباب، موريتانيا، 2013.

152–ولد السالم حماه الله: تاريخ بلاد شنكيطي موريتانيا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2010.

الرسائل الجامعية:

153– بعثمان عبد الرحمن: نظام القضاء في منطقة توات خلال القرنين 11 و12ه 17 – 18م، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران، إشرافبن معمر محمد 2015- 2016.

154–بوغدادة الأمير، المؤسسات في الجزائر أواخر العهد العثماني القضاء أنموذجا، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008.

155–بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)،أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،جامعة تلمسان ،2010-2011.

156–بوغرارة منيرة، محمد بن عبد الكريم المغيلي ومساهمته في الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا، مذكرة ماجستير، في التاريخ، قسم التاريخ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

157-جاد الله فاضل شريف، أحمد بابا التنبكتي 936هـ- 1036هـ/ 1556م-1667م ومنهجه في كتابه التراجم، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة مصر، 2014.

158-جعفري أحمد أبا الصافي، الحرك الأدبية في منطقة توات خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، أطروحة دكتوراه في الأدب، قسم الأدب، جامعة تلمسان،2006-2007.

159-جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13هـ-19م،أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر،2013-2014.

160-حاج أحمد نور الدين، المنهج الدعوي للأمام المغيلي، مذكرة ماجستير في الدعوة والإعلام كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والإسلامية جامعة باتنة، إشراف مولود سعادة 2010. 2011.

161-خالدي مسعود، الجاليات العربية و البربرية في إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي) بين القرنين الخامس والعاشر الهجري الحادي عشر والسادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ قسم التاريخ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008-2009.

162-سلطان محمد عبلة، العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي، أطروحة دكتوراه في التاريخ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية،جامعة القاهرة،مصر1999.

163-شبو جعفر خلف الله محمد، الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولتي مالي الإسلامية في العصور الوسطى بين 5-8هـ-12-15م،أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة أم درمان، السودان،2008-2009.

164-الشيخي حسن علي إبراهيم، تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم درمان السودان، إشراف محمد علي محمد الطيب 2008- 2009.

165-شاهين أيمن سلام: المدارس الإسلامية في مصر في العصر المملوكي والأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة طنطا، مصر،1999

166-الطوخي وداد نصر محمد السيد، الصناعات والحرف في السودان الغربي في الفترة من 712هـ إلى 100هـ-1312م-1591م، أطروحة دكتوراه في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، مصر، 2013.

167- مدينة تنبكتو منذ نشأتها حتى دخول السعديين، مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية،جامعة القاهرة، 1986

168-أبو علم محمد أنور توفيق، دولة صنغي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري 1493- 1591م، رسالة ماجستير في الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ كلية الآداب،جامعة القاهرة، مصر، 1977.

169-بن عمر بن الحسين الشيخ الطيب، السلفية وأعلامها في موريتانيا "شنقيط" عرض لتاريخ السلفية والأشعرية وماله علاقة بذلك من الحركة العلمية والجهادية من دخول

الإسلام إلى القطر سنة63ه إلى سنة 1413ه، دار ابن حزم للطباعة، بيروت لبنان، 1995.

170-**غربي الحواس**، السيادة المغربية في البلاد السودانية 1591- 1660م دراسة سياسية وعسكرية، مذكرة ماجستير في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2008-2009.

171-**فرح سعد**، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، 2016/2015.

172-**الفاجالو محمد**: الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة(842هـ-1000هـ/1424م-1591م)،رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى مكة المكرمة،المملكة العربية السعودية، 1993.

173- **الفانوس عمار صليح سليم**، دور حكام السودان في نشر الإسلام في الغرب الإفريقي، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الفنون،جامعة بغداد،العراق 2002.

174-**قدوري عبد الرحمن**، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 ه و 10ه - 15-16 م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستر تاريخ، قسم التاريخ ،جامعة تلمسان،2010 – 2011.

175-**مديلي إمام سليمان محي الدين**، الفرق الإسلامية الكبرى في نيجيريا دراسة ميدانية ونقدية، مذكرة ماجستير في العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1994.

176-**محمد عادل سيد حسين منى**، الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا من القرن 08 الى 10ه 14- 16م، مذكرة ماجستير في الدراسات الإفريقية في قسم التاريخ

الاسلامي، معهد البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، إشراف عبد الله عبد الرزاق إبراهم. وكرم الصاوي يار 2009.

177-**مديلي إمام سليمان محي الدين**: الفرق الإسلامية الكبرى في نيجيريا دراسة ميدانية ونقدية، مذكرة ماجستير في العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1994،.

الموسوعات:

178-**القادري محمد بن الطيب**، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر، تحقيق: محمد حجي، وأحمد توفيق (موسوعة أعلام المغرب)ج3،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان ،ط2، 2008.

الدوريات:

179-**الحمدي أحمد**، الوظائف الدينية بإيولاتن في عهد الإمارات القيسية، مجلة عصور تصدر عن مخبر البحث التاريخي جامعة وهران العدد 12-13.-14-15، سنة 2008-2009.

180-**سعد غيث مطير**: آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11هـ-16-17م،مجلة جامعة الزيتونة ،ليبيا،العدد 11 ،2011

181-**الشاذلي بهيجة**، الأوضاع الاجتماعية في السودان الغربي في النصف الأخير من القرن الخامس عشر من خلال رسائل جلال الدين السيوطي، أعمال الندوة المنعقدة بتمبكتو حول الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء قرب إفريقيا نموذجا، تقديم عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس،

182-**ميغا محمد محمد كنان**: مظاهر الثقافة الإسلامية في تنبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي، مجلة قراءات ،العدد3ديسمبر 2008، دار المنظومة المملكة العربية السعودية .

183-ميغا محمد محمد كنان: مظاهر الثقافة الإسلامية في تنبكتو وغاو وجني في عهد الأساكي، مجلة قراءات ، العدد 3ديسمبر 2008، دار المنظومة المملكة العربية السعودية.
184-ميقا أبو بكر إسماعيل: أشهر علماء تنبكتو وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي ،مجلة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية،العدد 11 ،1994 ،دار المنظومة ،المملكة العربية السعودية.

185-المعاشي مراد: دور الفقهاء في التصدي لبعض المستحدثات خلال العهد السعدي التبغ نموذجاً ، مجلة ليكسوس في التاريخ والعلوم الانسانية، العدد 21 فبراير 2018.
186-ميقا أبو بكر إسماعيل، نظام القضاء في دولة سنغاي في عهد ملوك آل اسكيا، مجلة الدارة السعودية، عدد2، مج 21، 1995.

187-ولد أباه أحمد سالم، مدن القوافل والسياحة، مدن القوافل العربية، المؤتمر السابع عشر للآثار والتراث الحضاري في الوطن العربي،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، انواكشوط،22-23 ديسمبر 2003.
188-القضاء في مكة قديما وحديثا، ندوة مكة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ،المملكة العربية السعودية،17-19- سبتمبر 2005.

المراجع الفرنسية:

189- BOVILL.E.W.THE NIGERAMDTHE SONGHAY EMPIRE، THEJOURNLOFTHE RAYAL AFRICAN SOCIETY،VOL25،N) 98،.67.OP.CIT(JAN 1926

190-

TRMINGHMM.J.S.IHEINFLUENCEOFISLAMUPOM AFRICA LANDAN.1968.PPP.72-73.

191- john h. hunwik.(Ahmed baba and moroccar Invasion of.sudan1591.journal of histarcaal.societyof.nigeria (jhsn) 1962.no.3.p.312.

192-

DemeMariamKamateTHeRaleAndFumctionofTHeSupermatu 2004،Templeumversitypressgraduatebaard،alinTHeAFricanEPic pp315-317،

فهرس الموضوعات

.

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع القضاء والقضاة في السودان الغربي في الفترة من أواخر القرن التاسع الهجري الى الثاني عشر هجري. تكمن أهمية الدراسة في كشف طبيعة المنظومة القضائية والمرجعية الفقهية لفقهاء هذه المنطقة ورصد علاقة السلطة بالقضاة من جهة وعلاقتهم بالعامة من جهة أخرى وابراز مدى استقلالية القضاء، وتتبع أهم القضاة والادوار العلمية والثقافية التي كان يقوم بها القاضي الى جانب مهنته, مدى مساهمة الجاليات المغربية والتواتية في القضاء في هذه المنطقة، الوضعية القضائية للإفراد غير المسلمين في بلاد السودان الغربي وخضوعها للقوانين الخاصة وأحكام الشريعة الإسلامية. حاولتُ معالجة هذه القضايا وغيرها من خلال المصادر المتخصصة و المخطوطة التي لاتزال تكشف لنا عن جديد في حقل الدراسات التاريخية.

الكلمات المفتاحية:

القضاء؛ القضاة؛ السودان الغربي؛ صنغاي؛ الهوسا؛ شنقيط؛ عبد الله الحاج ابراهيم العلاوي؛ محمود بغيغ؛ احمد بابا التنبكتي؛ الامام المغيلي.

نوقشت يوم 02 جويلية 2019